

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
كلية الدعوة والاعلام - بالرياض
الدراسات العليا - قسم الدعوة

أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني و مظاهرها في العصر الحاضر

بحث لنيل درجة الدكتوراه من قسم الدعوة

مقدم من الدارس

عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ

إشراف فضيلة الدكتور

زيد بن عبد الكريم الزيد

الاستاذ بكلية الدعوة و الاعلام.

عام ١٤١٧هـ

الله اعلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. أما بعد:

فقد جرت سنة الله - تعالى - أن يقوم الصراع في هذه الحياة الدنيا بين الحق والباطل ويستمر على مر الأزمنة والعصور، إلى أن يرث الله - سبحانه وتعالى - الأرض ومن عليها، وذلك لحكم عظيمة عرف الإنسان منها ما استطاع معرفته، وخفي عليه منها ما استأثر الله به. وإن من أبرز حكم وجود هذه الصراع:

أ- ابتلاء أهل الحق وتمحيصهم، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)، وقال عز من قائل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٢).

ب- إقامة الحجة على العباد، وقطع أعذارهم، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة.

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٤١.

(٢) سورة محمد الآية رقم ٣١.

اهمية الموضوع وسبب اختياره:

إن من يتأمل سير الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - مع أقوامهم، وسير العلماء العاملين، والدعاة المخلصين مع بني جلدتهم يتبين له حتمية هذا الصراع وعدم إمكان الانفكاك عنه بحالٍ من الأحوال، فسبحان العليم الحكيم، ولم تكن الدعوة الإسلامية بدعا بين دعوة الحق التي جاء بها رسل الله جميعا، ولم يكن المصطفى ﷺ بدعا من الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - حيث ووجه منذ بعثته بما ووجه به إخوانه، بل ربما بأشد، وأنكى، وطوال العهدين المكي، والمدني، وخصوم الدعوة لا يهدأون في مقاومتهم للدعوة بكل الوسائل، ومن قرأ تاريخ الدعوة في العهد المدني تجلّى له ذلك جلاء الشمس في رابعة النهار ليس دونها سحب، حيث لقي النبي ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم - من المواجهة، والمشقة، والعنت من خصوم الدعوة مالا يصبر عليه إلا من ثبته الله، وشدّ أزره.

وقد تفنن خصوم الدعوة في العهد المدني في أساليب الصد عن هذه الدعوة المباركة، محاولة منهم لمنع انتشارها وتقبل الناس لها، فبانت جهودهم بالفشل، وبأذا من الخسران بما سوّد وجوههم دنيا وآخرة، كما قال تعالى عنهم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

ولم تنته المواجهة بين الدعوة، وخصومها بانتصارها وظهورها، بل استمرت إلى يومنا هذا، وستظل إلى قيام الساعة إن شاء الله تعالى.

وحيث إن الله تعالى وفقني في اختيار موضوع «أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني» وأنا استظل بظل هذا الصرح العلمي الشامخ الذي أقيم لتصرة الدعوة الإسلامية، وحمایتها، وإثراء علومها صرح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فقد كان من بين دوافعي لاختيار هذا الموضوع عدة أمور منها:

(١) سورة الصف، الآية رقم ٨.

- ١- كشف أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني ، وذلك من أجل الوقوف على الجذور القديمة التي قام عليها الكيد للدعوة الإسلامية فيما بعد.
- ٢- معرفة منهج الدعوة القولي، والعملية في مواجهة تلك الأساليب ، حتى تكون هذه المعرفة زادا وعدةً للدعاة في هذا العصر، يواجهون بها تلك الأساليب ذاتها، أو بعضاً منها.
- ٣- معرفة ما لأساليب خصوم الدعوة من مظاهر في العصر الحاضر، وطرق مواجهتها على ضوء ما وُجِعت به أساليب أسلافهم، وزيادة ما تدعو إلى الحاجة في الوقت الحاضر.
- ٤- شحذ همم الدعاة، وحثهم على الصبر، والمصابرة، وذلك بعرض هذه الأساليب التي قوبلت بها الدعوة في مراحل قيامها، وانتشارها في العهد المدني وكيف واجهها ذلك الرعيل الفاضل، بقيادة رسول الله ﷺ .
- ٥- بيان سنة الله - تعالى - في تمحيص المؤمنين .
ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن بعض الناس يظن أن المواجهة والابتلاء إنما هي نتيجة أخطاء فحسب، وأن الذي لا يخطئ لا يواجه ولا يبتلى، ولا شك أن هذا ظن خاطئ، لذلك أردت الكتابة عن هذا الموضوع، لبيان هذه السنة الإلهية التي لا تتغير ولا تتبدل.
- ٦- الإسهام ولو بشيء يسير في حقل الدعوة إلى الله عز وجل من حيث الجوانب التنظيرية الذي هو الأساس للجانب العملي الموفق في حقل الدعوة إلى الله، والتصدي العلمي لخصومها.

* تعريف الأسلوب لغةً واصطلاحاً:

الأسلوب لغة:

هو الطريق الممتد، والسطر من التخيل، والوجه، والمذهب، والشموخ في الأنف، وعنق الأسد، والفنون المختلفة.^(١)
ويقال الأسلوب: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول: أي: أفانين منه.^(٢)
والجمع أساليب.^(٣)

الأسلوب اصطلاحاً:

لقد تبين من المعاني اللغوية أن الأسلوب قد يطلق على الفنون المختلفة، وهو معنى عام يحوي كل فن يسلكه السالك، وبأي شكل، وأساليب خصوم الدعوة في القديم، والحديث متنوعة ومتعددة، ولمحاولة تحديد معنى اصطلاحى يتناسب مع مضمون هذا البحث يمكن القول بأن المقصود بالأساليب هنا هي:
مجموعة من الطرق التي يسلكها خصوم الدعوة لمواجهةها.^(٤) ومن هنا يبدو لنا أن التعريف الاصطلاحى مأخوذ من المعنى اللغوي ومحكوم به.

-
- (١) ابن منظور لسان العرب، ٤٧٣/١، ط: ١، دار صادر، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، والفيروز أبادي القاموس المحيط، ٦، ٨٣/١، ط: ١، دار الحديث، القاهرة.
والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داودي، ص ٤١٩، ط: ١، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٤٧٣/١.
(٣) انظر المرجع السابق، ٤٧٣/١.
(٤) انظر محمد الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٤٢، ط: ١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

* الدراسات السابقة:

بعد الاستقصاء المعروف الذي يقوم به طلاب العلم عادة لم أجد دراسة علمية منهجية مستقلة في هذا الموضوع، وإن كثرت الإشارة إليه في مواضع مختصرة في بعض الدراسات. وما وقع في يدي من هذه الدراسات وأقدت منها.

١- المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم.^(١)

وهذا البحث مكون من مقدمة، وبابين، وخاتمة. حيث اقتصر على ذكر بعض الوسائل النظرية التي قام بها الوثنيون في وجه الدعوة مثل اتهام الرسول ﷺ بالسحر، ووصفه بأنه مسحور، وأنه شاعر، وكاذب، ومجنون، وكاهن، وبأن القرآن أساطير الأولين، كذلك استخدام أسلوب الاستهزاء، والسخرية، واللغو عند سماع القرآن، كذلك المساومة بالجاء، والمال، والملك، وأسئلة التعجيز، والتعنت، وغير ذلك، وقد ركزت الباحثة على جوانب الإعاقة بشكل عام، وفي المرحلتين المكية والمدنية، ومن ثم فالفرق بين الموضوعين قائم من كل الاعتبارات.

٢- الدعوة الإسلامية في عهد المكي منهاجها وغاياتها.^(٢)

واضح من عنوان الموضوع، أن دائرة البحث، لا تتجاوز العهد المكي من المنهج الوصفي الذي ارتكز إلى الأسلوب النظري، الذي قام به المشركون في وجه الدعوة.

٣- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام.^(٣)

وهذا البحث رسالة علمية قسمها الباحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب

(١) هذه الرسالة للباحثة سميرة محمد عمر مجموع، تقدمت بها إلى جامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه عام

١٤٠٧هـ، وتولى الإشراف عليها أ.د. بركات دويدار، والرسالة مطبوعة، نشر دار المجتمع للنشر والتوزيع-جدة.

(٢) هذه الرسالة للباحث رؤوف شلبي تقدم لها لكلية أصول الدين في جامعة الأزهر لنيل الدكتوراه والرسالة مطبوعة.

(٣) هذه الرسالة للباحث حمود بن أحمد فرج الرحيلي، تقدم بها إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ قسم الدراسات العليا، شعبة الدعوة لنيل درجة الدكتوراه عام ١٤٠٧هـ وتولى الإشراف عليها الدكتور عبد الفتاح سلامة.

وخاتمة. وكتب الباحث في الفصل الثاني من الباب الثالث بعنوان: دحض شبهات

المشركين حول الرسالة : ثلاثة مباحث : تدور حول :

دحض أكاذيب المشركين على القرآن.

ودحض مفترياتهم على الرسول ﷺ .

وفي إعناتهم للرسول ﷺ، كما ذكر.

في المبحث الأول أربعة اتهامات للقرآن الكريم وهي:

١- زعمهم بأن القرآن أساطير الأولين.

٢- زعمهم بأن الرسول ﷺ تلقاه عن بشر.

٣- زعمهم بأن القرآن سحر أو كهانة.

٤- زعمهم بأن القرآن شعر.

وفي المبحث الثالث : ذكر أسلوب التعجيز الذي استخدمه المشركون لمواجهة الرسول

ﷺ وذلك بطلب المعجزات والحوارق مثل إنزال الملك وتفجير الأرض ينبوعاً

وإسقاط السماء والإتيان بالله والملائكة قبيلًا. ومعظم هذه القضايا وقع في مكة ،

وإن امتدت إلى العهد المدني ففي أضيق مجال وفي الميدان النظري.

٤- اهل الكتاب عصر ظهور الإسلام: (١)

هذا البحث رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب

جامعة الاسكندرية. وهو مكون من أربعة أبواب تركز الباب الأول: حول التعريف

بأهل الكتاب وعبر فصول أربعة للتعريف بأهل الكتاب تاريخاً ومعتقداً وجماعة

بشرية وذلك لبيان أنهم لا ينتمون إلى أصول عرقية واحدة.

وفي الباب الثاني تناول علاقة أهل الكتاب بالجزيرة العربية منذ هجرة النبي موسى

من مصر، وأوضح في هذا الباب أنهم لا يمثلون ارتباطاً تاريخياً أو استيعاباً

للجزيرة على فترات متصلة تحقق لهم الانتماء الوطني .

(١) هذه الرسالة للباحث محمد عبد الرحمن السالم قدمت لجامعة الإسكندرية عام ١٩٦٨، وتولى الإشراف عليها

الدكتور إبراهيم مهران.

وفي الباب الثالث تناول موقفهم من رفض الدعوة إجمالاً دون إبراز جوانب الرفض والمقاومة قولياً أو عملياً، وغلب على هذا الباب عبر فصوله الثلاثة الجانب النظري التجريدي ببيان ما هم عليه من ضلال وفساد.

وفي الباب الرابع تناول جوانب الهزيمة في فكر أهل الكتاب وعقائدهم أمام ما طرحته العقيدة الإسلامية من بيان لما تنطوى عليه عقائد أهل الكتاب من فساد واضطراب. والبحث يخضع للمنهج الوصفي التحليلي وتغلب عليه الصبغة النقدية التي تركز إلى انعدام الوحدة الموضوعية والعقدية فيما يسمى اليوم لدى أهل الكتاب. الكتاب المقدس». والبحث يختلف عن موضوعنا من حيث تناول أساليبهم القولية والعملية التي قاموا بها ضد الدعوة الإسلامية .

5- الدعوة في عهد ما قبل النبي .^(١)

هذا البحث مكون من : مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

وفي الفصل الثالث من الباب الثالث ذكر الباحث عنواناً وهو: القوى المضادة وذكر تحت هذا العنوان مبحثاً بعنوان: موقف قريش من الدعوة، حيث ذكر في هذا المبحث بعض الأساليب التي واجهت بها قريش الدعوة الإسلامية، مثل: أسلوب التكذيب والاستعلاء والتحقير . ومن الواضح البين أن لا علاقة بين هذا البحث وبين بحثنا حيث أنه يتناول العهد المكي فقط.

6- دوافع الإنكار في العهد النبوي وسبل علاجها.^(٢)

وقد قسم الباحث البحث إلى : مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

ففي الفصل الثالث الذي تحت عنوان: دوافع الإنكار ذكر الباحث عدة مباحث، ففي المبحث الأول من هذا الفصل وعنوانه: دوافع الإنكار، ذكر عدة مطالب . حيث ذكر في المطلب التاسع "آثار الإنكار" عدة أمور منها:

(١) هذه الرسالة للباحث ممدوح عبد العزيز الهيايمي تقدم بها إلى قسم الدعوة والاحتساب بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام عام ١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ لنيل درجة الماجستير، وتولى الإشراف عليها الدكتور محمد صالح محي الدين.

(٢) هذه الرسالة للباحث عبد الرحمن بن يوسف الملاحي تقدم بها إلى قسم الدعوة في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام بالرياض لنيل درجة الماجستير عام ١٤١٣هـ. وتولى الإشراف عليها د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي.

- ١- الاستهزاء : فذكر تحت هذا بعض استهزاء المشركين للرسول ﷺ وذكر مجملاً بعض الألقاب التي وصفوه بها من سحر وكهانة ورمي بالجنون. وكذلك استهزأؤهم بالذين آمنوا به.
- ٢- التمرد والعناد: حيث أشار في هذا العنوان تحدي المشركين للرسول ﷺ وطلبهم منه تحقيق بعض المستحيلات ، مثل: بعث الآباء والأجداد السابقين، وتحويل جبال مكة ذهباً وإنزال الملائكة.
- ٣- الصد عن الحق: وذكر في هذا حرصهم في منع الناس من الدخول في الإسلام الذي يدعو إليه محمد ﷺ .
- ٤- الأذى والقتل: وأشار الباحث تحت هذا إلى بعض ما يجده من يعتنق هذا الدين من أذى وتعذيب بشكل مجمل.
- وفي المبحث الثالث من هذا الفصل أيضاً وعنوانه: دوافع الحسد، ذكر الباحث عدة مطالب، ففي المطلب الخامس "آثار الحسد" ركز الباحث فيه على بعض الشواهد في العهد المدني، ولكنه أشار إشارات خفيفة إلى مواقف في العهد المكي صورتها الهمز واللمز والغمز والهمس.
- ٧- الابتلاء في طريق الدعوة إلى الله .^(١)
والبحث مكون من مقدمة وفصلين وخاتمة.
- ففي المبحث الثالث من الفصل الأول ، وعنوانه : بعض نماذج الدعاة المبتهلين .
- أشار الباحث فيه إلى ابتلاء الأنبياء والصحابة. ويقع في الصفحات من ٣٣-٤٨ .
- فذكر من الأنبياء محمداً ﷺ حيث ذكر بعض الاتهامات التي قابل المشركون بها الرسول ﷺ دون البعض الآخر ، مثل : اتهامه بالكذب وأنه صابيء. والاستهزاء به والسخرية منه.

(١) هذا البحث من إعداد الطالب عبد الله بن معتوق المعتوق، تقدم به إلى قسم الدعوة والاحتساب بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام، فرع المدينة المنورة، عام ١٤٠٥هـ-١٤٠٦هـ، وقد أشرف على البحث الدكتور أحمد الخراط وهو بحث مكمل للماجستير.

كما أشار إلى استخدام المشركين للقوة والتعذيب ضد الرسول ﷺ وهي إشارات بسيطة ، مثل : طرح الشوك في طريقه، وخنقه، ووضع سلا الجزور عليه وهو ساجد.

٨- الحرب النفسية في عصر النبوة.^(١)

وهذا البحث عبارة عن مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. فقد ذكر الباحث في الفصل الثالث وعنوانه: أساليب الحرب النفسية في عصر النبوة، مبحثاً بعنوان: نماذج من أساليب الحرب النفسية التي شنّها الأعداء في عصر النبوة ، فذكر في هذا المبحث عدة أساليب بشكل مجمل مثل: التكذيب والأذى، وحملات الدعاية الزائفة، وأسلوب السخرية، والتهكم والاستهزاء، واستعمال التشويش الضال واللفظ الباطل وغير ذلك.

٩- الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة:^(٢)

وهو بحث لرسالة ماجستير اشتملت على ثلاثة أبواب: الباب الأول خصصه الباحث لما أسماه: ما قبل الحوار ومن خلال فصلين اشتملا على عدد من المباحث تناول من خلالها التعريف بالاسلام من حيث الوسطية والشمول والحفظ والعالمية، واعمال العقل والتدبر وطرح بعض الشبه، وتناول في الباب الثاني أهداف الحوار ومن خلال ثلاثة فصول أبرز الرد على الشبهات وبيان الباطل وحكم موالاته الكفار ومودتهم. وفي الباب الثالث تناول أركان الحوار من وجهة نظره وعبر ثلاثة فصول تناول شروط الحوار المسلم والشروط في الحوار الكتابي .

أما في الباب الرابع فقد تناول مناهج الحوار مع أهل الكتاب وعبر فصلين في هذا الباب تناول منهج القرآن في محاورة أهل الكتاب وساق نماذج لما قرره حول الاستفهام الإنكاري والقصصي القرآني والوعظ والتذكير، والبحث كما تبين لي

(١) هذا البحث للطالب عبد الرحمن ناصر الهزاع، تقدم به إلى قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام بالرياض، عام ١٤٠٥هـ-١٤٠٦هـ وتولى الإشراف عليه الدكتور جلال عبد الحميد موسى . وهو بحث مكمل للماجستير.

(٢) : الباحث خالد بن عبد الله بن عبد العزيز القاسم؛ والبحث رسالة ماجستير قدمت لقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود عام ١٤١١هـ.

محاورة جدلية عبر النصوص التي وردت في الكتاب والسنة لم يتطرق الباحث الى الاساليب القولية أو العملية التي قام بها خصوم الدعوة في العهد النبوي المدني ومن هنا يتضح أن الفارق بين موضوعي وهذا الموضوع جوهرى .

١٠- أساليب المشركين في الصد عن الدعوة في العهد المبكى، ومظاهرها في العصر الحاضر. وهذا البحث رسالة علمية وفق خطة علمية تقدم بها الباحث " لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقد جاء في مقدمة تضمنت أهمية الموضوع ونوع المنهج، وفصل تمهيدى تناول فيه عبر عدة مباحث: البعثة وبدء الوحي، والمرحلة السرية من الدعوة، وموقف قريش منها. وعبر ثلاثة فصول اشتمل كل فصل منها على عدة مباحث ومطالب ومقاصد تناول الباحث الأساليب القولية والعملية للمشركين في صدهم الناس عن الدعوة، والبحث وإن تنوعت بين مطالبه ومقاصده أساليب المشركين القولية والعملية في الصد عن الدعوة إلا أن المنهج يقتصر على المرحلة المبكية لا يتعداها، فالفارق بينه وبين موضوعنا قائم وإن أفدت من هذا البحث.

(١) : الباحث حمزة بن سليمان الطيار المعيد في قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض.

* النتائج والجديد الذي سياتي به الباحث:

- ١- لم تتعرض الدراسات السابقة لمعظم أساليب الخصوم القولية والعملية في العهد المدني وهي في بحثنا لب البحث وجوهره.
وهذا البحث - إن شاء الله - يحاول تتبع معظم الأساليب المتعلقة بموضوعه قولية كانت أو عملية، وذلك بالرجوع إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وكتب السيرة القديمة والحديثة، ومن ثم تبويب تلك الأساليب وتصنيفها وتحليلها.
- ٢- وإدراكاً لأهمية البحث في عرض هذه القضية بصورة تختلف عما هو موجود فيما كتب، حيث غلب عليه الرصد فضلاً عن أنه في بيئة وعصر غير بيئة وعصر بحثنا فإن دواعي البحث في موضوعنا مهمة.
ومن هنا يتبين أن هذا الموضوع جدير بالبحث فهو شامل لمعظم أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني القولية والعملية على السواء.
ومما يؤكد أهمية هذا الموضوع بالنظر إلى الجديد الذي سأتي به - إن شاء الله- بيان ما لهذه الخصومة ووسائلها وأساليبها في العهد المدني من تأثير على تشكيل وتلوين خصومة خصوم الدعوة في عصرنا الحاضر .

تقسيم البحث

قسمت البحث من الناحية الموضوعية ووفق المخطط الدراسي له الى توطئة وفصل تمهيدي وثلاثة أبواب جاءت على النحو الآتي:

في التوطئة:

بينت أهمية الموضوع وسبب اختياره وعرفت بالاسلوب في اللغة والاصطلاح كما بينت نوع الدراسة ومنهج البحث وطريقتي فيه مع ابراز وتحديد حجم المشكلة البحثية والحدود الزمنية للبحث والصعوبات التي واجهتني.

وفي الفصل التمهيدي تناولت وعبر أربعة مباحث جاء الأول: حول تعريف الشرك ودلالاته وأصله وجذوره في بلاد العرب، والمبحث الثاني حول أصل اليهود وأسباب سكنهم في جزيرة العرب وحالهم وموقعهم عند ظهور الإسلام، والمبحث الثالث حول النصارى تاريخاً ومعتقداً مع دراسة علاقة النصارى التاريخية بجزيرة العرب عصر النبي ﷺ.

واما المبحث الرابع فقد عرفت فيه بالنفاق والمنافقين باعتبار أن المنافقين كانوا يشكلون عصر النبي الشريحة الاجتماعية التي اختصت الدعوة.

هذا وقد جاء المبحث الأول حول أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني متضمنا أربعة فصول تشتمل على عدد من المباحث وقد جاء الفصل الأول: حول أساليب المشركين في العهد المدني ضمنته في المبحث الأول أساليبهم القولية من ترهيب ووقية واث وإشاعات، وفي المبحث الثاني من هذا الفصل تناولت أهم أساليب المشركين العملية: وكان منها أسلوب الكبر، والصد عن المسجد الحرام، وإيذاء النبي ﷺ في أهله والاعتقال والتحالف والتحزب والغيبة وغير ذلك.

أما الفصل الثاني : فقد تناولت فيه أساليب اليهود في العهد المدني وقد اشتمل على منهجين الأول للأساليب القولية والثاني للأساليب العملية.

وأما الفصل الثالث : فقد تناولت فيه أساليب النصارى في العهد المدني. وعبر
مبشرين تناولت الأساليب القولية والعملية من أسلوب المجادلة النظري والتعالى والتهديد،
إلى أسلوب محاولة قتل النبي ﷺ والتحالف والتآمر والتحرش بالمسلمين.

وأما الفصل الرابع: فقد تناولت فيه أساليب المنافقين في العهد المدني عبر مبشرين
تناولت فيها من الأساليب القولية والعملية للمنافقين ضد الدعوة في العهد المدني:
أساليب الإرجاف والخذاع والتشكيك والتثبيط، والتفريق وإثارة الفتنة، واستغلال المواقف
والتخذيل وغيرها.

وأما الباب الثاني: فقد جاء في مواجهة أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني
وقد تضمن هذا الباب أربعة فصول: اشتمل كل فصل منها على عدد من المباحث، ففي
الفصل الأول: مواجهة أساليب المشركين جاء المبحث الأول في إبراز مواجهة أساليب
المشركين القولية، مثل: المواجهة بالرفق والسلم والعتو والدعاء أما المبحث الثاني فقد
تضمن مواجهة بالأساليب العملية، مثل الاعلان عن القوة والمواجهات العسكرية.

وأما الفصل الثاني: فقد تناولت فيه مواجهة أساليب اليهود وعبر مبشرين تناولت
كيفية مواجهة الدعوة لإساليب اليهود القولية والعملية: مثل مواجهة الإعراض عن
الدعوة ومواجهة المراء ودعوتهم للإسلام. أو مواجهة يهود قريظة وبنى النضير وبنى
المصطلق ويهود خيبر عندما اقتضى الأمر تلك المواجهة.

وفي الفصل الثالث: تناولت كيف واجهت الدعوة أساليب النصارى في العهد
المدني وعبر مبشرين عرضت لأسلوب المواجهة القولية والعملية بإيراد نماذج من تلك
المواجهة مثل المواجهة القولية بالرفق واللين والحوار أو الاعراض أو الحاجة أو المواجهة
العملية مثل : مواجهتهم بدومة الجندل وتبوك ومؤتة وغيرها.

وفي الفصل الرابع: تناولت كيف واجهت الدعوة أساليب المنافقين وعبر مبشرين
عرضت فيه كيفية مواجهة الدعوة لأساليب المنافقين القولية والعملية مثل تلك المواجهات

التي استهدفت اسقاط أساليب المنافقين القولية والعملية من إرجاف أو كذب أو خداع أو فتنة أو اضرار بالمسلمين.

هذا وقد جاء الباب الثالث ليتناول: «أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني ومظاهرها في العصر الحاضر وكيفية مواجهتها» من خلال فصلين : الأول حول مظاهر أساليب الخصوم ومجالاتها القولية تعرضت لعشر أساليب قولية اخترتها كنماذج للتدليل لا للحصر، والبحث الثاني: جاء حول مظاهر أساليب الخصوم العملية تعرضت من خلالها لتسعة مجالات مارس من خلالها خصوم الدعوة المعاصرين خصومتهم للإسلام.

وأما الفصل الثاني: من هذا الباب فعنيت فيه بكيفية مواجهة الدعوة الاسلامية لأساليب الخصوم في العصر الحاضر وقد جاء هذا المبحث عبر مطالب أربعة: دار الأول حول الواقع الاسلامي والثاني حول رد الفعل الاسلامي وذلك بدراسة دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، والمطلب الثالث حول تأثيرها المتجدد على المسلم. هذا وقد جاء المطلب الرابع بمثابة الاجابة حول مستقبل الدعوة من خلال منهج الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

* المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة:

من البدهي أن لكل بحث علمي مشكلة معينة يحاول الباحث أن يدرسها أو يجيب على أسئلة معينة بخصوصها.

فالبحث العلمي ليس كما يتصور البعض خطأ- مجرد تجميع بيانات ومعلومات وتصنيفها بما يؤدي إلى زيادة المعرفة الإنسانية، دون أن يكون هناك تصور واضح لمشكلة معينة يحاول الباحث أن يجيب على تساؤلات بخصوصها.^(١)

ومما بدا لي وأنا أجمع المخطوط الدعوية في العهد المدني أن هناك سيطرة للتاريخ الإسلامي والسير على المسائل الدعوية ، خاصة أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني، مما يجعل كثيراً من الدعاة يقومون بسرد الوقائع التاريخية دون تمييز بين الفعل، فعل الخصوم ورد الفعل الإسلامي. وقد حاولت جاهداً أن أبلور المشكلة البحثية في هذه التساؤلات:

- كيف بدأت الخصومة في العهد المدني ؟
- ما موقف الخصوم من الدعوة وتنوعهم ؟
- ما الأساليب القولية التي اتخذوها في محاولات منع انتشار الدعوة الإسلامية ؟
- ما الأساليب العملية التي اتخذوها في الصد عن الدعوة الإسلامية؟
- ما هو منهج الدعوة القولي في مواجهة أساليبهم في العهد المدني؟
- ما هو منهج الدعوة العملي في مواجهة أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني؟
- ما هي مظاهر أساليب خصوم الدعوة إبان العهد المدني في العصر الحاضر؟
- ما هي طرق مواجهتها؟

(١) انظر د. فاروق يوسف أحمد، قواعد المنهج العلمي ، ص ٨، ط: ١، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٥م.

* حدود البحث الزمنية:

وهي المدة من : بداية هجرة النبي ﷺ، الى المدينة وحتى التحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى.

* نوع الدراسة ومنهج البحث والباحث وطريقته فيه:

اولاً: نوع الدراسة ومنهج البحث:

بمشيئة الله تعالى ، دراستي تأصيلية.

ومنهجي فيها استقرائي^(١) حيث سأقوم باستقراء النصوص من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأطرح الحقائق التي أخرج بها من هذه النصوص بفرض استنباط نتيجة من وراء هذه الحقائق، واستردادي (تاريخي)^(٢) حيث يوظف لخدمة الوثائق التاريخية بعد أن نميز الغث من السمين وبعد الوقوف على الحقيقة التي أبغيتها من خلال هذين المنهجين ، أقوم بوضعها - إن شاء الله - في قالب دعوي يقدم للداعية والمدعو، وموضوع الدعوة مادة علمية مفيدة بإذن الله.

ثانياً: منهج الباحث في بحثه وطريقته فيه:

أما عملي في البحث : فلا شك أن مادة البحث كانت وفيرة جداً، ومصادرها الأساسية كالآتي:

(١) القرآن الكريم وعلومه.

(٢) السنة النبوية وشروحها.

(٣) كتب السيرة النبوية.

بالإضافة إلى ما ألف حديثاً، من كتابات ودراسات إسلامية ، أو كتابات كتبها أعداء الإسلام للوقوف على أساليب خصوم الدعوة في العصر الحاضر.

(١) الاستقراء في الأصل يطلق على المنهج التجريبي، ويستخدم في العلوم النظرية (عند علماء المسلمين تسمى العلوم التأصيلية)، وهو يعني التفكير التأملي لقياسات أجريت في آن واحد، أو طرح حقائق متعددة بفرض استنباط نتيجة من وراء هذه الحقائق. انظر مناهج الأدب ومصادره واختيار البحوث وإعدادها، أ.د. سعد إسماعيل شلبي، ص ٨٢٧، (ط:١) ١٤٠٥هـ. دار التركي للطباعة بمصر.

(٢) مهمة علم التاريخ أن يقوم بعمل مضاد للزمن، إنه يحاول أن يسترد أحداث الزمان ويتم ذلك في الذهن فقط، بعد جمع الوثائق وتقددها داخلياً وخارجياً. المرجع السابق، ص ١٦، ١٥.

أما طريقتي في التعامل مع المصادر والمراجع فعلى النحو الآتي:

(١) النقل بالنص للكلام الذي فيه ارتباط بمادة البحث ومن ثم أعزو هذا الكلام إلى مصدره في الهامش مباشرة، بذكر اسم المؤلف، واسم الكتاب، ثم الجزء، والصفحة ثم الطبعة إن وجدت ثم الناشر ومكان النشر وسنة النشر وهو ما يعرف بالتوثيق العلمي.

(٢) أو التصرف بالكلام الذي له ارتباط بمادة البحث وموضوعه عند الحاجة، وأعزو ذلك الكلام بالهامش لمصدره، مُصدراً ذلك بكلمة: ((انظر)) حسب الترتيب السابق للمعلومات عن ذلك المصدر أو المرجع، كما أنه قد يقع من الباحث التدخل بالنقد بين تلك النصوص، لإبراز شخصية الباحث كالتعليق على الأساليب، أو وضع مقدمة لها أو خاتمة، ونحو ذلك.

أمّا العزو للآيات القرآنية والتخريج للأحاديث النبوية، في هذا البحث فهي كالآتي:

أولاً- الآيات: فيذكر في الهامش اسم السورة التي تتبع لها الآية المستشهد بها، ثم يذكر رقمها إن كانت الآية كاملة.

ثانياً- الأحاديث: فإن كان الحديث في الصحيحين، فيقتصر عليهما أو على أحدهما، وإن لم يكن في الصحيحين، ذكرت أغلب من خرجه من علماء الحديث ومن ثم أذكر حكمهم عليه.

وإن لم يكن ذلك النص في كتب الحديث، فإني أعزوه إلى مصدره من كتب السيرة كسيرة ابن هشام، وابن كثير، والذهبي، وغيرهم.

أضف إلى ذلك أن أغلب تلك النصوص إنما هي زيادة بيان لما أثبتته القرآن من تلك الأساليب وغيرها، وكفى بالقرآن دليلاً.

أمّا ترجمة الأعلام، فقد ترجمت كل علم مرّ في البحث، عدا - الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام- وعدا الذين لا حاجة إلى الترجمة لهم لذيوع شهرتهم ومعرفة العامة والخاصة بهم .

أمّا الألفاظ الغامضة، فقد شرحت منها ما استعصى على الفهم، وما يحتاج إلى مزيد بيان وتوضيح، وذلك في الهامش،

وقد توجت البحث بفهارس المراجع والموضوعات ، وكذلك فهارس الآيات الكريمة،
والحديث والآثار، والاعلام على الرغم أنها مثبتة في متن البحث وهوامشه.

*** الصعوبات التي واجهت الباحث:**

أما الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذا البحث، فتكمن في تفرق مادة هذا البحث
في العديد من الكتب، مما يستوجب جمعها ودراستها وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً كان
يحتاج إلى مواصلة عمل الليل بالنهار، وما عدا ذلك فهي صعوبات تواجه أي باحث
يريد البحث عن مفردات بحثه، وإشباع تقسيماته. والله المستعان.

*** شكر وتقدير:**

وختاماً لهذه المقدمة فإنني أشكر الله - عز وجل - على التيسير والتسهيل، ثم أشكر
فضيلة الشيخ المشرف الدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد على ما أولاه لي من اهتمام
بالغ، ومتابعة مستمرة كان لهما الأثر البالغ في تقدمي وتقديمي لهذا الجهد، فأفضاله -
وفقه الله - سابقة، وخدماته سألقة.

كما أشكر كل من قدم لي يد العون والمساعدة من المشايخ وطلبة العلم والزملاء.
أسأل الله - جل وعلا - أن ينفع بهذا البحث وأن يجعل العمل فيه خالصاً لوجهه
الكريم، وأن يجعله في موازين حسناتي وحسنات والدي ومشايخي. إنه ولي ذلك
والقادر عليه، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفصل التمهيدي

وفيه

التعريف بخصوم الدعوة في عهدنا المدني
وفيه أربعة مباحث

- المبحث الأول : المشركون
- المبحث الثاني : اليهود
- المبحث الثالث : النصارى
- المبحث الرابع : المنافقون

فصل تمهيدى

التعريف بخصوم الدعوة فى عهدنا المدنى

المبحث الاول

المشركون

تعريف الشرك :

لغة : شرك : الشركة، والشركاء سواء : مخالطة الشريكين.
يقال : اشركتنا بمعنى تشاركتنا وقد اشرتك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر.
وقال الأزهري :
يقال شريك وأشراك، كما يقال يتيم وأيتام، ونصير وأنصار، وهو مثل شريف
وأشرف وشرفاء .

والمرأة شريكة والنساء شرائك^(١)

والمشركون جمع مشرك، قال فى القاموس أشرك بالله كفر فهو مشرك ومشركون
والاسم الشرك فيهما انتهى .

فالشرك كفر، لأن الشرك داخل فى مسمى الكفر الحقيقى وكذلك يدخل فى مسمى
الكفر جميع الطوائف الخارجة عن الاسلام سواء من أهل الكتاب، أو من المشركين أو
المجوس والصابئين وغيرهم، فالكفر أعم من الشرك، فإن المشرك يراد به شرعا : من عبد

(١) : ابن منظور، "لسان العرب"، ٤٤٨/١-٤٤٩، وأحمد بن فارس بن زكريا، "معجم مقاييس اللغة" ٢/٣٦٥
وأحمد الزواوي، "ترتيب القاموس المحيط"، ٧٠٤/٢، والراغب الأصفهاني، "ومفردات الفاظ القرآن"، ص
٤٥١ وإساعيل الجوهري، "الصاحح"، ١٥٩٣/٤ .

غير الله تعالى أو عبد غيره معه بأى نوع من أنواع العبادة^(١) الواجبة لله تعالى
فكل مشرك كافر وليس كل كافر يكون مشركا.

ولفظ المشركين لا يختص بطائفة معينة من الناس فيما أعلم إلا أنه غلب على
العرب قبل مجئ الإسلام، لانتشار عبادة الأصنام والأوثان فيهم أكثر من غيرهم، ولذلك
فليس للمشركين كتاب ولا شبهة كتاب لا مفقود ولا موجود .

فلفظ المشركين قد يذكر مقرونا بأهل الكتاب فيدخل فيه المجوس والصائبون وغير
الحنفاء منهم، والمشركون من العرب وغير العرب غير أهل الكتاب كما فى قوله تعالى :
﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (١)
رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿ (٢)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ
أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا
فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴾ (٤) . والمراد هنا
بالأميين العرب وغير العرب من المشركين والمجوس والصائبين والهنود وغيرهم، لأنهم
ليسوا من أهل الكتاب فهم داخلون فى الأميين والرسول ﷺ مبعوث الى الجميع وحين
بعثه ليس فيهم إلا من كان من أهل الكتاب اليهود والنصارى فهم منهم، وإلا فهو من
الأميين^(٥)

(١) : العبادة : اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأنعال الظاهرة والباطنة من الخوف والخشية والرغبة والرهبة
والاستعاذة والذبح والنذر والركوع والسجود والدعاء وغير ذلك كما قرر معنى ذلك ابن القيم رحمه الله . وابن
تيمية وغيرهما من علماء السلف، انظر كتاب " الايمان" لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) : سورة البينة، الآية ١ ، ٢ .

(٣) : سورة البينة ، الآية ٢٠ .

(٤) : سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .

(٥) : ذكر معنى ذلك ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ج ٧ ، ص ٥٥ .

وقد يذكر لفظ المشركين مع جميع الطوائف أصحاب الملل فيكون فيه تغاير بين المشركين وغيرهم من أصحاب الملل الست كما في آية سورة الحج بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١٧) . وقد يذكر لفظ المشركين منفردا فيدخل فيه جميع الطوائف أصحاب الملل الخمس بما في ذلك أهل الكتاب كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَكْبَرُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يَأْمُرَ بِأَمْرٍ خَيْرٍ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجِبْكُمْ وَلَا تَتَكَبَّرُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يَأْمُرُوا بِعِبَادَةٍ خَيْرٍ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا تُعْجِبْكُمْ ﴾ (٢٢١) ﴿^(٢) فقوله تعالى (مشرك) هنا يتناول جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، لأنه لا يجوز للكافر مطلقا أن ينكح المسلمة، وأهل الكتاب يطلق عليهم مشركين باعتبار قول بعضهم عزيز ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وغير ذلك. وبهذا يتبين أن لفظ المشركين لا يختص بطائفة معينة وإن دخل فيه مشركو العرب دخولا أوليا وأنه لا كتاب لهم ولا شبهة كتاب قبل الإسلام .

●● المطلب الأول - الشرك : اصطلاحاً ودلالة

الشرك في الاصطلاح الإسلامى، إشراك الحق الخاص بالله وحده الذى لا يشاركه فيه مشارك وهو التأله له وحده وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة فيه والإتابة اليه جأً وخوفاً ورجاءاً مع غيره ^(٣) .

وفى تقرير ذلك يقول الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : من أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين فى عبادتهم الأوثان، ويعرف حقيقة الشرك الذى ذمه الله وأنواعه، حتى يتبين له تأويل القرآن، فلينظر الى سيرة النبى ﷺ وأحوال العرب فى زمانه، مما ذكره الأزرقى فى " أخبار مكة " وغيره من العلماء ، ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط، فقال بعض الناس :

(١) : سورة الحج، الآية ١٧ .

(٢) : سورة البقرة ، الآية ٢٢١ .

(٣) : الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب «كتاب التوحيد» منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض بدون تاريخ صفحة

٦٦ وانظر أيضا الشيخ عبدالرحمن بن سعدى، " القول السديد فى مقاصد التوحيد"، المطبوع بهامش كتاب

التوحيد للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله ، ص ٧٥-٧٩ .

يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط^(١) . فقال " الله أكبر، إنها السنن، لتركن سنن من كان قبلكم"^(٢) فأنكر ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها أسلحتهم، فكيف بما هو أعظم من ذلك الشرك بعينه . ثم قال الشيخ رحمه الله كلاماً موسعاً في نهيه ﷺ عن الصلاة عند القبور، فقال : " العلة لما يفضى إليه ذلك من الشرك، ذكر ذلك الشافعي وغيره، وكذلك الأئمة من أصحاب مالك وأحمد، وعللوا بهذه العلة، وقد قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

وَنَسْرًا ﴾ (٢٣) ﴿^(٣) .

ذكر ابن عباس^(٤) وغيره من السلف أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا، عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم. ذكر هذا البخاري في " صحيحه"، وأهل التفسير كابن جرير وغيره .

وما يبين صحة هذه العلة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد، ومعلوم أن قبور الأنبياء لا يكون ترابها نجسا وقال عن نفسه : " اللهم لا تجعل قبوري وثنا

(١) : مؤلفات الشيخ، وملحق المصنفات»، مسائل ملخصة رقم ٩٨، ص ٩٠، ٩١ نقلا عن الشيخ صالح بن عبد الرحمن العبود في كتابه "عقيدة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي"، ج٦/٢ وما بعدها.

(٢) أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده من حديث أبي واقد الليثي، ٢٧٦/٥، رقم ٢١/١٤.

(٣) : سورة نوح . الآية ٢٣.

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب - رضي الله عنهما - حبر الأمة وفتيها وإمام التفسير. ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ونشأ في أول عصر النبوة وهو ابن عم النبي ﷺ ولازمه فأخذ عنه علماً فيها، وروى عنه الكثير من الاحاديث المشهورة قبله مسنده ١٦٦٠ حديثاً كف بصره في آخر عمره فسكن الطائف وبها مات سنة ٦٨ هـ، انظر الذهبي: سير اعلام النبلاء ج٣/٣٣١ وما بعدها، وابن سعد الطبقات الكبرى ج٢/٣٦.

يُصْبِحُ " (١) فعلم أن نهيهِ عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها سدا للذريعة، لئلا يصلى في هذه الساعة وإن كان المصلى لا يصلى إلا لله، ولا يدعو إلا الله، لئلا يفضى ذلك إلى دعائها والصلاة لها، وكلا الأمرين قد وقع، فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعوها بأنواع الأدعية، وهذا من أعظم أسباب الشرك وغيرها من الكواكب، ويدعوها بأنواع الأدعية، وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين.

انتهى كلام الشيخ رحمه الله (٢).

هذا ويختار الشيخ تحليلات جيدة للأمور التي ضل فيها من ضل من المشركين وأشباههم من المتفلسفة، حيث جعلوا ما يجرى بين الخلق بعضهم مع بعض من الأسباب هو مثل ما بينهم وبين الخالق - تعالى الله عن ذلك - .

فيقول الشيخ في تلخيصه " لهذه النقطة عن شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن ما بين الخلق من الأسباب الكسبية التي بها يتساءلون ويشفع بعضهم إلى بعض هي من جنس المشاركة، والسبب الآخر الولادة، فالأسباب والصلوات التي بينهم لا تخرج عن سبب خلقى وهو الولادة، أو كسبي من جنس المشاركة والمعارضة، ولهذا افتتح سورة النساء بقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۖ ﴾ الآية (٣).

فذكر في السورة حكم الأسباب من هذا وهذا فذكر ما يتعلق بالولادة من القرابة والرحم وما يتعلق بذلك من الموارث والوصايا على اليتامى فالنسب من الأول، والصحف من الثاني كما قال تعالى :

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، ٣٢٤/٢، رقم الحديث: ٢٣٥/٧٣٥.

(٢) : " مؤلفات الشيخ، " القسم الأول، العقيدة مفيد المستفيد "، ص ٢٨٦ - ٢٨٨، وقد نقل الشيخ هذا الكلام من " اقتضاء الصراط المستقيم " لشيخ الإسلام ابن تيمية وقد اختصره من مواضع من الكتاب، انظر : (٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٤٠٤، ٤٠٥).

(٣) : سورة النساء، الآية ١.

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ (٥٤) ﴿^(١) .

فافتتحها بقوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (١) ﴿ [النساء :

[١] ^(٢) ثم قال تعالى : (اتقوا الله الذي تساءلون به) ، أى : تتعاقدون والأرحام ، فدخل فى الأول ما بينهم من التساؤل والتعاقد الذى يجمع المعاوضة والمشاركة ، وفى الثاني الولادة وفروعها وقد نزه الله نفسه المقدسة عنهما فقال :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ (١١١) ﴿^(٣) . وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ

الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ (١) ﴿^(٤) وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ

(١٠٠) ﴿^(٥) . وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١) ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ (٢) ﴿ إلى آخرها ^(٦) .

ومن هنا؛ ضل من ضل من المشركين وأشباههم من المتفلسفة، حيث جعلوا لله ما نسبوه إليه نسب الولادة أو جعلوه كالشريك ، ولهذا؛ كانوا يتخذون هؤلاء شفعاء، فإنهم يعبدونهم ليقربوا إلى الله زلفى، ويتخذون وسيطاً ووسائل كما يتخذون ذلك عند المخلوقين؛ فهذا أصل مادة هؤلاء الجهلة الضلال ونحوهم، والقرآن قد حسم هذه المادة ووجد التوحيد، وبين أنه لا نسبة بين المخلوق والمخالق إلا نسبة العبودية المحضه؛ كما قال تعالى :

﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ (٢٦) ﴿^(٧) . وقال تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ

يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾ (١٧٢) ﴿^(٨) .

(١) : سورة الفرقان، الآية ٥٤ .

(٢) : سورة النساء ، جزء من الآية ١ .

(٣) : سورة الفرقان ، الآية ١ .

(٤) : سورة الفرقان ، الآية ١ .

(٥) : سورة الأنعام ، الآية ١٠٠ .

(٦) : سورة الإخلاص . الآية ١ ، ٢ .

(٧) : سورة الأنبياء، الآية ٢٦ .

(٨) : سورة النساء، جزء من الآية ١٧٢ .

وقال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ [مريم: ٩٠] (١) " (٢)

وفي قياس الصابئة المشركين طريقتهم في اتخاذ النجوم وسائط معبودة على اتخاذ الحنفاء الرسل متبوعين، ينقل الشيخ ما يفسد هذا القياس من كلام ابن تيمية أيضاً، فيقول:

" المشركون من الصابئة ونحوهم لما عبدوا الكواكب والملائكة وجعلوهم وسائط بين الله وبين خلقه، جادلوا الحنفاء الذين يتبعون الرسل ولا يعبدون إلا الله، فقالوا: نحن نتخذ الروحانيين وسائط، وأنتم تتخذون البشر. فأخذ يعارضهم طائفة كالشهرستاني (٣) في " الملل والنحل" وغيره، ويذكرون أن توسط البشر أولى من توسط الروحانيين، فبنوا معارضتهم على أصل فاسد، وهو مقايسة وسائط أولئك بوسائط الحنفاء، وهذا جهل بدين الحنفاء، فإنه ليس بينهم وبين الله واسطة في العبادة، وإنما الرسل بلغتهم أمر الله، فهم وسائط في التبليغ، كدليل الحاج وإمام الصلاة، وبعض من دخل دين الصابئة والمشركين ظنوا أن شفاعة الرسول لأمته لا محتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة التي تفيض على الرسول تفيض على المستشفع من غير شعور من الرسول ولا دعاء منه، ومثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، وكما أن

(١) : سورة مريم، جزء من الآية ٩٠ .

(٢) : مؤلفات الشيخ، " ملحق المصنفات"، مسائل ملخصة، رقم ١٠٢، ص ٩٥، ٩٦ .

(٣) : هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني: من فلاسفة الإسلام. كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. يلقب بالأفضل. ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠هـ. فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده. وتوفي بها. قال ياقوت في وصفه: «الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، لولا تخبطه في الاعتقاد ومبالفته في نصره مذاهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الإمام...» من كتبه «الملل والنحل-ط» ثلاثة أجزاء، و«نهاية الإقدام في علم الكلام-خ» و«الإرشاد إلى عقائد العباد» و«تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام» و«مصارعات الفلاسفة-خ» و«تاريخ الحكماء-خ» و«المبدأ والمعاد» و«تفسير سورة يوسف» بأسلوب فلسفي و«مفاتيح سورة يوسف» بأسلوب فلسفي و«مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار-خ» في التفسير، منه نسخة كتبت سنة ٦٦٧هـ. في خزانة مجلس الشورى الوطني بطهران، انظر الزركلي: الأعلام ج٦/٢١٥.

انعكاس الشعاع يحتاج الى المحاذاة فكذلك الفيض لا يد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة، وجعلوا الفائدة في زيارة قبورهم من هذا الوجه، وقالوا: إن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة، فيتقوي تأثيرها وهذه المعاني ذكرها طائفة من الفلاسفة ومن أخذ عنهم كابن سينا^(١) وأبي حامد^(٢) وغيرهما، وهذه من أصول عبادة الأصنام ، هي من المقاييس التي قال فيها بعض السلف: ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس^(٣) .

وينقل الشيخ أيضا عن ابن تيمية أن أصل كل شرك في العالم إنما حدث برأي أئمة هؤلاء المتكلمين أصحاب المقاييس المعارضة للوحي، فيقول بعد أن ذكر بعض أحوالهم المخالفة :

(١) ابن سينا: الحسين بن عبد الله بن سينا ، أبو علي، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والالهييات. أصله من بلخ ومولده في إحدى قرى بخارى عام ٣٧٠هـ ونشأ وتعلم فيها، وطاف البلاد، وناظر العلماء واتسعت شهرته وتقلد الوزارة في همدان. قال ابن قيم الجوزية:- كان ابن سينا كما أخبر عن نفسه -هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين» وقال ابن تيمية:- «تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبييات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها سلفه ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغت علومهم، فانه استفادها من المسلمين. وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالاسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد، صنف نحو مائة كتاب ، بين مطول ومختصر، أشهر كتبه:- القانون كبير في الطب، والمعاد رسالة في الحكمة، وغير ذلك توفي سنة ٤٢٨هـ، انظر الزركلي ، الأعلام، ٢/٢٤١، ٢٤٢.

(٢) الغزالي: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام -كذا أ-: فيلسوف متصوف، له نحو مئتي مصنف مولده عام ٤٥٠هـ ووفاته ٥٠٥هـ في الطاهران (قصبه طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلده. من كتبه: «إحياء علوم الدين» أربع مجلدات، و«تهافت الفلاسفة» و«الفرق بين الصالح وغير الصالح». انظر الزركلي ، الأعلام، ٧/٢٢٢.

(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب «ملحق المصنفات - مسائل ملخصة رقم ١٠٣ ص ٩٦-٩٧.

" كل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم؛ فهم الأمرون بالشرك والفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك؛ فلم ينه عنه؛ بل يقر هؤلاء وهؤلاء، وإن رجح الموحدين ترجيحاً ما، فقد يرجح في غيره المشركين وقد يعرض عن الأمرين جميعاً فتدبر هذا، فإنه نافع جداً .

ولهذا؛ كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك، وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد، بل يسوغون الشرك أو يأمرون به أو لا يوجبون التوحيد، وقد رأيت من مصنفاتهم في عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة (أنفس الأنبياء وغيرهم) ما هو أصل الشرك، وهم إذا ادعوا التوحيد؛ فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه فلو كانوا موحدين بالقول والكلام؛ لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة، بل لا بد من أن يعبد الله وحده، ويتخذ إلهاً دون ما سواه وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) انتهى كلام الشيخ ابن تيمية .

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى : " فتأمل - رحمك الله - هذا الكلام؛ فإنه مثلما قال الشيخ؛ فهو نافع جداً؛ ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين حال من أقر بهذا الدين، وشهد أنه الحق، وأن الشرك هو الباطل، وقال بلسانه ما أريد منه، ولكن لا يدين بذلك، إما بغضا له أو عدم محبته؛ كما هي حال المنافقين الذين بين أظهرنا، وإما إشاراً للعالمية مثل تجارة أو غيرها، فيدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه كما قال تعالى :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ الآية ^(١) . وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ ﴾ (١٠٦) ﴿ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ (١٠٧) ﴿ ^(٢) .

(١) : سورة المنافقون . جزء من الآية ٣ .

(٢) : سورة النحل ، الآية ١٠٦ ، ١٠٧ .

فإذا قال هؤلاء بالسنتهم : ونشهد أن هذا دين الله ورسوله، ونشهد أن المخالف به باطل، وأنه الشرك بالله، غرّ هذا الكلام ضعيف البصيرة " (١) .

ويقول الشيخ سليمان - رحمه الله تعالى - (٢) في شرحه : " ولما كان عباد القبور إنما دُهِوا من حيث ظنوا أنهم محسنون، فرأوا أن أعمالهم القبيحة حسنة، كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ (٣) : نوع المصنف التحذير من الافتتان بالقبور، وأخرجه في أبواب مختلفة، ليكون أوقع في القلب وأحسن في التعليم، وأعظم في الترهيب" (٤) . ويستطرد الشيخ سليمان في ملخصه عن ابن تيمية" وما يبين حكمة الشريعة أنها كسفينة نوح: إن الذين خرجوا عن المشروع خرجوا إلى الشرك، وطائفة منهم يصلون للميت، ويدعو أحدهم الميت، فيقول: اغفر لي وارحمني، ومنهم من يستقبل القبر، ويصلي لله مستديراً الكعبة ويقول : القبر قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة (٥) .

- (١) : مؤلفات الشيخ، " القسم الأول"، العقيدة مفيد المستفيد، ص ٢٩٩، ٣٠٠.
- (٢) هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، من آل شيخ: فقيه من أهل نجد، من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. مولده بالدرعية. كان بارعاً في التفسير والحديث والفقهاء. وشي به بعض المنافيين إلى إبراهيم «باشا» ابن محمد علي، بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها، فأحضر إبراهيم، وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظه له، ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر العساكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعاً، فمزقوا جسمه. له «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - ط» والأصل من تأليف جده، من بعده، وأكمله، و«التوضيح عن توحيد الخلاق، في جواب أهل العراق - ط» مشكوك في نسبته إليه و«وثق عرى الإيمان - ط» ، انظر الزركلي، الإعلام ج٢/١٢٩.
- (٣) : سورة فاطر، الآية ٨ .
- (٤) : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة، ص ٢٧٧.
- (٥) : مؤلفات الشيخ «ملحق المصنفات» رقم ١٠٤ ص ٩٧ - ٩٩ / ص ٢٧٧.

●● المطلب الثاني - جذور الشرك في بلاد العرب :

كما تجدر الإشارة إليه أن معظم العرب الذين كانوا يتبعون دعوة إسماعيل - عليه السلام - حين دعاهم الي دين أبيه إبراهيم - عليه السلام - حتى طال عليهم الأمد ونسوا حظا مما ذكروا به، إلا أنهم بقي فيهم التوحيد وعدة شعائر من دين إبراهيم، حتى جاء عمرو بن لحي^(١) رئيس خزاعة، وكان قد نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة والمحرص على أمور الدين، فأخبه الناس، ودانوا له ظنا منهم أنه من أكابر العلماء وأفاضل الأولياء، ثم إنه سافر الى الشام، فرآهم يعبدون الأوثان، فاستحسن ذلك وظنه حقا، لأن الشام محل الرسل والكتب، فقدم معه ي «هبل» وجعله في جوف الكعبة، ودعا أهل مكة الى الشرك بالله، فأجابوه ثم لم يلبث أهل الحجاز أن اتبعوا أهل مكة لأنهم ولاة البيت وأهل الحرم^(٢).

ومن أقدم أصنامهم «مناة» كانت بالمشلل^(٣) على ساحل البحر الأحمر بالقرب من قديد، ثم اتخذوا «اللات» في الطائف، ثم اتخذوا العزى بوادي نخلة، هذه الثلاث أكبر أوثانهم، ثم كثر الشرك، وكثرت الأوثان في كل بقعة من الحجاز، ويذكر أن عمرو بن لحي كان له رثى من الجن فأخبره بأن أصنام قوم - نوح وودا ويسوع ويغوث ويعوق ونسرا - مدفونة بجدة فأتاها فاستشارها، ثم أورها الى تهامة، فلما جاء الحج دفعها

(١) عمرو بن لحي بن حارثة من عمرو بن عامر الأزدي، من قحطان:

كنيته أبو ثمامة، وفي نسبه خلاف شديد، وفي العلماء من يجزم بأنه مضري من عدنان. ومعظمهم يسميه «عمرو بن عامر بن لحي» ويقولون: إنه نسب إلى جده وفيهم من يسميه «عمرو بن ربيعة» ويجعل لحي لقباً لربيعة.

وهو أول من غير دين اسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان لأنه نصب عددا من أصنام (مآب) بمكة ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها.

انظر الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب، ج٥ ص٨٤.

(٢) : الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مختصر سيرة الرسول ص١٢، ص١٢.

(٣) : أخرجه البخاري، صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن. باب ومناة الثالثة الأخرى ج٦٠/٦٠ رقم الحديث

إلى القبائل، فذهب إلى أوطانها، حتى صار لكل قبيلة صنم وفي كل بيت صنم. وقد ملأوا المسجد الحرام بالأصنام، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنما، فجعل يطعنهما حتى تساقطت، ثم أمر بها فأخرجها من المسجد وحرقت^(١).

وهكذا صار الشرك وعبادة الأصنام أكبر مظهر من مظاهر دين أهل الجاهلية الذين كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم^(٢).

كما أنه كانت لهم تقاليد ومراسم في عبادة الأصنام، ابتدع أكثرها عمرو بن لحي بحيث كانت الرقى والتمايم تسيطر على معظم سلوكهم^(٣) وفي صحيح البخاري عن أبي بشير رضي الله عنه: «أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو غيره الا قطعت^(٤)» كما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرقى والتمايم والتولة شرك»^(٥) وكانوا يظنون أن ما أحدثه عمرو بن لحي بدعة حسنة، وليس بتغيير لدين إبراهيم فكان من مراسم عبادتهم للأصنام أنهم:

- كانوا يعكفون عليها ويلتجئون إليها .. ويهتفون بها، ويستغيثون بها في الشدائد، ويدعونها لحاجاتهم، معتقدين أنها تشفع عند الله، وتحقق لهم ما يريدون.

(١) : الإمام الشيخ محمد عبد الوهاب ، "مختصر سيرة الرسول ص" ، ص ١٣ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) : ابن هشام . السيرة النبوية ج١ / ٩٠ .

(٣) انظر : الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب «كتاب التوحيد» صفحة ٤٩ .

(٤) أخرجه البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الأهل ، ٢٣/٤ ، رقم

الحديث : ٣٠٠٥ ، وصحيح مسلم ، في كتاب اللباس والزينة ، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير ، ١٦٧٢/٣ ، رقم الحديث : ١٠٥ (٢١١٥) . وانظر أيضا . الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كتاب التوحيد ،

صفحة ٦ .

(٥) أخرجه أبو داود ، كتاب الطب ، باب في (تعليق) التمايم ، ٩/٤ ، رقم الحديث : ٣٨٨٣ .

- وكانوا يحجون اليها ويطوفون حولها، ويتذللون عندها، ويسجدون لها .
 - وكانوا يتقربون اليها بأنواع من القرابين، فكانوا يذبحون لها وبأسمائها^(١) .
 وهذان النوعان من الذبح ذكرهما الله تعالى في قوله تعالى ﴿ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾^(٢) . وفي قوله ﴿ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾^(٣) .
 وكان من أنواع التقرب أنهم كانوا يخصون للأصنام شيئا من مآكلهم ومشاربهم حسب ما يبدو لهم، وكذلك كانوا يخضعون لها نصيبا من حرثهم وأنعامهم. ومن الطرائف أنهم كانوا يخصون من ذلك جزءا لله أيضا. وكانت عندهم من الأسباب ذبائح كثيرة منها ما كانوا يتقربون به إلى الله ومنها ما كانوا يتقربون به لأصنامهم . قال الله تعالى ﴿ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾^(٤) .

وكان من أنواع التقرب إلى الأصنام النذر في الحرث والأنعام، قال تعالى: ﴿ قَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ﴾^(٥) .
 وكانت منها البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى. قال ابن اسحق^(٦) فيما نقل عنه

(١) : انظر : الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، «مجموعة الدرر السنية في الأجرية النجدية ورسائلهم» جمع وترتيب وتحقيق . ج١/ كتاب العقائد . صفحة ٩٣ .

(٢) : سورة المائدة، الآية ٣ .

(٣) : سورة الأنعام، الآية ١٢١ .

(٤) : سورة الأنعام، الآية ١٣٦ .

(٥) : سورة الأنعام، الآية ١٣٨ .

(٦) هو محمد بن اسحاق بن يسار الملقب بالولاء، المدني؛ من أقدم مؤرخي العرب. من أهل المدينة له: السيرة النبوية هذبها ابن هشام وله كتاب الخلفاء وكتاب المبدأ. وكان قديراً، ومن حفاظ الحديث. سكن بغداد فمات فيها سنة ١٥١هـ ودفن بمقبرة الحيزران أم الرشيد، وكان جده يسار من سبي عين التمر، انظر الزركلي، الأعلام . ٢٨/٦ .

ابن هشام^(١) : البحيرة بنت السائبة، هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهم ذكر سببت، فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من انثى شقت أذنفا، ثم خلى سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فعل بأمها. فهي البحيرة بنت السائبة والوصيلة : الشاة إذا أنجبت^(٢) عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهم ذكر جعلت وصيلة، قالوا : قد وصلت، فكان ما ولد بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم إلا أن يموت شيء فيشترك في أكله ذكورهم وإناثهم، والحامي : الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهم ذكر حمى ظهره، فلم يركب، ولم يجز وبره، وخلقى في إبله يضرب فيها، لا ينتفع منه بغير ذلك، وفي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(٣) وأنزل " ﴿ قَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾^(٤) وقيل في تفسير هذه الأنعام غير ذلك^(٥).

-
- (١) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعاصري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر سنة ٢١٣هـ. أشهر كتبه «السيرة النبوية» المعروف بسيرة ابن هشام رواه عن ابن إسحق. انظر الزركلي، الأعلام، ١٦٦/٤.
- (٢) : العبارة في ابن هشام : الوصلة : الشاة إذا أنات عشر إناث متتابعات أي جاءت باثنتين في بطن واحد مأخوذة من التوأم وهو الذي يولد مع غيره انظر ج١/٩٦.
- (٣) سورة المائدة، الآية ١٠٣ .
- (٤) : سورة الأنعام، الآية ١٣٩ .
- (٥) : ابن هشام، «السيرة النبوية»، ٨٩/١، ٩٠ .

وقد صرح سعيد بن المسيب^(١) أن هذه الأنعام كانت لطواغيتهم وفي الصحيح مرفوعاً :
أن عمرو بن لحي أول من سيب السوائب^(٢) .

كانت العرب تفعل كل ذلك بأصنامهم معتقدين أنها تقرهم الى الله وتوصلهم إليه،
وتشفع لديه^(٣) كما في قوله تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾^(٤) . وقوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٥) .

وكانت العرب تستسقم بالأزلام، والزلم : القدح الذي لا ريش عليه، وكانت الأزلام
ثلاثة أنواع : نوع فيه " نعم " و " لا " كانوا يستقسمون بها فيما يريدون من العمل من
نحو السفر والنكاح وأمثالهما. فإن خرج " نعم " عملوا به وإن خرج " لا " أخره عامه
ذلك حتى يأتوه مرة أخرى، ونوع فيه المياه والدية ، ونوع فيه " منكم " أو " من غيركم "

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة الامام العلم، أبو
محمد القرشي المخزومي عالم أهله المدينة وسيد التابعين في زمانه. ولد لستين مضتاً من خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه، وقيل: لأربع مضين منها بالمدينة. رأى عمر، وسمع عثمان وعلياً، وزيد بن ثابت، وأبا موسى،
وسعداً، وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس. ومحمد بن سلمة، وأم سلمة، وخلقاً سواهم، وقيل: إنه سمع من عمر،
روي عنه خلق كثير ومنهم: إدريس بن صبيح وأسامة بن زيد، والليثي وغيرهم، قال أسامة بن زيد: أن سعيد بن
المسيب أحد المفتين وقال قتادة: ما رأيت أعلم من سعيد بن المسيب، وقال المديني: لا أعلم في التابعين أحداً
أوسع علماً من ابن المسيب، هو عندي أجل التابعين. توفي سعيد بن المسيب سنة ٩٣ هـ ، انظر الذهبي سير
اعلام النبلاء ج٤ / ص ٢١٧-٢٤٦.

(٢) أخرجه صحيح البخاري ، كتاب العمل في الصلاة، باب إذا نقلت الدابة في الصلاة ج٢/٧٨ رقم الحديث

١٢١٢ . أخرجه مسلم كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف ج٢/٦١٩ رقم الحديث ٣ .

(٣) : انظر ابن هشام «السيرة النبوية» ج١/٩١ .

(٤) سورة الزمر ، الآية رقم ٣ .

(٥) : سورة يونس ، الآية رقم (١٨) .

أو " ملصق" فكانوا إذا شكوا في نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل، ومائة جزور، فأعطوها صاحب القداح، فإن خرج " منكم" كان منهم وسيطا، وإن خرج عليه " من غيركم" كان حليفا، وإن خرج عليه " ملصق" كان على منزلته فيهم، لا نسب ولا حلف^(١) . ويقرب من هذا الميسر والقداح، وهو ضرب من ضروب القمار، وكانوا في الجاهلية يقتسمون به لحم الجزور التي يذبحونها بحسب القداح^(٢) .

وكانوا يؤمنون بأخبار الكهنة والعرافين والمنجمين والكهان : والكاهن هو من يتعاطى الإخبار عن الكوائن في المستقبل، ويدعي معرفة الأسرار، ومن الكهنة من يزعم أن له تابعا من الجن يلقي عليه الأخبار، ومنهم من يدعي إدراك الغيب بفهم أعطيه، ومنهم من يدعي معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا القسم يسمى عرافا. كمن يدعي معرفة المسروق ومكان السرقة والضالة ونحوهما. والمنجم من ينظر في النجوم أى الكواكب، ويحسب سيرها ومواقبتها، ليعلم بها أحوال العالم وحوادثه التي تقع في المستقبل^(٣) .

والتصديق بأخبار المنجمين هو في الحقيقة إيمان بالنجوم، كان من إيمانهم بالنجوم الإيمان بالأنواء فكانوا يقولون : مطرنا بنوء وكذا .

(١) : ابن هشام، " السيرة النبوية"، ١٥٢/١، ١٥٣، ومحمد الحصري، " محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية " .

٥٦/١ .

(٢) : انظر فؤاد حمزة «قلب جزيرة العرب» ص ٢٥١ الطبعة الخامسة القاهرة- لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٣٨٧هـ، وانظر أيضا: الأزرقى. أخبار مكة، ج٢/١٨٣ طبعة دار الجليل بيروت عام ١٩٨٣م.

(٣) : شرح مشكاة المصابيح ٢/٢، ٣ .

وكانت فيهم الطيرة (بكسر ففتح) وهي التشاؤم بالشئ وأصله أنهم كانوا يأتوا الطير أو الظبي فينفرونه، فإن أخذ ذات اليمين مضوا إلى ما قصدوا، وعدوه حسنا، وإن أخذ ذات الشمال انتهوا عن ذلك وتشاءموا، وكانوا يتشاءمون كذلك إن عرض الطير أو الحيوان في طريقهم .

ويقرب من هذا تعليقهم كعب الأرنب، والتشاؤم ببعض الأيام والشهور والحيوانات والدور والنساء، والاعتقاد بالعدوي والهامة، فكانوا يعتقدون أن المقتول لا يسكن جأشه ما لم يؤخذ بثأره، وتصير روحه هامة أي بومة تطير في الفلوات وتقول: صدي صدي أو اسقوني اسقوني، فإذا أخذ بثأرها سكن واستراح^(١) .

كان أهل الجاهلية على ذلك وفيهم بقايا من دين إبراهيم ولم يتركوه كله مثل تعظيم البيت والطواف به، والحج، والعمرة، والوقوف بعرفة، والمزدلفة، وإهداء البدن، وابتدعوا في ذلك بدعا^(٢) .

وكانت قريش تقول: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم، وولاة البيت وقاطنوا مكة، وليس لأحد من العرب مثل حقنا ومنزلتنا - وكانوا يسمون أنفسهم الحمس - فلا ينبغي لنا أن نخرج من الحرم إلى الحل، فكانوا لا يقفون بعرفة، ولا يفيضون منها، وإنما كانوا يفيضون من المزدلفة^(٣) وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾^(٤) .

ومنها أنهم قالوا: لا ينبغي للحمس أن يفظوا الأقط ولا يسألوا السمن، وهم حرم، ولا يدخلوا بيتا من شعر، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الأدم ما داموا حرما^(٥) .

(١) : انظر صحيح البخاري ٨٥١/٢، ٨٥٧ مع حاشية الشيخ أحمد علي السهار نفوري .

(٢) : ابن هشام "السيرة النبوية" ١٩٩/١، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٢٦٦/١ .

(٣) : ابن هشام "السيرة النبوية" ٦٩٩/١ .

(٤) : سورة البقرة، الآية ١٩٩ .

(٥) : ابن هشام "السيرة النبوية" ج٢/٢٠٢ .

ومنهما أنهم قالوا : لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤوا به من الحل إلى الحرم إذا جاؤوا حجاجا أو عمارا^(١) .
ومنهما أنهم أمروا أهل الحل أن لا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم الا في ثياب الحمس فإن لم يجدوا شيئا فكان الرجال يطوفون عراة، وكانت المرأة تضع ثيابها كلها إلا درعا مفرجا ثم تطوف فيه .

●● المطلب الثالث - المشركون في المدينة :

دراسة تاريخ الدعوة الإسلامية والوقوف على أساليب خصومها في العهد المدني. تشير من خلال أمهات المصادر إلى أن الهجرة لم تكن تعني التخلص من الفتنة والاستهزاء فحسب، بل كانت الهجرة مع هذا تعاوننا على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن. ولذلك أصبح فرضاً على كل مسلم قادر أن يسهم في بناء هذا الوطن الجديد، وأن يبذل جهده في تحصينه ورفعته شأنه .

ولا شك أن رسول الله (ص) هو الإمام والقائد والهادي في بناء هذا المجتمع ، وكانت إليه أزمة الأمور بلا نزاع بعد الله سبحانه وتعالى .
والمسائل التي كان يواجهها بالنسبة إلى أصحابه هو أن ظروف المدينة بالنسبة اليهم كانت تختلف تماما عن الظروف التي مروا بها في مكة، فهم في مكة وإن كانت تجمعهم كلمة جامعة، إلا أنهم كانوا متفرقين في بيوتات شتى، مقهورين أذلاء مطرودين، لم يكن لهم من الأمر شيء، وإنما كان الأمر بيد أعدائهم في الدين^(٢) .

أما في المدينة فإن المشركين لم تكن لهم سيطرة على المسلمين، وكان منهم من تتخالجه الشكوك ويتردد في ترك دين الآباء ولكن لم يكن يبطن العداوة والكيد

(١) : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٠٢/١ .

(٢) : انظر في ظروف المدينة وأحوالها عند هجرة النبي ﷺ ، صحيح البخاري ج١/٤٥٩ ، ٥٥٦ ، ٥٦١ .

ضد الإسلام والمسلمين، ولم تمض عليهم مدة طويلة حتى أسلموا وأخلصوا دينهم لله^(١).

وكان فيهم من يبطن شديد الإحن والعداوة ضد رسول الله ﷺ والمسلمين، ولكن لم يكن يستطيع أن يناوئهم، بل كان مضطرا إلى اظهار الود والصفاء نظرا إلى الظروف. وعلى رأس هؤلاء عبدالله بن أبي بن سلول، فقد كانت الأوس والخزرج اجتمعوا على سيادته بعد حرب «بعث» ولم يكونوا اجتمعوا على سيادة أحد قبله - وكانوا قد نظمو له الحرز ليتوجوه ويملكوه وكان على وشك أن يصير ملكا على أهل المدينة إذ باغت مجئ رسول الله ﷺ، وانصراف قومه عنه إليه، فكان يرى أنه أسلبه ملكا، فكان يبطن شديد العداوة ضده - ولما رأى الظروف لا تساعد على شركه، وأنه يحرم الفوائد الدنيوية أظهر الإسلام بعد بدر، ولكن بقي مستبظنا الكفر، وكان لا يجد مجالا للمكايدة برسول الله ﷺ وبالمسلمين إلا ويأتي بها - وكان أصحابه - من الرؤساء الذين حرموا المناصب الدنيوية وكان عليهم أن ينضوا تحت لواء المجتمع الجديد الذي أقامه المسلمون^(٢).

وكانت هناك قبائل مشركة حول المدينة، فلم ينتشر الإسلام في القبائل الا بعد فتح مكة ولذلك فبداية العهد المدني يتميز بكثرة المشركين إلا أن الدعوة الاسلامية كانت تنتشر فيهم، ومن هؤلاء المشركين زعماء قبائل لهم مكانتهم ويحسب حسابهم ومنهم من حارب الرسول ﷺ كما في غزوة الاحزاب حينما تأمروا مع مشركي قريش على محاصرة المدينة ومحاربة المسلمين .

أخلص من هذا كله إلى أن المشركين في العهد المدني فئات متنوعة فهناك مشركي مكة وهناك مشركي المدينة وهناك مشركي القبائل العربية ولكل منهم تأثيره في مواجهة الدعوة الى دين الله سبحانه وتعالى وكما تفاوتت مكانتهم وكثرتهم وقتلتهم فقد تفاوتت

(١) انظر : محمد الغزالي : "فقه السيرة" ﷺ ١٦٢.

(٢) : ابن هشام، السيرة ، ج٢/٤٣ ، ٤٤.

استجابتهم لهذا الدين الا أن فترة ما بعد فتح مكة شهدت دخولاً واقبالاً كبيراً على هذا الدين قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ ﴾ (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴿١﴾.



(١) : سورة النصر الآيات ١-٣.

المبحث الثاني (اليهود)

توطئة :

وردت لفظة (اليهود) معرفة في القرآن، في مواضع من سورة البقرة^(١)، ومن سورة المائدة^(٢)، ومن سورة التوبة^(٣)، وكلها سور مدنية . ولم ترد في سورة من السور المكية .

كما وردت لفظة (يهوديا) في سورة آل عمران ، وردت في شرح ديانة (إبراهيم) عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾^(٤)، وهي من السور المدنية كذلك . وعبر القرآن الكريم عن اليهود وعن معتنقي اليهودية بقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ هَادُوا ﴾^(٥)، ويقول تعالى ﴿ مَنْ كَانَ هُودًا ﴾^(٦)، ويقول تعالى ﴿ كُونُوا هُودًا ﴾^(٧)، ويقول تعالى ﴿ كَانُوا هُودًا ﴾^(٨)، وسورتا الأنعام والنحل من السور المكية . وبناء على ذلك تكون جملة "الذين هادوا" قد نزلت قبل نزول لفظة (اليهود) في القرآن الكريم.

(١) : سورة البقرة، الآية ١١٣، ١٢٠ .

(٢)(٣) : سورة المائدة، الآية ١٨، ٥١، ٦٤، ٨٢ .

(٣) : سورة التوبة، الآية ٣٠ .

(٤) : سورة آل عمران، الآية ٦٧ .

(٥) : سورة البقرة، الآية ٦٢، النساء، الآية ٤٦، ١٦٠، المائدة، الآية ٤١، ٤٤، ٦٩ .

(٦) : سورة البقرة، الآية ١١١ .

(٧) : سورة البقرة، الآية ١٣٥ .

(٨) : سورة البقرة، الآية ١٤٠ .

وقد أخذ أهل الأخبار مما رووه عن دخول اليهود إلى يثرب في أيام موسى، وما ذكروه عن إرساله جيشاً إلى هذه المنطقة، ثم مارووه عن سكنهم القديم في أطراف المدينة وفي أعالي الحجاز^(١).

والشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" يقول عن "اليهود" واليهودية: إنها دين انتسب إليه بعض بني إسرائيل في عصر موسى من قول: هاد الرجل أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقولهم لموسى عليه السلام: إنا هدنا إليك - أي رجعنا - وتضرعنا، وهم أمة موسى وكتابهم التوراة^(٢).

وهذا المعنى الذي ذهب إليه الشهرستاني لعله يخدم أو يقدم لمرحلة الهداية والتوبة حين استجاب بعض القوم لموسى عندما ظهر بينهم نبي الله، ولعل هذا المعنى هو الذي كان يؤرخ له ويكتب له رجل كالشهرستاني لكنه يبقى فوق كل ما كان يؤرخ له الشهرستاني الظروف الموضوعية المرتبطة بلفظتي "إسرائيل" و"اليهود" على ضوء معطيات النص اللغوي تارة والسياق العام الذي تمتلىء به روايات التوراة المتداولة اليوم تناقضاً واضطراباً^(٣)، ذلك أنه من الملاحظ أن أبناء يعقوب انقسموا رغم الوحدة الأسرية التي كان يمثلها الأب يعقوب إلى قسمين أو فئتين أو مذهبين: قسم منها يدين بالولاء الأسري لنعرة الإسم والصفة القديمة التي خلعت على الأب "إسرائيل" فكانوا يحافظون على تداول التنادي بـ "إسرائيل" وأبناء إسرائيل تميزاً لهم وإطلاقاً عليهم، والقسم الثاني الذي اتبع "يهوداً" ونسب نفسه إليه تسمى باسمه، وتدولت كلمة "اليهود" ويهوداً دلالة عليهم^(٤).

(١) : العهد القديم، "سفر صموئيل الأول"، فقرة رقم ٢١، من الإصحاح الثاني.

(٢) : الشهرستاني، "الملل والنحل"، تخريج الدكتور محمد بن فتح الله بدران، ص ٤٩١، مطبعة الأزهر.

(٣) : د. صابر طعيمة، "التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه"، ط ١، عام ١٩٧٨.

ص ٤٣٥ دار الجبل، بيروت.

(٤) : الأب إسحاق ساكا «معنى التسميات للشعوب السامية» مجلة العربي ص ١٥١-١٥٣ عد يونيو عام

١٩٦٦.

وبعض الباحثين يضيف إلى قائمة الدلالة على اليهود اسم : العبرانيون ،
والعبريون نسبة إلى ما يروونه من أن الجد الأعلى " إبراهيم عليه السلام " عبر نهر
الفرات أو عبر الصحراء ، كما يرى في النسبة إلى اسرائيل الارتباط بالجد يعقوب بن
اسحق بن إبراهيم ، ولكن " يهود " واليهود تغلبت عليهم وشاعت على ألسنة الأمم ،
وذلك عندما دعى جميع نسل يعقوب (يهود) نسبة إلى يهوذا الولد الرابع لنبي الله
يعقوب^(١) .

ومعنى هاد ، يهود ، هودا ، ويهود : تاب ورجع إلى الحق ، وفي القرآن (إنا
هدنا إليك) أى تبنا إليك ، وسميت اليهود اشتقاقا من هادوا أى تابوا " " ، وأطلق
القرآن عليهم عبارة (أهل الكتاب) وهى لا تعني أنهم اصحاب علم بالكتابة وإنما المراد
بذلك أنهم أهل كتاب سماوي منزل وهو التوراة ، ويدخل في هذه التسمية أيضا
النصارى لوجود كتاب سماوي لديهم وهو الانجيل ، وهكذا فإن تسمية (أهل الكتاب)
في القرآن يقصد بها اليهود والنصارى .

● ● المطلب الأول - أصل اليهود :

لاحظ المعنيون بلغات الشرق الأدنى أوجه شبه ظاهرة بين البابلية والآشورية
والكنعانية والعبرانية والفينيقية والآرامية والعربية ، واللهجات العربية الجنوبية
والحبشية والنبطية وأمثالها ... فقالوا بوجود وحدة مشتركة كانت تجمع شمل هذه
الأقوام وأطلقوا على تلك الوحدة اسم (الجنس السامي) نسبة إلى سام بن نوح^(٢) .
أما المهد الاصلى للساميين فقد ذهب العلماء في ذلك مذاهب شتى فرأى نفر منهم
أنه أرض بابل في شمال العراق ، ورأى آخرون أن جزيرة العرب ، هى المهد الأول ،
وذهب فريق ثالث إلى أن إفريقية هي وطن الساميين وذهب آخرون إلى غير ذلك^(٣) .

(١) تيودور روينسون : «اسرائيل في ضوء التاريخ» تاريخ العالم - المجلد الثاني» صفحة ١٠٨ .

(٢) : ابن منظور ، " قاموس لسان العرب" مادة هود .

(٣) : جواد علي ، "تاريخ العرب قبل الاسلام" ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

(٤) : اسرائيل ولفنسون ، " تاريخ اليهود في بلاد العرب" ، ص ٨ .

●● المطلب الثاني - أسباب سكن اليهود في جزيرة العرب:

يرجع بعض الباحثين تسرب اليهود إلى الجزيرة العربية إلى هذه الأسباب :

" ان فلسطين كانت بمثابة القنطرة التي تربط بلاد العرب وسورية من جهة ومصر والعراق من جهة أخرى وكانت القوافل العربية تأتي من بلادها إلى أسواق مدن بني اسرائيل وكنعان ، وكان تجار اليهود يرحلون إلى سبأ في عهد سليمان وبعده " (١) ، ومنها « زيادة عدد اليهود في فلسطين زيادة مطردة جعلت البلاد تضيق عن أن تسعهم وتنفسح لعملهم في سبيل الحياة ، وقد بلغ عددهم في ذلك الحين أكثر من أربعة ملايين نسمة وهو عدد كبير لا تتسع له بلاد ضيقة كفلسطين فاضطروا بحكم هذه الزيادة المستمرة والنمو المطرد أن يهاجروا إلى ما حولهم من البلاد المجاورة لهم كمصر والعراق والجزيرة العربية " (٢) .

ومنها : أنه بعد حرب اليهود والرومان (٧٠ ب . م) التي انتهت بخراب فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس وتشتت اليهود في أصقاع العالم قصدت جموع كثيرة أخرى من اليهود بلاد العرب كما يُحدّث بذلك أحد المؤرخين اليهود الذي شهد تلك الحروب وكان قائداً لبعض وحداتها " (٣) وهذا ما تؤيده المصادر العربية التي جاء فيها : لما ظهر الروم على بني اسرائيل بالشام وقتلوهم وسبوا ، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هارين إلى الحجاز وتبعهم الروم فهلكوا عطشا في المفازة بين الشام والحجاز " (٤) .

وهناك أسباب أخرى أدت إلى انتشار اليهود في يثرب لا يمكن التعويل عليها علمياً . كما انتشر اليهود في اليمن وهذا ليس مجال بحثنا هنا فإننا نستعرض فقط الفئات اليهودية التي احتك بها الاسلام عصر النبوة وفي العهد المدني .

(١) : اسرائيل ولفستون « تاريخ اليهود في بلاد العرب » صفحة ١٢ .

(٢) : محمد بيرمي مهران ، « اسرائيل في التاريخ القديم » ، ص ١٨٣ .

(٣) : ولفسون ، « تاريخ اليهود في بلاد العرب » ، ص ٩ .

(٤) : ابن خلدون ، « التاريخ » ج ٢ ص ٨٣ ، والأصبهاني الأغاني ج ٩٤/١٩ .

●● المطلب الثالث - اليهود عند ظهور الاسلام :

كانت منطقة يثرب وهي التي تعرف اليوم بـ (المدينة) المركز الاكبر لليهودية عند ظهور الاسلام .. كما انتشر اليهود جماعات استقروا في مواضع المياه والعيون من وادي القرى^(١) وتيما^(٢) وخيبر فبنوا فيها الآطام^(٣) لحماية أنفسهم وأرضهم وزرعهم من اعتداء الأعراب عليهم ، وقد آمنوا على أنفسهم بالاتفاق مع رؤساء القبائل الساكنة في جوارهم على دفع إتاوات لهم وعلى تقديم الهدايا اليهم لاسترضائهم^(٤) . وقد سكن يثرب عدة قبائل يهودية أشهرها بنو النضير ، وبنو قريظة وبنو قينقاع .

وكان يسكن في المدينة من العرب قبيلتا الأوس والخزرج ، ويرجح رواية التاريخ مجيء قبيلتي الأوس والخزرج إلى يثرب بعد حادث (سبل العرم) جاءوا إليها لسوء حالهم والتماسا لوطن جديد . والخزرج أخوة الأوس في عرف النسابين فالخزرج جدهم شقيق الأوس الذي تنتمي اليهما قبيلتا الأوس والخزرج^(٥) .

وحيثما نزل الأوس والخزرج المدينة لم يكن لهم حول ولا قوة ولذلك قنعوا بالذي حصلوا عليه من أرض ضعيفة ومن رزق شحيح أما المال والثروة والجاه فليليود . بقوا على ذلك أمدا حتى ذهب مالك بن العجلان وهو من الخزرج إلى أبي جبيلة ملك الفساسنة يطلب منه النصر على اليهود فجاء أبو جبيلة على رأس جيش إلى الحجاز وقتك باليهود وقت الغلبة من يومئذ للأوس والخزرج . بعد أن غدر مالك بن عجلان برؤوساء اليهود وقتل منهم بضعة وثمانين رجلا^(٦) .

(١) : واد خصيب به يمر طريق التجارة القديم الذي يصل بلاد الشام باليمن انظر باقوت الحموي ، معجم البلدان ج١٩٨/٨ .

(٢) : الآطام، جمع أطم وهو القصر والحصن المبنى بالحجارة وكل بناء مرتفع انظر الشرتوني وأقرب الموارد في فصح العربية والشوارد مطبعة دار الجبل ، لبنان عام ١٣٩٨هـ، ج٢ / صفحة ٩٣ .

(٣) : جواد علي، "تاريخ العرب قبل الإسلام"، ج ٦ ص ٩ .

(٤) : ابن خلدون "التاريخ" ج ٥ ص ٨٤ .

(٥) : أبو الفرج الأصفهاني، الاغانى، ٩٥/١٩ .

●● المطلب الرابع - حديث اليهود عن البعثة النبوية،

بدأ محمد ﷺ دعوته إلى الاسلام في جو مشحون بالشدائد والصعاب ، وأعداؤه أخذوا يتمادون في إساءتهم اليه حتى التقى بأفراد من عرب يثرب فوجدت دعوته لديهم آذانا صاغية ، وقلوبا واعية ، وبيان ذلك : أن نفرا من الخزرج خرجوا إلى مكة في موسم الحج فلقبهم محمد ﷺ فسألهم عن شأنهم وعرف أنهم من موالى اليهود، وقد كان اليهود ييثر بيقولون لهم إذا اختلفوا وإياهم : (إن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما كلم رسول الله اولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي وعدكم به اليهود فلا تسبقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين...^(١)

ثم انصرفوا عن الرسول راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا^(٢) .
ويمكن القول أن التنبؤات التي كان يطلقها اليهود حول مبعث النبي الجديد والأخبار التي كانوا يروجونها بين العرب كان له بعض الأثر في استجابة اليشريين للإسلام ، فاليهود رسخ في نفوسهم اعتقاد بأنه سيجيء نبي ينقذهم من البؤس والشقاء ويتغلب على أعداء الشعب المختار، فلما عرض النبي رسالته على أفراد من الخزرج تنبه العرب إلى أقوال اليهود فأقبلوا يعتنقون الإسلام بينما كفر اليهود بدعوة الرسول كبرياء وإعراضا عن الحق الذي جاء به نبي ليس منهم ويؤيد هذا الرأي أن استجابة أهل يثرب للإسلام كانت أكثر من استجابة أهل مكة^(٣) .

(١) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج١/٢٣١.

(٢) : ابن هشام ، "السيرة النبوية" ، ١٩٠/٢ .

(٣) : ابن هشام ، «السيرة النبوية» ، ٣٨/٢ .

●● المطلب الخامس- اليهود في المدينة قبيل هجرة النبي ﷺ :

كما كان قد تناهى إلى اليهود مما بقي في أيديهم من كتاب الله تعالى " التوراة " بعد أن حرفوا وبدلوا وكتبوا القراطيس بأيديهم من عند أنفسهم ثم قالوا للناس هذا من عند الله البشارة بنبي الإسلام .

وكان اليهود ، وبخاصة يهود المدينة منهم يتحدثون قبيل بعثة محمد ﷺ عن قرب مبعث نبي في الجزيرة ، وأنه قد أطل زمانه ، وأنهم سيكونون من أتباعه ومن أنصاره ، وأنهم سوف ينتصرون به على منافسيهم من الأوس والخزرج سكان المدينة إذ ذاك . وقد أنبأنا الله تعالى في الكتاب بأنه قد أخذ عليهم موثقا بأن يستقيموا فقال : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ السَّلَةَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (١) .

ومن نافلة القول التذكير بأن من بدهيات مفهوم الميثاق وركائز الايمان الحق، الايمان الخالص اليقين بكل ما جاء به محمد ﷺ، إذ كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وكانوا ينتظرون مبعثه فقد روى عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد قال : " كان بين أبياتنا يهودى فخرج على نادى قومه بنى عبد الأشهل ذات غداة ، فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان فقال ذلك لأصحاب وثن لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت . وذلك قبل مبعث النبي ﷺ فقالوا : ويحك يا فلان !! هذا قائل أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون بأعمالهم ؟ قال: نعم !! والذي يحلف به لوددت أن حظى من تلك النار أن توقدوا أعظم تنور في داركم فتحمونه ثم تقدفوني فيه ثم تطبقون علي، وإني أنجو من النار غدا !! فقيل يا فلان ما علامة ذلك ؟ قال نبي يبعث من ناحية هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا فمتى نراه ؟ فرمى بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي . وأنا أحدث القوم فقال : إن يستنفذ هذا الغلام

(١) : سورة المائدة، الآية ١٢ .

عمره يدركه . فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله وأنه لحي بين أظهرنا فأمانا به وصدقناه وكفر به بغيا وحسدا فقلنا يا فلان !! ألسنت الذي قلت ما قلت وأخبرتنا به؟ قال ليس به ^(١) .

وعن ابن عباس قال " كان يهود قريظة والنضير وفدك وخبير يجدون صفة النبي ﷺ عندهم قبل أن يبعث وأن دار هجرته المدينة فلما ولد رسول الله ﷺ قالت أحبار يهود : ولد أحمد الليلة . وهذا الكوكب قد طلع فلما تنبأ قالوا : " تنبأ أحمد قد طلع الكوكب كانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفون به ويصفونه ، فما منعهم الا الحسد والبغى " ^(٢) .

ويبدو من السياق العام في نبأ القرآن الكريم أن اليهود كان بين أيديهم مما تبقى من التوراة بعض المعلومات الصحيحة والدقيقة عن بشائر الدعوة الإسلامية وهي بشائر تؤكد أن اليهود كانوا يعرفون أوصاف الرسول ﷺ قبل أن يبعث نقلا عن أحبارهم ومن التوراة التي بين أيديهم . والله تعالى يقول : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿ (٨٩) ﴾ ^(٣) .

ومما تجدر الإشارة اليه أنه قبل الهجرة النبوية كان اليهود قد استقر بعضهم في المدينة وكان من أشهرهم بنو قريظة وبنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو بهدل ، وبنو عوف، وبنو القصيص، وبنو ماسلة . سكن هؤلاء المدينة وأطرافها، وكان يسكن معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب .

(١) : ابن القيم ، " هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى " ، صفحة ١٨ المكتبة العلمية ، بيروت .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٣) : سورة البقرة، الآيات ٨٧ - ٨٩ .

وظل اليهود أصحاب يثرب ، حتى جاء الأوس والخزرج فنزلوها واستغلوا
الخلاقات التي كانت قد وقعت بين اليهود ، فتغلبوا عليهم ، وسيطروا على المدينة
وقسموها فيما بينهم ^(١) .

وتركزت قوة اليهود في المدينة في ثلاث قبائل كبيرة ، هي بنو قينقاع ، وبنو
النضير ، وبنو قريظة .

وبنو قينقاع كانوا دون سائر يهود يثرب أصحاب الصناعة والصبغة ^(٢) . وقد
كان الرسول ﷺ ينظر إلى يهود بنى قينقاع على أنهم أصحاب الكلمة والمعرفة بين يهود
المدينة ، فزارهم في سوقهم ، وقال لهم : " يا معشر اليهود ، احذروا من الله عز وجل ،
فإنكم عرفتم أنني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم " ^(٣) . وكانت العلاقة بين هذه
القبائل الثلاث مضطربة متوترة ، وقد يكون بعضهم حربا على بعض . يقول أحد
المفكرين المعاصرين : " قد كانت هناك عداوة بين بنى قينقاع وبقية اليهود ، سببها أن بنى
قينقاع قد اشتركوا مع الخزرج في يوم (بعث) ، وقد أثنى بنو النضير وبنو قريظة في
بنى قينقاع ومزقوهم كل ممزق ، مع أنهم دفعوا الفدية عن رجال ممن وقع في أيديهم من
اليهود ، وقد استمرت هذه العداوة بين البطون اليهودية بعد يوم بعث حتى وقعت الحرب
بين الأنصار وبين بنى قينقاع ، فلم ينهض معهم أحد من اليهود في محارسة
الأنصار " ^(٤) .

(١) : راجع د . جواد علي ، " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " ، ج ٦ ص ٥١١ - ٥١٩ ، ط . ١ .

(٢) : تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٤٨١ .

(٣) : انظر : فتح الباري ج ٦ كتاب الجزية والموادعة باب اخراج اليهود من جزيرة العرب الحديث رقم ٣١٦٧ ، وانظر
أيضا عبد الله بن إدريس ، " مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم " ، ص ٣٨ ، ط ١٩٨٢ م .

(٤) : ولفنسون ، " تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام " ، ١٢٩ طبعة الاعتماد بالقاهرة
١٩٢٧ نقلا عن السيرة النبوية للندوي ، ص ١٣٣ .

وقد أشار القرآن إلى عداوة اليهود فيما بينهم في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٨٥) ﴿ (١) .

والقرآن يسجل الحياة الاجتماعية بين بطون وأفخاذ اليهود التي كانت تتحرك في وسط المجتمع المدني وتختلط بالبيئة وترتبط بالقبائل العربية بارتباطات سياسية واجتماعية ، ووضح ابن عباس رضى الله عنه أبعاد هذه الآية ، فقال : " أنبهم الله من فعلهم ، وقد حرم عليهم في التوراة سفك دماءهم ، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم ، فكانوا فريقين : طائفة منهم من بنى قينقاع حلفاء الخزرج ، والنضير وقريظة وحلفاء الأوس ، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج ، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس ، يظهر كل من الفريقين حلفاء على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم ومالهم ، والأوس والخزرج أهل الشرك يعبدون الأوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ، ولا بعثا ، ولا قيامة ، ولا كتابا ، ولا حراما ، ولا حلالا ، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسرارهم تصديقا لما في التوراة وأخذوا به بعضهم من بعض يفتدى بنو قينقاع ما كان من أسرارهم في أيدي الأوس ، وتفتدى النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ويطلبون ما أصابوا من الدماء ، وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظهارة لأهل الشرك عليهم " (١) .

(١) : سورة البقرة ، الآية ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) : تفسير الطبرى ، ج ١ ، ص ٣٩٧ .

●● المطلب السادس-اليهود بعد الهجرة النبوية :

بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، ووثق من رسوخ قواعد المجتمع الإسلامي الجديد ، رأى أن يقوم بتنظيم علاقاته بغير المسلمين ، وكان همه في ذلك هو توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء ، مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد، فسن في ذلك قوانين السماح والتجاور التي لم تعهد في عالم ملئ بالتعصب والتغالي.

وأقرب من كان يجاور المدينة من غير المسلمين هم اليهود وهم وإن كانوا يبطنون العداوة للمسلمين ، لكن لم يكونوا أظهروا أية مقاومة أو خصومة بعد، فعقد معهم رسول الله ﷺ معاهدة ترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال ، ولم يتجه إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة والخصام .

وفى ضوء الحكمة التي رآها ﷺ وادع اليهود لتكون المدينة كلها مسلمها وكافرها يدا واحدة أمام الأعداء من الخارج ، إذ أن قريشا ربما تفكر في القيام بعمل ضد المدينة، ومن ناحية ثانية حتى يمكن تطبيق النظام داخل هذه المدينة المنبعثة من جديد ، وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والانصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم وصيغته التي حفلت بها الكتب والمصادر^(١) : «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرين من قريش على ريعتهم^(٢) يتعاقلون بينهم، وهم يقدون عانيهم^(٣) بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ريعتهم ، يتعاقلون معاقلهم الأولي، كل

(١) :حول مصادر هذا الكتاب، أو هذا العهد يمكن الرجوع إلى: ابن سيد الناس: «عيون الأثر»، ج١/١٩٨ وأبو عبيد، الأحوال، ص ٥١٧.

وأنظر ابن زنجويه «كتاب الأموال، تحقيق شاکر ديب فياض رقم ٧٥٠.

وابن كثير «البدایة والنهائة» ج٣/٢٢٤-٢٢٦ ومحمد حميد الله، «الوثائق السياسية في العهد المدني» صفحة ٣٩-٤١.

٢) : الربعة ، الحال التي جاء الإسلام ، وهم عليها، انظر ابن هشام ج٢/١٢٠ من الهامش .

٣) : العاني : الأسير ، المصدر السابق نفس الموضع .

طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو ساعدة على ريعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على ريعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جشم على ريعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ريعهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على ريعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النبيت على ريعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الأوس على ريعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا ^(١) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل . وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ^(٢) ظلم أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وأن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أديانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يهود ، فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ^(٣) ، وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين ينبيء بعضهم على بعض ، مما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه ، إنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه

(١) : المرح - بوزن معدم - هو المثل بالدين والكثير العيال، ابن هشام «السيرة» ج٢/ هامش صفحہ ١٢٠ .

(٢) : الدسيعة : العظيمة ابن هشام «السيرة» ج٢/ هامش صفحہ ١٢٠ .

(٣) : حول هذه الفقرة من هذا العهد أنظر البلاذري «أنساب الأشراف» ج١/٢٨٦-٢٨٧-٣٠٨ والطبري «تاريخ»

ج٢/٤٧٩ ، والمقدسي كتاب : البدء والتاريخ، ج٤/١٧٩ ، والمقرئزي: امتاع الأسماع ج١/٤٩ .

من اعتبط^(١) مؤمنا قتلا عن بينة ، فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم والآخر ، أن ينصر محدثا ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل . وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد ﷺ ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليتهم وأنفسهم ، إلا من ظلم أو أثم ، فإنه لا يوتغ^(٢) إلا نفسه ، وأهل بيته . وإن لليهود بنى التجار مثل ما لليهود بنى عوف ، وإن لليهود بنى الحارث مثل ما لليهود بنى عوف ، وإن لليهود بنى ساعدة مثل ما لليهود بنى عوف وإن لليهود بنى جشم مثل ما لليهود بنى عوف ، وإن لليهود بنى الأوس مثل ما لليهود بنى عوف وإن لليهود بنى ثعلبة مثل ما لليهود بنى عوف ، إلا من ظلم أو أثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه ، وأهل بيته ، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبنى الشطيبة مثل ما لليهود بنى عوف وإن البر دون الأثم وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ وإنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فبئفسه فتك ، وأهل بيته ، إلا من ظلم وإن الله على أبر هذا^(٣) ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها . وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله ﷺ وإن الله أتقى على ما في هذه الصحيفة ، وأبره ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحون

- (١) : اعتبط : قتله بلا جناية منه توجب قتله ابن هشام «السيرة» ج٢/ هامش صفحة ١٢١ .

- (٢) : يوتغ : يهلك .

- (٣) : على أبر هذا : أى راض كل الرضى عن هذا ، عن ابن هشام ، مصدر سابق صفحة ١٢٢ .

ويلبسونه ، فانهم يصالحونه ويلبسونه وإنهم اذا دعوا إلى مثل ذلك ، فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وأثم ، وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى،
ومحمد ﷺ^(١) .

وفي ضوء هذه الوثيقة كان أمل الرسول ﷺ أن يكون أهل المدينة جميعا على اختلاف فئاتهم يدا واحدة ضد الأعداء الخارجين على تطبيق النظام ، ويبدو من هذه الموادعة والمعاهدة الآتي^(٢) :

١- أن للمجتمع المسلم شخصية دينية وسياسية ، يأمن فيه المطيع ويعاقب فيه المفسد.

٢- الحرية الدينية مكفولة للجميع مالم يحصل من طرف ظلم أو إثم .

٣- على سكان المدينة من مسلمين وغيرهم أن يتعاونوا ماديا وعسكريا وأديبا، وعليهم أن يردوا متساندين أى اعتداء قد يوجه لمدينتهم .

٤- رسول الله ﷺ هو الرئيس الأعلى لسكان المدينة جميعهم .

٥- الأمة تضم الجماعة التي تعتقد عقيدة واحدة بغض النظر عن الجوار والقرابة أو الأرض أو النسب أو المصلحة أو اللغة أو الهوى فكل هذا يهون أمام العقيدة ، فالمسلمون يؤلفون أمة واحدة ، ويؤلف اليهود أمة واحدة على الرغم من الجوار واللغة والأحلاف السابقة .

هذا بالنسبة إلى العمل داخل المدينة أو ما يسمى اليوم الجبهة الداخلية ، أما الجبهة الخارجية فعلى المسلمين أن يخضعوا القبائل التي تعيش حول المدينة والتي يحالف

(١) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، ١٢١/٢ - ١٢٣ .

(٢) انظر: صالح العلي : «تنظيمات الرسول الادارية» صفحة ٤-٥ .

بعضها سكان يثرب ، وكلها تعرف مداخل المدينة وعلى اتصال دائم بمن في داخلها وتفاعل تام معهم .. وذلك حتى لا يكونوا أعوانا للأعداء الخارجين ، فإن أثرهم ملموس، إن كان أقل نسبيا من أثر من يعيش في الداخل ، وفي الوقت نفسه فعليهم أن تبرز قوتهم خارجيا حتى لا تطمع بهم القبائل ، وتسعى قريش في القضاء عليهم هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن القوة تساعد على انشار الإسلام ووصول أخباره إلى بقية القبائل وفي كل الاتجاهات إذ أن الضعيف لا يهتم به أحد ولا يسمع به أحد واللافت للنظر أن معاهدة الرسول ﷺ لليهود جاءت في اطار المعاهدة بين المسلمين أنفسهم والقواعد التي كان يجب أن يلتزم بها اليهود ،

- (١) إن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم ، كذلك لغير بنى عوف من اليهود .
- (٢) وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم .
- (٣) وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .
- (٤) وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم .
- (٥) وإنه لم يأتهم امرؤ بحليفه .
- (٦) وإن النصر للمظلوم .
- (٧) وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .
- (٨) وإن يثرب حرام جوفها لأجل هذه الصحيفة .
- (٩) وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله ﷺ .
- (١٠) وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها .
- (١١) وإن بينهم النصر على من دهم يثرب على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم

(١٢) وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم^(١) .
وبإبرام هذه المعاهدة صارت المدينة وضواحيها دولة ورئيسها - إن صح هذا
التعبير- رسول الله ﷺ ، والكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين .



(١) : انظر ابن كثير، " السيرة النبوية " دار المعرفة ببيروت، ج ٢ / ٣٢١ ، وكذلك أحمد الشريف ، " مكة والمدينة في
الجاهلية وعهد الرسول "، ط. ٢، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ص ٢٨٨ .

المبحث الثالث النصارى

●● المطلب الأول : النصارى تاريخاً ومعتقداً :

من البدهة العلمية عند المشتغلين بعلم العقائد، أن النصارى في جملة ما ذهبوا إليه، يعتبرون من وجهة النظر العلمية الامتداد العقدي لليهود، أي أن النصارى طائفة من اليهود، عندما بعث الله تعالى عبده عيسى بن مريم اتبعوه، وبقي أكثر اليهود لا يؤمنون به، واصطاح على أن يطلق على من آمن بعيسى بن مريم من اليهود : نصارى، وفي تقدير تلك النسبة قيل: سموا بذلك نسبة إلى قرية بالشام تسمى " ناصرة" ^(١) . جاء في القاموس المحيط : ونصرانة قرية بالشام ويقال لها ناصرة ونصورية كالندامى جمع ندمان، والنصرانية أيضا دينهم ^(٢) .

كما أن النصارى هم الذين تنصروا ^(٣) أو هم نصارى (نجران) ^(٤) .

١- سموا (نصارى) لتناصرهم فيما بينهم ويقال لهم الأنصار .

٢- وقيل سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها (الناصرة) ^(٥) .

٣- وقيل لأنهم نصروا المسيح ^(٦) .

٤- النصارى اسم لأصحاب (عيسى) سموا بذلك لأنهم نصره أو لنصر بعضهم

بعضا ^(٧) ، وقيل إن أمه عادت به من مصر الي الشام واقامت به في

قرية (الناصرة) ^(٨) .

١- : عباس محمود العقاد، " حياة المسيح "، صفحة ٨٣ ط. ١، عام ١٩٤٩، دار الهلال، القاهرة .

٢- : القاموس المحيط : ج٢/١٤٣ .

٣- : تفسير ابن عباس، ج١/١٠ .

٤- : تفسير ابن عباس، ج١/٩٨ .

٥- : تفسير ابن كثير ١/١٠٣ - ابن كثير ٢/٨٠ - ابن كثير ٣/٢١٠ .

٦- : ناصر الدين البيضاوى، " أنوار التنزيل وأسرار التأويل "، ج١٣/١١٥ .

٧- : الفضل بن حسن الطوسى، " مجمع البيان فى تفسير القرآن " ١/١٢٦، الألوسى البغدادي " روح المعانى فى

تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى"، ١/٢٧٨ .

٨- : الألوسى، " تفسير روح المعانى"، ١/٢٧٨ .

٥- وقيل (النصراني) هو المتلى نصرًا .. وسما بذلك لقوله (من أنصاري إلى الله)^(١) .

ولما بعث عيسى بن مريم بالرسالة كان عمره آنذاك (٣٠) سنة وكانت مدة دعوته (٣) سنين و (٣) أشهر و (٣) أيام^(٢) .. ولا خلاف بين أحد من (النصارى ولا من غيرهم في أنه لم يؤمن بعيسى المسيح في حياته غير (١٢٠) رجلا فقط وامرأة. وكانوا متخفين في عبادتهم حتى تنصر الملك (قسطنطين) فكشفوا أنفسهم واجتمعوا على بعضهم^(٣) .

وقال القرطبي^(٤) : لكن لا يستعمل نصران ونصرانة إلا بياني النسب، لأنهم قالوا : رجل نصراني وامرأة نصرانية ونصره جعله نصرانيا. وقد جاءت جموع على غير ما يستعمل واحدا وقياسه النصرانيون^(٥) . وقيل : سما بذلك لقول عيسى عليه السلام : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾^(٦) . لكن اللافت للنظر أن موقف النصارى في حقيقة الأمر لم يكن الا صدى لموقف اليهود معتقدا ومسلكا وممارسة، ولم يتميز النصارى^(٧) بهذا الاسم الا بعد مجئ المسيح عليه السلام وانتسابهم إليه، ولم يكن على الملة النصرانية الحقيقية التي جاء بها عيسى عليه السلام إلا القليل منهم، وأكثرهم على الباطل من الجهل والضلال، كما وصفهم القرآن وحذر المسلمين من سلوك طريقهم كما حذرهم من سلوك طريق اليهود في قوله

(١)- الفضل بن حسن الطوسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٢٦/١.

(٢)- الشهرستاني، الملل والنحل، ٦٠/٢ .

(٣)- العميد محمد عبدالرازق أسود، المدخل الى دراسة الأديان والمذاهب، الدار العربية للموسوعات، بيروت عام ١٩٨١، ص ١٠٢ .

(٤) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الحزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي فيها سنة ٦٧١هـ. من كتبه الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة . انظر: الزركلي، الأعلام ٣٢٢/٥.

(٥)- تفسير القرطبي، ج ١٤٣/٢ .

(٦)- سورة الصف، الآية ١٤ .

(٧)- د. فؤاد حسنين على، " اليهودية واليهودية المسيحية "، صادر عن معهد الدراسات العربية العالي-جامعة الدول العربية عام ١٩٧٥م، ص ١٩٣ .

﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾^(١).

فالضالون هم النصارى والمغضوب عليهم هم اليهود كما ذكره المفسرون^(٢).
إلا أن اليهود قوم طغاه حسدة عاصون لله على علم قد غلب عليهم الهوى والكبر
أكثر من النصارى كما قال تعالى في اليهود : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا
تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٨٧) ﴿^(٣) فالكبر أدى بهم
إلى رد ما لا تهواه نفوسهم حتى قتلوا فريقا من الأنبياء وكذبوا فريقا وتلك حال المتكبر
المتبع لهواه الذي لا يعمل بعلمه وهو الغاوي كما وصفهم الله عز وجل ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ
نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ... ﴾ (١٧٦) ﴿^(٤).

أما النصارى فهم وإن كانوا امتدادا عقديا لليهود لكنهم في عصر صدر الإسلام
وفى عهد العهد المدني يمكن لنا القول في ضوء ما تشير إليه الآيات الكريمة في كتاب
الله تعالى أنهم كانوا - يومها - أقل حسدا وكبرا من اليهود وأقرب إلى المؤمنين منهم
كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ
مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٨٧) ﴿^(٥) . وقال تعالى في حق المؤمنين

(١) : سورة الفاتحة، الآية ٦، ٧ .

(٢) : أخرج بن جرير عن ابن مسعود قال : «المغضوب عليهم» اليهود و«الضالين» النصارى . وقال ابن أبي حاتم :
لا أعلم خلافا بين المفسرين في تفسير «المغضوب عليهم» باليهود و«الضالين» بالنصارى ، انظر الامام عبد
الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (الدر المنثور في التفسير المأثور) ج١/٤٢٧ طبعة دار الفكر -
بيروت.

(٣) : سورة البقرة : الآية ٨٧ .

(٤) : سورة الأعراف ، الآيات ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٥) : سورة المائدة، الآية ٨٢ .

منهم : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا
 مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا
 مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٤) ﴿ . ولكن غلب على
 النصارى تعدد الآلهة كما هو واضح في عقيدة التثليث أكثر من اليهود ، فلا أعظم قبحا
 ولا أشد ظلما مما افتراه النصارى على الله تعالى من نسبة الولد إليه وقولهم إن الله هو
 المسيح وثالث ثلاثة وذلك من الشرك الأكبر العظيم الذي لا يغفره الله إذا مات صاحبه
 عليه من غير توبة . وقال تعالى منكرا على من نسب الولد إليه : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ
 الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿ (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ
 الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿ (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿ (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ
 يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿ (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿ (٩٣) ﴿ .
 وهذا يعني النصارى بالدرجة الأولى ويتناول من قال من اليهود عزير ابن الله ، ومن قال
 من المشركين الملائكة بنات الله [تعالى الله عن قولهم جميعا علوا كبيرا] وقال تعالى :
 ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴾ (٧٢) ﴿ . القائلون هم النصارى
 وقال سبحانه ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ
 لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٢) ﴿ .

(١)(١) : سورة المائدة ، الآيات ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) : الأذ : الثقبيل والشديد أى جنتهم شيئا عظيما فى القبح والتنقيص لله عز وجل تكاد السموات وجميع الجمادات

أن تلوب من فطاعته وقبحه .

(٣) : سورة مريم ، الآيات ٨٨ - ٩٣ .

(٤) : سورة المائدة ، الآية ٧٢ .

(٥) : سورة المائدة ، الآية ٧٣ .

وتجدر الإشارة إلى أن النصارى منذ زمن مبكر شأنهم في ذلك شأن أسلافهم اليهود وهم يعتقدون وجوب طاعة علمائهم وكبرائهم في تحليل ما حرم الله عز وجل وتحريم ما أحل مما لا يجوز إلا لله وحده فيطيعونهم في ذلك كما في قوله تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣١) في تفسير هذه الآية عند السيوطي^(١) رحمه الله. ينقل عن عدي بن حاتم^(٢) رضي الله عنه قوله أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ في سورة براءة « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » فقال أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه.^(٣)

هذا وقد اختلف أهل الكتاب في شأن عبد الله ورسوله عيسى بن مريم اختلافا عظيما ، فاليهود اعتبروه كذابا دجلا ونصبوا له العداة حتى أغروا به بعض الطغاة طمعا في إعدامه وحاولوا القبض عليه لتسليمه ويزعمون أنهم قتلوه وصلبوه كما أخبر الله عنهم : ﴿ وَبَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنَّ شُبُهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ

(١) سورة التوبة الآية رقم (٣١).

(٢) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الحضيرى السيوطى، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف، ولد سنة ٨٤٩هـ، ونشأ في القاهرة يتيماً حيث مات والده وعمره خمس سنوات، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخالاً للتأليف وبقي على ذلك إلى أن توفي، من كتبه «الإتقان في علوم القرآن» و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» وغيرها كثير. انظر: الزركلى، الأعلام ٣/٣٠١، ٣٠٢.

(٣) : عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي بن أخرم بن أبي أخرم بن ربيعة بن جبرول بن ثعل بن عمرو بن العوث بن طيء الطائى أبو طريف ويقال أبو وهب. قدم على النبي ﷺ في شعبان سنة ٧هـ وأخذ بصدقة طيء وجاء بها إلى رسول الله ﷺ . وقال الخطيب لما قبض رسول الله ﷺ ثبت عدي بن حاتم وقومه على الإسلام وجاء بصدقته إلى أبي بكر وحضر فتح المدائن وشهد مع على الجمل وصفين والنهروان ومات بعد ذلك بالكوفة سنة (٦٨هـ) انظر تهذيب التهذيب ١٦/٧٥ ص ١٥٠.

(٤) : أخرجه الترمذى ج ٢٥٩/٥. كتاب : تفسير القرآن، باب ومن «سورة التوبة» ج ٢٥٩/٥ رقم ٣٠٩٥ وقال عنه حديث غريب.

(٥) : أنظر الدر المنثور في التفسير المأثور ج ٤/١٧٤ طبعة دار الفكر، بيروت.

اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا أتباع الظن وما قتلوه يقيناً (١٥٧) بل رقه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً (١٥٨) ﴿١٥٨﴾ . وليس هذا بأول جرم اليهود فقد اعتادوا على الحسد والحقد على الأنبياء ومحاوله قتلهم وقد قتلوا عددا منهم كما ذكر الله ذلك عنهم (١٥٧) .

والنصارى اعتبروا عيسى بن مريم عليه السلام إلها متميزا عن البشر فقالوا : إنه هو الله كما قالوا : إنه ابن الله وثالث ثلاثة وقال بعضهم عن أمه مريم عليهما السلام أيضا إنها إله كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أأنتَ قلتَ للناسِ اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ... (١١٦)﴾ (١١٦) .

وهدى الله المسلمين من أمة محمد ﷺ لما اختلفت فيه الطائفتان من الحق في شأن عيسى عليه السلام ، فلم يختلفوا فيه ولا في غيره من الأنبياء والرسل كما اختلف من قبلهم ، بل اتفقوا على أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه خلقه الله كما خلق غيره من البشر إلا أن الله عز وجل خلقه من أم هي مريم بنت عمران بلا أب كما خلق آدم عليه السلام من غير أم ولا أب وخلق حواء من ضلع آدم وكل ذلك لكمال قدرته سبحانه قال تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩)﴾ (١١٦) . هذا هو الحق الذي يدين به المسلمون وكلمتهم عليه ولا يقبل الله من أحد سواه وهو الذي دل عليه القرآن ودلت عليه السنة المطهرة .

(١) : سورة النساء، الآيات ١٥٦ - ١٥٨ .

(٢) : د . صابر طعيمة ، " التاريخ اليهودي العام " ، ج ١ / ٤٣٥ ، مرجع سابق .

(٣) : سورة المائدة ، الآية ١١٦ ، توجد لليوم طائفة نصرانية تعتقد بالوهية «مريم» ويسمون «المريميون» وكهان

النصارى يحاولون التقليل من أهمية هذه الطائفة لما يلغون بسببها من نقد شديد ، انظر في تقرير عقيدة

«المريمون» كتاب د أمجاد مريم والدة الإله الكلية القداسة الأب كورى ، طبع أورشلين عام ١٨٨٦ .

(٤) (٤) : سورة آل عمران، الآية ٥٩ .

●● المطلب الثاني - علاقة النصارى التاريخية بالمدينة في عصر النبي ﷺ :

تجدر الإشارة إليه أن ذكر النصارى ورد في كتاب الله تعالى وفي كثير من السور المدنية بتفصيل ، بحيث أوضحت هذه الآيات عقائدهم ، وما كان بينهم من خلاف ونزاع ، في عيسى عليه السلام وأمه والحواريين ، وقد جاء بعضها بأسلوب محبب وثناء جميل ، وفي بعضها تحذير وتنبيه وتنديد ، وفي بعضها جدل ومناظرة ، وحكاية صد وكيد ، وفي بعضها شيء من العنف وأمر بالقتال ، واستنفار إليه ، ومعنى هذا أن النبي ﷺ قد لقي في العهد المدني نصارى ودعاهم واحتك بهم ، وأن بعضهم أظهر روحا طيبة وتلقى الدعوة بالإقبال ، وأن بعضهم تردد أو نأى أو جادل وكابر ، وأن بعضهم قد صدر منه ما تجاوز حد الجدل والمكابرة إلى البغي والعدوان .

والآيات في النصارى وعقائدهم ومواقفهم في القرآن المدني أكثر وأصرح منها في القرآن المكي .

وهذا الفرق يلهم أن دائرة الاتصال بين النبي ﷺ والنصارى في العهد المدني كانت أوسع منها في العهد المكي ، كما يلهم أن المؤثرات التي كان يخضع لها النصارى الذين لقيهم النبي ﷺ واحتك بهم أكثر تنوعا ، وأن الذين لقيهم في العهد المكي كانوا أكثر مجردا عن الهوى والرغبات المادية ، وأكثر استعدادا بالتعبية للاستجابة إلى الدعوة والاندماج فيها وليس في القرآن ما يمكن أن يستند إليه في بيان كيفية وظروف ذلك الاتصال والاحتكاك . وهناك بيت من الشعر مروى من مرثية لحسان بن ثابت رضي الله عنه رثى بها النبي ﷺ وهو :

(١) هو : حسان بن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مائة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس أبو الوليد، ويقال : أبو الحسام، الأنصاري الخزرجي النجاري المدني ابن الفرعية، شاعر رسول الله ﷺ قال ابن سعد: عاش حسان ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام ، وأمه: الفرعية، بنت خنيس ، توفي حسان بن ثابت ٥٤هـ سنة ٤٠ قال ابن سعد توفي حسان في زمن معاوية، انظر الذهبي سير أعلام النبلاء ٢/ص٥١٢-٥٢٣.

فرحت نصارى يثرب ويهودها - لما توارى في الضريح الملحد^(١)
حيث يفيد هذا إن صح أنه كان في المدينة فريق من النصارى ظل على دينه إلى ما
بعد وفاة النبي ﷺ . وهناك رواية تذكر أنه كان في المدينة جالية من النصارى تسكن
في مكان يقال له سوق النبط^(٢) .

أما بالنسبة لمن هم من غير المدينة فقد ذكرت الروايات خبر وفود بعض النصارى
إلى المدينة من اليمن والحبشة . ومنهم من جادل وتمسك بنصرانيته ومنهم من أذعن
وصدق بالقرآن وبالنبي مما يمكن أن يكون نتيجة لانتشار صيت النبي ﷺ وأخباره في
العهد المدني أكثر منه في العهد المكي ، كما ذكرت خبر إرسال النبي ﷺ كتباً ورسلاً
إلى بعض الملوك والأمراء النصارى وخبر اتصالات كانت بين النبي ﷺ وسكان مشارف
الشام الذين كان أكثرهم أو كثير منهم من نصارى العرب الحضرمية والبدويين وأخبار
سرايا جهادية إليهم وأخبار إسلام بعض زعمائهم وقبائلهم . وفي سورة التوبة تفصيل
ظروف غزوة تبوك التي سميت في القرآن بيوم العسرة والتي كانت ضد أولئك السكان
بسبب ما بدأ منهم من عدوان .

وتجدر الإشارة إلى أنه وكما سبق القول ، فإن النصارى وإن كانوا من ناحية
المعتقد الديني يعتبرون الامتداد العقدي لليهود أي أنه يمكن القول بأن النصارى يهودا
آمنوا بالمسيح عيسى بن مريم الذي افتروا عليه حين جعلوه إلهاً لم يكن لهم أول أمر
الدعوة الوزن السياسي والاجتماعي الذي يعينهم على مواجهة الدعوة الإسلامية في
المدينة لأسباب خارجية خاصة بإخوانهم خارج المدينة وأسباب داخلية خاصة بهم في
المدينة، وستتناول أساليبهم في مواجهة الدعوة في الباب الأول من الدراسة إن شاء الله ،
لكن الذي نستهدفه هنا هو الوقوف على حجم ومدى علاقتهم بالمجتمع المدني والوقوف
على مقوماتهم وإمكاناتهم باعتبارهم من القوى التي خاصمت الدعوة في المدينة عصر
النبي ﷺ .

(١) : عزوا إلى ديوان حسان الذي نشره هرشفلد . ونبه على أن ابن هشام أورد مرثية حسان بروي، آخر .

(٢) جواد علي، "تاريخ العرب قبل الإسلام"، ج ٦، ص ٢٠٨ .

والذي يلفت نظر الدارس حول هذا الموضوع في ضوء مصادر التفسير والحديث والتاريخ والأدب وغيرها ، يمكنه أن يلحظ موضوع صلة النصارى التاريخية القديمة بيثرب قبل ظهور الإسلام لكنه وكما سبق القول لم تكن في مستوى صلة اليهود التاريخية بها فقد ذكر أن أبا قيس صرمة بن أبي أنس^(١) كان رجلاً قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ... وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها حتى قدم الرسول ﷺ المدينة ، فأسلم وحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قوالاً بالحق معظماً لله عز وجل في جاهليته ، وهو الذي يقول :

وله شمس النصارى وقاموا - كل عيد لربهم واحتفال
وله الراهب الحبيس تراه - رهن بئوس وكان ناعم بال^(٢)

والأبيات تشير إلى أن المسيحية وجدت سبيلاً إلى يثرب ، وأوجدت فيها من يميل إلى الرهينة وبينى الأديرة ، فهم يحدثوننا أن حنظلة الطائي فارق قومه ونسك وبنى ديراً بالقرب من شاطيء الفرات ويعرف هذا بدير حنظلة ، وترهب فيه حتى مات . ويذكرون

(١) هو قيس بن الحارث ، وقيل أبو قيس صرمة بن أبي أنس بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، وقيل مالك بن صفرة ، والصحيح هو أبو القيس صرمة بن أبي أنس ، كان رجلاً قد ترهب في الجاهلية ، وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة ، وهم بالنصرانية ، ودخل بيتاً له ، فاتخذ مسجداً لا يدخل عليه فيه طامث ولا خبيث ولا جنب ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم فاحسن إسلامه وهو شيخ كبير ، وكان قوالاً بالحق معظماً لله في الجاهلية ثم حسن إسلامه ، وانظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٢٩٨/٤ .

(٢) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، م ٢ ، ص ٥١٠ - ٥١١ ، ط دار الرفاق - بيروت .

أن عدى بن زيد^(١) نصح النعمان^(٢) ملك الحيرة حتى حجب إليه النصرانية^(٣). وكان أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان ، وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، وكان يقال له الراهب^(٤) .

وذكر ابن كثير في شرح آية " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ، يقال له الحصين، وكان له ابنان نصرانيان، وكان رجلاً مسلماً ، فقال للنبي ﷺ : ألا أستكرهما ؟ فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله في ذلك الآية، رواه ابن جرير^(٥) .

ولم يُفصل أهل الأخبار كثيراً عن النصرانية في يثرب ، مما يدل على أن النصرانية لم تكن قوية في المدينة ، كما أن تأثيرها داخل مجتمع المدينة لم يكن قوياً ، لكن الشواهد تؤكد أنه كان هناك وجوداً للنصارى في المدينة^(٦) .

وقد كان (أبو عامر) الراهب ممن اعتنق النصرانية ومن أهل يثرب ويظهر أنه كان قد تمكن من إقناع بعض شباب الأوس باعتناق دينه ، بدليل ما ذكره علماء التفسير من أنه لما خرج من يثرب مغاضباً للرسول ﷺ ، وذهب إلى مكة مؤيداً إياهم ومحرضاً لهم على محاربة الرسول ، أخذ معه خمسين أو خمسة عشر رجلاً من الأوس ، على ما ذكره علماء التفسير^(٧) .

(١) : عدى بن زيد الجذامي، يقال له صحبة، روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً في المدينة ، وفي اسناد حديثه اختلاف، ولم يحدد وقت وفاته، انظر تهذيب التهذيب ج١/٧/ص ١٥٢ .

(٢) : هو النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث الغساني: من ملوك الغسانيين في أطراف الشام ، كان مدحواً في الجاهلية كنيته «أبو كرب» ملك بعد أبيه نحو «سنة ٥٧٠م» وفاته كانت قبل الهجرة بنحو ٤٣ سنة انظر الزركلي الأعلام ٣٧/٨ .

(٣) : أحمد أمين ، " فجر الإسلام " ، ص ٢٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١٩٧٩ .

(٤) : ابن هشام، " السيرة النبوية " ، م ٢ ، ص ٥٨٤ .

(٥) : تفسير ابن كثير، م ١ ، ص ٤٦٥ .

(٦) : المصدر السابق ، نفس الموضع .

(٧) : انظر د. جواد علي ، " تاريخ العرب قبل الإسلام " ، ج ٦ ، ص ٥٨٩ - ٦٠٣ .

والآيات في النصارى وعقائدهم ومواقفهم من المجتمع المدني أكثر وأصرح منها في المجتمع المكي ، وسنعرض صور اختلاط المسلمين بالنصارى ومواقفهم في هذا العهد على حسب ما تلهم الآيات :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾^(١) .

وهناك آيات أخرى تخاطب أهل الكتاب مخاطبة تدل على وجودهم في المجتمع المدني : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرَّسُولِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾^(٢) .

يقول تعالى مخاطبا أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل إليهم رسوله محمدا ﷺ خاتم النبيين ، الذي لاني بعدة ولا رسول ، بل هو المعقب لجميعهم ، ولهذا قال : (على فترة من الرسل) أي بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾^(٤) .

" أي ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارى متابعون المسيح ابن مريم عليه السلام وليسوا كذلك أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول ﷺ ومناصرتة ومؤازرتة واقتفاء آثاره، وعلى الإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض ففعلوا كما

(١)(١) : سورة المائدة، الآية ٥١ .

(٢)(٢) : سورة المائدة، الآية ١٩ .

(٣) : تفسير ابن كثير، م ٢، ص ٥٧ .

(٤)(٤) : سورة المائدة، الآية ١٤ .

فعل اليهود، خالفوا المواثيق ونقضوا العهد، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَتَسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [المائدة: ١٤] أى فآلقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم البعض، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة^(١).
 وفى سورة الصف الآية التالية قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [١٤] ^(٢).

والآية بسبب دعوة المسلمين إلى الاقتداء بالحواريين في تأييدهم عيسى عليه السلام ونصرهم له، كما أنها تشير إلى ثناء الله على الحواريين وتشير إلى وجود صلة بين المسلمين والنصارى في عهد النبي ﷺ وتوضح الاختلاط الموجود فى هذا المجتمع بين المسلمين والنصارى^(٣).

والآية هنا تهدف إلى تصوير موقف لا إلى تفصيل قصة، والموقف هو في قوله تعالى: ﴿ كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] فانتدبوا لهذا الأمر ونالوا هذا التكريم، وعيسى عليه السلام جاء ليبشر بالنبي الجديد والدين الأخير فما أجدر أتباع محمد ﷺ أن ينتدبوا لهذا الأمر الدائم كما انتدب الحواريون للأمر الموقوف وكلها إشارات واضحة لوجود النصارى في المدينة.

وبداية أن يكون لهذا الوجود ولتلك الصلات وتتابع وفود النصارى تأثير في البيئة.

(١) : ابن كثير - تفسير القرآن العظيم، م، ٢، ص ٥٤ .

(٢) : سورة الصف، الآية ١٤ .

(٣) : محمد عزة دروزة، "سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم" ج ٢، ص ٢١٩ .

وهناك آيات أخرى تشير إلى مدى التأثير في المجتمع المدني في قوله تعالى:
﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ
النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴿١١﴾ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ (١١٣) ﴿ [البقرة: ١١٣] بين الله تعالى تناقضهم وتباينهم
وتعاديتهم وتعاندهم كما قال ابن اسحاق عن ابن عباس : لما قدم أهل نجران من النصارى
على رسول الله ﷺ فقال رافع بن حرملة^(١) : ما أنتم على شئ، وكفر بعيسى وبالإنجيل
وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شئ ووجد نبوة موسى،
وكفر بالتوراة^(٢) فأنزل الله في ذلك من قولهما ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى
شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ (١١٣) ﴿ [البقرة: ١١٣] .

" وهم يتلون الكتاب" أي وهم يعلمون شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت
مشروعة في وقت ولكنهم تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا ومقابلة للفساد بالفساد وقوله

(١) : سورة البقرة . الآيات ١١١ - ١١٣ .

(٢) : لم أعثر له على ترجمة.

(٣) : السيوطي.. «الدر المنثور في التفسير المأثور» ج١/٢٦٣ دار الفكر، بيروت، طبعة عام ١٤١٤هـ.

" كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم " قال السدي^(١) " كذلك قال الذين لا يعلمون " هم العرب قالوا : ليس محمد على شيء وقول السدي يشير إلى أن العرب في المجتمع المدني كانوا يتصلون باليهود والنصارى ويحضرون مناقشتهم ويستمعون إلى مجادلاتهم فيتأثرون نفسيا وفكريا وعقائديا حتى قالوا " ليس محمد على شيء " وهنا آيات أخرى تدل على أن النصارى كانوا منتشرين في المدينة ، لهم أثر محسوس في حياتهم الاجتماعية وإن كانوا أقل خطرا من اليهود وأنهم كانوا لا يستكبرون وأن في قلوبهم رافة ورحمة ، وأنهم كانوا ذوي أخلاق ومروءة قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِي—سِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٨٦) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٨٢) ﴿^(٢) " أي الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى مناهج إنجيلية فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة ، وما ذاك إلا لما في قلوبهم إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرافة " ^(٣) .

فهذا مشهد حي لهذه الفئة الخاصة من النصارى الذين هم أقرب مودة للذين آمنوا ، إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من هذا القرآن اهتزت قلوبهم ، ولانت مشاعرهم ، وفاضت أعينهم بالدمع ، دلالة على التأثير العميق بالحق الذي سمعوه ، ثم إنهم لا يخافون موقف التأثير فحسب ، بل يتقدمون خطوة أخرى : (يقولون ربنا آمنا فاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) .

(١) هو: اسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تاهمي: حجازي الأصل، سكن الكوفة قال فيه ابن تفرى بردي: صاحب التفسير والمغازي والسير. وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس. توفي عام ١٢٧هـ.

انظر الأعلام ج١ ص ٣١٧.

(٢) : سورة المائدة ، الآيات ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) : تفسير ابن كثير م ٢ ، ص ١٣٧ .

●● المطلب الثالث - حقيقة النصارى كما يسجلها القرآن الكريم :

قد تحدث القرآن عن عقيدة المسيح في أكثر من سورة موضحا أنها التوحيد الكامل : في الذات والصفات، والآيات تصرح أن عيسى عليه السلام - ما دعا إلا إلى ذلك التوحيد الكامل قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) ﴾ .^(١)

والآيات تتحدث بكل صراحة وجلاء أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد الكامل، وإنه ما كان إلا رسولا لله رب العالمين، وكل ما دخل من انحراف وتبديل في النصرانية قد كان بعد رفعه قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْهَبْ فِي السَّمَاءِ بِمَا أَنْزَلْنَا فِيهَا وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... (٥٥) ﴾ .^(٢) ويتدخل من الرهبان الذين أضافوا إلى الإنجيل من عند أنفسهم زاعمين أنه من عند عيسى ، وعيسى مما أضافوه براء .

والقرآن إذ يتحدث عن المسيح وكتابه الإنجيل يهدف إلى أنه حلقة من سلسلة النبوة المبشرة بمقدم النبي ﷺ، إضافة إلى أن الإنجيل اشتمل على هدى ونور وموعظة للمتقين في صورته التي نزلت على عيسى عليه السلام، وأنه كان على أتباع الإنجيل أن يحكموا بما أنزل فيه من هدى ونور قال تعالى : ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) ﴾ .^(٣) وهذه السلسلة

(١) : سورة المائدة، الآية ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) : سورة آل عمران ، الآية ٥٥ .

(٣) : سورة المائدة، الآية ٤٧ .

المتينة تمتاز بمراعاة الظروف والأوضاع المحيطة بكل أمة، ولذا امتازت (دعوة المسيح) عليه السلام بالزهد في الدنيا والابتعاد عن أسباب النزاع، والعكوف على الحياة الروحية، لأنها جاءت في وقت كانت اليهود تتغلغل في الحياه المادية، حتى أن بعضهم كان يفهم أن الحياه الدنيا هي غاية بنى الإنسان بل إن التوراة التي بأيديهم اليوم خلت من ذكر تفاصيل اليوم الآخر، فجاء المسيح عليه السلام مبشرا بالحياة الأخرى ، ومقررا أنها الحياة الثانية لهذا العالم بين أولئك الذين أنكروها ^(١) .

ونطق المسيح عليه السلام في المهدي ليكون كلامه إعلاما صريحا ببراءة أمه، وإنه لم يكن الا عبدا لله ولد من غير أب قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) ﴾ ^(٢) .

وفسر ابن كثير ^(٣) هذه الآيات في ضوء أقوال الصحابة، بحيث يوضح حقيقة النصرى ويزيل الغبش بما علق في قصة ولادة المسيح عليه السلام، نذكر طرفا منها : "قال إنني عبدالله" فأول شيء تكلم به أن نزه ربه تعالى وبرأه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لربه ^(٤) . .

(١) : محمد أبو زهرة، "محاضرات في النصرانية"، ص ١٢-١٤، ط دار عطوة للطباعة، سنة ١٩٨٢، نشر بدار الفكر العربي - القاهرة .

(٢) : سورة مريم ، الآيات ٣٠-٣٥ .

(٣) : هو إسماعيل بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام عام ٧٠١هـ وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ ورحل في طلب العلم وتوفي بدمشق عام ٧٧٤، تناقل الناس نصابه في حياته من كتبه «البداية والنهاية»، وشرح صحيح البخاري لم يكمله، وتفسير القرآن الكريم وغيرها كثير، أنظر: الزركلي، الإعلام ج١/ ٣٢٠ .

(٤) : تفسير ابن كثير : م ٣ ، ص ١١٧ .

وقوله " آتاني الكتاب وجعلني نبيا " تبرئة لأمه مما نسب إليها من الفاحشة، قيل :
لما قالوا لأمه ما قالوا كان يرتضع ثديها، فنزع الثدي من فمه واتكأ على جانبه الأيسر،
رقال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (٣٠) ﴿ [مریم : ٣٠] إلى قوله
﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٣١) ﴿ [مریم : ٣١] ^(١)

ولابد أن نشير هنا إلى السبب الذي من أجله ولد عيسى عليه السلام من غير أب
فإنه لابد أن يكون ذلك لحكمة يعلمها الله تعالى جلت قدرته وقد أشار إليها سبحانه
في قوله تعالى تعالت كلمته : ﴿ وَلَنَجْعَلُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾
(٢١) ﴿ [مریم : ٢١] ويقول سبحانه ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ
حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴾ (٧٢) ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣) ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٧٤)
﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ
الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّينُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٧٥) ﴿ ^(٢)

يقول تعالى حاكما بتكفير فرق النصارى بما قالوه من : أن المسيح هو الله "تعالى
الله" ، وتقديس عن قولهم علوا كبيرا، هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبدالله ورسوله،
وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد إذ قال : " إني عبد الله " . ولم يقل : إني
أنا الله ولا ابن الله، وقوله : " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة " . والصحيح أنها
أنزلت في النصارى خاصة قال مجاهد ^(٣) وغير واحد : ثم اختلفوا في ذلك فقبل : المراد

(١) : تفسير ابن كثير، نفس الموضع ، سورة مریم ، جزء من الآية ٣٠ .

(٢) : سورة المائدة ، الآيات ٧٢-٧٥ .

(٣) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بن مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة قال الذهبي: «شيخ القراء
والمفسرين» أخذ التفسير عن ابن عباس ويقال إنه مات وهو ساجد عام ١٠٣ هـ بمكة وهو ابن ٨٣ سنة.
انظر الاعلام ج ٥ ص ٢٧٨.

بذلك كفرهم في قولهم بالأقنيم الثلاثة، وهو أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا^(١).

هكذا حذرهم المسيح عليه السلام فلم يحذروا، ووقعوا من بعده فيما حذرهم من الوقوع فيه.

وبعد ذلك واجههم القرآن بالمنطق الواقعي الفطري، لعله يرد فطرتهم إلى الإدراك السليم مع التعجب من أمرهم في الإنصراف عن هذا المنطق بعد البيان والإيضاح قال تعالى:

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِاَكْلَانِ الطَّعَامِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَبِّينُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

فأكل الطعام مسألة واقعية في حياة المسيح عليه السلام وأمه صديقة، ودليل على بشرية المسيح وأمه، فأكل الطعام تلبية لحاجة جسدية لا مرء فيها، ولا يكون إلها من يحتاج إلى الطعام ليعيش، فالله حي بذاته قائم بذاته، باقي بذاته موصوف بصفات الجلال والكمال.

وتتردد هذه الحقيقة القرآنية كثيرا وما يؤيدها من منطق إلهي محكم في أكثر من موضع من الآيات المدنية، التي تؤكد بشرية المسيح عليه السلام، وتنزه الله سبحانه وتعالى عن كل ما يقول به النصارى من الباطل في مذاهبهم المختلفة، فما عيسى إلا رسول كسائر رسل الله ولا يستنكف أن يكون عبدا له سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [١٧١] لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ

- (١) : انظر، تفسير ابن كثير، ٢م، ص ١٣١.

فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ
لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣) ﴿١١﴾ .

وهناك آيات قرآنية كثيرة تسجل أن أهل الكتاب كانوا يؤلبون أفراد المجتمع
المدني على النبي ﷺ وكانوا يحاربون العقيدة الإسلامية، ويعملون فيها معاول الهدم
والتهوين، وينشرون الرشايات والفساد والتشكيك في جناب المجتمع المدني.

والآيات تسجل كذلك ضخامة الآثار التي كانت هذه الحرب تتركها في نفوس أبناء
هذا المجتمع، مما اقتضى ذكر جداله مرات ومرات في مواضع متعددة، على نحو ما
تصوره هذه الآيات الكريمة بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ
يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) ﴾ (١١) .
وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) ﴾ (١٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ
إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَأُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي
الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾ (١٣) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) ﴾ (١٤) .

(١) : سورة النساء، الآيات ١٧١-١٧٣ .

(٢) : سورة آل عمران، الآية ٢٣ .

(٣) : سورة آل عمران، الآية ٧١ .

(٤) : سورة آل عمران، الآية ٧٥ .

(٥) : سورة آل عمران، الآية ٩٨ .

وهكذا نرى أن اعداء المجتمع المدني لم يكونوا يحاربون في المدينة بالسيوف والرماح فحسب، ولم يكونوا يحاربون بالدس والتشكيك فقط وإنما كانوا يحاربون أولاً في عقيدته .

ولم تكن هذه الحرب الشعواء تشن بشكل فردي غير منظم، بل كانت تضطلع بها فئة إجتماعية ذات أهداف بعيدة المدى ، تسعى إلى زلزلة كيان المجتمع الإسلامي وتقويضه، من هنا كانت خطورتها القصوى وآثارها العميقة وخطتها المبيتة حيث كانت تحاك بدقة وأناة وخبث، لذا توالى في القرآن الكريم كشفها وتعريتها ومتابعتها والتنبيه إليها والعمل على ردعها والحوار معها بموضوعية ومنطق واضح حتى يأخذ عليها السبل من أقطارها فلا يكون لها أدنى أثر على مسيرة المجتمع الإسلامي الظاهرة .



المبحث الرابع المنافقون

●● المطلب الأول - تعريف النفاق :

النِّفاق - بالكسر - فعل المنافق يقال : ينافق منافقة ونفاقا .
أما أصله : فأهل اللغة فيه على قولين مشهورين .
أحدهما : أنه مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو أحد بابي جحره، وهو قول عامة
أهل اللغة ^(١) .

وأما وجه التشابه بين فعل المنافق وفعل اليربوع : فظاهر؛ فاليربوع يحفر جحره،
ويجعل له بابين : يسمى أحدهما القاصعاء، والآخر النافقاء؛ فإذا أتى من قبل الأول فر
إلى الثاني فضربه برأسه ثم خرج منه فقال : قد نفق ونفاق، وكذلك المنافق فإنه يدخل
الإسلام باللفظ ويخرج منه بالفعل ^(٢) .

وذكر ابن منظور ^(٣) أن النافقاء موضوع يرثقه اليربوع من جحره فإذا أتى من قبل
القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج .

فإذا رابه ريب أو رأى الصائد آتيا إليه من قبل القاصعاء وهو جحره الظاهر الذي
يقبع فيه أي يدخل، ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج. واستعمل هذا اللفظ في
الدلالة على ذلك الصنف من الناس الذي يقول إنه آمن بالله واليوم الآخر وما هو بمؤمن.
فكما أن اليربوع يكتم النافقاء ويظهر القاصعاء كذلك المنافق يكتم الكفر ويظهر الإيمان،

(١) : ابن قتيبة ، " تفسير غريب القرآن ، ص ٢٩ ، والفيروزآبادي ، " القاموس المحيط " ، مادة "ن.ف.ق" (١١٩٦)

، وابن منظور ، " لسان العرب " ، مادة "ن.ف.ق" ، ٣٥٨/١٠ مقاييس اللغة ٤٥٥/٥ .

(٢) : ابن قتيبة ، " تفسير غريب القرآن " ، ص ٢٩ ، والسيوطي . المزهرة ج ١/١٠١

(٣) : ابن منظور ، " لسان العرب " ، مادة "ن.ف.ق" ، ٣٥٨/١٠ .

أو يدخل في الشرع من باب ويخرج من آخر، ويناسبه من وجه آخر وهو أن النافق يرى كالأرض ظاهره تراب وباطنه حفرة، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر^(١).

وقيل إن المنافق مأخوذ من النفق وهو السرب تحت الأرض، ويراد بذلك أنه يستتر بالإسلام كما يستتر صاحب النفق فيه .

والزرقاني^(٢) في شرحه على المواهب لا يرى ذلك ويقول إن النفاق اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو فعل المنافق الذي يستتر كفره ويقبه بالإسلام كما يستتر الرجل بالنفق (بفتحيتين) وهو السرب في الأرض له مخرج من موضع غير الذي يدخل إليه منه^(٣) ويستطرد الزرقاني ويقول قيل إن النفاق اشتق من هذا، وقيل من نفاق اليربوع إذا دخل قاصعائه وخرج من نفاقائه وأنه بالعكس فان حجر اليربوع النافق والقاصعاء والرهطاء^(٤).

ومن هنا يتجلى وجه التشابه بين فعل المنافق وفعل اليربوع؛ فإن ظاهر جحره تراب وباطنه حفرة، وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر^(٥).

أما في الاصطلاح الشرعي فهو إظهار الإيمان وستر الكفر . وفي تقرير ذلك وتوضيحه يقول ابن كثير رحمه الله (النفاق : هو إظهار الخير وإسرار الشر وهو نوعان :
- اعتقادي ، وهو الذي يخلد صاحبه في النار .

- وعملي ، وهو من أكبر الذنوب لأن المنافق يخالف قوله، فعله، وسره علاقته .

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوي ج٧/٣٠٠

(٢) هو: محمد عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري الأزهري المالكي، أبو عبد الله. وخاتمة المحدثين بالديار المصرية، وله مؤلفات في الحديث وعلومه، وشروح لبعض كتب العلماء منها شرح موطأ للإمام مالك مولده ووفاته بالقاهرة ١٠٥٥-١١٢٢هـ، ونسبته لعلها زرقان (من قرى منوف بمصر).

(٣) : الزرقاني .. (المواهب) ج١/٣٨٦.

(٤) : الزرقاني .. (المواهب) ج١/٣٨٧.

(٥) : لسان العرب مادة نفق ج٣/٦٩٤ طبعة عام ١٣٨٩هـ دار لسان العرب، بيروت.

وتفسير غريب القرآن، لابن قتيبة ص(٢٩)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة: [ن.ف.ق] (١١٩٦)، ولسان العرب، لابن منظور، مادة: [ن.ف.ق] (٣٥٨/١٠)، مقاييس اللغة (٤٥٥/٥).

والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام بهذا المعنى المخصوص.
وحاصل عبارات العلماء في تعريفه يمكن إرجاعها إلى أن النفاق هو : إظهار الإيمان
وإبطان الكفر .

فالقضية تدور إذن على معنى الإظهار والإبطان وعدم اتفان المعلن مع المخفي،
وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكفر والإيمان.

فأصل اللفظ في اللغة معروف عند العرب، لكن استخدام لفظ النفاق للتعبير عن
الدخول في الإسلام من وجه والخروج منه عقيدة أو عملاً من وجه آخر لم يكن معروفاً عند
العرب حتى جاء الإسلام فأعطى للفظ معناه الاصطلاحي الذي شاع واشتهر بعد ذلك^(١) .

(١) : انظر: ابن تيمية ، مجموع الفتاوي ج٧/٣٠٠

●● المطلب الثاني - ظهور النفاق في المدينة :

علة ظهور تلك الظاهرة في المدينة واضحة؛ فالنبي ﷺ والمسلمون الأولون في مكة لم يكونوا من القوة والنفوذ في حالة تستدعى وجود فئة من الناس ترهبهم أو ترجو خيرهم، فتتملقهم وتتزلف إليهم في الظاهر، وتتآمر عليهم وتكيد لهم وتمكر بهم في الخفاء، كما كان شأن المنافقين بوجه عام؛ ولقد كان أهل مكة وزعمائها خاصة يناوئون النبي جهاراً، ويتناولون من استطاعوا من المسلمين بالأذى الشديد ويقاومون الدعوة بكل وسيلة دون ما محرز أو تحفظ، وكانت القوة لهم حتى اضطروا المسلمين إلى الهجرة فرارا بدينهم ودمهم إلى الحبشة، أولاً ثم إلى يثرب، وحتى فتن بعضهم عن دينه بالعنف والإكراه، أو بالإغراء والتهوؤش وحتى تزلزل بعضهم وتبرم ووافق المشركين وحتى مات بعض من ناله الأذى ممن ثبت على دينه نتيجة للتعذيب .

أما في المدينة فقد كان الأمر مختلفاً جداً. فالنبي ﷺ استطاع قبل أن يهاجر إليها أن يكسب أنصاراً أقوياء من الأوس والخزرج، ولم يهاجر إلا بعد أن استوثق من موقفهم، ولم يبق تقريباً بيت عربي فيها لم يدخله الإسلام^(١) ، ففي هذه الحالة لم يكن من الهين أن يقف الذين لم يؤمنوا به - إما عن جهالة وغباء، وإما عن غيظ وحقد وعناد لأنهم رأوا في قدوم النبي حداً لنفوذهم وسلطانهم^(٢) . موقف الجحود والعداء العلني للنبي والمسلمين من المهاجرين والأنصار وكان للعصبية في الوقت نفسه أثر غير قليل في عدم الوقوف هذا الموقف لأن سواد الأوس والخزرج أصبحوا أنصار النبي ومرتبطين به بمواثيق الدفاع والنصر، ثم إن جلهم قد حسن إسلامهم وغدوا يرون في النبي رسول الله

(١) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، ج٢ ، ص ١-٣ .

(٢) : في ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، ج٣ ، ص ١٣٥ ، أن الخزرج كانوا مزمعيين المناداة بعبد الله بن أبي زعيم المنافقين ملكا عليهم قبيل الهجرة، وأنه حقد على النبي لأن قدومه حال دون ذلك.

وقائدهم الأعلى الواجب الطاعة ومرشدهم الأعظم الواجب الاتباع^(١)، فلم يكن يسع الذين ظلت تغلبهم نزعة الشرك ويتحكم فيهم مرض القلب والمكابرة والحقد، مناوأة النبي ﷺ على نفوذه أو أن يظهروا على ما في نزعتهم وعدائهم، ولم يكن أمامهم إلا التظاهر بالاسلام والقيام بأركانه والتضامن مع قبائلهم، وجعل مكرهم وكيدهم ودسهم ومؤامرتهم بأسلوب المراوغة والمآربة والخداع والتمويه، وإذا كانوا وقفوا أحيانا مواقف علنية فيها كيد ودس فعليها طابع من النفاق^(٢).

ولقد كانت مواقف المنافقين ومكائدهم بعيدة المدى والأصل على ما تلهم الآيات المدنية، حتى لكأنه نضال قوي يذكر بما كان من نضال بين النبي ﷺ وزعماء مكة وإن اختلفت الأدوار والنتائج، إذ أن النبي لم يلبث أن أخذ مركزه يتوطد وقوته تزداد ودائرة الإسلام تتسع وصار صاحب سلطان وأمر نافذ وجانب عزيز وإذا لم يكن المنافقون كتلة متضامنة ذات شخصية خاصة بارزة وكان ضعفهم وضآله عددهم وشأنهم يسيران سيرا متناسبا عكسياً مع ما كان من تزايد قوة النبي ﷺ واتساع دائرة الإسلام، وتوطد عزته وسلطانه^(٣).

ويكفي لأن يشعر المرء بخطورة الدور الذي قام به المنافقون، وخاصة في أوائل العهد، أن نلاحظ أن المنافقين كانوا اقرباء نسبيا بعصبياتهم التي كانت ما تزال قوية الأثر في نفوس سواد قبائلهم، كما أنهم لم يكونوا مفضوحين فضيحة تامة، ولم يكن الإسلام قد رسخ في هذا السواد رسوخا كافيا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان محوطا بالمشركين الجاحدين من كل جانب، وأهل مكة خصومه الألداء، وهم قبلة الجزيرة يتربصون به الدوائر ويتحينون كل فرصة ووسيلة للقضاء عليه، واليهود في المدينة وحولها قد تنكروا له منذ عهد مبكر وتطيروا به، ثم جاهره بالكفر والعداء والمكر

(١) : انظر: اللواء الركن محمود شيت خطاب «الرسول القائد» دار العلم، دمشق عام ١٩٦٤ صفحة ٢٩١.

(٢) : انظر السيوطي «أسباب النزول» ص ٥-٧.

(٣) : انظر الطبري : تاريخ، ج ٦/٤٠٦.

والكيد، ولم يلبث أن انعقد بينهم وبين المنافقين حلف طبيعي، والتضامن في موقف المعارضة والكيد، حتى ليتمكن القول إن المنافقين لم يقروا وثبتوا ويكون منهم ذلك الأذى الشديد والاستمرار في الكيد والدس إلا سبب ما لقوه من اليهود من تعضيد، وما انعقد بينهم من تضامن وتوافق، ولم يضعف شأنهم ويخف خطرهم إلا بعد أن أمكن الله للنبي من هؤلاء وأظهره عليهم وكفاه شرهم^(١).

والآيات التي تتضمن أوصاف وأخبار ومواقف المنافقين والحملات عليهم كثيرة جدا، حتى لا تكاد تخلو سورة مدنية منها وخاصة الطويلة والمتوسطة؛ وهذا يعني أن هذه الحركة ظلت طيلة العهد المدني تقريبا، وإن كانت أخذت تضعف من بعد نصفه الأول وهي متنوعة المدى والدلالات^(٢).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن النبي ﷺ لم يعتبر المنافقين أعداء محاربين فلم يقاتلهم فعلا كما كان شأنه مع الكفار المشركين، لا سيما أن حرب النبي لهؤلاء إنما كان لبدئهم بالعدوان واستقرارهم فيه، وحربه لليهود إنما كان لمثل ذلك، وغزوته لتبوك بسبيل التنكيل بسكان المشارف الذين كان غالبهم نصارى، وتسييره سرايا على هذه المشارف واشتباكها بحرب مع النصارى فيها إنما كان كذلك لعدوان سابق؛ ولم يكن حال المنافقين على كل حال يشبه حال كفار العرب أو اليهود أو النصارى المحاربين^(٣).

إن النبي ﷺ قد اعتبر ما جاء في الآيات القرآنية بمثابة توجيهات متروك إليه تقدير ظروف تنفيذها والسير فيها بما يوافق مصلحة الإسلام والمسلمين، لاسيما أن بعض الآيات الواردة في هذا الصدد قد تخللتها جمل تلهم معنى التعليق على شرط مثل جمل قوله تعالى ﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٤] و ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ ﴾

(١) : ابن خلدون «العبر» ج٢/١٣٦، وابن هشام «السيرة» ج٢/١٤٩.

(٢) : الواقدي «الغازي» ج١/١٢١.

(٣) : الطبري «تاريخ» ج٢/٣٥٤.

وَأَقْتُلُوهُمْ ﴿ [النساء: ٨٩] ﴿ وَإِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً ﴿ [التوبة: ٦٦] [١] إلخ ... كما تخلل الآيات الواردة في شأنهم إشارات إلى أنهم كانوا يصومون مع الجماعة وكان يؤدون الزكاة - مع وصف ذلك بأنه وقع كرها ورياء - وكانوا يحلفون الأيمان على حسن نيتهم وصدق إسلامهم ، فرأى أن يعاملهم بسعة صدر وحلم وصبر إلى النهاية، لما كان بينهم وبين كثير من المخلصين من روابط القرى والرحم ورأى أن خلاف هذه الخطة قد يفتح في صفوف الإسلام ثغرات واسعة، ويشير أزمات داخلية حادة (٢) ، لاسيما أنه كان مطمئن القلب بوعد الله بالنصر النهائي، وإظهار دينه على الدين كله، وقد أخذ يرى منذ أوائل النصف الثاني من العهد المدني وبعد ما ضعفت شوكة اليهود ، وهو الوقت الذي صار في إمكانه من جهة مادية شن حرب عملية عليهم مأمونة عواقبها بعض الأمان ، أن صوتهم بدأ يخفت، ونشاطهم يخمد، وعددهم يقل، وتزلفهم يشدد، ومدارثهم تزداد، وخوفهم يبدو واضحا، وربما ندم منهم كثيرون فعادوا إلى حظيرة الحق والإسلام الصحيح فكانت هذه الظواهر مما ثبتته في خطته ورأى فيها الصواب والمصلحة (٣).

أما الثالثة فهي أن الآيات الواردة في حق المنافقين ومرضى القلوب، تلهم روحا أو مضمونا أو روحا ومضمونا في آن واحد، وأن جريمة النفاق إنما قام بها وتولى كبرها أفراد من البارزين في قومهم وعشائرتهم قليلا أو كثيرا، بل إننا لنكاد نقول استلهاما من

(١) : القرطبي «تفسير» ج١/١٩٥/

(٢) : في روايات السيرة أن عبد الله بن أبي هو الذي قال " لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل " و " لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا " وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذن النبي ﷺ بقتله فأبى قائلا ما مفاده : لا أريد أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه أنظر : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/٣٣٥ ، وأن عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول رضى الله - وكان مخلصا - جاء إلى النبي ﷺ فقال له يا رسول الله إن كنت قاتل أبي فأمرني أنا أقتله ولا تأمر غيري لأني لا أطيق أن أرى قاتل أبي، فأقتله فأكفر، فأجابه النبي ﷺ قائلا بل نعفر ونصبر عنه ، ويلفظ ابن هشام «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا» السيرة النبوية ج٣/٣٣٧.

(٣) : ابن الأثير «الكامل» ج٢/١٣٨.

روح الآيات ومضمونها أن معظم أفراد هذه الفئة من تلك الطبقة وإنه إذا كان اندمج فيها أناس من طبقة السواد أو العامة فإنهم لم يكونوا كثيرين وإنما انساقوا فيها بتأثير أولئك، ومن ناحية زعامتهم وعصبية الأرحام التي تربط بينهم، أو من ناحية الإغراء والمنفعة^(١). وهذا بديهي كما هو المتبادر؛ لأنه ليس لأفراد من السواد مصلحة في مناوأة حركة اندمج فيها غالب قومهم، إيماناً وتصديقاً وإخلاصاً وجهاداً ثم مصلحةً وكياناً، كما أنه قلما يكون في هؤلاء من يظن أنه أعقل من أن يندمج في حركة اندمجت فيها الكثرة وإن الذين اندفعوا في مناوأتها واغتاظوا منها وحقدوا عليها لا يمكن أن يكونوا إلا أفراداً من البارزين الذين يمكن أن يتواهموا فيها ضرراً وخطراً على مركزهم ومصالحهم، وأن يأنفوا لكرامتهم ولما يتوهمونه في أنفسهم من عقل من الاندماج فيها، ولقد كان لليهود يد قوية في هذه الحركة كما ذكرنا، فالذين أخذوا على عاتقهم مهمة تغذية هذه الحركة وتنميتها لا يمكن أن يتصلوا بشأنها إلا مع أمثال هؤلاء كما لا يخفى^(٢).

كذلك نريد أن نشير إلى ما كان من انقسام المسلمين في الرأي فيهم؛ فقد جاء في سورة النساء الآيات التالية قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَذُؤا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)﴾^(٣).

إذ تلهم الآية الأولى أن المسلمين كانوا منقسمين في الرأي في المنافقين، منهم يحسن الظن بهم ويعتذر عنهم ويأمل في ارعوائهم، ومنهم من لا يرى ذلك، ولقد ذكرت

(١) : انظر أحمد موسى سالم "لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب" صفحة ١٨٨-١٨٩، طبعة

خامسة عام ١٩٨٠م، دار الجليل، بيروت.

(٢) : الاستيعاب ج٣/٩٤١، مرجع سابق.

(٣) : سورة النساء، الآيات ٨٨، ٨٩.

الروايات أنها بحق منافقي المدينة الذين خذلوا المسلمين في غزوة أحد، كما ذكرت أنه بحق فريق من البدو أعلنوا إسلامهم ولكنهم لم يتضامنوا مع المسلمين في الجهاد والهجرة، وبعض الروايات قال إنها بحق الفريق الذي تخلف في مكة ولم يهاجر، والرواية الأولى قد تصح إذا دلت كلمة " يهاجروا " بمعنى يجاهدوا أو يخلوا وقد أولها غير واحد من المفسرين هذا التأويل^(١).

ومع احتمال وجاهة الروايتين الآخرين فإننا نرى الرواية الأولى - بقطع النظر عن ظرف غزوة أحد - بهذا التأويل من أوجه، لأن اختلاف المسلمين في الرأي في المنافقين أكثر احتمالاً بالنسبة لمنافقي المدينة، وقد يكون في الآية الثانية تدعيم لهذا أيضاً، إذ تذكر كفرهم، وتذكر تمنيتهم أن يكفر المسلمون مثلهم، وهذه صفات وصف بها منافقوا المدينة على ما ورد في آيات التوبة، لاسيما أن المتخلفين عن الهجرة في مكة لا يوصفون بصفة النفاق . والأمر بقتلهم حيث وجدوا إذا تولوا ولم يخلصوا ليس من شأنه أن يضعف توجيهنا بأن المقصودين هم منافقوا المدينة، فقد ورد في آيتي الأحزاب ٦٠-٦١ صراحة أن المقصودين هم منافقوا المدينة إذا لم ينتهوا^(٢).

وقد احتوت الآية الثانية حكم الله في هذا الخلاف، وفيه تأييد للمتشددين في أمرهم وبيان لمواقع حالهم من الارتكاس في الفتنة والكفر والضلال .

والذي نرجحه أنه كان للعصبية الاجتماعية والمصالح المشتركة الوثيقة أثر فيما كان من رأي التسامح الذي أبداه الفريق الأول^(٣)، كما نرجح أن المنافقين كانوا يستغلون هذه الروابط القوية المؤثرة فيما كان منهم من مواقف دس وكيد وتشكيك وسخرية وعدم تضامن مما احتوت صورته آيات كثيرة، ثم في الإطمئنان، من عدم الوقوف منهم موقف

(١) : السيوطي « الدر المنثور في التفسير المأثور » ج٢/٦٠٩، ٦١٠.

(٢) : السيوطي « الدر المنثور في التفسير المأثور » ج٢/٦٦٣، ٦٦٤.

(٣) : ابن هشام « السيرة النبوية » ج٣/٣٣٧.

الشدة والغلظة رغم ما كان منهم من مواقف شديدة الأذى والكيد، فاقترضت الحكمة نزول الآيات بالحكم الحاسم والأمر الشديد حتى يسد الباب أمام هذا الاستغلال ويقف المسلمون موقفاً واحداً ورأياً واحداً منهم وهو موقف الشدة والتكفير إذا لم يتوبوا ويخلصوا .

ولقد احتوت إحدى آيات سورة النساء وهي هذه بقوله تعالى :

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١٤٠) ﴿^(١) .

شينا من التدعيم لما قررناه من هذا الأثر، إذ تلهم أن بعض المسلمين لم يستطيعوا أن يمنعوا أنفسهم من التردد على مجالس الزعماء المنافقين، والإغضاء عما يدور فيها من كفر وهزء بآيات الله ونبيه، فأمروا بعدم مجالستهم أثناء الخوض في مثل ذلك على الأقل .

ومن هنا تبدو لنا ناحية من حكمة الخطة النبوية في المنافقين . ولما كانت الخطة المذكورة قد استمرت إلى آخر العهد النبوي أو أواخره، فإن هذا يسوغ القول إن فريقاً من المسلمين ظل على رأيه في العطف على ذوى قرياه منهم والاعتذار عنهم وأمله في ارعوائهم، وظل متأثراً بالعصبية والقراية والمصلحة، وإن النبي ﷺ رأى من الحكمة أن يستمر في خطته تلك وخاصة حين وادع ﷺ بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم حين رجع إلى المدينة بعد تلك المواقعة ولم يلق كيدا^(٢) .

ولقد أمر النبي ﷺ في آية التوبة هذه بقوله تعالى :

(١) : سورة النساء، الآية ١٤٠ .

(٢) : الطبري - تاريخ ج ٢/٤٠٦ .

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨٤) .^(١)

وقد نزلت هذه الآية في أواخر العهد المدني ، أي في ظروف غزوة تبوك ، بعدم الصلاة على من يموت منهم وهو ثابت على نفاقه وكفره، مما يلهم أن النبي كان يستجيب الى طلب ذوي قرى المنافق فيصلى عليهم إذا ماتوا ويدعو لهم .
وهذا من الدلائل والبراهين التي تقوم شاهداً على أن رسول الله ﷺ لم يكن يميل إلى الشدة في مواجهة خصوم الدعوة، ما لم يارسوا ضده وضد مجتمع المؤمنين مكرراً وخبثاً في أساليبهم القولية والعملية، وإعلانهم المسلمين بالحرب والصدام .

(١) : سورة التوبة . الآيات ٨٤ .

●● المطلب الثالث - علامات النفاق وأنواعه :

من المعارضين للدعوة الإسلامية في المدينة في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، المنافقون، وهم الذين كانوا يظهرون الإسلام كذبا ويبطنون الكفر حقيقة، وقد أخبر القرآن الكريم عن صفاتهم السيئة وأعمالهم العدوانية ضد الرسول عليه السلام وضد المسلمين لكي يأخذ المسلمون الحذر والحيطه منهم حيث يندسون بين المسلمين، ويتسترون بالإسلام لكي يعبكوا المؤامرات، والمكائد في الخفاء ولا يخلو أي مجتمع من المجتمعات من أمثالهم، وهؤلاء لا يفتنون خطراً على الإسلام من الكفار الذين أعلنوا كفرهم جهاراً فعرفهم المسلمون وحذروا منهم .

وتجدر الإشارة إلى أن المسلمين في مكة لم يدخلوا في معارك قولية أو فعلية، مع عناصر منافقة حيث لم يكن في مكة نفاق ولا منافقون، وإن كان النفاق قد وقع من بعض أهل مكة، كما تشير بعض الآيات من سورة العنكبوت وهي من أواخر القرآن في العهد المكي، إلا أن هذا النوع من النفاق لم يكن يمثل خصومة أو خطورة على الدعوة يقول تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [العنكبوت : ١٠، ١١] ^(١)، فهذه الآيات من سورة العنكبوت المكية، من أواخر التنزيل المكي الذي نزل قبيل الهجرة وقد نزلت سورة المطففين في مكة باستثناء الآيات من ١-١١ منها فهي مدنية، فالنص في الآيات من سورة العنكبوت للتدبر على أرجح أقوال أهل العلم بعلوم القرآن ^(٢) فيظهر أن هذا النص أول نص نزل في شأن المنافقين. وتعرض له بعض بيسان ^(٣). وورد في سبب النزول ما روي من أنه نزل بشأن فريق بمكة، وكان حالهم مع

(١) : انظر : محمد الطاهر بن عاشور «التفسير» ج٦/١٧٥.

(٢) : أبو نعيم الأصبهاني «صفة النفاق ونعت المنافقين» طبعة دار الكتب المصرية صفحة ١٢٣ و القرطبي - أحكام القرآن، ج٢/٩٨٣ .

(٣) : انظر ابن تيمية مجموع الفتاوي ج٧/٣٥٠.

المشركين حال من لا يصبر على الذي يتعرض له، فكانوا إذا لحقهم أذى تأثروا بالأذى فأعطوهم ما يريدون منهم في الباطن، وحافظوا على انتمائهم للإسلام في الظاهر، وكان سبب هذا النفاق الذي نجحت بداياته في مكة ضعف الإيمان والمحرص على الأموال والمساكن والمصالح الدنيوية في مكة هذا ما تلهم به المصادر وما تشير اليه القرائن عن وجود نفاق ومنافقين في المرحلة المكية.^(١) لكن مع وجود هذه الفئة فهي فئة قليلة جداً ومرجع ذلك إلى أن الإسلام في مكة لم تكن له دولة ولا قوة، وكذلك لم تكن له عصبية يخشاها أهل مكة بل على العكس كان الإسلام مضطهدا، وكان المسلمون مطاردين وكانت الدعوة كذلك مطاردة ولم يكن يدخل في الإسلام إلا الذين كانوا صادقين في إيمانهم مضحين في سبيل ذلك بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، لكن الأمر بعد الهجرة النبوية إلى المدينة تغير كثيرا إذ انتشر الإسلام انتشارا عظيما وأصبح له قوة فاضطر لمصانعتها عدد كثير وخاصة بعد غزوة بدر والتي أكرم الله المؤمنين فيها بالنصر على الكافرين، فوجد المنافقون وعلى رأسهم (عبد الله بن أبي ابن سلول) فرصة سانحة لهم وهى إظهار الإسلام كذبا وإخفاء الكفر حقيقة وهذه الفرصة هي المصالح المادية التي يحصلون عليها ثم الكيد والمكر بالإسلام والمسلمين^(٢). وكان المنافقون أحد المحاور أو المراكز المعادية التي تربصت بالإسلام فتعاونوا مع اليهود، وأخذوا يدبرون مخططاتهم الخبيثة ومكائدهم في الخفاء ضد الإسلام والتي كان القرآن يخبر الرسول عليه السلام عنها ويبين له خداع وكذب المنافقين ويوضح نواياهم أولا بأول، وقد سمى الله في القرآن سورة باسمهم وهى سورة (المنافقون) تكفل الله فيها، وفي غيرها من آيات الكتاب العزيز بكشف أساليب المنافقين القولية والفعلية بحيث لا ينفذون إلى صميم العمل الإسلامي في سبيل الدعوة، وأن لا يتمكنوا من إعاقة سيرها وانطلاقتها.

(١) : ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» ج٢/٦٨.

(٢) : انظر أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بتحقيق السيد عبد العال السيد ابراهيم ، طبع قطر طبعة أولى عام ١٤١١-١٩٩١ الجزء الرابع عشر صفحة ٤٥٩.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا خلاف بين أهل العلم على أن النفاق يعد أحد الأمراض الخطيرة التي تصيب القلوب فتمرضها وتضعفها - على أحسن الأحوال - ثم لا يلبث الداء أن يعم ويغلب على القلب فيقضي عليه قضاءً مبرماً قال ابن جرير - يرحمه الله - والمنافقون أصناف عشرة في براءة قال : فالذين في قلوبهم مرض صنف منهم .^(١) بل إن كبير المنافقين ورأسهم عبد الله بن أبي بن سلول^(٢) إنما حمله على النفاق في مبدأ الأمر تمكن شهوة حب الرياسة والزعامة في قلبه، بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى منها ؟ فإذا به يفاجأ بقدوم النبي ﷺ إلى المدينة سيداً لها وحاكماً لمن فيها، فلما رأى الأمر كذلك لم يستطع إعلان الكفر والمناظرة لأنه سيصبح بلا أعوان يساندونه، ولم يستطع قبول الحق والالتقياد له وهو يرى بقلبه المريض رياسته تزول وملكه يهد، ولما يستو على سوقه، فاتخذ الإيمان ستاراً وشعاراً وأبطن الكفر في داخله .

وكان - لمرض قلبه - لا يقبل من النبي ﷺ أي توجيه أو نصح، يدل على ذلك ما رواه أسامة بن زيد - رضی الله عنه - قال : ركب النبي ، حمارا عليه إكاف^(٣) ، تحته قطيفة فدكية^(٤) . وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج، وذاك قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود فيهم عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت

(١) : الطبري: « جامع البيان » (٣/٣٣٣).

(٢) هو ابن أبي بن مالك بن الحارث، بن عبيد بن مالك بن سالم، وأمه: خولة بنت المنذر، بن حزام، بن عمرو بن زيد بن مناة، ابن النجار، وسلول امرأة من خزاعة، كان سيد الخزرج قبل الإسلام، فلما قدم النبي المدينة أظهر الإسلام، ووافق حسداً وبغياً، وأقام على كفره- انظر : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/١٩٨، وابن سعد «الطبقات الكبرى» ج٢/٤٨، ج٣/١٦٥، ج٣/٥٤٠ الطبري «تاريخ» ج٢/٦٠٦، البيهقي «دلائل النبوة» ج٤/٥٣.

(٣) : الإكاف : هو للحمار بمنزلة السرج للفرس .

(٤) : قطيفة فدكية : القطيفة : دثار مخمل ، جمعها : قطائف ، وقطف . وفدكية : منسوبة إلى فدك ، بلدة معروفة على مرحلتين أو ثلاث من المدينة ، والحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب» حديث رقم ٤٥٦٦ ج٣/٢٠٤.

وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ وصره على أذى المنافقين، حديث رقم ١١٦.

المجلس عجاجة الدابة^(١)، خمر^(٢) عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال : لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي ﷺ، ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء لا أحسن من هذا ان كان ما تقول حقا فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحه: إغشنا، في مجالسنا فإننا نحب ذلك، قال : فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ، يخفضهم ثم ركب حمارا عليه اكاف تحته قطيفة فدكية حتى دخل على سعد بن عبادة فقال : " أي سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ يريد عبد الله بن أبي - قال: كذا وكذا، . قال : اعف عنه يا رسول الله واصفح. فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البجيرة^(٣) أن يتوجوه، فيعصبوه بالعصابة^(٤)، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك^(٥)، فذلك فعل به ما رأيت . فعفا عنه النبي ﷺ " ^(٦) .

وقد بينت رواية البخارى^(٧) - رحمه الله - أن ابن أبي أظهر الإسلام لما نصر الله رسوله، ﷺ، يوم بدر فأظهر الإسلام نفاقاً وأبطن الكفر حقيقةً.

(١) : عجاجة الدابة : ما ارتفع من غبارها .

(٢) : خمر أنفه : غطاء .

(٣) : البجيرة : بضم الباء على التصغير . قال القاضى : وروينا فى غير مسلم : البجيرة ، بكرة ، وكلاهما بمعنى ، وأصلها القرية ، والمراد بها : مدينة النهى ، صلى الله عليه وسلم ، انظر : صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الجهاد والسير - ج ١٢٧/١٥٧ ، دار الفكر - بيروت . كما يقال : البجرات أو البجران اسم لموضعين فى المدينة . الفيروزآبادي « المغانم المطابة فى ذكر معالم طابة » ص ٥٠ ، ٢٠١ تحقيق حمد الجاسر طبع دار اليمامة عام ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

(٤) : فيعصبوه بالعصابة : معناه اتفقوا أن يعينوه ملكهم ، وكان من عادتهم إذا ملكوا إنساناً أن يتوجوه ويعصبوه .

(٥) : شرف بذلك : أي غص . ومعناه : حسد النهى ، صلى الله عليه وسلم ، وليبيان شرح الحديث واستخراج معانى كلماته انظر فتح البارى (٧٨/٨ - ٨٠) ومسلم بشرح النووي (١٥٨/١٢ ، ١٥٩) .

(٦) : أخرجه البخارى - كتاب التفسير ، باب « ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » . حديث رقم (٤٥٦٦) ج ٣ / ٢٠٤ وأخرجه مسلم - كتاب الجهاد ، باب دعاء النهى ، ﷺ ، وصيره على أذى المناقنين ، حديث رقم (١١٦) .

(٧) : كتاب التفسير حديث رقم (٤٥٦٦) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإن ابن أبي كان مظهراً لطاعة النبي ﷺ والإيمان به وكان كل يوم جمعة يقوم خطيباً في المسجد يأمر اتباع النبي ﷺ، ولم يكن ما في قلبه يظهر إلا لقليل من الناس إن ظهر، وكان معظماً في قومه، كانوا قد عزموا أن يتجوهه ويجعلوه مثل الملك عليهم، فلما جاءت النبوة بطل ذلك، فحمله الحسد على النفاق، وإلا فلم يكن له قبل ذلك دين يدعو إليه، وإنما كان هذا في اليهود، فلما جاء النبي ﷺ، بدينه وقد أظهر الله حسنه ونوره مالت إليه القلوب لاسيما لما نصره الله يوم بدر^(١) .

فإن المعنى الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظ النفاق هو معنى الكفر والتكذيب وعدم الإيمان والتصديق بدين الله ورسالة نبيه ﷺ، كما قد أسلفنا عند التعريف الشرعي للنفاق إذ هو إبطان الكفر وإظهار الإيمان .

وإذن فالأصل أن لفظ النفاق لا يطلق عاما إلا إذا أريد به هذا المعنى الذي يخرج بحامله من دائرة الإسلام بالكلية، ويدخله في زمرة الكافرين الذين ينتظرهم عذاب جهنم وبئس المصير.. أما النفاق الآخر الذي هو غير هذا الكفر الصريح فهو الذي يتمثل في ذلك النوع من السلوك الذي كان يخشاه المسلمون على أنفسهم ويتمثل في شدة تحري الصحابة وسؤالهم عن أنفسهم، هل عدهم النبي ﷺ، من جملة المنافقين الذين أخبر بهم حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه ؟ وقد كان من هؤلاء الذين يخشون النفاق على أنفسهم بعض أكابر الصحابة كعمر وعلي وعائشة وأبو هريرة - رضي الله عنهم - ولا يعقل أن يكون النفاق الذي خافه أولئك الصحابة على أنفسهم هو إبطان الكفر والتكذيب والشك وإظهار خلافه من الإيمان والتصديق واليقين، فإن هؤلاء الكرام قد عدلهم الله، وأثنى عليهم ورضي عنهم، واختارهم لصحبة نبيه ﷺ، ونصرته، وحمل دينه وهم يعلمون ويوقنون ببراءتهم من هذا النفاق المخرج من الملة، فتعين إذن أن يكون مقصودهم نوعا آخر غير هذا النوع من النفاق .

(١) : مجموع الفتاوى (٧/٢٨٠) .

قال ابن أبي مليكة ^(١) : " أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ ، كلهم يخاف النفاق على نفسه ، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل " ^(٢) .

قال الحافظ ابن حجر ^(٣) - رحمه الله : " والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلمهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة ، وعقبة بن الحارث والمسور بن مخرمة ، فهؤلاء ممن سمع منهم ، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء كعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص . وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك فكأنه إجماع ، وذلك لأن المؤمن قد تعرض عليه عله في عمله ما يشويه مما يخالف الإخلاص ، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم ، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رضى الله عنهم " ^(٤) .

وقال ابن حجر : " وقال أحمد بن حنبل ^(٥) في كتاب الإيمان : حدثنا روح بن

(١) : عبد الله بن عبيد أبي مليكة التيمي المكي : قاض ، من رجال الحديث الثقات ولاء ابن الزبير قضاء الطائف . وتوفي سنة ١١٧هـ رحمه الله تعالى ، انظر الاعلام ج٤ ص ١٠٢ .

(٢) : رواه البخارى تعليقا في صحيحه (١/١٣٥ - فتح البارى) كتاب الإيمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله .

(٣) : هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد ، المعروف بابن حجر ، الكنانى ، العسقلانى ، الشافعى ، المصرى ، ولد في شعبان سنة ٧٧٣هـ في منزل كان يقع على شاطئ البحر في مصر ، وكناه أبوه (بأبي الفضل) ولقبه (بشهاب الدين) وشهرته (ابن حجر) ومات والده وهو في الرابعة من عمره ، وماتت أمه قبل ذلك وهو طفل ، وتولى تربيته زكي الدين ، واعتنى به غاية الاعتناء (العناية) فأدخله المكتب بعد خمس سنوات من عمره ، وحفظ القرآن وله ٩ من عمره ، وسافر مع زكي الكتاب إلى مكة ، وله مناقب ، وطلب الحديث والفقه وتبحر في العلوم ، كما أن له مصنفات منها تاريخ ابن حجر ، وتهذيب التهذيب وغير ذلك ، كثير جداً ، توفي في القاهرة سنة ٨٥٢هـ ، انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج١ ص ٢٦٠ .

(٤) : فتح البارى (١/١٣٦) .

(٥) : هو أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني الوائلى : إمام المذهب الحنبلى وأحد الأئمة الأربعة ، أصله من مرو ، وكان أبوه والى سرخس وولد ببغداد سنة ١٦٤هـ فنشأ منكبا على طلب العلم ، وسافر في سبيله أسفارا كبيرة إلى الكوفة والبصرة ، ومكة والمدينة واليمن والشام والشعور والمغرب والجزائر والعراق وفارس وخراسانا والجبال والأطراف له مُصنفات كثيرة منها المسند في ستة مجلدات يحتوي على ثلاثين ألف حديث ، توفي رحمه الله سنة ٢٤١هـ انظر الزركلى الاعلام ١/٢٠٣ .

عبادة^(١) : أنه سمع من هشام عن الحسن^(٢) يقول : والله ما مضى مؤمن ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق وما أمنه إلا منافق^(٣) وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه.^(٤)

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حقيقة النفاق الذي خافه الصحابة على أنفسهم فقال : " فالإسلام يتناول من أظهر الإسلام وليس معه شيء من الإيمان وهو المنافق المحض .

ويتناول من أظهر الإسلام مع التصديق المجمل، في الباطن ولكن لم يفعل الواجب كله لا من هذا ولا من هذا، وهم الفساق يكون في أحدهم شعبة نفاق .

ويتناول من أتى بالإسلام الواجب وما يلزمه من الإيمان ولم يأتِ بتمام الإيمان الواجب، وهؤلاء ليسوا فساقاً تاركين فريضة ظاهرة، ولا مرتكبين محرماً ظاهراً، لكن تركوا من حقائق الإيمان الواجبة علماً وعملاً بالقلب وقياماً ببعض الجوارح ما كانوا به مذمومين . وهذا هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم، فإن صاحبه يكون فيه شعبة نفاق^(٥) .

ومن الأدلة كذلك ما رواه مسلم^(٦) في صحيحه عن حنظلة الأسدي وكان من كتاب

(١) روح بن عبادة بن العلاء القيسي، أبو محمد: محدث، ثقة من أهل البصرة. وصنف كتباً في السنن والأحكام.

وجمع تفسيراً، وروى عنه أئمة، منهم أحمد بن حنبل وتوفي سنة ٢٠٥ هـ . رحمه الله تعالى.

(٢) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجانات النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الفزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تنصب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إنني قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لي أعواناً يعينوني عليه. فأجابته الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريد، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله. أخباره كثيرة، وله كلمات سائر وكتاب في «فضائل مكة-خ» توفي بالبصرة. انظر الزركلي، الأعلام ٢٢٦/٢.

(٣) أخرجه صحيح البخاري . كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ج ٢١/١ رقم الحديث ٣٧.

(٤) : مجموع الفتاوى (٤٢٨/٧) .

(٥) هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين : حافظ من أئمة الحديث . ولد بنيسابور سنة ٢٠٤ هـ ورحل إلى الحجاز ومصر. والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور. أشهر كتبه «صحيح مسلم» جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمس عشرة سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة في الحديث، توفي -رحمه الله- سنة ٢٦١ هـ. انظر الزركلي، الأعلام، ٢٢١/٧، ٢٢٢.

رسول الله ﷺ قال : " لقيني أبو بكر^(١) فقال : كيف أنت يا حنظلة^(٢) ؟ قلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ ، يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنهما رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر : فوالله إنا لنقل مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : " وما ذاك ؟ " قلت : فذكر مثل ما قال لأبي بكر فقال رسول الله ، ﷺ : " والذي نفسى بيده ، أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة " ثلاث مرات^(٣) .

حنظلة - رضي الله عنه - لم يكن يقصد أن النفاق الاعتقادي ، قال النووي^(٤) قوله : (نافق حنظلة) معناه أنه خاف أنه منافق ، حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ ، ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة ، فإذا خرج اشتغل

(١) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التميمي القرشي ، أبو بكر الصديق أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال . وكان رفيق رسالته وجهاده وثاني اثنين إذ هما في الغار وأبو زوجته (عائشة) وخليفته من بعده ولد بمكة قبل الهجرة بـ ٥١ سنة ومات بالمدينة سنة ١٣هـ وله في الصحيحين (١٤٣ حديثاً) انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٢/٢٢٤-٢٢٨ ، ج٣/٢١٤ والطبري تاريخ الأمم والملوك ج٢/٣٥٠ وما بعدها .

(٢) هو : حنظلة بن الربيع وقيل ابن ربيعة - والأول أكثر - بن صفي بن رباح التميمي يكنى أبا رعي ، ويقال له حنظلة الأسدي والكاتب لأنه كان من كتاب النبي ﷺ ، شهد القادسية ونزل الكوفة وتخلف عن علي يوم الجمل ، ونزل مرقيسيا - بلد على الفرات - ومات بها في خلافة معاوية رضي الله عنهم . انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري بتحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا وآخرين ج٢/ ص ٦٥ ط / دار الشعب ، والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج١/ ص ٣٥٩-٣٦٠ .

وانظر أيضا الاعلام ، ج٢/ ص ٢٨٦ .

(٣) : أخرجه صحيح مسلم - كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ، ج٤/٢١٠٦ حديث رقم (٢٧٥٠) ، أخرجه الترمذي - كتاب صفة القيامة ، باب [٥٩] حديث رقم (٢٥١٤) وقال : حديث حسن صحيح .

(٤) هو : يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوزاني ، النووي ، الشافعي ، أبو زكريا ، محي الدين : علامة بالفقه والحديث . مولده سنة ٦٣١هـ في نوا (من قرى حوزان ، بسوريا) واليه نسبته ، وفيها توفي أيضاً سنة ٦٧٦هـ من كتبه : تهذيب الأسماء واللغات) و(منهاج الطالبين) و(المنهاج في شرح صحيح مسلم) ، وغيرهما كثير . انظر : الزركلي ، الاعلام ، ١٤٩/٨ ، ١٥٠ .

بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتتم خلاقه من الشر، فخاف أن يكون ذلك نفاقاً فأعلمه النبي ﷺ، أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك^(١).

ولشيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) - رحمه الله - عبارات كثيرة توضح أن النفاق أنواع متعددة، فهناك النفاق المحض، وهناك نفاق العمل، وهناك من تده مادتان : مادة إيمان، ومادة نفاق، وهو لما غلب عليه منهما، قال : "وقد بين تفاضل المؤمنين في مواضع أخر، وأنه من آمن بالإيمان الواجب استحق الثواب، ومن كان فيه شعبة نفاق وآتى بالكبائر فذاك من أهل الوعيد، وإيمانه ينفعه الله به، ويخرجه به من النار ولو كان مثقال حبة خردل، لكن لا يستحق به الاسم المطلق والمتعلق به وعد الجنة بلاعذاب، وتمام هذا أن الناس قد يكون فيهم من معه شعبة من شعب الإيمان، وشعبة من شعب الكفر أو النفاق ويسمى مسلماً كما نص عليه أحمد^(٣) أ.هـ.

والمعنى أن هذا الرجل لا يسمى مؤمناً ولا منافقاً وإنما هو مسلم، فوجود النفاق عنده حال دون إطلاق الإيمان عليه، ووجود الإيمان عنده حال دون تسميته منافقاً محضاً . وقال أيضاً : "المقصود أن خير المؤمنين في أعلى درجات الجنة، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، وإن كانوا في الدنيا مسلمين ظاهراً تجرى عليهم أحكام الإسلام الظاهرة، فمن كان فيه إيمان ونفاق يسمى مسلماً، وليس هو المنافق المحض، وإذا كان نفاقه لم يستحق اسم الإيمان، بل اسم المنافق أحق به، فإن ما فيه بياض وسواده أكثر من بياضه هو باسم الأسود أحق منه باسم الأبيض كما قال تعالى : "هم للكفر يومئذ أقرب للإيمان".

(١) : مسلم بشرح النووي (١٧/٦٥، ٦٦)، ط : المطبعة المصرية بالأزهر .

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم المحض النميري الحراني الدمشقي الحنيلي، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية. الإمام شيخ الإسلام. ولد في حران سنة ٦٦١ هـ وتحول به أبوه إلى دمشق فتيغ واشتهر. مات معتقلاً بقلمة دمشق سنة ٧٢٨ هـ، فخرجت دمشق كلها في جنازته، آية في التفسير والأصول فصيح اللسان أفتى ودرس وهو دون العشرين تصانيفه ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، رحمه الله، انظر الزركلي الأعلام ١/١٤٤.

(٣) : مجموع الفتاوى (٧/٣٥٠).

وأما إذا كان إيمانه أغلب ومعه نفاق يستحق به الوعيد لم يكن أيضاً من المؤمنين الموعودين بالجنة^(١) .

وفى الحديث المتفق عليه "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"^(٢) .

وقد أجمع العلماء على أن المسلم قد تنطبق عليه بعض هذه الصفات أو كلها ومع ذلك لا تخرجه من الإسلام، ومعلوم أن أهل السنة والجماعة لا يكفرون مسلماً بذنب ولا كبيرة مالم يستحلها، وبالتالي فلا يمكن أن يكون المقصود بالنفاق في هذا الحديث النفاق الذي يخرج بصاحبه عن الإسلام، ويدخله في دائرة الكفر، وإلا تعين وصف مخلف الوعد وخائن الأمانة، وكاذب الحديث بالكفر والنفاق، وهذا مالم يقل به أحد من علماء السلف والخلف، فلا بد إذن أن يكون النفاق المقصود في الحديث نوعاً آخر من النفاق غير النفاق الكفري .

هذا وقد حكم بعض الصحابة على أعمال هي دون الكفر بأنها نفاق فدل على أنهم لا يعنون بها النفاق الكفري وإنما يعنون بها نوعاً آخر من النفاق .

مثال ذلك : قال الحافظ ابن حجر : "وفى رواية عمرو بن الزبير^(٣) عند الحارث بن

(١) : مجموع الفتاوى (٣٥٢/٧) .

(٢) : أخرجه البخارى - كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ، حديث رقم (٣٤) ، ج١٧/١٧ وأخرجه أيضاً فى كتاب المظالم ، باب إذا خاصم فجر ، حديث رقم (٢٣٢٧) .

وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ، حديث رقم (١٠٦) ، ج٧٨/١٨

وأخرجه أبو داود - كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصه ، حديث رقم (٤٦٨٨) ، ج٢٢٠/٤

وأخرجه الترمذى - كتاب الإيمان ، باب ما جاء فى علامة المنافق ، حديث رقم (٣٦٣٢) .

(٣) هو: عمرو بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي أبو عبد الله المدني. وأمه: أسماء بنت أبي بكر، وروى عن أبيه وأخيه وخلقه كثير. وروى عنه أولاده وأحفاده وكثير من الناس، وقال ابن سعد فى الطبقات كان عمرو ثقة كثير الحديث فقيها عالماً ثابتاً مأموناً، وقال ابن عبيبة عن الزهري كان عمرو يتألف الناس على حديثه، وقال ابن المدينى مات عمرو احدى أو اثنتين وتسعين . انظر تهذيب التهذيب ١٦٣/٧ ط١/٧٧

أبي أسامة^(١) والبيهقي^(٢) قال : أتيت ابن عمر فقلت : إننا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء فيتكلمون في شيء نعلم أن الحق غيره فنصدقهم . فقال : كنا نعد هذا نفاقاً فلا أدري كيف هو عندكم^(٣) .

وأصل القصة عند البخاري قال : "قال أناس لابن عمر : إننا ندخل على سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم به ... " قال : كنا نعدّها نفاقاً"^(٤) .

فحكّمه - رضی اللہ عنہ - بأن هذا العمل يعد نفاقاً عند الصحابة مع عدم شكه في إبطان السائل للكفر وإظهاره للإيمان دليل على أن مقصوده نوع آخر من النفاق غير النفاق الكفري .

فهذه هي الإشارة الثالثة .

والخلاصة التي يمكن أن نخرج بها من هذه الإشارات الثلاث أن النفاق ينقسم إلى قسمين رئيسين : أحدهما : نفاق مخرج من الإسلام ، لأنه يعني أن صاحبه يعتقد الكفر في قلبه وبطنه ، فيصح أذن أن نسميه : نفاق الاعتقاد . وهو النفاق الأكبر لعظمه وخطورته ، ولسوء مصير صاحبه إذ هو في الدرك الأسفل من النار .

وثانيهما : نفاق لا يخرج من الإسلام ، ويرتبط ببعض الأعمال التي يظهر فيها ما لا يبطن مع سلامة معتقده وصحة إسلامه فيمكن إذن أن نسميه : نفاق العمل لارتباطه بأعمال الجوارح وليس بمعتقدات القلوب . وهكذا فإن شأنه أصغر ، وخطره أقل من سابقه ، فيصح أن يسمى : النفاق الأصغر .

(١) الحارث بن محمد بن أبي أسامة ذاهر التميمي : من حفاظ الحديث . له «مسند» لم يرتب . مات سنة ٢٨٢ هـ رحمه الله . انظر الاعلام ج٢ ص ١٥٧ .

(٢) هو : أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر : من أئمة الحديث . ولد في قرية من قرى بيهق ، بنيسابور / سنة ٢٨٤ هـ . ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرها ، وطلب إلى نيسابور ، فلم يزل بها إلى أن مات سنة ٤٥٨ هـ . صنف زهاء ألف جزء منها : (السنن الكبرى ، والسنن الصغرى ، و(دلائل النبوة) وغيرها . انظر : الزركلي ، الاعلام ، ١١٦/١ .

(٣) : فتح الباري (١٧٠/٣) وأخرجه البيهقي في السنن (١٦٥/٨) .

(٤) : أخرجه البخاري ، كتاب الأحكام ، باب ما يكره من ثناء السلطان ، حديث رقم (٧١٧٨) .

وبهذا يزول الإشكال أو التعارض الذي ينشأ عند عدم التفريق بين هذين النوعين
وضرب النصوص بعضها ببعض دون الوقوف على معانيهما الحقيقية .

قال شيخ الإسلام : "والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق، ولهذا كثيرا ما يقال : كفر
ينقل عن الملة، وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر، ونفاق أصغر"^(١) .

وقال أبو بكر بن العربي^(٢) : "النفاق في القلب هو الكفر، وإذا كان في الأعمال
فهو معصية"^(٣) .

قال الإمام ابن القيم^(٤) عن النفاق : "وهو نوعان : أكبر، وأصغر . فالأكبر :
يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر . وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به . . ." ^(٥) .

ومما جاء في مناظرة شيخ الإسلام ابن تيمية مع ابن المرحل^(٦) قوله^(٧) : "والنفاق
يطلق على النفاق الأكبر الذي هو إضمار الكفر، وعلى النفاق الأصغر الذي هو اختلاف
السر والعلانية في الواجبات"^(٨) .

(١) : ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٢٤/٧) .

(٢) : محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر، أبو بكر ابن العربي ولد في إشبيلية عام
٤٦٨هـ، وهو قاض، من حفاظ الحديث ورحل إلى المشرق وبرع في الأدب وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين وله
مؤلفات في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ وولي قضاء إشبيلية ومات بقرب فاس، ودفن بها
عام ٥٤٣هـ رحمه الله.

(٣) : القرطبي - أحكام القرآن (٩٨٣/٢) .

(٤) : هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، من كبار العلماء مولده
في دمشق سنة ٦٩١هـ، ووفاته فيها سنة ٧٥١هـ، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو الذي هذب كتبه ونشر
علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، له تصانيف كثيرة منها: (إعلام الموقعين)، و (إغاثة اللهفان) و(زاد
المعاد) وغيرها كثير. انظر : الزركلي، الأعلام، ٥٦/٦ .

(٥) : ابن القيم - مدارج السالكين (٣٤٧/١) .

(٦) : هو مالك بن عبد الرحمن بن فرج بن أزرق، أبو الحكم، ابن المرحل من موالى بني مخزوم مصمودي الأصل أديب
من الشعراء من أهل مالقة، ولد بها سنة ٦٠٤هـ وولي القضاء بجهات غرناطة وغيرها وكان من الكتاب وله كتب
كثيرة وعاش هو بين ستة وقاس وتوفي بقاس عام ٦٩٩هـ رحمه الله، انظر الاعلام... ج٥ ص ٢٦٣ .

(٧) : أي قول شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر مجموع الفتاوى ج١١/١٣٩ .

(٨) : مجموع الفتاوى (١٤٠/١١) .

وهذا النوع من النفاق - نفاق الاعتقاد - هو الذي وقع على عهد النبي ﷺ، من قبل المنافقين الذين كان على رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، فقد كانوا قبل مقدم رسول الله ﷺ، إلى المدينة في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، ويعبدون الأوثان، ويتقربون إليها، ويكفرون بالواحد الديان، فلما أذن الله لنوره بالانتشار في المدينة ودخل عامة أهلها في دين الله خاف اولئك القوم، فأظهروا الإيمان بأفواههم، وبقي الكفر والحق في قلوبهم، وفي خشية أن تدور الدوائر عليهم، كما كان بعضهم يخشى أن لا يتم الأمر لمحمد ﷺ فيدور الأمر عليهم من أعلانه، فكانوا يتوددون اليهم^(١) وفي هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٤١) ﴿^(٢) .

فأخبر سبحانه بكفر قلوبهم وعدم إيمانهم نطقهم بما يقتضيه الإيمان والتصديق، فصح عليهم بذلك وصف نفاق الاعتقاد المخرج من الملة^(٣) .

وقد فضحهم الله وأخزاهم، وكشف أخبارهم، وهتك أستارهم في سور وآيات من كتابه الكريم، وصفت أحوالهم، وكذبت أقوالهم، وأبانت مافي قلوبهم وما يتحدثون به إذا خلا بعضهم إلى بعض، ثم استمرت هذه الآيات في السخرية والتهكم بهم لتصل إلى بيان سوء مآلهم، وفضاعة مصيرهم، وأن النار مأواهم وينس المصير بسبب نفاقهم في الاعتقاد وإبطانهم للكفر الصريح الذي يجعل صاحبه يكره الإسلام، ونبي الإسلام، وأهل الإسلام، فيفرح بما يسوؤهم، ويسوؤه ما يفرحهم قال تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (٥٠) ﴿^(٤) .

- (١) : فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي - التفسير الكبير - الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢/١٦ دار الكتب العلمية - بيروت طبعة أولى عام ١٤١١-١٩٩٠.
- (٢) : سورة المائدة، الآية ٤١ .
- (٣) : القرطبي - أحكام القرآن ج٢/٩٨٣ .
- (٤) : سورة التوبة، الآية ٥٠ .

هذا الحال الذي كان المنافقون عليه زمن النبي ﷺ، هو الدليل الذي يدور يتكرر كلما وجد النفاق الاعتقادي في قلب رجل ما أو جماعة ما من الناس ليلفت إليه الأنظار، ويحول إليه الأبصار .

وإن كان من جديد يمكن أن نضيفه في هذا المطلب فهو أن جميع آيات الكتاب العزيز التي تناولت النفاق وصفات أهله وحكمهم في الدنيا والآخرة إنما تناولت النوع الأكبر من النفاق وهو النفاق الاعتقادي دون النوع الأصغر وهو النفاق العملي^(١) .

وعدم تعرض آيات الكتاب العزيز للنفاق العملي يزيد القول بأن النفاق إذا أطلق فإنما يعني إبطان الكفر وإظهار الإيمان، أي نفاق الاعتقاد، أما إذا أريد الحديث عن نفاق العمل فلا بد من تقييد ذلك بوصف، أو قيده، بحال يدل على مقصود المتكلم .

وسنرى إن شاء الله في الباب الأول من هذه الدراسة وفي الفصل المتعلق بأساليب المنافقين القولية والعملية من أي صنف من أصناف المنافقين، كان المنافقون في العهد المدني .



(١) : انظر ابن تيمية مجموع الفتاوى ج١١ / ١٤٠، ١٤٣، والبخاري كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله حديث رقم ٤٨.

الباب الأول

أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني

وفيه أربعة فصول :

- الفصل الأول: أساليب المشركين في العهد المدني .
- الفصل الثاني: أساليب اليهود في العهد المدني .
- الفصل الثالث: أساليب النصارى في العهد المدني .
- الفصل الرابع: أساليب المنافقين في العهد المدني .

الباب الاول
اساليب خصوم الدعوة في العهد المدني
الفصل الاول
اساليب المشركين في العهد المدني
المبحث الاول
اساليب المشركين القولية في العهد المدني

تمهيد:

من نافلة القول أن نشير الى أن المشركين قد استنفدوا معظم أساليبهم القولية ضد الدعوة وطوال ثلاثة عشر عاما في مكة، من التكذيب بالدعوة وبالوحي، وبالنبى، مع محاولات الاحراج والتشكيك، والجدل والمراء والادعاء بأن النبى ﷺ، ساحر وشاعر ومجنون، وأنه تلقف ما يدعيه من اليهود والنصارى فإنهم قطعوا الشوط الأعظم من أساليبهم القولية في خصومتهم للدعوة في مكة، عندما طرحوا أمام الدعوة مفترياتهم التي أخبر عنها الذكر الحكيم، والتي منها في ضوء ما أنبا الله تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴿١١﴾ .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٠٣) ﴿١٢﴾ .

(١) الفرقان : ٤-٥

(٢) النحل : ١٠٣

والافتراء بمعنى الكذب ذكر هذا الرازي^(١)،^(٢) في تفسيره وقبله الطبري^(٣)،^(٤) وغيرهما.

وقال ابن منظور^(٥) : فكان مرادهم أن تؤدي هذه الشبهة إلى نفي ما أخبرهم به النبي ﷺ ، إن هذا القرآن من عند الله وتؤكد زعمهم أن النبي ﷺ افتراه واختلقه من عنده أو تلقاه من غيره ونسبه إلى الله^(٦) كذلك زعموا بأن هذا القرآن أساطير الأولين فقال سبحانه ﴿... حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾^(٧).

وقال تعالى :

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾^(٨)

- (١) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله فخر الدين الرازي قرشي النسب وأصله من طبرستان ومولده في الري وإليها نسبته ويقال له «ابن حطيب الري». وله مصنفات كثيرة منها مفاتيح الغيب طبع في ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم وغيره. وكان واعظا بارعا باللغة العربية والفارسية وتوفي في هراة عام ٦٠٦هـ رحمه الله تعالى. انظر الإعلام ج٦/٣١٣.
- (٢) : الرازي (التفسير الكبير) ٥٠/٢٤.
- (٣) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في أمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ، وعرض عليه القضاء فامتنع والمظالم فأبى. له: «جامع البيان في تفسير القرآن» ويعرف بتفسير الطبري وغير ذلك. انظر: الزركلي، الأعلام، ٦٩/٦.
- (٤) الطبري «تفسير»، ج٣٠٥/١٦٦ طبعة دار المعرفة بيروت عام ١٩٦٣ تحقيق الإبياري. وانظر محمد رشيد رضا. تفسير المنار ج٣١٥/٦. والزمخشري تفسير الكشاف ج٤٤/٢٤ طبعة دار المعرفة، بيروت عام ١٩٦٦.
- (٥) هو: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الروضعي الإقريطي، صاحب لسان العرب: الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر سنة ٦٣٠هـ (وقيل في طرابلس الغرب)، ولي القضاء في طرابلس وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة ٧١١هـ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد وعمي في آخر عمره. انظر: الزركلي، الأعلام، ١٠٨/٧.
- (٦) : ابن منظور (لسان العرب) ج٢، وانظر (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني، وانظر محمد رشيد رضا (تفسير المنار) ج١٦٢/١. والزمخشري (تفسير الكشاف) ٤٢/٢.
- (٧) : سورة الأتعام - الآية ٢٥.
- (٨) : سورة الفرقان: الآية ٥

قال الراغب :

(أساطير الأولين أي شيء كتبوه كذبا ومينا فيما زعموا)^(١)

وفي اللسان :

(الأساطير جمع أسطورة كأحدثة وأحاديث وأرجوحة وأراجيح)^(٢)

وكذلك اتهموا النبي ﷺ بالجنون- وقد أعاده الله تعالى منه - فقالوا كما أخبر

الحق عنهم:

﴿ وَيَقُولُونَ أَنَّا لِتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (٣٦) ﴿^(٣)

وقال تعالى :

﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ (١٤) ﴿^(٤)

وقال تعالى :

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتْرِبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٢٥) ﴿^(٥)

كذلك حاول المشركون في مكة وصف الرسول عليه الصلاة والسلام بأوصاف ليست

فيه إنما قالوها كذبا ليبعدوا الناس عن الإيمان، ومن هذه الأوصاف قولهم ما حكاه عنهم

القرآن وهو : ﴿ وَيَقُولُونَ أَنَّا لِتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (٣٦) ﴿^(٦) (٧)

ويقول ابن كثير كانوا يقولون : أنترك عبادة آلِهتنا وآلهة أبائنا عند قول هذا

الشعر المجنون، يعنون بذلك الرسول عليه الصلاة والسلام .^(٨)

(١) : الراغب الأصفهاني «المفردات في غريب القرآن» ج١/٩٣

(٢) : ابن منظور «لسان العرب» ج٣/٢٨٨

(٣) : سورة الصافات الآية ٣٦

(٤) : سورة الدخان الآية ١٤

(٥) : سورة المؤمنون الآية ٢٥

(٦) : (ابن هشام (السيرة) جزء ١٢/١٩٢-٢٤٣، ٢٤٤-٢٦٥) و(تفسير ابن كثير) أول سورة المؤمنون و (السيرة

لابن اسحاق) من ١٨١-١٨٢، ١٨٩-١٩٤، وتفسير الرازي ٢/٢٠٥. و(تفسير التحرير والتنوير) لابن عاشور

٢٠٠/٧.

(٧) : الصافات : آية ٣٦.

(٨) : ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» ج١/٦٤

فهذا إخبار من الله عن تعنت الكفار والحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن
وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحراً، وتارة شعراً، وتارة أضغاث أحلام، وتارة جنون.^(١)

قال تعالى :

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ قَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ (٢٠)﴾^(٢)

وفي ضوء تلك المقدمات التي تُفصح عن تعدد جوانب المواجهة التي حارب بها
المشركون الدعوة في الفترة المكية حيث القوة والغلبة لقريش والمسلمون أصحاب دعوة لا
يملكون في مكة قوة، والهدف عند مشركي قريش صد وصرف الناس عن الدعوة
وصاحبها عليه السلام لذا تنوعت الأساليب القولية أما في العهد المدني فإن أساليبهم
القولية يمكن الحديث عنها في الأساليب الآتية .

□ □ الأسلوب الأول: (أسلوب التهيب):

لم يكتفِ المشركون بما قاموا به ضد الدعوة من ضروب الأذى في مكة، بل زادهم
غيظاً أن فاتهم المسلمون ووجدوا لهم مأمناً ومقراً وقوة في المدينة فكتبوا الى عبد الله
بن أبي بن أبي سلول، : «إنكم أويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لنقاتلنه، أو لتخرجنه ، أو
لنسيرن اليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم. ونستبيح نساءكم»^(٣). ويمجد بلوغ هذا
الكتاب قام عبد الله بن أبي ليمثل أوامر إخوانه المشركين من أهل مكة، ومارس دوره
في عمليات النفاق التي قادها وأحكم خيوطها ضد الدعوة.

هذا وقد تمثل أسلوب التهيب من قبل المشركين ضد الدعوة أبرز تمثل عقب هزيمتهم
يوم بدر، ذلك أنه لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجعت فلولهم
إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب^(٤) بعيره؛ مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة

(١) : ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» ج٣/١٧٣

(٢) : سورة الطور آية ٣٠.

(٣) : انظر : أبو داود - باب خير النصير. وانظر : ابن سعد «الطبقات» ج٣/٥٤٠

(٤) : هو صخر بن أمية القرشي المكي أبو سفيان. له صحبة أسلم ليلة الفتح. وكان شيخ مكة إذ ذاك ورئيس قريش،
وقد حسن إسلامه، وشهد حنيناً وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية. وقال له: والله إنك
لكريم. فذاك أبي وأمي . وشهد الطائف . وفقت عينه يوم اليرموك مات بالمدينة سنة ٣١هـ أو ٣٢هـ وعمره
ثلاث وتسعون أو ثمان وثمانون سنة. وصلى عليه عثمان - رضي الله عنهما. انظر بن حجر الاصابة في تمييز
الصحابة ١٢٧/٥ ، ١٣٠ وابن الأثير ، أسد الغابة، ١٢/٣ ، ١٣.

بن أبي جهل^(١)، وصفوان بن أمية^(٢)، في رجال من قريش ممن أصيب أبائهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا : يامعشر قريش، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا.^(٣)

قال ابن إسحق: ففيهم- كما ذكر لي بعض أهل العلم- أنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٦) ﴿٤﴾

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير بأحابيشها، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة.

وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله ﷺ يوم بدر^(٥)، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة، وكان في الأسارى، فقال : يارسول الله، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها، فامنن عليّ ﷺ، فمن عليه رسول الله ﷺ، فقال له صفوان بن أمية : ياأبا عزة، إنك امرؤ شاعر، فأعنا بلسانك، فأخرج معنا، فقال : إن محمداً قد من عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه، قال : فأعنا بنفسك، فلك عليّ إن رجعت أن أغنيك وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر، فخرج أبو عزة يسير في تهامة، ويدعو بني كنانة، ويقول:

أنتم حماة وأبوكم حـام	إيها بني عبد مناة الرزّام
لا تسلموني لا يحل إسلام	لا تعدوني نصركم بعد العام

(١) هو: عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي: من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ. وأسلم عكرمة بعد فتح مكة. وحسن إسلامه، فشهد الوقائع، وولى الأعمال لأبي بكر واستشهد في اليرموك، أو يوم مرج الصفر، سنة ١٣هـ وعمره ٦٢ سنة رضي الله عنه.

(٢) انظر الاعلام... ج٤ ص ٢٤٤.

(٣) : ابن هشام «السيرة» ج٣/٣.

(٤) : سورة الأنفال : الآية ٣٦.

(٥) : ابن هشام - السيرة ج٢/٥-٣٠٦ بتصرف.

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة
يحرصهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فقال :

يا مال مال الحسب المقسدم أنشد ذا القربى وذا التذم
من كان ذار رحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم^(١)

وفي هذا المناخ المشحون بالكراهية ضد الدعوة تنوعت أساليب والوان التهريب،
وعلى أمل إشاعة الرعب في قلوب المسلمين . فقد دعا جبير بن مطعم، غلاما له حبشيا،
يقال له : وحشي، يقذف بحرية له قذف الحبشة ، قلما يخطيء بها، فقال : أخرج مع
الناس فإن أنت قتلت حمزة عم النبي بعمي: طعيمة بن عدي، فأنت عتيق^(٢).

وكان مثل هذا الاعداد من جانب قريش في اختيار وتجنيد العناصر القوية في
مواجهة الدعوة من أقوى أساليب التهريب التي مارسها وأعدّها المشركون ضد الدعوة،
كذلك من أساليب التهريب تلك التعبئة الدعائية التي قام بها أبو سفيان. وهند بنت عتبة
قبل وأثناء غزوة أحد، فقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرصهم
على القتال: يا بني عبد الدار انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما
يؤتي الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلوا بيننا
وبينه فنكفيكموه، فهموا به وتواعده، وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا، ستعلم غدا إذا
التقينا كيف نصنع^(٣) فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في
النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضرن بها خلف الرجال وهند تقول في محاولة
لإرهاب المسلمين وتعبئة قومها:

(١) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/٥

(٢) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/١٢

(٣) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/١٣

ويها بني عبد الدار، ويها حماة الأديار، ضربا بكل بتار^(١)

ثم تعد المقاتلين من قومها بقولها:

ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق^(٢)

هذا وهذه صور وأساليب الترهيب التي مارستها قريش ضد الدعوة في العهد المدني

كثيرة وقد امتلأت بها صفحات عديدة من كتب التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.^(٣)

□ □ الاستلوب الثاني - اسلوب الوقعة بين المؤمنين .

بعد غزوة بدر كان المشركون في مكة يدركون أنه لا بد لهم من معركة ضد المؤمنين في المدينة لكي لا يشاع عنهم أنهم هزموا أو تراجعوا في خصومتهم للدعوة، ولذا فإنهم كانوا حريصين على أن تكون هذه المعارك بأقل قدر من الخسارة في صفوفهم، ومن هنا فإنهم عندما كانوا يجندون رجالهم ويحشدون إمكاناتهم استعدادا للاتقضاض على المدينة ، خططوا لاجداث وقيعة بين المؤمنين، وقد تمثل ذلك في أبرز صورة قبيل معركة أحد حين حاولت قريش ايقاع الفرقة والنزاع بين صفوف المؤمنين، وذلك عندما أرسل أبو سفيان إلى الأنصار يقول لهم: «خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم، فلا حاجة لنا إلى قتالكم» ولكن أين هذه المحاولة أمام الإيمان الذي لا تقوم له الجبال، فقد رد عليه الأنصار رداً عنيفاً ، وأسمعوه ما يكره^(٤).

واقتربت ساعة الصفر، وتدانى الفتنان، فقامت قريش بمحاولة أخرى لنفس الغرض،

فقد خرج إليهم عميل خائن يكتى أبا عامر الفاسق - واسمه عبد عمرو بن صيفي، وكان

يلقب الراهب، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، وكان رأس الأوس في الجاهلية. فلما جاء

(١) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/١٣

(٢) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/١٣

(٣) : الطبري «تاريخ» ج٢، حوالي السنة الثانية من الهجرة ، وابن كثير «البداية والنهاية» ج٤/٤٤

(٤) : انظر: ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤/٥-٦.

الإسلام شرق به، وجاهر رسول الله ﷺ بالعداوة، فخرج من المدينة، وذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله ﷺ ويحرضهم على قتاله، ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه، ومالوا معه فكان أول من خرج إلى المسلمين في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى قومه وتعرف عليهم، وقال: يامعشر الأوس، أنا أبو عامر. فقالوا: لا أنعم الله بك علينا يافاسق. فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر. (ولما بدأ القتال قاتلهم قتالاً شديداً وراضخهم بالحجارة).^(١)

وهكذا فشل المشركون في محاولتهم الثانية للتفريق بين صفوف أهل الإيمان وبدل عملهم هذا على ما كان يسيطر عليهم من خوف المسلمين وهيبتهم، مع كثرتهم وتفوقهم في العدد والعدة.^(٢)

□ □ الأسلوب الثالث - أسلوب بث الإشاعات:

لم يتوان المشركون في اغتنام كل الوسائل والأساليب التي يمكن أن يحققوا بها هدفهم ضد الدعوة وصاحبها عليه السلام. ومن تلك الأساليب ما أشاعوه بعد غزوة أحد فعند استشهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه، وكانت هيئته تشبه الرسول ﷺ، تنادى المشركون أن محمداً قد مات على أمل أن يوقعوا الرعب في قلوب المسلمين ويخذلوا الصحابة رضي الله عنهم عن إكمال القتال والاستبسال فيه^(٣)

ومن هذ النوع من الأساليب ما أشاعته قريش قبل صلح الحديبية وبيعة الرضوان حين تأخرت عودة عثمان بن عفان رضي الله عنه في مكة موفداً من قبل الرسول ﷺ فقد أشاعت قريش مقولة بأمل أن تنتشر بين المسلمين فتوقع بين صفوفهم الخلاف والفرقة وهي مقتل عثمان رضي الله عنه ولم يكن ذلك صحيحاً، إنما هو أسلوب الإشاعات الذي حارب به المشركون الدعوة.

-
- (١) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/١٢.
(٢) : انظر: دكتور عمر خليفة النامي «ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية» ص ٩٣ وأيضاً دكتور عبد الله الحميدي، «المنافقون في القرآن الكريم» ص ٤٤٦.
(٣) : انظر: ابن هشام «السيرة» ج٢/٢٦١.

وكذلك استعمل المشركون صوراً متنوعة في أسلوب الإشاعات فغير ما استهدفوه من إشاعات تصرف الناس وتوزع مشاعرهم أشاعوا من المقولات ما يتناول شرف المسلمين وأعراضهم ومن ذلك ما أشيع عصر النبوة ولا تزال له أصداء في قلوب خصوم الدعوة من المستشرقين وغيرهم حول واقعة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها وما قبل أو يمكن أن يقال في هذه الواقعة هو من قبيل الإشاعات والأحقاد التي يثيرها خصوم الدعوة ضد الإسلام والمسلمين^(١) وخلاصة هذه الواقعة كما هي في أمهات المصادر الإسلامية هي أن زينب رضي الله عنها أبنة عممة الرسول ﷺ أميمة وقد زوجها الرسول ﷺ لمولاه زيد بن حارثة الذي أعتقه وتبناه إلى أن أبطل الله عادة التبني ونزل في قصة زواجها من زيد (رضي الله عنه) ثم الرسول ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) ﴾ [الأحزاب : ٣٧]^(٢) .

فقد روى البخاري أن زيدا^(٣) جاء يشكو زوجته فجعل النبي ﷺ يقول « اتق الله وأمسك عليك زوجك » قالت عائشة : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتتم هذه فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات^(٤) لقد كان زواج الرسول ﷺ منها لهلال ذي القعدة من العام الخامس الهجري وهي بنت خمس وثلاثين لحكمة وهي إبطال عادة التبني كما هو واضح من آية سورة

(١) : إميل درمتقم « حياة محمد » ترجمة عبد الهادي أبو ريذة : الهيئة العامة للكتاب بمصر عام ١٩٧٤ طبعه الثالثة ص ١٨٥ .

(٢) : سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

(٣) : انظر تفصيل الواقعة : ابن هشام « السيرة النبوية » ج ٣ / ٢٧٧ ، وانظر أيضاً : محمد بن علوي الحسيني « محمد ﷺ » دار الشروق ، طبعه ثانية عام ١٩٨٢ ص ٩٥

(٤) : هو زيد بن حارثة بن شرحبيل أبو أسامة الكلبي الصحابي الجليل حب رسول الله ﷺ وأبو حبه . الأمير الشهيد ، اختطف في الجاهلية صغيراً ، واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبي ﷺ حين تزوجها وأعتقته وزوجه بنت عمته زينب بنت جحش ، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة وفيها استشهد سنة ثمانية في جمادي الأولى وله عن النبي ﷺ حديثان . انظر الذهبي سير اعلام النبلاء ج ١ / ٢٢٠ وما بعدها والحاكم المستدرک ج ٣ / ١٥

(٥) : ابن هشام « السيرة النبوية » ج ٣ / ٢٧٩

الأحزاب المذكورة وخلاصة ما ورد في تفسير هذه الآية أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس : تزوج امرأة أبني ، و اراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني وليس أبلغ في إبطاله من تزوج امرأة الذي يدعى ابنا ووقوع ذلك أمام المسلمين ليكون أدهى لقبولهم هذا الذي ذكرناه من الصحيح يغنينا عن مناقشة الروايات الكثيرة الساقطة التي نسجت حول قصة زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش^(١) لا سيما بعض الروايات التي كانت مرتعاً خصباً لأهل الأهواء في القديم والحديث من زنادقة ومستشرقين ومن على شاكلتهم .

□ □ الأسلوب الرابع: أسلوب التهديد باستعمال القوة :

سبقت الإشارة الى أن المشركين نوعوا في أساليبهم القولية والعملية في خصومتهم للدعوة في العهد المدني، وفي مسرح الخصومة القولية بعد أن مارسوا التهريب ومحاولات التفرقة بين المؤمنين وبت الإشاعات ، مارسوا التهديد كذلك، ومن أبرز وأميز صورته أسلوب موقف أبو جهل^(٢) في الرد على من اقترح الرجوع الى مكة بعد نجاة العير، وكانت قريش قد خرجت مسرعة لنجدتها: «والله لا نرجع حتى نرد بدر، فيقيم بها ثلاثا فننحر الجذور، او نطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب، ويمسيرنا جميعا، فلا يزالون يهابوننا أبدا ما حيينا»^(٣)، ومن نفس نوعية ذلك

(١) زينب بنت جحش: هي بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كعب بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه، وأمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. قدم النبي ﷺ المدينة وكانت زينب ممن هاجر مع رسول الله ﷺ الى المدينة ، فخطبها رسول الله ﷺ على زيد بن حارثة ، فلما قال زيد لرسول الله ﷺ أفارق زينب، قال ﷺ امسك عليك زوجك، ففارقها زيد. فزوجها رسول الله ﷺ .

(٢) هو أبو جهل بن عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الاسلام وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، سوّده قريش ولم يطرّ شاربه فأدخلته دار الندوة مع الكهول، أدرك الإسلام وكان يقال له أبو الحكم «قدعاه المسلمون أبا جهل» استمر على عناده يشير الناس على محمد ﷺ رسول الله وأصحابه لم يفتر عن الكيد لهم والعمل على ايذائهم حتى كانت وقعة بدر الكبرى ، فشهدا مع المشركين . فكان من قتلها سنة ٢هـ انظر الزركلي ، الاعلام ج٥ / ص ٨٧.

(٣) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٢٦١، ٢٦٢.

الأسلوب التهديدي، ما أرسل به أبو سفيان الى رسول الله ﷺ في المدينة مهديداً متوعداً، حين كتب يقول: «نريد منك نصف نخل المدينة فإن أجبنا إلى ذلك وإلا أبشر بخراب الديار وقطع الآثار» وقال في ذلك إمعاناً في إثارة الرعب:

تجاوبت القبائل من نزار
وأقبلت الضراغم من قريش
لنصر اللات في البيت الحرام
على خيل مسومةٍ ضرام^(١)

ومن هذه النوعية من الأساليب ما قاله عروة بن مسعود^(٢) أثناء مفاوضته مع النبي ﷺ في صلح الحديبية وهو يسوق تلك القوة التي تمتلكها قريش ترهيباً للنبي ﷺ وأصحابه، حيث قال: «يامحمد، أجمعت أو شاب الناس، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل. قد لبسوا جلود النمر، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً. وأيم الله، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً»^(٣).

□ □ الأسلوب الخامس - أسلوب الشماتة :

لم يكتفِ المشركون في خصومتهم للدعوة بممارسة الأساليب التي يمكن أن تكون ذات تأثير سلبي على الدعوة والمؤمنين بها، بل اغتتموا كل ما يمكن أن يتعرض له المسلمون في جهادهم طوال العهد المدني، ومن ذلك ما كان من أهل مكة، حين شتموا بالنبي وأصحابه إثر ما تعرض له المسلمون في وادي حنين، وحين أخذ المشركون المسلمين في واد من أودية تهامة، وانهزم المسلمون أول أمرهم، حتى أمكن لهم التجمع حول النبي ﷺ، قال سفيان بن حرب معقبا على رجوع الناس: لا يلوي أحد على أحد، لا تنتهي هزيمتهم دون البحر^(٤).

(١) انظر : محمد جمال الدين محفوظ : «نظريات الإسلام العسكرية» ج١/٣٧

(٢) عروة بن مسعود بن معتب الثقفي صاحب جليل مشهور كان كبيراً في قومه بالطائف لما أسلم استأذن النبي ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام. فقال: إني أخاف أن يقتلوك. قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني. فأذن له فرجع فدعاهم إلى الإسلام فخالفوه ورماه أحدهم بسهم فقتله سنة ٩هـ انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٥/ ص ٥٠٣-٥٠٤ والزركلي الاعلام ج٤/٢٢٧.

(٣) ابن هشام «السيرة» ج٣/٢٦٠

(٤) ابن هشام «السيرة النبوية» ج٤/٧٢.٧٣.

كما صرخ جبلة بن الحنبل : ألا بطل السحر اليوم^(١) .

ومن قبل : هوازن ، حين كانت الجولات الأولى من الحرب بين المسلمين والمشركين في غزوة أحد وقف أبو سفيان حين أراد الانصراف وأشرف على الجبل صارخاً بأعلى صوته : أنعمت فقال : إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر، أعل هبل، وفي مواجهة هذه الشماتة أمر الرسول ﷺ أن يرد عليه قائلاً: الله أعلى وأجل لا سواء قتلتنا في الجنة وقتلكم في النار^(٢)، وكلما فشلت قريش في أساليبها القولية لجأت إلى أسلوب آخر ومن ذلك أنه لما فتحت خيبر كلم رسول الله ﷺ الحجاج بن علاط^(٣) السلمي ثم البهزي ، فقال: يا رسول الله ، إن لي بمكة مالاً عند صاحبتني أم شيبه بنت أبي طلحة، وكانت عنده، له منها : « معرض ابن الحجاج، » ومال متفرق في تجار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله، فأذن له، قال : إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول، قال: « قل » قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالاً من قريش يتسمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالاً فهم يتحسسون الأخبار، ويسألون الركبان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط، قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي، عنده والله الخبر، أخبرنا يا أبا محمد، فانه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز، قال قلت: قد بلغني ذلك، وعندي من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبطوا بجنبي ناقتي^(٤) يقولون: إيه يا حجاج، قال: قلت : هُزم هزيمة لم تستمعوا بمثلها قط، وقتل

(١) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٤/٧٢.٧٣.

(٢) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/٤٥.

(٣) : هو الحجاج بن العلاط السلمي، لم يذكر نسبه وفي قصة اسلامه: فاتاه العباس ظهراً فناشده الله ليكتنم عليه ثلاثة أيام فوافق العباس على ذلك، قال الحجاج: أنني قد اسلمت ولي مال عند امرأتي ودين على الناس ولوا علموا بإسلامي لم يدفعوا إلي شيئاً وحضر الفتح مع رسول الله ﷺ لما أراد رسول الله ﷺ أن يقزو مكة بعث إلى الحجاج بن العلاط والعرياص بن سارية السلمي، بأمرهما بتقديمه إلى المدينة، وهاجر الحجاج بن العلاط إلى المدينة وسكنها بني بها داراً ومسجداً وكان يعرف به، انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٤/٢٦٩.

(٤) : التبطوا بجنبي ناقتي: أي امشوا إلى جنبها كمشي العرجاء لا ترد حامهم حولها: انظر : ابن هشام «السيرة» ج٣ ص ٣٩٩.

أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسراً، وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم، قال : فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم، قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي فاني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فسل^(١) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك.

قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر، وما جاءه عني، أقبل حتى وقف الى جنبي وأنا في خيمة من خيم التجار، فقال : يا حجاج ما هذا الذي جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال : نعم قال: قلت : سأ تأخر حتى ألقاك على خلاء، فإني في جمع مالي كما ترى، فانصرف حتى افرغ قال: حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت: احفظ علي حرمتي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت قال : أفعل قلت فإني والله تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم، يعني صفية بنت حبي، وقد افتتح خيبر وانتشل ما فيها، وصارت له ولأصحابه. قال ما تقول يا حجاج قال : قلت: إي والله فاكنتم عني ولقد أسلمت وما جئت الا لأخذ مالي فرقا عليه من أن أغلب عليه فإذا مضت ثلاث، فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب، قال حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق- أي تطيب بالخلوق- وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها، فلما رآه قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة! قال : كلا والله الذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر ونزل عروسا على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها وأصبحت له ولأصحابه: قالوا من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم سلما وأخذ أمواله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه فقالوا يا لعباد الله انفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن قال: ولم يتشبهوا أن جاءهم الخبر بذلك.^(٢)

(١) الفل: القوم المنهزمين: إما من باب إطلاق المصدر وإرادة المفعول، وإما فعل بمعنى مفعول: المصدر السابق نفس الموضع.

(٢) ابن هشام «السيرة» ج٤/٤٠١.

□□ الاسلوب السادس :

اسلوب رباطة الجأش :

يتمثل أسلوب رباطة الجأش الذي مارسه المشركون بعد أن تأكدوا من أن رسول الله ﷺ يقود جيش الفتح، فتح مكة في شهر رمضان السنة الثامنة من الهجرة^(١) في تماسكهم وعدم انهيارهم فلم يكونوا على تصور أن رسول الله ﷺ يمكن أن يجيش الجيش الذي توجه به إلى مكة وذلك على الرغم من انه ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة^(٢) وأمرهم بالجد والاجتهاد داعياً ربه أن يأخذ العيون والأخبار عن قريش حتى يبغتها في بلادها وبالفعل مضى رسول الله ﷺ حتى نزل في عشرة آلاف من المسلمين وفي مقدمتهم المهاجرون والأنصار.^(٣)

فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب فقلت: واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء. فخرجت عليها: قال حتى جئت الأراك ، فقلت: لعلي أجد بعض الخطابه. أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة . فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة. قال : فوالله إنني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرياً قال يقول بديل. هذه والله خزاعة حمشتها الحرب. قال أبو سفيان وخزاعه أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة. تعرف صوتي. فقال: أبو الفضل قال قلت نعم: قال مالك فذاك أبي وأمي قال قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس واصباح قريش والله، قال: ما الحيلة فذاك أبي

(١) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤/ ٢٧٨

(٢) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤/ ٢٨٥

(٣) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤/ ٢٨٨

وانظر : سنن ابن ماجه: محقق الألباني ج٢/ ١٣٣ أرقام ٢٢٧٤-٢٨١٨

وأمي قال قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك. فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك قال فركب خلفي ورجع صاحبا قال فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب^(١) رضي الله عنه فقال من هذا وقام إلى فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، قال فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلاضرب عنقه قال: قلت يا رسول الله إني قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة دوني رجل فلما أكثر عمر في شأنه قال قلت مهلا يا عمر يقول ابن هشام ، ثم قال النبي ﷺ : « اذهب به يا عباس الى رحلك فإذا أصبحت فأتني به » وفي ضوء ما يقوله ابن هشام أيضاً قال العباس فذهبت به الى رحلي ، فبات عندي، فلما أصبح عدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله » قال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك !! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد قال : ويحك يا أبا سفيان !! ألم يأن لك أن تعلم

(١) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين.
أمه: حنثمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعن أبي بن كعب رضي الله عنهم ، وروى عنه كثيراً من الناس، أسلم عمر بعد أربعين رجلاً واحدى عشرة امرأة. وقال عبد البر كان اسلام عمر عزاً ظهر به الاسلام بدعوة النبي ﷺ وقد شهد بدرًا والمشاهد كلها وولي الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، ويوم له يوم مات أبو بكر، فسار أحسن سيرة وفتح الله له الفتوح بالشام والعراق ومصر وقال علي بن أبي طالب خير الناس بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر عمر قال ابن مسعود مازلنا أعزة منذ أسلم عمر، ومناقبه وفضائله كثيرة جداً مشهورة. ، ولي الخلافة عشر سنين وخمسة أشهر وقيل ستة أشهر. وقتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة وهو بن ٦٣ سنة وقيل غير ذلك. انظر تهذيب التهذيب ط ١/٧٤ ص ٣٨٥، صفة الصفوة لابن الجوزي ج ١/٢٦٨ وحلية الأولياء لأبن تميم ج ١/٢٨ ، وشذرات الذهب ج ١/٣٣.

أني رسول الله» قال أبو سفيان : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئا ، فقال له العباس : ويحك أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك، قال فشهد شهادة الحق فأسلم^(١) ، قال العباس قلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن. فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : «ياعباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه قال : ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال ياعباس من هذه ؟ فأقول سليم فيقول مالي وسليم، ثم تمر القبيلة فيقول ياعباس من هؤلاء فأقول: مزينة فيقول مالي ولزينة؟ حتى نفذت القبائل ما تمر قبيلة الا يسألني عنها فإذا أخبرته بهم يقول مالي ولبني فلان، حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء ، وفي ضوء رواية ابن هشام، وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.^(٢)

وعن هذه الكتيبة يقول ابن اسحق فيما نقله ابن هشام . فيها المهاجرون والانصار رضي الله عنهم لا يرى منهم الا الحدق من الحديد: فقال : سبحان الله ياعباس من هؤلاء؟ قال قلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والانصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله ياأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما قال قلت ياأبا سفيان: إنها النبوة قال: فنعم إذن قال : قلت النجاء - بسرعة - الى قومك حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت اليه هند بن عتبة فأخذت بشاريه فقالت:

(١) : انظر البخاري «الفتح» ج٦/١١٦-١١٨ حديث رقم ٤٢٨٠، وابن حجر : مختصر زوائد البزار صفحة ٢٤٨.

(٢) : انظر ما رواه إسحق بن راهويه عند ابن حجر في «المطالب العلية» ج٤/٢٤٤-٢٤٨ حديث رقم ٤٣٦٢ يقول ابن حجر هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن اسحق باسناد حسن انظر ابن هشام ج٤/٦٢.

اقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبح من طليعة قوم : قال ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقالوا: قاتلك الله وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد. وبهذا الأسلوب نكون قد أتينا على أهم أساليب المشركين القولية في خصومتهم للدعوة في العهد المدني .



المبحث الثاني أساليب المشركين العملية في العهد المدني

تمهيد:

في مسلسل الأساليب التي حاول بها المشركون حرب الدعوة الاسلامية سواء في مكة حين اتهموا الرسول ﷺ بالسحر ووصفوه بأنه صلى الله عليه وسلم مسحور، وحين استعملوا أسلوب الاستهزاء والسخرية واللغو عند سماع القرآن ، وحين حاولوا خداع النبي ﷺ كذبا وبهتاناً بأن يعبد آلهتهم سنة ، ويعبدوا الهه سنة ، الى المساومة بعرض المال والجاه والملك . ومحاولات إغراء المؤمنين بالدعوة بأن يرتدوا عنها وسوف يحملون خطاياهم. الى محاولات الاستعانة بالمرء والمجدل ، والمتمثل في أسئلة التعنت والتعجيز، الى أسلوب الإيذاء والطرده والضرب للمؤمنين استمر مسلسل الأساليب الشركية في المدينة ، لكنه هنا تمثل في مرحلتين الأولى عندما طرحوا عقائدهم الشركية أمام المؤمنين، وأحبوا أن يمارسوا شعائرتهم الشركية ، المتمثلة في أساليب : الكهانة - والسحر، والاستسقام بالأزلام وجهرها بانكار البعث ومارسوا الكبر والاستعلاء على المسلمين، الى حين قرروا الحرب بالسلاح ضد الدعوة في عهدها المدني كان ذلك كما سبقت الإشارة حين استعملوا كل الوسائل المتقدمة ومع ذلك لم تفلح في منع الرسول عليه الصلاة والسلام من أداء رسالته ولا منع الناس من الدخول في الإسلام ولا منع الإسلام من الانتشار، وهاجر الرسول عليه السلام إلى المدينة ، وكثير أتباعه لذا جهزت قريش جيوشها لمحاربة الرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين ، وكانت المعارك التي حدثت بينهم وبين المسلمين في غزوة بدر وما بعدها من غزوات، وقد كان النصر حليف المسلمين في غزوة بدر والهزيمة للمشركين حيث نصر الله الرسول عليه السلام والمؤمنين وأما غزوة أحد فقد نصر الله المؤمنين في بادئ الأمر على المشركين، ولكن حينما خالف الرماة أوامر الرسول عليه السلام وتركوا أماكنهم التي وضعهم فيها طمعاً في الغنيمة انقض عليهم المشركون

وقتلوا كثيراً من المسلمين وشجوا رأس الرسول عليه السلام وأنفه وكسروا ربايته ، ثم كان النصر في النهاية للمؤمنين لأن الرسول عليه السلام بلغه أن الكفار يستعدون للانتفاض على المدينة فاستعد للخروج إليهم في اليوم التالي وقال : لا يخرجن إلا من كان معنا بالأمس^(١) ، وضمد المسلمون جراحهم وخرجوا للمشركين فلما سمع أبو سفيان بخروجهم فر بن معه خائفاً وكان هذا نصراً للمؤمنين حيث رفع روحهم المعنوية وأفسدت على المشركين فرحتهم بالنصر .^(٢)

هذا طرف من المواجهة العملية من المشركين للرسول ﷺ وهو ما تناوله بالتفصيل

في الفقرات التالية ..

(١) انظر : ابن كثير « البداية والنهاية » ، ج٤ / ٢٢ .

(٢) : انظر : ابن هشام « السيرة » ج٣ / ٨١ .

الأساليب العملية :

تحدثنا عن الأساليب القولية للمشركين في العهد المدني وسأحدث هنا عن الأساليب العملية لهؤلاء المشركين وهي بلا شك تتكامل وتتعاقد مع أساليبهم القولية في مواجهة هذه الدعوة والكيد لرسول الله ﷺ ومن اتبعه. وسأوجز هذه الأساليب العملية فيما يلي:

□ □ الأسلوب الأول - أسلوب الكبر والاستعلاء :

الكبر من المهالك السلوكية التي تدل على فساد النفس واضطرابها وتؤدي إلى موبقات كثيرة والكبر ظاهرة مرضية عبر عنها أحد العلماء فقال : " تتشعب عنها أكثر البليات" (١) . والكبر كأسلوب وسلوك من قبل المعاندين والكافرين والمشركين لما يدعو إليه الإسلام من حق وعدل، يتمثل في معاندة الرسل وتحقير الصالحين، ومن ثم فقد اعتبر الإسلام الكبر من المهالك، يلفت القرآن الكريم أنظار المؤمنين إلى ما يترتب على الكبر من مفسد، إلى ما كان عليه أمر إبليس عندما أمره الله مع الملائكة بالسجود لأدم، فإنه يخبرنا بأنه أبى واستكبر وكان من الكافرين، فكان الكبر سبب إباطه وعلته كفره ولعنته وكذلك يلفت القرآن نظرنا إلى موقف المعاندين من الطغاة ، فيخبرنا عما كان من فرعون وقومه مع موسى فيقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ... (١٤) ﴾ (٢) ثم يخبرنا عما كان من فرعون فيقول تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنزُلْنَا لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) ﴾ (٣) .

(١) : المعاسبي تحقيق عبد القادر عطا ، " الرعاية لحقوق الله " ، ص ٤٤٦ .
وانظر أيضاً : ابن تيمية «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» من مجموعة التوحيد ص ٤٥٨-٤٥٩ .
(٢) : سورة النمل ، الآية ١٣ ، ١٤ .
(٣) : سورة المؤمنون ، الآيات ٤٥ ، ٤٧ .

ويتابع القرآن الكريم لفت نظر المؤمنين الى خطر الكبر وضرره وأنه هو الذي كان يسوق كفار قريش الى العناد والجحود والصد عن سبيل الله فيقول تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾^(١) كما كان شأن من سبقهم مع أنبيائهم فيقول عن قوم نوح بأنهم قالوا له عندما أمرهم بتقوى الله وطاعته قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴿١١١﴾ ﴾^(٢) .

ومن يتابع سيرة الرسول ﷺ ويقف على خطوات جهاده الطويل والشاق مع من دعاهم الى الاسلام يجد أن الكبر كان أحد أسباب إعراضهم عن الحق وإصرارهم على الباطل وأن كثيرين منهم كانوا يعلمون ذلك السخف الذي يتردّون فيه ويرون ضياء الحق الذي كان يدعوهم إليه . ولكنهم كانوا بدافع هذا الكبر يعرضون عنه ويتصرفون تصرف من غلبه هواه . ولهذا فلا تعجب إذا كان موقف النبي ﷺ من الكبر حتى ولو كان مثقال ذرة، كما هو وارد في حديث قدسي عن رب العزة « الكبرياء رذائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحد منهما ألقيه في النار ولا أبالي » : قال ابن عمر " سيحشر المتكبرون يوم القيامة في صور الذر يتوظفهم الخلاق "^(٣) .

ومع كل ذلك التحذير والتخويف من عاقبة الكبر كأسلوب لأعداء الله من المشركين وغيرهم فقد تطورت هذه الأساليب وتنوعت منذ ابتدأت الدعوة وحتى اتسعت ساحة المؤمنين بها فأول أمرهم عجبوا أن يجيئهم منذر منهم، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ... ﴿٤﴾ ﴾^(٤) ثم بتصديهم له بالتكذيب والصد عنه وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ .. ﴿٢٤﴾ ﴾^(٥) ويقول تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ

(١) : سورة الأحقاف، الآية ١١ .

(٢) : سورة الشعراء، الآية ١١١ .

(٣) : أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في اسبال الازار، ٥٨/٤، رقم الحديث: ٤٠٩٠ .

(٤) : سورة ص، الآية ٤ .

(٥) : سورة الشورى، الآية ٢٤ .

الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) ﴿١١﴾ ثم بقذفهم إياه بأنه ساحر أو مجنون أو شاعر واتهامه بأنه يتعلم علمه من البشر ثم بمصادمته عن طريق التعجيز ومطالبتة بالحوارق والمعجزات كأن يرهبهم الله جهرة أو ينزل عليهم الملائكة ، أو يفجر لهم من الأرض ينبوعا أو يرقى في السماء أو غير ذلك، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤)﴾ (١١) وقال تعالى: ﴿أَتُنِي لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٢) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤)﴾ (١١) وقال تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)﴾ (١١) وقال تعالى عن الشعراء إنهم: ﴿كُلٌّ وَاذِ يَهَيِّمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ... (٢٢٧)﴾ (١١) .

□ □ الأسلوب الثاني: أسلوب الصد عن المسجد الحرام :

لما لم يكن من المحتمل أن يرى المشركون نمو الدعوة وكثرة عدد المؤمنين بها في المدينة يزداد ويكثر، بل وابتدأ ميزان القوة يتجه في صالح المسلمين شيئا فشيئا، استمروا في مسلسل حربهم للدعوة بالأساليب العملية ولو بمنعهم من أداء نسك ربهم حين كانوا يطوفون بالبيت الحرام الى أن مكن الله تعالى للدعوة فدحضت أساليب المشركين القولية والعملية على السواء، وأسلوب الصد ، تمثل أقوى تمثل في صد «سعد بن معاذ» عن أن يطوف بالبيت الحرام معتمرا، كان ذلك حين انطلق سعد إلى مكة معتمرا، فنزل على أمية بن خلف بمكة، فقال لأمية : انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت، فخرج به قريبا من لقف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال : يا أبا صفوان، من هذا معك؟

-
- (١) : سورة الحاقة ، الآيات ٤٤ - ٤٧ .
(٢) : سورة القمر ، الآيات ٢ - ٤ .
(٣) : سورة الدخان ، الآيات ١٣ - ١٤ .
(٤) : سورة القلم ، الآية ٢ .
(٥) : سورة الشعراء ، الآيات ٢٢٥ - ٢٢٧ .

فقال : هذا سعد، فقال له أبو جهل: لا أراك تطوف بمكة آمنًا وقد أويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم ، وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له سعد ورفع صوته عليه: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعك ما هو أشد عليك منه، طريقك على أهل المدينة^(١).

ومارس المشركون مع الصد عن المسجد الحرام التهديد والوعيد للمسلمين في المدينة، كان ذلك حين أرسلوا إلى المسلمين يقولون لهم: لا يفرنكم أنكم فارقتمونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم.^(٢)

ولم يكن هذا كله وعيداً مجرداً، فقد تأكد عند رسول الله ﷺ من مكائد قريش وإرادتها على الشر ما كان لأجله لا يبيت إلا ساهراً، أو في حرس من الصحابة، فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى قالت : سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة، فقال : لبت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، قالت فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال : من هذا؟ قال : سعد بن أبي وقاص^(٣)، فقال له رسول الله ﷺ : ما جاء به؟ فقال : وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ ، فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ، ثم نام^(٤)

ولم تكن هذه الحراسة مختصة ببعض الليالي بل كان ذلك أمراً مستمراً، فقد روى عن عائشة قالت " كان رسول الله ﷺ يحرس ليلاً، حتى نزل ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال : يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله عزوجل.^(٥)

(١) صحيح البخاري . كتاب المغازي ٥٦٣/٢ .

(٢) : المباركفوري رحمة للعالمين ١١٦/١ .

(٣) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب ، القرشي الزهري أبو اسحاق ولد قبل الهجرة ب ٢٣ سنة، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين ، وأول من رمي بسهم في سبيل الله شهد بدرًا ودافع عن النبي ﷺ في أحد وحضر معه المشاهد كلها، وأحد الستة الذين عمر لشورى الخلافة. افتتح القادسية . ظل والياً مدة خلافة عمر على الكوفة وأمره عثمان زمنًا ثم عزله فعاد إلى المدينة حيث توفي فيها سنة ٥٥ هـ وقد فقد بصره في آخر عمره له في مسند «ابن مخلد» مثنان وسبعون حديثاً منها في الصحيحين ٣٨ حديثاً أنظر ابن سعد الطبقات الكبرى ٢/ ١٣٩-١٤٨ والذهبي سير اعلام النبلاء ج١/ ص ٩٢-١٢٤ .

(٤) أخرجه صحيح البخاري كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو، ٢٩٣/٣ رقم الحديث ٢٨٨٥، أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص، ١٨٧٥/٤ رقم الحديث ٣٩ .

(٥) : أخرجه الجامع الترمذي في كتاب التفسير . باب من سورة المائدة ج٥ / ٢٣٤ رقم الحديث: ٣٠٤٦ .

ولم يكن الخطر مقتصرًا على رسول الله ﷺ ، بل على المسلمين كافة، فقد روى أبي بن كعب^(١)، قال : لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه .^(٢)

□ □ الأسلوب الثالث - أسلوب إيذاء النبي ﷺ في أهله :

في مكة وقبل أن يكرم الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بالوحي كان لزوج النبي ﷺ خديجة^(٣) رضي الله عنها ابن أخت يدعى أبو العاص وفي ضوء ما يقوله ابن اسحق^(٤) كان أبو العاص بن الربيع من رجال مكة المعدودين: مالا، وأمانة، وتجارة، وكان لهالة بنت خويلد، وكانت خديجة خالته. فسألت خديجة رسول الله ﷺ أن يزوجه ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، فزوجه، وكانت تعده بمنزلة ولدها. فلما أكرم الله رسوله ﷺ بنبوته آمنت به خديجة وبناته. فصدقته، وشهدن أن ما جاء به الحق، ودن بدينه، وثبت أبو العاص على شركه كما كان رسول الله ﷺ قد زوج عتبة ابن أبي لهب ، فقالوا له: طلق بنت محمد ونحن نُتُكحك أي امرأة من قريش شئت، فقال : إن زوجتوني بنت أبان

(١) : هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، ويكنى أبا المنذر . وأمه صهبلة بنت الأسود بن حرام بن عمرو بن بني مالك بن النجار، وقد شهد أبي بن كعب العقبة مع السبعين من الأنصاري، وكان يكتب في الجاهلية ، وكان أبي بن كعب في الإسلام يكتب الرحي لرسول الله ﷺ وأمر الله رسوله ﷺ بأن يقرأ القرآن على أبي بن كعب . وقال رسول الله ﷺ : اقرأ أمتي أبي بن كعب. وكان أبي بن كعب جمع القرآن، توفي أبي بن كعب في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعا سنة ثلاثين وهذا أثبت الأتقويل، لأن عثمان أمره أن يجمع القرآن. انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٣/٤٩٨.

(٢) : المباركفوري «الرحيق المختوم» صفحة ١٩٦.

(٣) : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشية الأسدية، أم المؤمنين زوج النبي وأم أولاده وهي أول من تزوج من النساء ومناقبها عديدة. توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين. الذهبي أعلام النبلاء ج٢/١٠٩.

(٤) : انظر ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٢٩٦، ٢٩٧.

بن سعيد بن العاص^(١)، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها، فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها، ولم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامة لها، وهوانا له، وخلف عليها عثمان بن عفان^(٢) بعده.

ولما كان رسول الله ﷺ بمكة لا يملك القوة فإن الإسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله ﷺ^(٣) حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه حتى هاجر رسول الله ﷺ، فلما صارت قریش إلى بدر، صار فيهم أبو العاص بن الربيع فأصيب في الأسارى يوم بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ^(٤).

(١) هو أبان بن سعيد بن العاص الأموي. أبو الوليد: صحابي من ذي الشرف. كان في عهد النبي ﷺ شديد الخصومه للإسلام والمسلمين، وأسلم سنة ٧ من الهجرة وعشه الرسول ﷺ سنة ٩ من الهجرة عاملاً على البحرين. وأقام في البحرين إلى أن توفي رسول الله ﷺ فسافر إلى المدينة ولقيه أبو بكر رضي الله عنهما فلامه على قدمه. فقال آيت لا أكون عاملاً لأحد بعد رسول الله ﷺ وأقام في المدينة حتى استشهد في وقعة أجنادين. في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما.

الاعلام: قاموس تراجم. خير الدين الزركلي / ط ١٠ / ج ١ / ص ٢٧.

(٢) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي أبو عمرو وأبو عبد الله ويقال أبو ليلي أمير المؤمنين ذو النورين رضي الله عنه. وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وتزوج ابنتي رسول الله ﷺ واحدة بعد أخرى. قال ابن عبد البر ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد الفيل بست سنين وهو أول من هاجر إلى أرض الحبشة. ولم يشهد بدرأ لتخلفه عن قريض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وهو أحد العشر المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر أن رسول الله ص مات وهو عنهم راض. ومناقبه كثيرة جداً، قال ابن سيرين كان عثمان يحيي الليل بركعة يقرأ فيه القرآن، يبيع بالخلقة (٢٤هـ) في غرة المحرم. وقتل في وسط أيام التشريق سنة (٣٥هـ) وقيل يوم الثروة وقيل غير ذلك. انظر تهذيب التهذيب ط ١ / ج ٧ / ص ١٢٧.

(٣) هي زينب بنت رسول الله ﷺ كانت كبرى بناته رضي الله عنهن. ولدت زينب بنت رسول الله ﷺ في سنة

ثلاثين من مولد النبي ﷺ وماتت في سنة ثمان من الهجرة في حياة رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ محبا لها، أسلمت وهاجرت حين أبي زوجها أبو العاص بن ربيع أن يسلم. انظر أبا عمر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ج ٤ / ص ٤٠٩.

(٤) : السهيلي «الروض الأنف» ج ٥ / ١٦٣.

قال ابن اسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عائشة^(١) قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها مالها، فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله . فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها.

وبعد أن من المسلمون على أبي العاص بن الربيع بإطلاق سراحه من الأسر أخذ عليه رسول الله ﷺ أو وعد هو رسول الله ﷺ أن يخلي سبيل زينب إليه، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلي سبيله، بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار مكانه، فقال: كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب، فتصحبها حتى تأتيا نبي بها، فخرجا مكانهما، وذلك بعد بدر بشهر، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فخرجت تجهز نفسها للهجرة إلى المدينة.^(٢)

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: حدثت عن زينب أنها قالت: بينما أنا أجهز لمكة للحوق بأبي لقيتني هند بنت عتبة، فقالت: يا بنت محمد، ألم يبلغني أنك تريدن اللحوق بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عمي، لا تفعلي، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك، أو بما تتبلغين به إلى

(١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر. هاجر بها أبوها هجرة المدينة. روت عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه . وعن أبيها وعن عمر وفاطمة وسعد وغيرهم. مسندها يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث . وقد ولدت في الاسلام تزوجها النبي ﷺ وعمرها سبع سنين ودخل بها ولها تسع سنين وقبض عنها ولها ثمان عشرة سنة وتوفيت سنة سبع وخمسين، انظر الذهبي سير اعلام النبلاء تحقيق شعيب الارنؤوط ج٢/ص ١٣٥ وما بعدها ط: ٩ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٣م والحاكم المستدرک ج٤/٤ (ب:ط) دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) : انظر :ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٢٩٧ وأيضاً: الطبري «تاريخ» ج٢/٤٠٠.

أبيك، فإن عندي حاجتك، فلا تضطني^(١) مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، قالت: ولكنني خفتها، فأنكرت أن أكون أريد ذلك، وتجهزت . فلما فرغت بنت رسول الله ﷺ من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً، فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها، وهي في هودج لها. وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي، والفهري فروعها هبار بالرمح وهي في هودجها، وكانت المرأة حاملاً. فلما ريعت طرحت ذا بطنها وبرك حموها كنانة، ونثر كنانته، ثم قال : والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً، فتكركر الناس عنه. وأتى أبو سفيان في جلة من قريش فقال: أيها الرجل، كف عنا نبلك حتى نكلمك، فكف؛ فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه، فقال إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا خرجت بابتته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك من ضعف ووهن،، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة، ومالنا في ذلك من ثورة، ولكن ارجع بالمرأة، حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أن قد رددناها، فسألها سرا، وألحقها بأبيها؛ قال : ففعل، فأقامت ليالي، حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدمها بها على رسول الله ﷺ.^(٢)

(١) «تضطني» تروى هذه الكلمة بضاد معجمة فطاء مهملة فنون، ومعناها على ذلك لا تستحي، وذلك كقول الطرماح.

إذا ذكرت مسعاة والده اضطني، ولا يضطني من شتم أهل الفضائل.
انظر: الشرتوني «أقرب الموارد» ج٢/٤٣٥، وابن هشام «السيرة» ج٢/٢٩٨.

(٢) ابن هشام «السيرة» ج٢/٢٩٩.

□□ الأسلوب الرابع - كتمان الالم وإخفاء الغيظ :

كان المشركون إذا حلت بهم مصيبة أو وقع بهم مكروه، يكتُمونه ولا يعلنونه حتى لا تقوى روح المسلمين أو يشمتوا فيهم. يقول ابن هشام عن قريش وهي تكظم غيظها على قتلاها في بدر.

ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا^(١) بهم لا يأرب^(٢) عليكم محمد وأصحابه في الفداء. قال : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زمعة، وكان يحب أن يبكي على بنيه، قال : فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له وقد ذهب بصره: انظر هل أحل النحب^(٣)؟ هل بكت قريش على قتلاها لعلي أبكي على أبي حكيمة؟ يعني زمعة؛ فإن جوفي قد احترق، قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته، قال: فذاك حين يقول الأسود:-

أتبكي أن يضل لها بعير	ويمنعها من النوم السهود ^(٤) ؟
فلا تكبي على بكر ولكن	على بدر تقاصرت الجدود ^(٥)
على بدر سراة بني هصيص	ومخزوم ورهط أبي الوليد ^(٦)
ويكى إن بكيت على عقيل	ويكى حارثاً أسد الأسود
ويكيهم ولا تسمى جميعاً	وما لأبي حكيمة من نديد ^(٧)
ألا قد ساد بعدهم رجال	ولولا يوم بدر لم يسودوا

(١) : تستأنوا : معناه تؤخرون فداهم (ابن هشام - السيرة - ج٢/٢٩١)

(٢) : لا يأرب : لا يشتد، ويقال أيضا تأرب.

(٣) : النحب : البكاء بصوت، والمعروف فيه النحيب.

(٤) : السهود : عدم النوم

(٥) : البكر : الفتى من الأهل، والجدود، جمع جد، وهو الحظ والبخت.

(٦) : سراة القوم : خيارهم وأشرفهم

(٧) : لا تسمى : أراد لا تسأمي، فنقل حركة الهمزة إلى السين، ثم حذف الهمزة، ومعناه لا قلبي، والنديد : الشبيه والمثل.

قال ابن إسحق : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي فقال رسول الله ﷺ : « إن له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاءكم في طلب فداء أبيه » فلما قالت قریش : لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يارب^(١) عليكم محمد ، أصحابه قال المطلب بن أبي وداعة وهو الذي كان رسول الله ﷺ عنى : صدقتم، لا تعجلوا، وانسل من الليل فقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، فانطلق به.^(٢)

ثم بعثت قریش في فداء الأسارى، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو وكان الذي أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم ابن عوف، فقال : -

أسرت سهيلا فلا أبتغى	أسيراً به من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتى	فتاها سهيلا إذا يظلم ^(٣)
ضربت بذى الشفر حتى انثنى	وأكرهت نفسي على ذي العلم ^(٤)
وكان سهيل رجلاً أعلم ^(٥)	من شفته السفلى

واللافت للنظر أن هذا الأسلوب الاستفزازي المرتكز على المكاتبات والمراسلات والهجاء وكتم الغيظ إذا ما حاق بالمشركين أذى استنفذ أغراضه ولم يحقق هدف المشركين في خصومتهم للدعوة . الأمر الذي دفعهم الى تطوير أساليبهم العملية.

(١) لا يارب: لا يشتد، ويقال أيضا تارب. انظر : الشرتوني «أقرب الموارد» ج٢ / صفحة ٢١٠.

(٢) المصدر السابق صفحة ٢٩٢.

(٣) يظلم : يروى بالظاء المعجمة مشددة، وبالطاء المهملة كذلك، ومعناها واحد: أى يطلب ظلمه، وهذا مثل قول زهير:-
هو الجواد الذي يعطيك نائله
عفوا و يظلم أحيانا فيظلم

(٤) ذو الشفر : السيف، وشفره: حده، ويروى بفتح الشين وضمها.

(٥) الأعلم : مشقوق الشفة العليا، ويقابله الأنلع، وهو مشقوق الشفة السفلى.

□ □ الاسلوب الخامس - اسلوب الاغتيالات :

كان من أثر هزيمة المشركين في وقعة بدر أن استشاطوا غضبا، وجعلت مكة تغلى كالمرجل ضد النبي ﷺ . حتى تأمر رجلان من أبنائهما كان ذلك حين جلس عمير بن وهب الجمحي^(١) مع صفوان بن أمية^(٢) في الحجر بعد وقعة بدر ببسير - وكان عمير من شياطين قريش ممن كان يؤذي النبي ﷺ وأصحابه وهم بمكة - وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان : والله إن في العيش بعدهم خير^(٣) .

قال له عمير : صدقت والله، أما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة، إبنى أسير في أيديهم.

فاغتنمها صفوان وقال : على دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أو أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم.

(١) : هو عمير بن وهب بن خلف بن خلف الجمحي، أبو أمية صحاري، من الشجعان، أبطأ في قبول الاسلام، وشهد وقعة بدر مع المشركين فأسر المسلمون ابنا له، فرجع إلى مكة فخلا به صفوان بن أمية وجعل له الجمل ليقتل محمدا ﷺ فسوافق عمير ورحل إلى المدينة فدخل بسيفه على النبي ﷺ وهو في المسجد فسأله: لم قدمت؟ قال: أريد فداء ابني. فقال: مالك والسلاح؟ قال : نسبته علي لما دخلت قال: فما جعل لك صفوان بن أمية في الحجر، فأنكر فأخبره النبي ﷺ ، فدهش وأسلم وعاد إلى مكة، وأشهر اسلامه ثم هاجر إلى المدينة وشهد مع المسلمين أحداً وما بعدها، انظر الزركلي، الأعلام ج٥/٨٩.

(٢) : هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي وأمه أيضا جمحية من ولد جمح بن عمرو بن هصيب بن كعب بن لؤي غلب يُكنى أبا وهب. وقيل: يُكنى أبا أمية . وقتل أبوه أمية ببدر وقتل رسول الله عمه أبي بن خلف بأحد كافرين، وهرب صفوان بن أمية يوم الفتح، ثم رجع صفوان إلى النبي ﷺ فشهد معه حنبأ والطائف وهو كافر وامرأته مسلمة أسلمت يوم الفتح قبل صفوان بشهر ثم أسلم صفوان وأقر على نكاحها. فقدم المدينة مهاجراً فنزل على العباس بن عبد المطلب. ومات صفوان بن أمية بمكة سنة اثنتين وأربعين من الهجرة في أول خلافة معاوية. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٢/ص ٢٧٤.

(٣) : روى قصة هذه المؤامرة ابن اسحق بإسناد مرسل. ج٢/٣٧١-٣٧٤، وقال ابن حجر في الإصابة ج٣/٣٧ رواه موسى بن عقبة في مغازيه، والأسود عن عمرو مرسلًا وابن مندة متصلًا، وقال غريب عمر ابن عمران لا نعرفه الا من هذا الوجه، والطبراني قال لا أعلمه الا عن أنس بن مالك ورواية الأسود، وابن عقبة في : « دلائل النبوة » للبيهقي ج٣/١٤٧-١٤٩.

فقال له عمير: فاكنتم عني شأني وشأنك . قال : أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم، ثم انطلق حتى قدم به المدينة، فبينما هو على باب المسجد يتنبح راحلته رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وهو في نفر من المسلمين يتحدثون ما أكرمهم الله به يوم بدر - فقال عمر : هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء إلا لشر. ثم دخل على النبي ﷺ فقال : يانبي الله هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحا سيفه، قال : فأدخله علي، فأقبل عمير فلببه بحمالة سيفه، وقال لرجال من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ، فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون، ثم دخل به، فلما رآه رسول الله ﷺ - وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه- قال : أرسله يا عمر، ادن يا عمير، فدنا وقال : أنعموا صباحا، فقال النبي ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام، تحية أهل الجنة.

ثم قال : ما جاءك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.
قال : فما بال السيف في عنقك؟ قال : قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا

شيئا؟

قال : اصدقني ما الذي جئت له؟ قال : ما جئت إلا لذلك.

قال : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا، فتحمل صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني والله حائل بيني وبين ذلك.

قال عمير : أشهد أنك رسول الله، قد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم تشهد شهادة الحق فقال رسول الله ﷺ فقهاوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره.

وأما صفوان فكان يقول: أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر. وكان يسأل الركبان عن عمير، حتى أخبره راكب عن إسلامه، فحلف صفوان أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً.

ورجع عمير إلى مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام فأسلم على يديه ناس كثير^(١) ومن أساليب محاولات الاغتيال أيضاً ما فعله أبو سفيان حين طلب من قومه ان يساعده في إرسال من يقتل محمداً غدر، ومن يتسلل اليه سرأً فيقتله فجاءه أعرابي فاتك باطش، وقبل أن يقوم بهذا الغدر، ويذهب إلى المدينة ليقاتل النبي ﷺ، فزوده أبو سفيان ببعير ونفقه، وأوصاه بكتمان الأمر، فجاء المدينة بعد ستة أيام، فدلوه على رسول الله ﷺ في مسجد بني عبد الأشهل، فلما رآه قال: إن هذا ليريد غدرا، والله حائل بينه وبين ما يريد، وعندما ذهب الأعرابي لينحني على رسول الله ﷺ جيده أسيد بن الحضير، فإذا الخنجر بداخل إزاره، فأسقط في يد الأعرابي، وعرض عليه الرسول ﷺ الأمان إن هو صدقه، فأخبره بالخبر، وما جعل له أبو سفيان، فخلى عنه الرسول، فأسلم، ولهذا بعث الرسول عمرو بن أمية^(٢) وسلمة بن أسلم^(٣) بن جريش إلى أبي سفيان ليقتلاه فجاء مكة، وبعد أن طافا فطن أهل مكة لعمرو وشكوا فيه فهموا بقتله وصاحبه ففروا إلى المدينة^(٤).

(١) : ابن هشام ١/٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣

(٢) : هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري، شجاع من الصحابة اشتهر في الجاهلية وشهد مع المشركين بدرًا واحدًا، ثم أسلم وحضر بئر معونة فأسرته قبيلة بني عامر واطلته عامر بن الطفيل. وعاش أيام الخلفاء الراشدين، وشهد وقائع كثيرة، علت بها شهرته في البسالة. ومات بالمدينة في خلافة معاوية وله ٢٠٠ حديثًا. انظر الزركلي ج٥ / ص ٧٣.

(٣) : هو سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن الحارثة بن الحزرج بن عمرو بن عدي بن مالك بن الأوس الأنصاري الحارثي شهد بدرًا والمشاهد كلها، وقتل يوم جسر أبي عبيد (سنة أربع عشر وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقيل : قتل وهو ابن ثلاثة وستين سنة يكتي أبا سعد، يقال : أنه الذي أسر السائب بن عبيد والنعمان بن عمرو يوم بدر، انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٢/١٩٨.

(٤) : ابن سعد «الطبقات» ج٢/٩٣-٩٤ معلقا، وابن هشام «السيرة» ج٤/٣٧٢-٣٧٥ معلقا، وليس فيه قصة أبي سفيان والأعرابي، انظر البيهقي «السنن» ج٩/٢١٣ والطبري «التاريخ» ٢/٥٤٢.

□□ الاسلوب السادس - اسلوب القوة :

من الاساليب العملية التي سلكها المشركون لمواجهة الدعوة في المدينة اسلوب القوة، وقد تنوع هذا الاسلوب فمرة يأتي استخدامهم للقوة على شكل غارة مفاجئة للمسلمين ومرة يأتي على شكل قوة منظمة تأخذ مبدءاً الإعداد والغزو المعلن للمسلمين. فمن الأول وهو الغارة المفاجئة فيما فعلته قريش في الخامس من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا في الهجرة، حين وصل أبو سفيان إلى أطراف المدينة سراً في مائتي فارس، ولجأ إلى بني النضير، ثم قام بمهاجمة ناحية العريض - واد بالمدينة في طرف حرة واقم - فقتل رجلين، وأحرق نخلا وفر إلى مكة، وعندما علم المسلمون بهذا العمل الانتقامي العدواني الغادر والذي تمثل في «غارة» مفاجئة نفروا في إثر جيش المشركين حتى وصلوا قرقرة الكدر، فلم يلحقوا بهم، وقد رأوا أزوادا للقوم قد طرحوا في الحرث يتخفون منها للنجاة، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : يا رسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ فقال نعم: ^(١) وسمى نفيهم رسول الله ﷺ وأصحابه في محاولة الرد على إغارة جيش أبي سفيان بغزوة السوق، لأن غالب الأزواد التي طرحوها كانت من السوق. ^(٢)

وكما سبقت الإشارة فإن المشركين نوعوا وعددوا في أساليب استعمالهم للقوة ضد الدعوة فمن الغارة المفاجئة إلى الغدر الخفي.

ويتمثل هذا الأسلوب في أشع صورته حين تجمعت غطفان في ذي أمر من نجد فسار اليهم رسول الله ﷺ وعندما علموا بذلك فروا أمامه ^(٣). هذا وقد ذكر الواقدي، وابن سعد أن المجتمعين على ماء ذي أمرهم من غطفان من بني ثعلبة بن محارب، وقد نفر للقائهم من المسلمين أربعمئة وخمسين رجلا لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول

(١) : رواها ابن اسحق بإسناد صحيح إلى عبد الله بن كعب لكنه مرسل . انظر ابن هشام ج٣/٦٥، ٦٦، ورواها

الطبري (تاريخ) من طريق ابن اسحق بهذا الإسناد ج٢/٤٨٤، ولكن كتب عبد الله بن كعب بدلا عن عبد الله.

(٢) : انظر الواقدي: المغازي، ج١/١٨١، وابن سعد «الطبقات» ج٢/٣٠ بدون إسناد وابن كثير «البداية والنهاية»

ج٣/٣٧٨ وتسمى عنده غزوة قرقرة الكدر.

(٣) : انظر الواقدي «المغازي» ج١/١٩٣

سنة ثلاث من الهجرة. وفي هذه الواقعة تجلى غدر المشركين في أبشع صورته ذلك أنه حين كان المسلمين في طريق عودتهم ، أصاب المسلمين مطر فابتل ثوب رسول الله ﷺ ، فجعل رادي ذي أمر بينه وبين أصحابه ، ثم نزع ثيابه فنشرها على شجرة لتجف ، ثم اضطجع تحت الشجرة، والمشركون ينظرون الى كل ذلك خلسة، فأغروا سيدهم القاتل دعشور ليفتك بالرسول ﷺ وهو على هذه الحال، وعندما وقف بالسيف على رأس الرسول ﷺ قال : « من يمنعك مني اليوم؟ » قال رسول الله ﷺ : « الله » ودفعه جبريل عليه السلام عنه حتى وقع السيف من يده، فأخذه الرسول ﷺ ووقف على رأسه قائلاً: « من يمنعك مني اليوم؟ » قال : لا أحد. فأسلم وحكى لقومه ما حدث، وأخذ يدعوهم الى الإسلام . وفي هذه الواقعة نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ... ﴾ (١١) ﴿^{١١}» .

وبشأن هذه الواقعة التي تكشف عن أسلوب الغدر ، وروح الانتقام في قلوب المشركين، روى البخاري^(١) ومسلم^(٢) وغيرهما^(٣)، أنه عندما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس يستظلون الشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة علق بها سيفه، قال جابر : « فمنا نومه، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا ، فجئناه، فإذا عنده إعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ : ان هذا اختلط سيفي، وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت له الله، فما هو ذا جالس.. لم يعاقبه رسول الله ﷺ ، واسم الأعرابي : غورث ابن الحارث^(٤) .

(١) سورة المائدة- الآية رقم ١١.

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ج٥ ص ٣١٥-٣١٦.

(٣) صحيح مسلم ج١/٥٧٦ صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الخوف رقم ٨٤٣.

(٤) الإمام أحمد الفتح الرباني ج٧/٢٠-٢٢.

(٤) أخرجه صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، ج١/ ص ٥٧٦، رقم الحديث: ٨٤٣.

وصحيح البخاري ، في كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجرة في السفر عند القائلة، ٢/٣٠١، رقم الحديث: ٢٩١٠.

اما النوع الثاني في اسلوب القوة فهو الحروب المنظمة والمكشوفة التي واجهها الرسول ﷺ وسأحدث عن أهم نماذجها :

● النموذج الاول من اسلوب القوة: غزوة بدر :

يتمثل هذا الأسلوب فيما قامت به قريش عندما سمعت أن رسول الله ﷺ اعترض عير قريش المقبلة من الشام في تجارة قريش، عندما قال : « هذه عير قريش فيها أموالهم، فأخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها »^(١)

وعلى الرغم من أن الرسول ﷺ لم يعييء كل قوة المسلمين في المدينة بل طلب أن يخرج معه من كان ظهره حاضرا، ولم يأذن لمن أراد أن يأتي بظهره من علوه المدينة^(٢) ولم يتجمع لديه الا ما بين ٣١٣، أو ٣١٧ رجلا^(٣) أو نحو ذلك وإن أبا سفيان لما علم بالخطر المحدق بالقافلة، أرسل رسولا من قبله الى مكة يستنجد بقريش، وما أن وصل رسول أبي سفيان الى مكة مسرعا، الا وخرجت قريش مسرعة لإنقاذ غيرها^(٤) وبلغ عدد القوة التي خرجت من مكة الى نحو الف وثلثمائة رجل، معهم مائة فرس وستمائة درع وجمال كثيرة ، وتولى أبو جهل قيادة القوم^(٥). وهذا كله بإمكان جيش مكة أن يرجع اليها بعد أن انتهى الى القوم أن أبا سفيان بحذره الشديد وفطنته ترك الطريق الرئيسي الذي يمر على يسار بدر واتجه الى طريق الساحل غربا ونجا ووصل بالفعل الى مكة ،

(١) : رواه ابن اسحق باسناد حسن - ابن هشام ج٢/٢٩٥، ومثل هذا المعنى عند الطبري «التفسير»

ج٣/١٣٨-٣٩٩ باسناد مرسل حسن لأن رجاله ثقات.

(٢) : من حديث في صحيح مسلم ج٣/١٥١٠ حديث رقم ١٩٠١، وسند أحمد ج٣/١٣٦ من حديث أنس،

ورواه الطبراني في «المجمع» ج٦/٨٧ وقال الهيثمي، ورجاله ثقات.

(٣) : عند البخاري في الفتح ج١٥/١٥٥-١٥٧ حديث رقم ٣٩٥٦ - ٣٩٥٩ بضعة عشر وثلثمائة وعند مسلم

٨٤/١٢ التوي أنهم كانوا ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا.

(٤) : انظر ابن اسحق في قصة بدر باسناد حسن ابن هشام ج٢/٢٩٨.

(٥) : انظر ابن كثير «البداية والنهاية» ج٣/٢٨٤-٢٨٥

لكن أبا جهل أصر على حرب المسلمين وردعهم، وقال أبو جهل قولته الشهيرة : « والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم بها ثلاثًا، فتنحر الجذور، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف لنا القيان وتسمع بنا العرب، ويمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابونا أبدًا، فامضوا.»^(١) فأطاعه معظم القوم ما عدا الأخنس بن شريق، حيث رجع بقومه من بني زهرة وطالب بن أبي طالب، وسار جيش مكة بقيادة أبي جهل حتى نزلوا قريبًا من بدر وراء كتيب نبع بالعدوة القصوى على حدود وادي بدر.^(٢)

وبلغ خبر ذلك الرسول ﷺ فاستشار أصحابه، وخشى فريق منهم المواجهة في وقت لم يتوقعوا فيه حربًا كبيرة، ولم يستعدوا لها بكامل عدتهم فجادلوا الرسول حول وجهة نظرهم، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝٥ ﴾ [الأنفال : ٥]^(٣) لكن الجميع حول رسول الله ﷺ استقروا على ما رآه الرسول وغالبية الصحابة. إذ قال المقداد بن عمرو : امض لما أراك الله فنحن معك...^(٤)

وقبيل الحرب استطلع جيش رسول الله ﷺ أحوال جيش مكة، وفي ضوء المعلومات التي توفرت لديهم قال ﷺ لأصحابه: « هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها^(٥) » وأشار إلى مكان مصارع جماعة من زعماء قريش.^(٦)

وانزل الله تعالى في هذه الليلة مطرًا طهر به المؤمنين وثبت به الأرض تحت أقدامهم، وجعله وبالًا شديدًا على المشركين^(٧)، وفي هذه الواقعة، نزل قوله تعالى :

(١) : رواه الطبري في تفسيره ج٣/٥٧٩ باسناد حسن، والخبر أصلاً من رواية ابن اسحق عند ابن هشام ج٢/٣١٠

(٢) : من حديث ابن اسحق في قصة بدر، انظر ابن هشام ج٢/٣١١-٣١٢

(٣) سورة الأنفال الآيات ٥-٦، انظر في سبب نزول الآية عند الطبري «تفسير» ج٣/٤٠٤ باسناد مرسل عن قتادة.

(٤) انظر رواية ابن اسحق من حديث بدر ابن هشام ج٢/٣٠٥

(٥) ورد هذا الحديث في رواية ابن اسحق من حديث بدر وعند مسلم في غزوة بدر. ج٢/١٤٠٤ حديث رقم ١٧٧٩.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير. باب غزوة بدر ج٢/١٤٠٣، رقم الحديث : ١٧٧٩.

(٧) : انظر خبر هذا المطر عند أحمد «المستد» ج٢/١٩٣، وعند ابن اسحق، انظر ابن هشام «السيرة» ج٢/٣١٢

بدون إسناد، وانظر ابن كثير «البداية والنهاية» ج٣/٢٩٢.

﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ
عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (١١) ﴿^(١) .

وزاد الله تعالى من فضله بأن أوقع الخلاق في صفوف جيش المشركين فقد روى أحمد^(٢) أن عتبة بن ربيعة أخذ يثني قومه عن القتال محذرا من مغبته، لأنه علم أن المسلمين سوف يستبسلون^(٣) فاتهمه أبو جهل بالخوف ، وروى البزار، أن عتبة قال لقومه يومذاك: إن الأقارب سوف تقتل بعضهم بعضا، مما يورث في القلوب مرارة لن تزول، فاتهمه أبو جهل بالخوف. ومن اللاقت للنظر أن الرسول ﷺ قد رأى عتبة هذا على جمل أحمر، فقال : « إن يكن في أحد من القوم خير، فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا »^(٤) و شاء الله أن يعصوه ، وضاع رأيه وسط إثارة أبي جهل الثارات القديمة.

هذا والجدير بالذكر أن الرسول ﷺ سبق المشركين إلى ماء بدر ليحول بينهم وبين الماء وهنا أبدى الحباب بن المنذر رأيه قائلاً « يارسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب المكيدة؟ قال: « بل هو الرأي والحرب والمكيدة »

قال الحباب: « يارسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم - قريش - فننزله ونغور - نخرب - ما وراء من القلب - الآبار - ثم نبني

(١) : سورة الأنفال الآية ١١

(٢) : من حديث طويل في المسند ج٢/١٩٣، وانظر الفتح الرباني ، ج٢١/٤٣.

(٣) : علم ذلك من عمرو بن وهب الجحفي الذي أرسلته قريش ليعرف خبر المسلمين، فعاد اليهم قائلاً، يامعشر الناس: البلايا تحمل المنايا نواضح يشرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم . انظر ابن هشام ج٢/٣١٥.

(٤) : من حديث أحمد في المسند ج٢/١٩٣

عليه حوضاً فتملأه ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون» فقال رسول الله ﷺ «لقد أشرت بالرأى» وفعل ما أشار به الحباب بن المنذر (رضي الله عنه) (١).

وعندما استقروا في المكان، قال سعد بن معاذ مقترحاً «يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً» (٢) تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم تلقى عدونا فإن أعزنا الله واطهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن ورائنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يانبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك بمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك» فوافق الرسول ﷺ على هذا الاقتراح (٣).
ويفهم من النصوص الواردة في شأن القتال بيد أن الرسول ﷺ شارك في القتال ولم يمضي كل وقته داخل هذا العريش أو في الدعاء كما فهم بعض كتاب السيرة فقد

(١) روى هذه الإشارة ابن اسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣١٢/٢-٣١٣) وإسناد مرسل موقوف على عروة كما في الاصابه (٣٠٢/١) والحاكم (٤٤٦/٣-٤٤٧) وأنكرها الذهبي وعند ابن كثير في البداية (٢٩٣/٣) بإسناد منقطع وابن شاهين كما في الاصابه (٣٠٢/١) بإسناد ضعيف وابن سعد (١٥/٢) وروايته عند ابن كثير في البداية (٢٩٣/٣) وفيها الكلبى وهو متروك وهكذا فكل أسانيدنا ضعيفه ولكنها قد تتقوى وترتفع الى درجة الحسن لغيره كما قال باوزير مرويات غزوة بدر ص ١٦٤-١٦٥ وله حجته في هذا فليُنظر للفائدة وفي تقوية باوزير لهذه الرواية نظراً للأسباب الآتية فهناك روايات ربما عارضتها فقد نقل ابن كثير في تفسيره عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تأويل قوله تعالى (اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان...) الآية ١١ من الانتفال ما يقيد غلبة المشركين على الماء وأن المسلمين أصابهم ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ حتى انزل عليهم المطر فشرّبوا وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان (انظر تفسير ابن كثير ٥٦٣/٣) كما ساق ابن كثير رواية أخرى عن العوفي عن ابن عباس تفسير في نفس الاتجاه بل أضاف ابن كثير قوله (ونحو ذلك عن قتادة والضحاك والسدي) (المصدر والمكان نفسهما).

(٢) والعريش : شبه خيمه يكون مقرا للقيادة وظلا للقائد

(٣) رواه ابن اسحق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣١٣/٢) وأما وجود عريش للرسول ﷺ يوم بدر فهو ثابت بإحاديث صحيحة فقد روى الأموي من حديث ابن اسحاق كما في البداية (٣١٢/٣) أن النبي ﷺ خفق في العريش خفقة ثم انتبه فقال: «أبشر يا أيها بكر، هذا جبريل معتمر بعمامته أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع أتاك نصر الله وعدته وإسناد الأموي حسن كما ذكر الالباني في تعليقه على فقه السيرة ص ٢٤٣ وورد في حديث لابن عباس عند البخاري /الفتح (٢٥٤/١٨) حديث (٤٨٧٧) وفيه أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة .. الخ وورد في حديث للبخاري بإسناد صحيح أن علياً قال: «أنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً...» ذكره ابن كثير في البداية (٢٩٨/٣).

روى الامام أحمد ^(١) عن علي قال: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً» وفي موضع آخر بالسند نفسه «لما حضر البأس يوم بدر اتقينا برسول الله ﷺ وكان من أشد الناس ما كان أو لم يكن أحد أقرب المشركين منه» ^(٢)

وبعد أن اتخذ الرسول ﷺ كل الوسائل المادية الممكنة للنصر في حدود الطاقة البشرية بات ليلته تلك ^(٣) يتضرع الى الله تعالى أن ينصره ومن دعائه كما جاء في رواية عند مسلم ^(٤) «اللهم انجز لي ما ودعتني ، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الارض» وتقول الرواية «فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتى أبو بكر فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله (عز وجل) : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ ^(٥)» فأمده الله بالملائكة» ومما رواه البخاري ^(٦) من دعائه في ذلك اليوم «اللهم إني أنشدك عهد ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم» وتقول الرواية: «فأخذ أبو بكر بيده فقال، حسبك، يارسول الله ألححت على ربك وهو يشب في الدرع فخرج وهو يقول «سيهزم الجمع ويولون الدبر» ^(٧).

وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى عكرمة أنه قال: لما نزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال : عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت

(١) المسند لأحمد، تحقيق أحمد شاكر ج٢/٢٧١، رقم الحديث ١١٦١ وقال اسناده صحيح.

(٢) المسند (٢٢٨/٢) وقال: «اسناده صحيح»

(٣) روى أحمد: المسند (٢٧١/٢/شاكر) بإسناد صحيح عن علي قال «لقد رأيتنا يوم بدر ومامتنا إلا نائم الا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح»

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير. باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر ، ج٣/١٢٨٢ - ١٢٨٤ ، رقم الحديث ١٧٦٢.

(٥) الانفال: ٩

(٦) الفتح (٢٥٣/١٨) حديث (٤٨٧٥) والفتح (٢٥٤/١٨) حديث (٤٨٧٧).

(٧) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله «سيهزم الجمع ويولون الدبر» ج٣/ص٦٣/ رقم الحديث: ٤٨٧٥.

رسول الله ﷺ يشب في الدرع وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فعرفت تأويلها يومئذ^(١).
وفي صباح يوم الجمعة السابع عشر من رمضان - السنة الثانية من الهجرة-
وعندما تراءى الجمعان دعا رسول الله ﷺ ربه قائلاً «اللهم هذه قریش قد أقبلت بخيالاتها
وفخرها تحاول وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحثهم الغداة^(٢)» وعندما
وقف المسلمون في صفوف القتال أخذ الرسول ﷺ في تعديل صفوفهم ثم أخذ في
توجيههم في أمر الحرب قائلاً: إذا أكتبوكم^(٣) فارموهم واستبقوا نبلكم^(٤) ولا تسلوا
السيوف حتى يغشوكم^(٥) وحرصهم على القتال قائلاً: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم
اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»^(٦) وفي رواية عند مسلم
أنه عندما دنا المشركون قال عمير بن الحمام الانصاري: «يارسول الله أجنة عرضها
السموات والارض؟ قال : نعم قال : يخ . يخ، فقال رسول الله ﷺ «ما يحملك على قولك
بـخ. يخ» قال : لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: «فانك من أهلها
فأخرج تمرات من قرنه^(٧) فجعل يأكل منهن. ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمرات هذه
إنها لحياة طويلة قال : فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل».

(١) أورد ابن كثير: التفسير (٤٥٧/٧) من مرسل عكرمه: قال الساعاتي عن تخريجه في الفتح الرباني
(٣٩/٢١) : الحديث صحيح وأورده الحافظ ابن كثير والنسائي في غير موضع من حديث خالد وهو ابن مهران
الحذاء به.

(٢) قال ابن حجر في تلخيص الحبير : (٤/١٠٠ ط ١٣٩٩ هـ / القاهرة) «أما أن غزوة بدر في السنة الثانية
فمتفق عليه بين أهل السير: ابن اسحاق وموسى بن عقبة وأبو الأسود وغيرهم واتفقوا على انها كانت في
رمضان قال ابن عساکر: والمحفوظ أنها كانت يوم الجمعة وروى أنها كانت يوم الاثنين وهو شاذ ثم الجمهور على
أنها كانت سابع عشر وقيل ثاني عشر وجمع بينهما بأن الثاني ابتداء الخروج والسابع عشر يوم الوقعة... وقد
روى الطبري في تاريخه (٤١٩/٢) بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه قال عن ليلة القدر : التمسوها في سبع
عشرة وتلا الآية (يوم التقى الجمعان) يوم بدر.. وانظر باوزير (ص ٦٨-٧٣).

(٣) أي إذا قرهوا منكم- كما قال ابن حجر في الفتح (١٧٣/١٥)
(٤) أخرجه أبو داود (السنن) ، كتاب الجهاد ، باب في سل السيوف عند اللقاء ، ج٣/ص٥٢ / رقم الحديث: ٢٦٦٤.
(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا ، ج٣/ص١٣-١٤ ، رقم الحديث: ٣٩٨٤ و٣٩٨٥.
(٦) روى ذلك ابن اسحاق - بدون اسناد- انظر ابن هشام (٣٢٢/٢)
(٧) أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، ج٣/ص١٥٠٩ - ١٥١٠ رقم الحديث: ١٤٥ (١٩٠١).

وطلب الرسول ﷺ من أصحابه قبل بدء المعركة ألا يقتلوا نقرأ من بني هاشم وغيرهم لأنهم خرجوا مكرهين وسمى منهم أبا البخترى بن هشام الذي كان ممن سعى لنقض صحيفة المقاطعة ولم يؤذ النبي ﷺ والعباس بن عبد المطلب^(١) وعندما سمع أبو حذيفة^(٢) ذلك قال : «انقتل آبائنا وأبنائنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس » والله لئن لقيته لأحمنه أو لأجمنه بالسيف فبلغت مقالته رسول الله ﷺ فقال لعمر: يا أبا حفص؟ أياضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟ فقال عمر «يارسول الله دعني فلاضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق» فكان أبو حذيفة يقول : «ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائف إلا ان تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيداً.^(٣)»

وقبل ابتداء القتال خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي فقال: «أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه» وتصدى له حمزة وضربه ضربة أطارت قدمه بنصف ساقه ثم جبا إلى الحوض مضرجاً بدمائه ليبر قسمه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض^(٤).

(١) هو عباس بن عبد المطلب بن هشام أبو الفضل، ولد قبل الهجرة ب ٤١ سنة عم رسول الله ﷺ ومن أكابر قريش في الجاهلية والاسلام، خرج مع قومه يوم بدر أسر يومئذ، فأدعى أنه مسلم، وحسن اسلامه، وهاجر إلى المدينة وشهد حينئذ فكان ممن ثبت حين انهزم الناس، وشهد فتح مكة. وعفي آخر عمره، وكان عمر وعثمان يجلاته، له خمسة وثلاثون حديثاً اتفق الشيخان على واحد منها وفي مسلم ثلاثة، مات في المدينة سنة ٣٢ هـ وعمره ٨٦ سنة في خلافة عثمان ودفن بالقيع، انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٤ / ص ٥-٣٣ والذهبي سير اعلام النبلاء ج٢ / ص ٧٨-١٠٣.

(٢) هو السيد الكبير الشهيد أبو حذيفة ابن شيخ الجاهلية عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، بن قصي بن كلاب القرشي البديري أحد السابقين، وأسمه: مهشمة، أسلم قبل دخولهم دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة مرتين، وقد دعا حذيفة يوم بدر أباه إلى البراز، وكان أبو حذيفة طويلاً، حسن الوجه، مرداف الأسنان، استشهد أبو حذيفة رضي الله عنه يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة، هو ومولاه سالم، انظر الى الذهبي: «سير اعلام النبلاء» ج١ / ص ١٦٤.

(٣) رواه ابن اسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣٢٤/٢) ويرى باويز ص ٢٦٨ أن ابن اسحاق ربما رواها بسنده الصحيح لفزوة بدر وهو ما نرجحه وفي الخبر أن أبا البخترى أصر على القتال فقتل.

(٤) روى قصته ابن اسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٣١٨/٢) ولعلها من روايته لحديث بدر بإسناد حسن.

ثم نزل المسلمون ساحة المعركة بقوة إيمانية كبيرة وشدوا على المشركين وأخذوا في اقتطاف رؤوسهم وأمدهم الله بالملائكة لينصرهم على عدوهم كما في قول تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۝١٢٢ ﴾ " الآيات ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ۝٩ ﴾ " و ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ ... ۝١٢ ﴾ " ، وكما روى من الأحاديث في هذا الشأن فقد روى مسلم " في هذا «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم" فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الانصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة ».

وروى أحمد " أن رجلاً من الانصار قصير القامة جاء بالعباس أسيراً ، فقال العباس: « يارسول الله ، إن هذا والله ما أسرنى » لقد أسرنى رجل أجلى من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه في القوم » فقال الانصاري : « أنا أسرته يارسول الله فقال: اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم.

لقد اكرم الله عباده المؤمنين يوم بدر ببعض الكرامات. فقد روى أن عكاشة بن محصن قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده فاعطاه الرسول ﷺ جذلاً من حطب ليقاتل به فإذا هو في يده سيفاً طويلاً شديد المتن أبيض الحديد فقاتل به يوم ذاك وفي المعارك الأخرى التي شهدها بعد ذلك وآخرها يوم اليمامة أحد أيام حروب الردة حين قتل شهيداً. (٣)

(١) آل عمران : ١٢٣

(٢) الأنفال : ٩

(٣) الأنفال : ١٢

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ج٢/ص ١٢٨٣ - ١٢٨٤، رقم الحديث: ٥٨ (١٧٦٣).

(٥) اسم فرس الملك كما قال الثوري في شرحه على صحيح مسلم (٨٦/١٢) وفي النهاية في غريب الحديث (٤٦٧/١) أنه اسم فرس جبريل.

(٦) المسند لأحمد شاكر، ج٢/ ص ١٩٢ - ١٩٤، رقم الحديث ٩٤٨.

(٧) رواه ابن اسحق دون إسناد - ابن هشام ٣٣٦/٢ - والواقدي - المغازي ٩٣/١ والبيهقي في الدلائل ج٢/٩٨-٩٩.

هذا وتفيض كتب السير بمقدم الملأ السماوي الى بدر لدحر جيوش مكة ففيما يرويه ابن اسحق أنه وقد خفق رسول الله خفقة وهو في العرش، ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع^(١).

وفي رواية أخرى، قال رسول الله ﷺ: «أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء، آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض، فلما نزل إلى الأرض تغيب عني ساعة، ثم طلع على ثناياه النقع يقول: أتاك نصر الله إذ دعوته^(٢)».

ثم تتوالى الروايات، عن بعض رجال من بني مازن لا نعرف من هم تحديداً، عن أبي داود المازني، أنه قال :

إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري^(٣).

فهذا رجل يقتل في المعركة، وسط سيوف عديدة متشابكة ورماح تطير ونبال تنثر وغبار وسنابك خيول، ورؤوس تغطيها الخوذة، وأجساد مدرعة بالدروع، ويقول المازني أن غيره قد قتل القتييل، لكن هذا الغير (القاتل) بمجهوليته في المعركة يتم التقاطه ليصبح أحد الملائكة، ليؤكد قول أبي إمامة لولده:

يا بني لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أهدنا يشير بسيفه إلى المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف^(٤).

وتتتالي الروايات التي عادة ما يشار إلى روايتها بالقول: قال رجل كذا وكذا، أو عن رجل من بني كذا، ومثلها قول ابن عباس:

بينما رجل من المسلمين يومئذ، يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم (وحيزوم هو فرس الملاك

(١) السهيلي: مصدر سابق ج٣، ص٣٨.

(٢) البيهقي: دلائل النبوة، ج٣، ص٥٤.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٧، ص٤٥٣.

(٤) الطبري «تاريخ» ج١/٤٥٣.

جبريل)، إذ نظر المشرك أمامه فخر مستلقياً، فنظرنا إليه فإذا هو خطم من أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاحضر ذلك جميعاً، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة.^(١)

ويروي بعض بني ساعدة، عن (أسيد مالك بن ربيعة)، بعد أن ذهب بصره، لو كنت اليوم معي ببدر ومعني بصري، لأرينكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى،^(٢). وهكذا، فالرجل الوحيد الذي رأى الملائكة رؤى العين، ورأى الشعب الذي انسلت منه صفوفهم إلى جبال بدر وواديه، قد ذهب بصره، حتى لا يتمكن من تحديد المكان .

ومثل تلك الروايات، روايات أخرى، منها رواية (أبي بردة بن نيار)^(٣) حيث قال: جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس، فوضعتها بين يدي النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله: أما رأسان فقتلتهما، أما الثالث فإني رأيت رجلاً أبيض طويلاً ضربه، فأخذت رأسه، فقال رسول الله: ذاك فلان من الملائكة.^(٤) أما عن أبي جهل الذي بات معلوماً عدد من اشتركوا في قتله بالاسم، فإن هناك من روى عن النبي قوله: «قتله أبناء عفرأ والملائكة، وابن مسعود قد شرك في قتله»^(٥)

هذا ناهيك عن روايات أخرى مجهولة المصدر، مثل رواية ابن عباس إذ قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف على بدر، ونحن مشركان ننتظر الواقعة على من تكون الدبرة، فنذهب مع من

(١) : البيهقي «دلائل النبوة» ج ٣، ص ٥١، ٥٢.

(٢) السهيلي: سبق ذكره، ج ٣، ص ٤١.

(٣) : هو أبو بردة بن نيار بن عمرو بن عبيد بن عمرو بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذهل بن هيم بن ذهيل بن بلقي بن عمرو بن الحاف بن قضاة، واسمه هاني صاحب الرسول ﷺ وقد شهد العقبة مع السبعين، وشهد بدرأ وشهد أحدأ والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات أبو بردة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٣/ ٤٥١.

(٤) البيهقي: سبق ذكره ج ٣، ص ٥٨.

(٥) البيهقي ، سبق ذكره: ص ٨٧.

ينهب، قال: فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حممة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم، قال: فأما ابن عمي فانقشع قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت.^(١)

أما المشركون (والرواة أسلموا بعد ذلك عند الفتح)، فوجد بعضهم - فيما يبدو- في هبوط الملائكة، تبريراً لهزيمتهم المخجلة أمام المسلمين، فحاك بعضهم على ذات النول، فهذا (المغيرة ابن الحارث)^(٢) يذكر أنه كان قال زمن بدر، لأبي لهب «وأيم الله ما ملت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئاً، ولا يقوم لها شيء»^(٣)

وهكذا تقدم الطلقاء بدلاتهم إلى مائة المزايدات، ومنها رواية (ابن حجر)^(٤)، عن (السائب بن أبي حبيش)^(٥) الذي أسلم يوم الفتح الإسلامي لمكة، ونال من الرسول نصيبه من الأعطيات، ثلاثين وسقاً في خيبر، فكان يحدث الناس زمن (عمر بن الخطاب) عندما قرر عمر قطع أنصبه المزلفة لقلوبهم عنهم، بقوله:

والله ما أسرني أحد من الناس، فيقال: فمن؟ فيقول: لما انهزمت قريش انهزمت معها، فأدركني رجل طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض، فأوثقني رباطاً، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً، وكان عبد الرحمن ينادي في العسكر: من أسر هذا؟ فليس أحد يزعم أنه أسرني، حتى انتهى به إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله : يا ابن أبي حبيش، من أسرك؟ فقلت: لا أعرفه.. وكرهت أن أخبره بالذي رأيت، فقال

(١) ابن سيد الناس: سبق ذكره، ج ١، ص ٣١٢.

(٢) هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي أخو أبي سفيان بن الحارث بن عم رسول الله ﷺ له صحبة، انظر أبا عمر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٦/٤.

(٣) ابن كثير: سبق ذكره، ج ٣، ص ٣٠٩.

(٤) ابن حجر: الإصابة فيما استدركته عائشة على الصحابة ج ٩/٢.

(٥) هو السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشي الأسدي معدود في أهل المدينة وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب: ذاك رجل لا أعلم فيه عيباً، وكان شريفاً أيضاً وسيطاً في قومه، روى عنه سليمان بن يسار وغيره، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢/ ص ١٢٨.

رسول الله : أسرك ملك من الملائكة، اذهب يا ابن عوف بأسيرك فذهب بي عبد الرحمن بن عوف، فقال السائب: ما زلت تلك الكلمات أحفظها، وتأخر إسلامي، حتى كان من أمري ما كان .

أما البيهقي، فيعقب على رواية السائب بقوله الكاشف:
ولا أعلمه روى عن النبي ﷺ شيئاً^(١).

ثم يجد المطالع لسيرة ابن هشام، كشفاً رصده (ابن هشام) راوي السيرة عبر عدد من الصفحات على استطالتها، بأسماء قتلى قريش في بدر، وأسماء الذين قتلوهم من المسلمين، كل قتيل، وكل قاتل، دون إسقاط لاسم مقتول أو لاسم قاتل من الطرفين.^(٢)
وربما كانت مثل تلك المزايدات التي أوردناها، مدعاة لتهمكم رجل ملحد مثل ابن الراوندي وهو يتساءل:

من هؤلاء الملائكة الذين أنزلهم الله يوم بدر لنصرة نبيه؟ إنهم كانوا مفلولي الشوكة قلبلي البطش، فإنهم على كثرتهم واجتماع أيديهم وأيدي المسلمين معهم، لم يقتلوا أكثر من سبعين رجلاً؟! وأين كانت الملائكة يوم أحد حين توارى النبي بين القتلى ولم ينصره أحد؟^(٣).

وإذا كنا نورد كلام ذلك الملحد، فلنرى إلى أي حد يمكن أن تبليبل تلك الروايات الفؤاد، ولا شك أن موقفه كملحد مرفوض بالقطع من جانبنا، لكننا ربما تساءلنا تساؤلاً مشروعاً من مسلم يريد الاطمئنان لطوية فؤاده، حرصاً على صيانة إيمانه ونقائه، مع تساؤل من سأل (أبي الحسن السبكي)، وهو يقول:

سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ببدر، مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، فأجبت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي وأصحابه...

(١) البيهقي: سبق ذكره، ج٣، ص ٦٠.
(٢) السهيلي: سبق ذكره، مج ٣، ص ١٠٢-١٠٦.
(٣) إبراهيم بيومي: في الفلسفة الإسلامية، ص ٨٣

وكان يكفى ملك واحد، فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة.^(١)

أما الأهم برأينا في خبر الملائكة، فهو إن إعلام النبي للمسلمين قبل القتال بالمدد السماوي، كان كفيلاً بتقوية روحهم المعنوية، وإنزال السكينة على قلوبهم، وهو ما أدى بالفعل إلى نومهم ليلة القتال نوماً أخذوا به راحتهم، استعداداً لاستقبال قريش في الصباح، كما كان وجود الملائكة - في حالة أخرى - حلاً مثالياً لمشكلة توزيع الأنفال، عندما اختلف المسلمون حول أنصبتهم في أنفال بدر، فنزعت من أيديهم ووضعت بيد رسول الله ﷺ ليقرر ما يراه لشأنها، باعتبار الله وملائكته هم أصحاب ذلك النصر، وهو ما قالت بشأنه الآيات بقوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾^(٢).

(١) البيهقي: سبق ذكره، ج ٣، ص ٥٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١

● النموذج الثاني من أسلوب القوة - غزوة أحد :

ما أن استدار العام على أهل مكة بعد غزوة بدر وهزيمتهم فيها الا وقد اجتمع لديها بفعل التحالفات والإعداد والتعبئة حوالي ثلاثة آلاف مقاتل لتحارب بهم المسلمين في المدينة حيث وقعت غزوة أحد. ^(١) قرب المدينة واللافت للنظر أن قادة قريش رأوا أن تأخذ معها عددا من النساء ^(٢) حتى يكون ذلك أبلغ في استماتة الرجال، كما أمكن لهم اعداد ثلاثة آلاف بعير، ومن الفرسان مائتا فرس. ^(٣) تحرك جيش المشركين بكل هذه القوة نحو المدينة، ولما علم النبي بمقدم جيش المشركين أمر أصحابه بأن تظل المدينة في حالة استنفار تام، ونقل رجال رسول الله ﷺ أخبار المشركين خبرا خبرا، وكان من رأى رسول الله ﷺ أن يتحصن بالمدينة، لكن الأغلبية من أصحابه وفي مقدمتهم عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ، والذي أنزل عليك الكتاب لا أطمع طعاما حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة ^(٤). وعدل رسول الله ﷺ عن رأيه أمام رأي أصحابه.

ثم صلى النبي ﷺ بالناس يوم الجمعة، فوعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبر أن لهم النصر بما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، وفرح الناس بذلك. ^(٥)
ثم صلى بالناس العصر، وقد حشدوا وحضر أهل العوالي، ثم دخل بيته، ومعه صاحبا أبو بكر وعمر، فعمماه وألبساه. فتدجج بسلاحه، وظاهر بين درعين (أي لبس درعا فوق درع) وتقلد السيف، ثم خرج على الناس .

وكان الناس ينتظرون خروجه، وقد قال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن خضير :
استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، فردوا الأمر إليه، فندموا على ما صنعوا، فلما

(١) : «أحد» بضم الهمزة والمهملة جبل معروف ، بينه وبين المدينة أقل من فرسخ. فتح الباري كتاب المغازي

ج٤٣٩/٧. وياقوت الحمدي «معجم البلدان» ج١/١٣٣

(٢) : ابن القيم «زاد المعاد» ج٩١/٢

(٣) : ابن القيم «زاد المعاد» ج٩٢/٢، لكن ابن حجر في فتح الباري ج٣٤٦/٧ يروي أنها كانت مائة فرس فقط والراجع الرواية الأولى فقد تواتر عليها الرواة.

(٤) : ابن إسحق «السيرة الحلبية» ج١٤/٢.

(٥) : ابن القيم «زاد المعاد» ج٩١/٢.

خرج قالوا له : يارسول الله ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما شئت، إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل. فقال رسول الله ﷺ : ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته -وهي الدرع- أن يضعها، حتى يحكم الله بينه وبين عدوه^(١).

وقسم النبي ﷺ جيشه إلى ثلاث كتائب:

(١) كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها مصعب بن عمير العبدي.^(٢)

(٢) كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى لواءها أسيد بن حضير.^(٣)

(٣) كتيبة الخزرج من الأنصار، وأعطى لواءها الحباب بن المنذر.

وكان الجيش متألفاً من ألف مقاتل، فيهم مائة دارع وخمسون فارساً^(٤)، وقيل لم يكن من الفرسان أحد، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي في المدينة، وأذن بالرحيل، فتحرك الجيش نحو الشمال، وخرج السعدان أمام النبي ﷺ يعدوان دارعين.

(١) : رواه أحمد المسند ج٦ حديث رقم ٣٨٢٤.

(٢) : هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف الداري العبدي، أحد السابقين إلى الإسلام يكنى أبا عبد الله، كان من فضلاء الصحابة، وخيارهم هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا ثم شهد أحدًا ومعه اللواء فاستشهد، انظر: ابن سعد الطبقات الكبرى ج٣/ص ١١٦-١١٨ وابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ج٩/ ٢٠٨-٢٠٩ رقم ٧٩٩٦.

(٣) : هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيرين بن زيد بن عبد الله سهل، ويكنى أبا يحيى، وكان يكنى أبا الحضير، وأمه في رواية، محمد بن عمر أم أسيد بنت النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأسهل، وفي رواية عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري أم أسيد بن سكن بن كرز بن زعوراء بن عبد الأسهل. وكان أسيد شريفاً في قومه في الجاهلية وفي الإسلام يعد من عقلائهم وذوى رأيهم وكان إسلام أسيد على يدي مصعب وشهد أسيد: العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، فأخى رسول الله ﷺ بين أسيد وزيد بن حارثة وشهد أحدًا، وجرح وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ، وشهد الخندق والمشاهد كلها.

توفي أسيد بن الحضير في شعبان سنة عشرين من الهجرة ودفن في البقيع، انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٣/ص ٦٠٣ - ٦٠٦.

(٤) : ابن القيم «زاد المعاد» ج٢/٩٢. وقال ابن حجر: هو غلط بين. وقد جزم موسى بن عقبة بأنه لم يكن معهم في أحد شيء من الخيل، ووقع عند الواقدي كان معهم فرس لرسول الله ﷺ وفرس لأبي بردة (فتح الباري ٣٥٠/٧).

ولما جاوز ثنية الوداع رأى كتيبة حسنة التسليح منفردة عن سواد الجيش، فسأل عنها، فأخبر أنهم اليهود من حلفاء الخزرج^(١)، يرغبون المساهمة في القتال ضد المشركين، فسأل: هل أسلموا؟ فقالوا: لا فأبى أن يستعين بأهل الكفر على أهل الشرك. وقبل أن تبدأ المعركة تفرّد عبد الله بن أبي المنافق، فانسحب بنحو ثلث العسكر - ثلاثمائة مقاتل - قائلاً: ما ندري علام نقتل أنفسنا؟ ومتظاهراً بالاحتجاج بأن الرسول ﷺ ترك رأيه وأطاع غيره^(٢).

ولا شك أن سبب هذا الانعزال لم يكن هو ما أبداه هذا المنافق من رفض رسول الله ﷺ رأيه، وإلا لم يكن لسيره مع الجيش النبوي إلى هذا المكان معنى. بل لو كان هذا هو السبب لانعزل عن الجيش منذ بداية سيره، بل كان هدفه الرئيس من هذا التمرد - في ذلك الظرف الدقيق - أن يحدث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم، حتى ينحاز عامة الجيش عن النبي ﷺ، وتنهار معنويات من يبقى معه، بينما يتشجع العدو، وتعلو همته لرؤية هذا المنظر، فيكون ذلك أسرع إلى القضاء على النبي ﷺ وأصحابه المخلصين، ويصفوا بعد ذلك الجو لعودة الرياسة إلى هذا المنافق وأصحابه^(٣).

لم يكن أمام الرسول ﷺ، بعد أن خرج من المدينة مستجيباً لرأي الأغلبية، وبعد أن اتخذ من الحرب رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، سوى أن يعمل خطة حربية يعيها فيها إمكانات أصحابه المؤمنين الصابرين، والمستعدين لمواجهة وملاقاة جيش المشركين، ومن هنا فقد عبأ رسول الله ﷺ جيشه، وهياهم صفوفاً للقتال، فانتخب منهم فصيلة من الرماة الماهرين، قوامها خمسون مقاتلاً، وأعطى قيادتها لعبد الله بن جبير بن

(١) روى ذلك ابن سعد وفيه أنهم من بني قينقاع (٢٤/٢).

(٢) ابن سعد «الطبقات» ج٢/٣٤.

(٣) ابن سعد «الطبقات» ج٢/٣٨.

النعمان الأنصاري الأوسي البدري^(١)، وأمرهم بالتمركز على جبل يقع على الضفة الجنوبية من وادي قناة - وعرف فيما بعد بجبل الرماة - جنوب شرق معسكر المسلمين، على بعد حوالي مائة وخمسين متراً من مقر الجيش الإسلامي.

والهدف من ذلك هو ما أبداه رسول الله ﷺ في كلماته التي ألقاها إلى هؤلاء الرماة فقد قال لقائدهم : «انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتون من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فائتت مكانك لا نؤتت من قبلك»^(٢). ثم قال للرماة : «احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا»^(٣)، وفي رواية البخاري أنه قال : «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمتنا القوم ووطنانهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»^(٤).

ويتعين هذه الفصيحة في الجبل مع هذه الأوامر العسكرية الشديدة سد رسول الله ﷺ المنفذ الوحيد الذي كان يمكن لفرسان المشركين أن يتسللوا من ورائه إلى صفوف المسلمين، ويقوموا بحركات الالتفاف وعملية التطويق.

وفي غزوة أحد قاتل حمزة بن عبد المطلب^(٥) قتال الليوث المهتاجة، فقد اندفع إلى قلب جيش المشركين يغامر مغامرة منقطعة النظير، ينكشف عنه الأبطال كما تتطاير

(١) هو عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري ، صحابي شهد العقبة ويدرأ وكان أمير الرماة يوم أحد، فاستشهد فيها، انظر الزركلي في الاعلام ج٤ / ص٧٦.

(٢) ابن هشام ٢/٦٥، ٦٦.

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ج٧ / ٣٥٠.

(٤) رواه صحيح البخاري ، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ج٣ / ص٣٥، رقم الحديث: ٤٣-٤٤.

(٥) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الامام البطل الضرعام أسد الله أهر عمارة وأبو يعلى القرشي الهاشمي لما أسلم حمزة علمت قریش أن رسول الله ﷺ قد امتنع، وأن حمزة سيمنع ، فكفروا عن بعض ما كانوا ينالون منه ، عن علي قال لي رسول الله ﷺ ناد حمزة فقلت: من هو صاحب الجمل الأحمر؟ فقال حمزة هو عتبة بن ربيعة فبارز يومئذ حمزة عتبة فقتله. حمزة هو سيد الشهداء عم رسول الله ﷺ وقتل حمزة عم رسول الله ﷺ يوم أحد شهيداً. وقتله وحشي العبد الأسود عبد جبير بن مطعم، وكان عمه طعيمة بن عدي قتل يوم بدر، وقال جبير بن معطم لوحشي إن قتلت حمزة بن عبد المطلب فأنت حر، وقتله وحشي يوم أحد. انظر الذهبي سير اعلام النبلاء ١/١٧١-١٨٤.

الأوراق أمام الرياح الهوجاء، فبالإضافة إلى مشاركته الفعالة في إبادة حاملي لواء المشركين؛ فعل الأفاعيل بأبطالهم الآخرين حتى صرع وهو في مقدمة المبرزين، ولكن لا كما تصرع الأبطال وجهاً لوجه في ميدان القتال، وإنما كما يفتال الكرام في حلك الظلام. يقول قاتل حمزة وحشي بن حرب: كنت غلاماً لجبير بن مطعم^(١)، وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جببير: إنك إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق. قال: فخرجت مع الناس - وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة فلما أخطيء بها شيئاً - فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهد الناس هذا ما يقوم له شيء، فوالله إنني لأتهيباً له أريده، فأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزي، فلما رآه حمزة قال له: هلم إلى يابن مقطعة البظور - وكانت أمه ختانة - قال: فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه^(٢).

قال: وهزئت حرיתי، حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه، فوقع في ثنته - أحشائه - حتى خرجت من بين رجله، وذهب لينوء نحوي فغلب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيت فأخذت حرיתי ثم رجعت إلى العسكر، فقعدت فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنما قتلته لأعتق، فلما قدمت مكة عتقت^(٣).

(١) جببير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي شيخ قريش في زمانه أبو محمد، ويقال: أبو عدي

القرشي النوفلي بن عم النبي ﷺ وهو من الطلقاء الذين حسن إسلامهم وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه وكان موصوفاً بالحلم، ونبل الرأي كأبيه. وكان شريفاً مطلعاً. وله رواية أحاديث، توفي جببير بن مطعم سنة تسع وخمسين وقال المدائني سنة ثمانية وخمسين، انظر اعلام النبلاء ج٣/ ص ٩٥.

(٢) أخطأ رأسه، يقال عند المبالغة في الإصابت.

(٣) ابن هشام ٦٩/٢، ٧٠، ٧١، ٧٢، صحيح البخاري ٥٨٣/٢ - أسلم وحشي هذا بعد معركة الطائف،

وقتل مسيلمة الكذاب بعريته تلك، وشهد اليرموك ضد الرومان.

أما بقية الجيش فجعل على الميمنة المنذر بن عمرو^(١)، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام^(٢)، يسانده المقداد ابن الأسود^(٣)، وقد وكل إلى الزبير مهمة الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد، وجعل في مقدمة الصفوف نخبة ممتازة من شجعان المسلمين ورجالاتهم المشهورين بالنجدة والبسالة، والذين يوزنون بالآلاف .

ولقد كانت خطة حكيمة ودقيقة جداً، تتجلى فيها عبقرية قيادة النبي ﷺ العسكرية - وأنه لا يمكن لأي قائد مهما تقدمت كفاءته أن يضع خطة أدق وأحكم من هذا - فقد احتل أفضل موضع من ميدان المعركة، مع أنه نزل فيه بعد العدو، فقد حمى ظهره ويمينه بارتفاعات الجبل، وحمى مسيرته وظهره - حين يحتدم القتال - بسد الثلثة الوحيدة التي كانت توجد في جانب الجيش الإسلامي ، واختار لمعسكره موضعاً مرتفعاً يحتسى به - إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين - ولا يلتجئ إلى الفرار، حتى يتعرض للوقوع في قبضة الأعداء المطاردين وأسره، ويلحق مع ذلك خسائر فادحة إلى أعدائه إن أرادوا

(١) : هو المنذر بن عمرو بن خنيش بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة، وأمه هند بنت المنذر بن الجموح بن زيد بن حزام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، شهد المنذر العقبة مع السبعين من الانتصار ، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدرأً وأحدًا وقتل يوم بدر معونة شهيداً ، انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٣ / ص ٦١٨ .

(٢) : هو الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشي أبو عبد الله الصحابي المشهور أحد المهاجرين ولد قبل الهجرة ب ٢٨ سنة أحد العشر المبشرين بالجنتة وأول من سل سيفاً في الاسلام ، ابن عمه النبي ﷺ وحواريه، أسلم صغيراً وشهد بدرأً والمشاهد، وجعله عمر في رجال الشورى للخلافة بعده، قتله ابن جرير بوادي السباع غيلة على مقربة من البصرة سنة ٣٦هـ وله في الصحيحين ٣٨ حديثاً، انظر الحاكم المستدرک ج٣ / ٣٦٨ .
والذهبي سير اعلام النبلاء ج١ / ٢٣ وابن سعد الطبقات الكبرى ج٣ / ١٠٠ .

(٣) : هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي أبو عمرو الحضرمي. وكان حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري، في الجاهلية فتنه، فكان يقال له المقداد بن الاسود، فلما نزل القرآن أدعوهم لأبائهم ، قيل المقداد بن عمرو، كان أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الاسلام وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله وأحد الأربعة الذين أمر الله نبيه ﷺ أن يحبهم كما جاء في الحديث ، شهد بدرأً وغيرها وسكن المدينة حيث توفي على مقربة منها. فحمل اليها ودفن بها وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنهما. وكان يوم مات ابن سبعين سنة أو نحوها وقد هاجر الهجرتين، وكانت وفاته سنة ٣٣هـ انظر: ابن سعد الطبقات الكبرى ج٣ / ص ١٦٢ والذهبي سير اعلام النبلاء ج١ / ص ٣٨٥ .

احتلال معسكره وتقدموا إليه، وأجأ أعداءه إلى قبول موضع منخفض يصعب عليهم جداً أن يحصلوا على شيء من فوائد الفتح إن كانت الغلبة لهم، ويصعب عليهم الإفلات من المسلمين المطاردين إن كانت الغلبة للمسلمين، كما أنه عوض النقص العددي في رجاله باختيار نخبة ممتازة من أصحابه الشجعان البارزين.^(١)

وهكذا تمت تعبئة الجيش النبوي صباح يوم السبت السابع من شهر شوال سنة ٣هـ..^(٢)

أما المشركون فعبأوا جيشهم حسب نظام الصفوف، فكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان صخر بن حرب الذي تمركز في قلب الجيش، وجعلوا على الميمنة خالد بن الوليد^(٣) - وكان إذ ذاك مشركاً^(٤) - وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وعلى المشاة

(١) : انظر : اللواء الركن محمود شيت خطاب «الرسول القائد» دار القلم ، بيروت طبعة ثالثة عام ١٩٧٤ صفحة ١٦٦-١٦٧..

(٢) : ابن كثير «الهداية والنهاية» ج٤/٩.

(٣) : هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو سليمان. وقيل أبو الوليد، أمه: لبابة الصغرى، وقيل: بل هي لبابة الكبرى، والأكثر على أن أمه لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، أخت ميمونة زوج النبي ﷺ وكان خالد أحد أشراف قريش في الجاهلية. واختلف في وقت اسلام خالد وهجرته، وقيل: هاجر بعد الحديبية. وقيل: بل كان اسلامه بين الحديبية وخيبرة وقيل: كان اسلامه سنة ٥هـ بعد فراغ رسول الله ﷺ من بني قريظة، وقيل: في أول سنة ٨هـ مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة، وبعثه الرسول الى العزى وكان صنماً عظيماً لقريش وكنانة ومضر تبجله فهدهما وبعثه الرسول ﷺ أيضاً إلى الغميصاء، وكان على مقدمة رسول الله ﷺ يوم حنين، وبعثه رسول الله ﷺ الى بلعازر بن كعب سنة عشر، وأمره أبو بكر الصديق على الجيش ففتح الله عليه اليمامة، ذكر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقال: نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله، سلّه الله على الكفار والمنافقين. وشهد خالد مائة زحف، ومات ما في جسده موضع شهر إلا فيه ضربة أو طعنة أو رمية. وتوفي خالد بحمص وقيل: بالمدينة سنة ٢١هـ، انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله والمحقق، الطبعة الأولى ج٢/ص ١١.

(٤) ابن كثير: «الهداية والنهاية»، ج٤/٩.

ابن أمية^(١)، وعلى رماة النبل عبد الله بن أبي ربيعة^(٢).
وتقارب الجمعان، وتداونت الفئتان، وبدأت مراحل القتال، وكان أول وقود المعركة
حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري، وكان من أشجع فرسان قريش، يسميه
المسلمون كبش الكتيبة، خرج وهو راكب على جمل، يدعو إلى المبارزة، فأحجم عنه
الناس لفرط شجاعته، ولكن تقدم إليه الزبير، ولم يمهله بل وثب إليه وثبة الليث، حتى
صار معه على جملة، ثم اقتحم به الأرض، فألقاه عنه وذبحه بسيفه^(٣).

ورأى النبي ﷺ هذا الصراع الرائع، فكبر وكبر المسلمين، وأثنى على الزبير، وقال
في حقه : إن لكل نبي حوارياً، وحواريي الزبير^(٤)

وعلى الرغم من قلة عدد المسلمين في مواجهة جيش المشركين في أحد فإن الجيش
الإسلامي الصغير بقيادة النبي ﷺ ظل مسيطراً على الموقف حتى خارت عزائم أبطال
المشركين، وأخذت صفوفهم تتبدد عن اليمين والشمال والأمام والخلف، كأن ثلاثة آلاف
مشرك يواجهون ثلاثين ألف مسلم، لا يضع مئات قتلات، وظهر المسلمون في أعلى صور
الشجاعة واليقين.

(١) هو عمرو بن الأمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس. أبو أمية الضمري صاحب رسول الله ﷺ شهد مع
المشركين هدراً واحداً، بعثه رسول الله ﷺ سرية وحده، وبعثه رسولا إلى النجاشي، وغزا مع النبي ﷺ وصد
عنه، أسلم حين أنصرف المشركون عن أحد، وكان شجاعاً مقداماً، أول مشاهده بئر معونة، توفي عمرو بن
أمية زمن معاوية.
انظر الذهبي سير اعلام النبلاء ٣/١٧٠-١٨١.

(٢) هو عبد الله بن أبي ربيعة، واسمه عمرو وقيل: حذيفة. ويلقب ذا الرمحين ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو
بن مخزوم يكنى أبا عبد الرحمن. كان اسمه بجيرا، فغيره رسول الله ﷺ وهو أخو عياش بن أبي ربيعة
لأبويه، أمهما أسماء بنت مخزومة. وهو والد عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر المشهور. ولي الجند لعمر
وولاه اليمن واستمر إلى أن جاء لينصر عثمان مسقط عن راحلته بقرب مكة فمات. وهو من مسلمة الفتح،
انظر ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ج٦/ص٧٤-٧٥ رقم ٤٦٦٢ وابن سعد، الطبقات ج٥/ص
٤٤.

(٣) ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/٩

(٤) ابن إسحاق «السيرة الحلبية» ج٢/١٨

وبعد أن بذلت قريش أقصى جهدها لكي تصد هجوم المسلمين أحست بالعجز والخور، وانكسرت همتها - حتى لم يجترئ أحد منها أن يدنو من لوائها، الذي سقط، فيحمله ليدور حوله القتال - فأخذت في الانسحاب، ولجأت إلى الفرار، ونسيت ما كانت تتحدث به في نفوسها من أخذ الثأر والوتر والانتقام، وإعادة العز والمجد والوقار. قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نصره على المسلمين، وصدقهم وعده، فحسبهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها. روى عبد الله بن الزبير عن أبيه أنه قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم - سوق - هند بن عتبة وصواحبها مشمرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير.. إلخ^(١) وفي حديث البراء بن عازب^(٢) عند البخاري في الصحيح: فلما لقيناهم هربوا، حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، يرفعن سوقهن قد بدت خلاخيلهن^(٣). وتبع المسلمون المشركين، يضعون فيهم السلاح، وينتهبون الغنائم.

وبينما كان الجيش الإسلامي الصغير يسجل مرة أخرى نصراً ساحقاً على مكة لم يكن أقل روعة من النصر الذي اكتسبه يوم بدر، وقعت من أغلبية فصيلة الرماة غلظة فظيعة قلبت الوضع تماماً، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين، وكادت تكون سبباً في مقتل النبي ﷺ، وقد تركت أسوأ أثر على سمعتهم، والهيبه التي كانوا يتمتعون بها بعد بدر.

(١) ابن هشام «السيرة النبوية» ج ٢/ ٧٧.

(٢) هو البراء بن عازب بن الحارث الاتصاري صحابي أسلم وهو فتى مع أبيه وكان من كبار الصحابة، يكنى أبا عمارة، ورده الرسول ﷺ في معركة بدر لصغر سنه، غزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة وسافر معه ثمانية عشر سفراً، وهو الذي افتتح الري سنة ٢٤ هـ وشهد غزوة تستر مع أبي موسى وشهد مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الجمل وصفين. وقتال الحوارج ونزل الكوفة وبنى بها داراً. ومات رضي الله عنه في أماره مصعب بن الزبير.

انظر ابن سعد الطبقات الكبرى، ج ٤/ ص ٣٦٤ - ٣٦٨.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ج ٣/ ص ٣٥، رقم الحديث: ٤٠٤٣.

لقد أسلفنا نصوص الأوامر الشديدة التي أصدرها رسول الله ﷺ إلى هؤلاء الرماة، بلزومهم موقفهم من الجبل في كل حال من النصر أو الهزيمة ، لكن على رغم هذه الأوامر المشددة؛ لما رأى هؤلاء الرماة أن المسلمين ينتهبون غنائم العدو، قال بعضهم لبعض: الغنيمة ، الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون؟.

أما قائدهم عبد الله بن جبير، فقد ذكرهم أوامر رسول الله ﷺ وقال : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟

ولكن الأغلبية الساحقة لم تلق لهذا التذكير بالأى، وقالت : والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة ^(١). ثم غادر أربعون رجلاً من هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل، والتحقوا بسواد الجيش، ليشاركوه في جمع الغنائم، وهكذا خلت ظهور المسلمين، ولم يبق فيها إلا ابن جبير وتسعة من أصحابه، التزموا مواقفهم، مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم أو يبادوا. وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة، فاستدار بسرعة خاطفة، حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فلم يلبث أن أباد عبد الله بن جبير وأصحابه، ثم انقض على المسلمين من خلفهم، وصاح فرسانه صيحة عرف المشركون المنهزمون بالتطور الجديد، فانقلبوا على المسلمين ، وأسرعت امرأة منهم - وهي عمرة بنت علقمة الحارثية - فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب ، فالتف حوله المشركون ولاذوا به، وتنادى بعضهم بعضهم، حتى اجتمعوا على المسلمين ، وثبتوا للقتال، وأحيط المسلمون من الأمام والخلف، ووقعوا بين شقي الرحى. ^(٢)

وكان رسول الله ﷺ حينئذ في مفرزة صغيرة - تسعة نفر من أصحابه ^(٣) - في مؤخرة المسلمين. ^(٤)، كان يرقب مجالدة المسلمين ومطاردتهم المشركين إذ بوغت بفرسان خالد مباغته كاملة، فكان أمامه طريقان، إما أن ينجو - بالسرعة - بنفسه وأصحابه

(١) : روى ذلك البخارى من حديث البراء بن عازب ٤٢٦/١.

(٢) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤/١٧

(٣) : في صحيح مسلم (١٠٧/٢) أنه ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش.

(٤) يدل عليه قوله تعالى : والرسول يدعوكم في أخراكم. سورة البقرة - الآية ١٥٣.

التسعة إلى ملجأ مأمون، ويترك جيشه المطوق إلى مصيره المقدور، وإما أن يخاطر بنفسه فيدعو أصحابه ليجمعهم حوله، ويتخذ بهم جبهة قوية يشق بها الطريق لجيشه المطوق إلى هضاب أحد. وهناك تجلت عبقرية الرسول ﷺ وشجاعته المنقطعة النظير، فقد رفع صوته ينادي أصحابه : عباد الله، وهو يعرف أن المشركين سوف يسمعون صوته قبل أن يسمعه المسلمون، ولكنه ناداهم مخاطراً بنفسه في هذا الظرف الدقيق.

ويمثل هذا الاستبسال والتشجيع عادت إلى جنود المسلمين روحهم المعنوية، ورجع إليهم رشدهم وصوابهم، وأخذوا سلاحهم، يهاجمون تيارات المشركين، وهم يحاولون شق الطريق إلى مقر القيادة، وقد بلغهم أن خبر مقتل النبي ﷺ كذب مختلق، فزادهم ذلك قوة على قوتهم، فنجحوا في الإفلات عن التطويق، وفي التجمع حول مركز منيع بعد أن باسروا القتال المرير، وجالدوا بضراوة بالغة.^(١)

وكان من بين مقاتلي المسلمين جماعة يهملها كثيراً حماية حياة رسول الله ﷺ. فقد كرت هذه الطائفة إلى رسول الله ﷺ، وعمل التطويق في بدايته عمله، وفي مقدمة هؤلاء أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب^(٢) وغيرهم رضي الله عنهم كانوا في مقدمة المقاتلين، فلما أحسوا بالخطر عليه ﷺ صاروا في مقدمة المدافعين.^(٣)

(١) : انظر زاد المعاد ٩٣/٢، ٩٦، وأيضاً صحيح البخاري ٥٧٩/٢.

(٢) هو علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الحسن الهاشمي، أمير المؤمنين، كناه رسول الله ﷺ أبا تراب والخبر في ذلك مشهور. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم أسلمت وماتت في حياة رسول الله ﷺ وصلى عليها ونزل في قبرها روى عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر والمقداد بن الأسود وزوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ روى عنه كثير من الناس، أول من آمن بالله ورسوله ﷺ علي بن أبي طالب من الصبيان، وأسلم وهو ابن ١٣ سنة وهذا أصح، أول من صلى مع النبي ﷺ أول من صلى إلى القبلتين وهاجر وشهد بدرأً واحداً وسائر المشاهد، وكان لواء رسول الله ﷺ في مواطن كثيرة بيده، ولم يتخلف الا في تبوك خلفه رسول الله ﷺ على المدينة وقال له أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي، بويع لعلي بالخلافة يوم قتل عثمان فاجتمع على بيعته المهاجرون والانصار الا نفرأ منهم، وقتله عبد الرحمن بن ملجم ليلة الجمعة ثلاث عشرة خلت وقيل بقيت من رمضان سنة (٤٠) هـ وهو ابن ٣ أو ٤ أو ٥ أو ٦ سنة، انظر تهذيب التهذيب ط ١/ ٧٤ ص ٢٩٤.

(٣) السيرة الحلبية ٢٢/٢. وزاد المعاد ج ٩٦/٢.

وبينما كان العراك محتدماً حول رسول الله ﷺ إلا تسعة نفر، فلما نادى المسلمين: هلم إليّ، أنا رسول الله ، سمع صوته المشركون وعرفوه، فكروا إليه وهاجموه، ومالوا إليه بثقلهم قبل أن يرجع إليه أحد من جيش المسلمين، فجرى بين المشركين وبين هؤلاء النفر التسعة من الصحابة عراك عنيف، ظهرت فيه نوادر الحب والتفاني والبسالة والبطولة.

روى مسلم عن أنس بن مالك^(١) أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهبوه قال: من يردهم عنا وله الجنة؟ أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهبوه أيضاً فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه - أي القرشيين - ما أنصفنا أصحابنا^(٢).

وكان آخر هؤلاء السبعة هو عمار بن يزيد بن السكن، قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط^(٣).

وفي الصحيحين عن أبي عثمان قال^(٤): ولم يبق مع النبي ﷺ يقاتل غير طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص^(٥)، ولم يتوان المشركون ، فقد ركزوا حملتهم على النبي ﷺ وطمعوا في القضاء عليه، رماه عتبة بن أبي وقاص بالحجارة فوق لشقه، وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى، وكلمت شفته السفلى، وتقدم إليه عبد الله بن شهاب الزهري، فشجه في جبهته. وجاء فارس عنيد هو عبد الله بن قمئة فضرب على عاتقه بالسيف

(١) : هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن صرام بن جند بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الحزرج بن حارثة الأنصاري الحزرجي التجاري [البصري] خادم رسول الله ﷺ يكنى أبا حمزة، انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٢٢٤.

(٢) : صحيح مسلم ، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد ١٤١٥/٣ رقم الحديث ١٠٠ (١٧٨٩)

(٣) : وبعد لحظة فامت إلى رسول الله ﷺ فنته من المسلمين فأجهضوا الكفار عن عمارة، وأذنوه من رسول الله ﷺ، فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ. (ابن هشام ٨١/٢).

(٤) : صحيح البخاري ، كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان منكم... ج٣/ص ٢٩، رقم الحديث : ٤٠٦٠ - ٤٠٦١.

(٥) : هو الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التميمي أبو محمد المدني، أحد العشرة وأحد السابقين.

وأمه الصفيية أخت العلاء بن الحضرمي من المهاجرات، غاب طلحة عن بدر فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وشهد أحداً وما يهده أخى النبي ﷺ بين طلحة وأبي أيوب، عن جابر صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسأله منه. في يوم الجمل كان طلحة من أول قتل ، وقعة الجمل كانت في يوم الجمعة جمادي الآخر سنة ٣٦هـ. توفي ابن ٦٠ وقيل ٦٣ تهذيب التهذيب / ١٦ / ج٥ / ص ١٩.

ضربة عنيفة، شكا ﷺ لأجلها أكثر من شهر، إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين، ثم ضرب على وجنته ﷺ ضربة أخرى عنيفة كالأولى، حتى دخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وقال : خذا وأنا ابن قمئة. فقال رسول الله ﷺ له وهو يمسخ الدم عن وجهه: أقماك الله^(١).

وفي الصحيح أنه ﷺ كسرت ربايعيته، وشج في رأسه، فجعل يسלט الدم عنه ويقول: كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم، وكسروا ربايعيته وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله عز وجل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٢٨) [آل عمران: ١٢٨]^(٢).

وفي رواية الطبراني أنه قال يومئذ : اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله، ثم مكث ساعة ثم قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون^(٣). وكذا في صحيح مسلم أنه كان يقول : رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون^(٤)، وفي الشفاء للقاضي عياض أنه قال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون^(٥).

ولا شك أن المشركين كانوا يهدفون القضاء على حياة رسول الله ﷺ، إلا أن القرشيين سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله قاما ببطولة نادرة، وقاتلا ببسالة منقطعة النظير، حتى لا يتركا - وهما اثنان فحسب - سبيلاً إلى نجاح المشركين في هدفهم، وكانا من أمهر رماة العرب فتناضلا حتى أجهضا مفرزة المشركين عن رسول الله ﷺ. وفشلت مؤامرة المشركين في أحد إذ اجتمع حول النبي ﷺ عصابة من أبطال

(١) وقد سمع الله دعاء رسول الله ﷺ، فعن ابن عائد أن ابن قمئة وانصرف إلى أهله، فخرج إلى غنمه، فوافاها على ذروة جبل، فدخل فيها، فشد عليه تيسها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطع - فتح الهاري (٣٧٣/٧) وعند الطبراني فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة (فتح الهاري (٣٣٦/٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي باب ليس لك من الأمر شيء ج ٢/ ٤٤ رقم الحديث: ٤٠٦٩.

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الهاري ٣٧٣/٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد ١٠٨/٢.

(٥) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٨١/١.

المسلمين، منهم أبو دجانة^(١)، ومصعب بن عمير، وعلي بن أبي طالب، وسهل بن حنيف^(٢)، ومالك بن سنان^(٣) والد أبي سعيد الخدري، وأم عمارة^(٤) نسبية بنت كعب المازنية، وقتادة بن النعمان^(٥)، وعمر بن الخطاب، وحاطب بن أبي بلتعة، وأبو طلحة^(٦).

- (١) : هو أبو دجانة الانصاري، سماك بن حرسة بن لوزان بن عبيدود بن زيد الساعدي، كان يوم أحد عليه عصاة حمراء، يقال : أخى النبي ﷺ بينه وبين عتبة بن غزوان، ثبت أبو دجانة يوم أحد مع النبي ﷺ وبايعه حتى الموت. وهو ممن شارك في قتل مسيلمة الكذاب ثم استشهد يومئذ، انظر الذهبي سير اعلام النبلاء ٢٤٣/١.
- (٢) : هو سهل بن حنيف بن واهب بن العليق بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن خناس. ويقال: ابن خنساء بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، يكتى أبا سعيد وقيل: أبا سعد، وقيل : أبا عبد الله وقيل : أبا الوليد، وقيل : أبا ثابت. شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ [وثبت يوم أحد] وكان بايعه يومئذ على الموت، وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله ﷺ ثم صحب علياً رضي الله عنه من حين بيعه واستخلف علي رضي الله عنه حين خرج من المدينة إلى البصرة، وشهد صفين مع علي وولاه على فارس، ومات سهيل بالكوفة سنة ٣٨هـ، الاستيعاب / ٢ / ص ٢٢٣.
- (٣) : هو مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبحر. والأبحر هو خذرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، قتل يوم أحد شهيداً وهو والد أبي سعيد الخدري، الأنصاري، قتله عراب بن سفيان الكناني، انظر أبا عمر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٣ / ص ٤٠٧.
- (٤) : هي أم عمارة الانصارية، اسمها نسبية بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار. كانت قد شهدت بيعة العقبة وشهدت أحداً مع زوجها زيد بن عاصم، ثم شهدت بيعة الرضوان ثم شهدت مع ابنها عبد الله وسائر المسلمين البسامة فقاتلت حتى أصيبت يدها وجرحت يومئذ اثني عشر جرحاً من بين طعنة وضربة، انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٤ / ص ٥٠٢.
- (٥) : هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري الأوسي. صحابي بدرى من شجعانهم كان من الرماة المشهورين شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكانت يوم الفتح راية بني الظفر وتوفي بالمدينة ٢٣هـ وهو ابن ٦٥ سنة، له سبعة أحاديث وهو أخو «أبي سعيد الخدري» لأمه، انظر الزركلي في الاعلام ج٥ / ١٨٩.
- (٦) : ابن القيم : زاد المعاد ج٢ / ٩٥.

وواجه المسلمون المشركين على كثرتهم ببطولات نادرة وتضحيات رائعة، لم يعرف لها التاريخ نظيراً. كان أبو طلحة^(١) يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ، ويرفع صدره ليقية عن سهام العدو. قال أنس : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة بين يديه مجوب عليه بحجفة له، وكان رجلاً رامياً شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل، فيقول : «انثرها لأبي طلحة». قال : وشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف بصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك^(٢).

وعنه أيضاً قال: كان أبو طلحة يتترس مع النبي ﷺ بترس واحد، وكان أبو طلحة حسن الرمي، فكان إذا رمى تشرف النبي ﷺ، فينظر إلى موقع نبله^(٣).

وقام أبو دجانة أمام رسول الله ﷺ ، فترس عليه بظهره، والنبل يقع عليه وهو لا يتحرك، وتبع حاطب بن أبي بلتعة^(٤) عتبة بن أبي وقاص - الذي كسر الرباعية الشريفة - فضربه بالسيف حتى طرح رأسه، ثم أخذ فرسه وسيفه. وكان سعد بن أبي وقاص شديد الحرص على قتل أخيه - عتبة هذا - إلا أنه لم يظفر به، بل ظفر به حاطب.

(١) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، وأمه: عبادة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك النجار، وشهد أبو طلحة في العقبة مع السبعين من الأنصار وشهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ أخى رسول الله ﷺ بين أبي طلحة وأرقم بن الأرقم المخزومي وقال ﷺ عن أبي طلحة ولصوت أبي طلحة في الجبش خير من ألف رجل، ومات أبو طلحة بالمدينة سنة أربع وثلاثين من الهجرة وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وهو يومئذ ابن سبعين سنة. انظر بن سعد الطبقات الكبرى ج٢/ ص ٥ ج٢/ ص ٥٠٤-٥٠٦.

(٢) زاد المعاد مرجع سابق ج٩٧/٢.

(٣) أخرجه صحيح البخاري. كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان منكم، ج٣/ ٤٠ حديث رقم ٤٠٦٣٠.

(٤) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، من ولد لحم بن عدي في قول بعضهم، يكنى أبا عبد الله وقيل: يكنى أبا محمد، واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير، وقيل حاطب بن عمرو بن راشد بن معاذ اللخمي، وهو من أهل اليمن، والأكثر أنه حليف لبني أسد بن عبد العزي، شهد حاطب بدرًا والحديبية ومات سنة ثلاثين بالمدينة من الهجرة وهو ابن خمس وستين سنة، انظر أبا عمر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج١/ ص ٣٧٤.

وكان سهل بن حنيف أحد الرماة الأبطال، بايع رسول الله ﷺ على الموت، ثم قام بدور فعال في الحاق الهزيمة بالمشركون.

وكان رسول الله ﷺ يباشر الرماية بنفسه، فعن قتادة بن النعمان أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سببتها^(١)، فأخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عينه حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدهما.

وقاتل عبد الرحمن بن عوف^(٢) حتى أصيب فوه يومئذ فهتم، وجرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها في رجله فخرج.

وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته ﷺ حتى أنقاه. فقال: «مجه». فقال: والله لا أمجه أبداً. ثم أدبر يقاتل، فقال النبي ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا. فقتل شهيداً^(٣)».

وبعد أن صد المسلمون المشركين، أخذ رسول الله ﷺ في الانسحاب المنظم إلى شعب الجبل، وهو يشق الطريق بين المشركين المهاجمين، واشتد المشركون في هجومهم؛ الانسحاب إلا أنهم فشلوا أمام بسالة أصحاب رسول الله ﷺ.

وهكذا فشلت مؤامرة المشركين العسكرية ضد الدعوة وصاحبها عليه السلام في معارك أحد.

(١) سببتها : ما عطف من طرفيها.

(٢) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب أبو محمد الزهري أحد العشر. وأمه من بني زهرة واسمها الشفاء ويقال ضبيعة ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها وكان اسمه عبد الكعبة وغير الرسول ﷺ اسمه بعبد الرحمن، وتصديق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشرط ماله وله مناقب كثيرة، مات ٣٢هـ وقيل ٣١هـ وقيل ٣٣هـ وقال بعضهم وله ٧٥ سنة انظر تهذيب التهذيب ج١/٦٠/ص ٢٢١.

(٣) انظر ابن هشام ٧٣/٢، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، وزاد المعاد ٩٧/٢.

□ □ الأسلوب السابع (أسلوب التحالف والتحزب):

في غزوة الخندق برز شكل من الأساليب العملية الحادة التي قاوم بها خصوم الدعوة في العهد المدني الإسلام وكل ما يرمز اليه ذلك أنه في هذه الغزوة تعانق فيها التحالف بين خصوم الدعوة في العهد المدني بشكل فاعل ومؤثر، كان ذلك في شوال من السنة الخامسة من الهجرة^(١) حين اجتمع نفر من اليهود في مكة مع قادة قريش، ودعواهم وحرصواهم على حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش: يامعشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه.^(٢) فهم الذين أنزل الله تعالى بشأنهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۗ ﴾ (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۗ ﴾ (٥٢) الى قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۗ ﴾ (٥٤) فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۗ ﴾ (٥٥) ^(٣) واتخذت قريش بقول اليهود، وسرهم ذلك فاجتمعوا على حرب رسول الله ﷺ، ولم يكتف اليهود بتحريض قريش في مكة، بل ذهبوا الى غطفان من قيس عيلان، ودعواهم الى حرب رسول الله ﷺ ووعدهم بالعون والنصرة، وأخبروهم أن قريشا تبعتهم على ذلك^(٤). وفي ذلك يقول ابن اسحق أيضاً:

خرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني مزارة والحريث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعد بن ربيعة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع^(٥).

(١) : ابن هشام «السيرة النبوية» ، ج٣/٢٣٠، وابن كثير «البداية والنهاية» ج٤/٩٢

(٢) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/٢٢٩ والطبري تاريخ ج٢/٥٦٥.

(٣) سورة النساء: الآيات ٥١-٥٥

(٤) : الطبري «تاريخ» ج٢/٥٦٦

(٥) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/٢٣١

فلما سمع بهم رسول الله وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة ولما كان ضرب الخندق من الأعمال الشاقة العسيرة التي لم تألفها العرب إذ كان ضربه بمشورة من سلمان الفارسي^(١) فقد عمل فيه رسول الله ﷺ بنفسه ترغيباً للمسلمين في الأجر وعمل معه المسلمون وأبطأ عن رسول الله رجال من المنافقين كانوا يتسللون إلى أهلهم بغير علم رسول الله ولا إذن^(٢) بينما كان المسلمون إذا نابت أحدهم نائبة يذكرها لرسول الله ويستأذن في اللقوق بأهله فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمل الخير وفي ذلك نزل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ^(٣)، فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين ممتثلاً لأمر النبي مبتغياً وجه الله والدار الآخرة.^(٤)

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في حفر الخندق عندما تحزبت الأحزاب وتجهشت الجيوش لتتنقض على المدينة رأى الناس براهين ودلالات عظيمة على عون الله لنبيه في مواجهة خصوم الدعوة . يقول ابن إسحاق إن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق (كديّة) أي صخرة عظيمة فشكونا إلى رسول الله ﷺ فدعى بإناء من ماء فتفل فيه ثم دعى الله بما شاء أن يدعو به ثم نضح ذلك الماء على تلك الكديّة فيقول من حضرها والذي بعثه نبيا انهالت حتى عادت كالكتيب لا ترد فأسا ولا مسحاة.^(٥)

-
- (١) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤/٩٥، ١٠٥، ١٠٦
(٢) ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤ نفس الموضع وانظر صحيح البخاري المطبوع مع الفتح ج١٥/٢٧٥ كتاب المغازي باب غزوة الخندق ، وانظر البيهقي «دلائل النبوة» ج٣/٣٩٦
(٣) : سورة النور الآية ٦٢
(٤) : انظر الطبري «تاريخ» الطبري ج٢/٥٦٧
(٥) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/٢٣٣

ولما فرغ رسول الله من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسبال من دومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أجياشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد^(١) وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم^(٢) وأنه استعمل الرسول ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم^(٣) وعلى ضوء ما تذكر مصادر التاريخ في غزوة الخندق فإنه حين الإعداد لهذه الغزوة وإبانها خرج عدو الله حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بن قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهد فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فأستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيي: ويحك يا كعب افتح لي فقال ويحك يا حيي إنك أمرؤ مشثوم وإنني قد عاهدت محمدا، فلست بناقض ما بيني وبينه^(٤) لكن حيبا ظل بكعب حتى نقض عهده فلما انتهى إلى رسول الله الخبر بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ^(٥) وسعد بن

(١) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤/١٠٢

(٢) رواية ابن اسحق معلقا ابن هشام ج٣/٣٠٦، وانظر ابن سعد «الطبقات» ج٢/٦٦

(٣) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٢٣٥

(٤) هو ابن أم مكتوم: هو عمرو بن قيس بن زائد بن الأصم، صحابي شجاع كان ضريح البصر، أسلم بمكة، وهاجر إلى المدينة بعد وقعة بدر، وكان يؤذن لرسول الله ﷺ في المدينة مع بلال. وكان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزواته. وحضر حرب القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع ساهفة، فقاتل وهو أعمى، ورجع بعدها إلى المدينة فتوفي فيها قبيل وفاة عمر بن الخطاب ٢٣هـ، انظر الزركلي في الاعلام ج٥/ ص ٨٣.

(٥) : الطبري «تاريخ» ج٢/٥٧١

(٦) : هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأسهل السيد الكبير الشهيد أبو عمرو الانتصاري الأوسي الأسهلي، البدري الذي اهتز العرش لموته. ومناقبه مشهورة في الصحاح وفي السيرة وغير ذلك أسلم سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير، حكم رسول الله ﷺ بحكم سعد في بني قريظة فحكم أن يقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذرايرهم، وكان لسعد من الولد: عمرو وعبد الله. فكان لعمرو تسعة أولاد، وكان رجلا أبيض طويلاً جميلاً حسن الوجه عاش ٣٧ سنة عن عائشة قالت: حضر رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر سعد بن معاذ وهو يموت في القبة التي ضربها عليها رسول الله في المسجد، انظر: الذهبي سير اعلام النبلاء ج١/ ص ٢٧٩.

عبادة^(١) وعبد الله بن رواحة^(٢) وخوات بن جبير^(٣) وقال لهم: انطلقوا حتى تنظروا أحقا ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقاً فالحن لي لحنا أعرفه ولا تفت في عضد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس^(٤) فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم بحيث نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا لا عهد بيننا وبين محمد^(٥) ولا عقد، ولما ذهب وفد رسول الله إليه سلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه^(٦) لكن رسول الله ﷺ تقبل هذه الخيانة بثبات يقين ورباطة جأش قائلاً الله أكبر أبشروا يامعشر المسلمين وعظم ذلك على المسلمين واشتد الخوف حين أتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال أحدهم كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أنه يذهب إلى الغائط.^(٧)

(١) : هو سعد بن عبادة ابن دكيم بن حارثة بن أبي حنيفة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، السيد الكبير الشريف أبو قيس الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني النقيب سيد الخزرج . له احاديث يسيرة. لما قدم النبي ﷺ المدينة كان سعد يبعث إلى النبي ﷺ كل يوم حفنة من تريد اللحم أو غيره. وقال سعد أن أمه ماتت وعليها نذر فسأل النبي ﷺ فأمره أن تقضيه ، توفي سعد بن عبادة بمرور لستين ونصف من خلافة عمر رضي الله عنهم، انظر : الذهبي سير اعلام النبلاء ج١/ ص ٢٧٠.

(٢) : هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري من الخزرج، أبو محمد : صحابي يعد من الأمراء والشعراء الراجزين، كان يكتب في الجاهلية، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدرًا وأحدا والخندق والحديبية واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته، وصحبه في عمرة القضاء، وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة، فاستشهد فيها . انظر الزركلي في الأعلام ج٤/ ص ٨٦.

(٣) : هو خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك وهو امرئ القيس بن ثعلبة، وأمه عن بني عبد الله بن غطفان وكان يكنى أبا عبد الله وصاحب ذات النحتين في الجاهلية ، ثم أسلم وحسن اسلامه، ولم يشهد بدرًا لأجل الإصابة فرده الرسول ﷺ وضرب له سهم كمن شهداها، وشهد أحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ مات خوات في المدينة في سنة أربعين من الهجرة وهو ابن أربع وسبعين سنة، انظر سعد الطبقات الكبرى ج٢/ ص ٤٧٧.

(٤) : ابن هشام «السيرة» ج٢/٢٣٧

وانظر الراقي «الغازي» ج٢/٤٦٩، وابن اسحق باسناد منقطع، ابن هشام ج٢/٣١٥

(٥) : الطبري «تاريخ» ج٢/٥٧٦

(٦) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٢٣٨

(٧) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/ نفس الموضوع

لكن رسول الله ﷺ قام على رأس الجيش في مواجهة المشركين بضعا وعشرين ليلة قريبا من الشهر ولم يكن بين الفريقين حرب إلا الرمي بالنبل والحصار^(١).

ولما اشتد على الناس البلاء من شدة الحصار وكثرة الجيوش بعث رسول الله ﷺ بعض رجاله إلى عيبنة بن حصن بن حذيفة وإلى الحرث بن عوف بن أبي حارثة وهما يومئذ قائدا غطفان فرغبا إليهما أن يأخذا ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه^(٢) لكن لما أراد الرسول أن يفعل ذلك استشار سعد بن معاذ وسعد بن عباد فقالا له يارسول الله هذا الذي تقدم عليه أمرا تحبه فنصنعه أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا قال بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوساً واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما^(٣) فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم من الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو يبيعا أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا والله مالنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم^(٤) ، وأمام هذا اليقين العظيم بنصر الله وعونه الذي رآه النبي ﷺ قد ملأ قلوب أصحابه عدل رسول الله عن هذا العهد الذي كان يزمع إقامته وأقام ﷺ والمسلمون معه في مواجهة عدوهم ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمر بن عبدود وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقال تهيئوا يابني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم ثم أقبلوا حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب أن تكبدها^(٥)

(١) : الطبري «تاريخ» ج٢/٥٧٦

(٢) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٢٣٩

(٣) : الطبري «التاريخ» ج٢/٥٧٣

(٤) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٢٤٠

لكنهم قصدوا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السنجة وبين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا مناخيلهم وأقبلت الفرسان نحوهم ووقف عمرو بن ود يستفز ويقول: من يبارز فبرز له علي بن أبي طالب قائلاً: يا عمرو إني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام فقال عمرو لا حاجة لي بذلك قال: فإني أدعوك إلى النزال قال: لم يا ابن أخي فوالله لا أحب أن أقتلك قال له علي: ولكن والله أحب أن أقتلك فغضب عمرو واشتد غضبه عند ذلك ونزل عن فرسه فعقره ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيلهم مهزومة حتى اقتحمت الخندق هاربة^(١) إلى أن صرفهم الله تعالى بحوله وقوته ، استحبابا لرسوله ﷺ وصيانة لحوزته الشرعية، حين زلزل قلوبهم بإرسال الريح الشديدة التي زلزلت أبدانهم وكفى الله بها المؤمنين شر القتال ورد الأحزاب خائبين^(٢).

□ □ الأسلوب الثامن: أسلوب فتنة المؤمنين :

يتمثل هذا الأسلوب في محاولات قريش فتنة المؤمنين، وذلك بردتهم إلى الشرك بعد إيمان الله، كما حدث من أبي جهل والحريث ابني هشام، عندما قدما المدينة لمقابلة عياش بن أبي ربيعة وفتنته في دينه وأخراجه من المدينة حيث ذهب إليها مسلما، وذلك حين قالوا له: إن أمك نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك. فرق لها^(٣) ولما قيل له يا عياش انه والله إن يريدك القوم الا ليثنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد أذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت لكن الرجل كان قد فتنته رسل قريش إليه، وقال: أبر قسم أمي، ولي هناك مال

(١) : الطبري «تاريخ» ج٢/٥٧٤، وابن هشام «السيرة النبوية»، ج٢/٢٤١، وابن كثير «البداية والنهاية» ج١٠٦/٤.

(٢) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج١١١/٤.

(٣) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٨٦.

أخذه. ولما قيل له من قبل أحد المؤمنين، والله إنك لتعلم أنني لمن أكثر قریش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب مع هؤلاء، أبي الا أن يخرج معهم وعندئذ قال له أحد المؤمنين ، أما وقد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها ، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها فخرج معها.^(١)

حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل ، والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه قال: بلى، فأناخ، وأناخا ليتحول عليها، فلما استورا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة وفتناه عن دينه.^(٢)

يقول ابن اسحق فيما نقل عنه ابن هشام، فحدثني به بعض آل عياش ابن ربيعة أنهما حين دخلا به مكة دخل بها نهارا موثقا، ثم قالوا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهاثكم كما فعلنا بسفيهننا هذا.^(٣) قال ابن إسحق : وحدثني نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر في حديثه، قال : فكنا نقول: ما الله بقابل لمن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة: قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم، قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٢) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿ قال عمر بن الخطاب فكتبتها بيدي في

(١) : المصدر السابق نفس الموضع.

(٢) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٨٦

(٣) : المصدر السابق نفس الموضع.

(٤) سورة الزمر، الآيات ٥٣-٥٥.

صحيفه وبعثت بها إلى هشام بن العاصي^(١)، قال: فقال هشام فلما أتنني جعلت أقرؤها
بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها، قال: فألقى
الله تعالى في قلبي أنها إنما نزلت فينا وفيما كنا نقول لأنفسنا ويقال فينا قال: فرجعت
إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ^(٢).

قال ابن هشام : فحدثني من أثنى به ، أن رسول الله ﷺ قال وهو بالمدينة « من لي
بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي » ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة^(٣) : أنا لك
يارسول الله بهما ، فخرج إلى مكة فقدمها مستخفياً فلقى امرأة تحمل طعاماً فقال لها
ابن ترديدن يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف
موضعهما وكان محبوسين في بيت لا سقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة
فوضعهما تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما^(٤).

هذه أبرز الأساليب العملية للمشركين التي واجهوا بها الرسول ﷺ ، ولاشك أننا
هنا نعرض نماذج ولا نحصر، لأن حصر جميع الأساليب، وذكر جميع الشواهد متعذر،
ويخرج الموضوع عن مقصوده.

وبعد أن تحدثنا عن أساليب المشركين ، ننتقل للحديث عن أساليب اليهود في
مواجهتهم للرسول ﷺ .

(١) : هو هشام بن العاصي بن وائل السهلي صحابي جليل ، كان يُكنى أبا العاصي، فكناه النبي ص أبا مطيع. كان
رضي الله عنه قديماً الاسلام وهاجر الى الحبشة استشهد في أجنادين رحمه الله. وهو آخر عمرو بن العاصي
رضي الله عنهما. انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٤/ص١٩١ وابن حجر الاصابة في تمييز الصحابة ج١٠/ص
٢٤٦-٢٤٨ رقم ٨٩٦٦.

(٢) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٨٧

(٣) : هو الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وأمه هي أميمة بنت الوليد بن عُشي بن أبي
حرملة بن عريج بن جرير بن شق بن صعيب من بجيله. وكان الوليد على دين قومه حتى يوم بدر وأسر الوليد بن
الوليد في يوم بدر، وأقناه قومه، فلما خرج الوليد حتى بلغ ذو الحليفة فأفلت من قومه فأتمى النبي ﷺ فأسلم،
وتوفي الوليد بن الوليد بن المغيرة، لما أقبل أصحابه ﷺ الى المدينة وهم سبعون رجلاً فيهم الوليد ، فلما كان
يظهر الحرة عشر فانتطعت إصبه فربطها فدخلت المدينة لسانها، انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٤/ص١٣١-١٣٤.

(٤) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٨٧.

الفصل الثاني

أساليب اليهود في العهد المدني

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: أساليب اليهود القولية

المبحث الثاني: أساليب اليهود العملية

الفصل الثاني أساليب اليهود في العهد المدني المبحث الأول أساليب اليهود القولية في العهد المدني

تهديد:

تشير مصادر عديدة معتبرة إلى أن اليهود سكنوا يثرب قبل الإسلام وشكلوا عدة قبائل وكان من أشهر هذه القبائل بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة وتمركزوا في عدد من المواقع^(١). كما كان يسكن في المدينة من العرب قبيلتنا الأوس، والخزرج، وكان اليهود إذا حدث بينهم وبين الأوس والخزرج نزاع يقولون: (إن نبيا سيبعث قد أظل زمنه سنتبعه، ونظفر عليكم، فلما جاء النبي ﷺ كفروا به، وكذبوا بما جاء به وفي ذلك يقول ابن اسحاق عن ابن عباس: إن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا وجحدوا ماكانوا يقولون فيه، فقال لهم: معاذ بن جبل^(٢)، وبشر بن البراء بن معرور^(٣) أخو بني سلمة: يامعشر اليهود، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث

(١) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، جزء ١ ، ص ٥٤٦ .

(٢) : هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عاتد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد، وأمه: هند بنت سهل من جهينة ثم من بني الربيعة. ويكنى معاذ، أبا عبد الرحمن، وشهد معاذ العقبة مع السبعين من الانتصار لما أسلم معاذ كان يكسر أصنام بني سلمة، أخى رسول الله ﷺ بين معاذ بن جبل وعبد الله مسعود، وشهد معاذ بدرًا وهو ابن ٢٠ أو ٢١ سنة وشهد أحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً ومناقب معاذ كثير جداً ، وتوفي معاذ بن جبل في طاعون عمواس بالشام بناحية الأردن سنة ثمانى عشرة في خلافة عمر بن الخطاب وهو ابن ٣٨ سنة انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج/٢ ص ٥٨٣-٥٩٥.

(٣) : هو بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي الخزرجي، وشهد بشر بن البراء العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق، ومات بخيبر في حين افتتاحها سنة سبع من الهجرة، من أكله: أكلها مع رسول الله ﷺ من الشاة التي سم فيها، وقيل: إنه لم يبرح من مكانه حين أكل منها حتى مات، انظر اها عمر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج/١ ص ٢٤٧-٢٤٨.

وتصفونه لنا بصفاته، فقال سلام بن مشكم، أحد بني النضير : ما جاءنا بشئ نعرفه وما هو بالذي نذكره لكم^(١) ويسجل الله تعالى عليهم هذا البهتان فيقول سبحانه: ﴿... فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾^(٢).

ومجدر الإشارة إلى أن الرسول ﷺ كان على علم بعناصر القوة التي تتمركز في يثرب وهو لا يريد صداما أو قتالا إنما خرج مهاجرا بدينه وداعيا إلى الله تعالى، والغاية من الهجرة أن تنتشر الدعوة الإسلامية بين أكبر عدد من الناس تمهيدا لإبلاغ الأمم والشعوب بها، ولذا قام عليه السلام بعقد معاهدة بين المسلمين وهذه القوى، على أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود يتفقون مع المسلمين ماداموا محاربين .. إلى أن جاء فيها : "إن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره . وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأن من خرج آمن ومن قعد آمن إلا من ظلم وأثم . وأن الله جار لمن بر وأتقى، ومحمد رسول الله ﷺ"^(٣).

هذه الوثيقة العظيمة لم يلتزم اليهود بمآجاء فيها ولم يحفظوا عهودها ومواثيقها. بل واجهوا الدعوة وسلخوا العديد من الأساليب في ذلك، ونحاول هنا أن نشير إلى أبرز الأساليب القولية لليهود.

الاسلوب الاول :

●● اسلوب المجاهرة بالعداوة للدين واهله :

طوال العهد المكي للدعوة الإسلامية، لم تكن هناك عداوة بينها وبين اليهود بالشكل الذي يمكن أن تتحدد معالمه وتعرف أبعاده خاصة أن بداية الاحتكاك الإسلامى

(١) : ابن هشام، " السيرة النبوية"، جزء ١، ص ٥٤٧ .

(٢) : سورة البقرة، من الآية ٨٩ .

(٣) : ابن هشام «السيرة» ج٢/١٢١، وانظر د. محمد حميد الله الحيدر أبادى، " الوثائق السياسية فى العهد النبوى والحلقة الراشدة"، ص ٥١٣، ٥١٤ .

باليهود في مكة، أخذ طابع الاستفهام والاستفسار في ظل توجيه القرآن الكريم ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ (٤٦) .^(١)

لكن اليهود في المدينة أدركوا خطورة الدعوة الإسلامية على ما يمثلونه من ظلم وجور وعدوان واستغلال ومخريف فشكّلوا أولى مواقفهم تجاه الدعوة الإسلامية في اعلان العداوة لهذا الدين وأهله.

وأبرز معالم هذا الموقف ما تحدثت به أم المؤمنين صفية رضي الله عنها فيما نقل عنها تقول: كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمى أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي، حبي بن أخطب، وعمى أبو ياسر بن أخطب، مغلسين، قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت : فأتيا كالين كسلتين ساقطين يشيان الهوينى قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلى واحد منهما، مع ما بهما من الغم، قالت وقد سمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لأبي حبي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله، قال : أتعرفه وتثبته؟ قال : نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال : عداوته والله ما بقيت^(٢) وهذه العداوة دليل حسد وكبرياء وكراهية على الإسلام والمسلمين .

والله سبحانه أخبر عن سبب صد اليهود وبغضهم، وهو فضل الله على رسوله بسبب إرساله خاتما للأنبياء، والمرسلين قال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَيَّ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾^(٣) .

(١) : سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

(٢) : ابن هشام، " السيرة النبوية"، ج٢/١٤٠-١٤١، الطبري «تاريخ» ج٢/٣٨١، القرظي «امتاع الأسماع» ج٤٥/١٤٥ .

(٣) : سورة النساء، الآية ٥٤، ٥٥ .

يقول ابن كثير رحمه الله وهو بصدد شرحه لهذه الآية الكريمة يعني بذلك حسدهم النبي ﷺ مارزقه الله من النبوة العظيمة، ومنعهم من تصديقه إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل، وقد جعل الله في أسباط بني إسرائيل الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة، وأنزل عليهم الكتاب والحكمة، ومع هذا فمنهم من آمن به أي بهذا الإيتاء، وهذا الإنعام ومنهم من صد عنه أي كفر به، وأعرض عنه وسعى في صد الناس عنه، وهو منهم ومن جنسهم أي من بني إسرائيل فقد اختلفوا عليهم فكيف بك يا محمد ولست من بني إسرائيل وقال مجاهد: فمنهم من آمن به أي بمحمد ﷺ، ومنهم من صد عنه، فالكفر منهم أشد تكذيبا لك، وأبعد عما جئت به من الهدى، والحق المبين ولهذا قال: (وكفى بجهنم سعيرا) أي وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله^(١).

لقد كان اليهود هم أول من اصطدم بالدعوة في المدينة وكان لهذا الاصطدام أسبابه الكثيرة: - كانوا يزعمون أنهم شعب الله المختار، فكانوا يتطلعون أن يكون الرسول الأخير فيهم، فلما جاء من العرب أخذتهم العزة بالإثم .

- شعر اليهود بالخطر من عزلهم عن المجتمع المدني الذي كانوا يزاولون فيه التجارة الرابعة .
- بدأ القرآن يتعرض لليهود في عقائدهم وحياتهم وأخلاقهم، مما أثار اليهود على الإسلام والمسلمين، فغيروا موقفهم منهم، وناصروا الإسلام العداء الخفي والسافر^(٢).

هذا وقد زاد اليهود غيظا وحقدا على الإسلام دخول بعض أخبار اليهود وعلمائهم في الإسلام كعبد الله بن سلام، وكان ذا مكانة عالية عندهم، ولم يكونوا يتوقعون أن يدخل مثله في الإسلام، فأثار ذلك الحقد الدفين فيهم، لإدراكهم أن دخول أولئك الأخبار في الإسلام آية ساطعة وبرهان قاطع على صدق الدعوة، وأن ماعليه اليهود باطل من العقيدة، وفساد من القول .

(١) : تفسير ابن كثير جزء ١، ص ٥١٣، ٥١٤ .

(٢) : محمد أبو زهرة «تاريخ المدلل» الطبعة الثانية عام ١٩٨٠، القاهرة صفحة ٤٨.

ولم يقتصر اليهود على مخالفة الإسلام والابتعاد عنه، بل تعدوا إلى تفضيل عبادة الأوثان والمشركين، فقد روي أن قريشا قالت لعلماء اليهود الذين زاروهم في مكة: "يامعشر اليهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه"^(١).

والى هذا يشير القرآن بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (٥١) ﴿١١﴾.

ولقد كان المنتظر أن يكون اليهود في المدينة هم أول من يؤمن بالرسالة الجديدة ويؤمن بالرسول الجديد منذ كان القرآن يصدق ما جاء في التوراة في عمومها ومنذ كانوا هم يتوقعون رسالة هذا الرسول وعندهم أوصافه في البشارات التي يتضمنها كتابهم، وهم كانوا يستفتحون به على العرب المشركين، والقرآن يزيد وضوحاً من موقف اليهود من الرسول ﷺ ودعوته بقوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ (٤٤) **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا** (٤٥) ﴿١٢﴾.

وقوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٢٣) **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** (٢٤) ﴿١٣﴾.

(١) : السهيلي، "الروض الأثف"، ج ٣، ص ٢٥٩.

(٢) : سورة النساء، الآية ٥١.

(٣) : سورة النساء، الآيات ٤٤-٤٦.

(٤) : سورة آل عمران، الآيات ٢٣، ٢٤.

الاسلوب الثاني :

●● اسلوب الطعن في نبوة النبي ﷺ :

سلك اليهود في التعبير عن هذه الوسيلة مسالك وأساليب شتى راحوا يصرحون بأنه، ﷺ، ليس هو النبي المنتظر بعد أن عرفوا صدقه، كما يعرفون أبناءهم، وقد سجل القرآن الكريم هذا عليهم، ليبقي الآية الهادية للأمة الإسلامية، والكاشفة عن أنهم عبدة العجل من أبناء يهود بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾^(١).

قال محمد بن اسحاق: عن ابن عباس ، أن يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب، كفروا به وجحدوا بما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل ويشر بن البراء بن معرور بن سلمة: يامعشر اليهود، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه، فقال سلام بن مشكم (أخو بني النضير): ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ... ﴿٨٩﴾﴾^(٢)، وقال العوفي ، عن ابن عباس «وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا» يقول: يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب، يعني بذلك أهل الكتاب، فلما بعث محمد ﷺ ورأوه من غيرهم، كفروا به وحسدوه.^(٣) وقال مجاهد: ﴿... فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾^(٤) قال: هم اليهود.^(٥)

(١) : سورة البقرة ، الآية ٨٩ .

(٢) : سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٣) : ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» ج١/١٨٧

(٤) : سورة البقرة : الآية ٨٩.

(٥) انظر : محمد أبو زهرة «تاريخ الجدل» طبعة عام ١٩٨٠، القاهرة صفحة ١٤٨

ومن المفارقات اللافتة للنظر أن اليهود كانوا يستفتحون على الذين كفروا بإعلائهم بأن نبياً سيظهر منهم وسيتبعونه ويقاتلونهم معه وتحت لوائه فلما دعاهم إلى الله أنكروا نبوته ﷺ، ومن الوسائل التي اتبعتها اليهود في الطعن في نبوة محمد ﷺ محاولتهم إنكار أن يكون القرآن منزلاً من عند الله تعالى على محمد ﷺ: وفي ذلك يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال ابن صوريا القطوني لرسول الله ﷺ: يا محمد، ماجئتنا بشي نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك^(١)، فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩)﴾^(٢).

وغرضهم من هذه المقالة الطعن في كون القرآن الكريم معجزة لرسول الله ﷺ فالآية الكريمة ترد على اليهود الذين حاولوا الطعن في صدق النبي ﷺ عن طريق إنكارهم أن يكون القرآن معجزة^(٣).

وعلى درب التحدي والتشكيك في نبوة النبي محمد ﷺ وفي ضوء رواية ابن هشام^(٤)، فإن رافع بن حرملة ووهب بن زيد قالا لرسول الله ﷺ: يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجر لنا انهاراً نتبعك ونصدقك، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨)﴾^(٥).

وقد ذكر القرآن أن هذه من عادات اليهود القديمة، بدليل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا

(١) : تفسير ابن كثير، م ١، ص ٢٠٠، وذكر السهيلي بدلا من القطراني، وهي كلمة عبرانية تطلق على كل من تولى أمر اليهود.

(٢) : سورة البقرة، الآية ٩٩.

(٣) : د. محمد سيد طنطاوي، "بنو إسرائيل في الكتاب والسنة" - اج ١ / طبعة أولى صفحة ١٩٣-١٩٨.

(٤) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج ٢ / ١٧٤.

(٥) : سورة البقرة الآية ١٠٨.

أَرْنَا السَّلَّةَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴿١١﴾ (١٢).

فقد ظهروا أمام الناس - تضليلا وتعتهما - بمظهر المحافظة على عهد الله،
وأنهم ما تركوا الإيمان بمحمد ﷺ صدا له، وإنكارا لحقه، بل تركوا الإيمان به، لأنه لم
يأت بالمعجزات، فهم في حل من الإيمان به، وفقا لما عهد إليهم (١٣). وقد سجل القرآن
عليهم هذا التضليل وكشف زيفهم ومحق زخرفهم وباطلهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُرْسِلَ رَسُولًا حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قِبَلِي
بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴿١٤﴾.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: رافع بن
حريمة اليهودي لرسول الله ﷺ يا محمد، إن كنت رسولا من الله كما تقول، فقل لله
فيكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ
قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴿١٥﴾.

فأجابهم الله عن هذه الشبهة بقوله جل شأنه: ﴿... كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٨] وحاصل هذا الجواب أنا قد أيدنا قول محمد ﷺ
بالمعجزات، وبيننا صحة قوله بالقرآن وسائر الحجج (١٦).

(١) : سورة النساء، الآية ١٥٣ .

(٢) : الزمخشري «الكشاف» ج١/٣٩٤ طبعة دار المعارف.

(٣) : دكتور محمد سيد طنطاوي «بنو اسرائيل في القرآن والسنة» ج١/٢٤٥.

(٤) : سورة آل عمران، الآية ١٨٣ .

(٥) : سورة البقرة الآية ١١٨.

(٦) : الطبري «التفسير» ج٩/١٣٧.

● ● اسلوب التشكيك :

وقد تمثل اسلوب التشكيك في نبوة النبي ﷺ فيما آثاروه حول تحويل القبلة ذلك أنه لما صلى المسلمون خلف النبي ﷺ في المدينة ستة عشر شهرا في اتجاه بيت المقدس وقلبه معلق بالكعبة ورغبته متجهة إليها أذن له ربه أن يتجه إلى القبلة التي تتعلق بها نفسه إلى الكعبة فاتخذ اليهود من هذا الحدث ذريعة لإشاعة جو من الإثارة بين مجتمع المؤمنين، وقادرا حملة تشكيك في جدوى ماتعبه المسلمون طوال ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا .^(١)

وسجل الله تعالى سفاهة ما فعلوه من إثارة ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٤٢) وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴿ (١٤٣) ﴾ .^(٢)

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجهه الله إلى الكعبة فأنزل الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ .. ﴾ [البقرة : ١٤٤] الآية^(٣) وقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ : يقول فيها أحد العلماء فيما نقله عن ابن عباس في رواية الكلبي: كان رجال من أصحاب رسول الله ﷺ قد ماتوا على القبلة الأولى، منهم أسعد بن زرارة، وأبو أمامة أحد بني النجار، والبراء بن

(١) : الواحدي «أسباب النزول» صفحة ٣٩.

(٢) : سورة البقرة، الآية ١٤٢، ١٤٣.

(٣) : ابن كثير «التفسير» ج/٢٨٧.

المعروف أحد بني سلمة، وأناس آخرون جاءت عشائرتهم، فقالوا : يا رسول الله، توفى إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى، وقد صرفك الله تعالى إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٤] .
والآيات والروايات تصور البيئة المدنية، وتسجل حقيقة الجدل، فبدأ القرآن يرد عليهم وعلى أسئلتهم وعلى أقاربهم، ويصحح التصور العام للأمور، كما كانت حادثة القبلة مناسبة كريمة لتقديم مفاهيم جديدة لمعاني القبلة : "قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم" فالجهات والأماكن لا فضل لها لذاتها، وإنما يفضلها ويخصصها اختيار الله وتوجيهه، لذلك يقرر حقيقة التصور للأماكن والجهات، وحقيقة المصدر الذي يتلقى منه البشر التوجيهات .

ويكشف لهم عن حكمة اختيار القبلة التي كانوا عليها قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٣) .^(١)

والآيات تصور تحركات اليهود وإثارتهم للشكوك في صفوف المسلمين وقلوبهم، عندما قالوا لهم : إن كان التوجه إلى بيت المقدس فيما مضى باطلا فقد ضاعت صلواتكم طوال هذه الفترة، وإن كانت حقا فالتوجه الجديد إلى المسجد الحرام باطل، وصلواتكم إليه كلها ضائعة، فأنزل الله تعالى ردا عليهم : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٤] .

وهذا اللفظ اليهودي أحدث بلبلة في مجتمع المسلمين حتى صارت القضية حديث المجالس، والقرآن يتابع القضية أولا بأول، ويوجه هذا المجتمع ويرشده فيقول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ﴾ .

(١) : الراحدي ، " أسباب نزول القرآن " ، ص ٣٩ .

(٢) : سورة البقرة ، الآية ١٤٣

وبدأ اليهود يتخذون من هذا الوضع حجة لهم فنزل القرآن الكريم بالتوجه إلى المسجد الحرام قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٤) ﴿^(٧)

وقد تكررت آيات القبلة، وتكرر فيها الأمر للمؤمنين بالتوجه إلى المسجد الحرام في صلاتهم، وهذا التكرار لتأكيد أمر القبلة وتشديده، لأن تحول القبلة كان أول نسخ في الإسلام، كما قال كثير من العلماء، فاقتضى الأمر تأكيده حتى يرسخ في نفوس المسلمين، ويستقر في مشاعرهم، ويتبدد ما أثير حولها من شبهات وشكوك^(٨).

وفى إطار مسلسل الخصومة التي أعلنها اليهود ضد المسلمين ومارسوا من أجلها مختلف الأساليب والممارسات القولية والعملية قولهم بأن بيت القدس أفضل وأقدس من الكعبة، وراحوا ينسجون حول هذه المزاعم مفترياتهم وأباطيلهم التي يجيدون حبكها وإخراجها عبر التاريخ وكان من بين هذه المفتريات التي أطلقوها حول زعمهم بأن بيت المقدس أفضل من الكعبة، قولهم بأنه أرض المحشر وأرض جميع الأنبياء من ذرية إسحق، ويزعمهم أيضا أن الله تعالى قد وعد "إبراهيم" أن تكون البركة في نسل ولده "إسحق" في بيت المقدس وانطلاقا منه وعلى ذلك فقد وجهوا إنكارهم لعملية تحويل القبلة بقولهم لرسول الله ﷺ لو كنت على ما كان عليه الأنبياء لعظمت ما عظموا، ولبقيت على استقبالهم أبدا دون أن تتحول إلى المسجد الحرام فإن تحولك إليه مخالفة لقبلة الأنبياء من قبلك^(٩).

قال تعالى: ﴿ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٩٦) فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴿ (٩٧) ﴿^(١٠)

(١) : القرطبي «تفسير» ج ٢، ١٥٠.

(٢) : سورة البقرة، الآية ١٤٤.

(٣) : د. محمد السيد طنطاوي، "بنو إسرائيل في القرآن والسنة"، ج ١، ص ٢٤٥.

(٤) : د. محمد سيد طنطاوي، "بنو إسرائيل في القرآن والسنة"، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٤٥.

(٥) : سورة آل عمران، الآية ٩٦، ٩٧.

وبذلك كذب اليهود في دعواهم أن المسجد الأقصى أفضل من المسجد الحرام، وبين فضائل البيت الحرام، وأن في تحول الرسول ﷺ للكعبة لم يكن مخالفه للأنبياء من قبله، وإنما هو تكريس لعظمة البيت الحرام، وأهميته وبيان لزيف الإدعاء وبطلان حججهم المغرضة التي تهدف الى البلبلة، وإثارة النفوس، وتقويض دعائم الدعوة الجديدة، وبث العقبات أمامها، وإشغالها بقضايا جانبية تستنفذ جل طاقتها، وتصرفها عن مهامها الأساسية ممثلة في التأسيس لمجتمع مثالي نقي، ومحاولة لتأكيد فريتهم أنهم الأئمة والناس لهم تبع في كل شئون الحياة، ومنها التوجه في العبادة التي هي جوهر الحياة لدى كل ذي دين يستمسك به.

وما كان لرسول الله ﷺ أن يدعه ربه على حال يبدو ظاهرها أن فيه تبعية لتوجهات يهود، وهو الذي جعل منه إمام الأنبياء في المسجد الأقصى ليلة الإسراء، فكان في هذه الإمامة وفي التوجه إلى بيت المقدس إشارة إلى أنه لم يأت بما يناقض ما جاءت له الرسل من قبل، وأنه أحق ببيت المقدس منهم، وأنه لما تفرد بالسيادة والإمامة والختم كان أحق بأن يكون أول بيت وضع للناس هو توجهه، فجمع الله - عز و علا - بين التوجهين، تأكيدا، وتكريما.

الاسلوب الرابع :

● ● الادعاء بأن النبي إبراهيم لهم دون غيرهم :

أشاع اليهود عقب قدوم النبي ﷺ أنهم يرتكزون إلى مسلسل طويل من الأنبياء يبدأ بجدهم الأعلى إبراهيم ثم أبناؤه حتى نبيهم موسى، ومن ثم فهم حسب دعواهم ليسوا في حاجة إلى دين جديد أو نبي من غير قومهم فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة نزلت آيات تتحدث عن هذه القضية وتعالجها بصورة منطقية وبحجج وبراهين علمية بقوله تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا

لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾^(١).

وبهذا الأسلوب المحكم تولى القرآن مجادلة أهل الكتاب على مسمع من المجتمع الذي يتابع هذه الأحداث لحظة بلحظة، فما أنزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى إلا من بعد إبراهيم بأحقاب طوال، وقد قالوا : إن بين إبراهيم وموسى سبعمائة سنة، وبين موسى وعيسى حوالي ألف سنة، وبين عيسى ومحمد ﷺ حوالي ستمائة سنة. أفلا تعقلون أن المتقدم على الشيء لا يكون تابعا له، كما أن هذه الأخبار لا يمكن تلقيها إلا بوحى من الله^(٢).

عن ابن عباس رضى الله عنه، قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار اليهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ [آل عمران : ٦٥] الآية أي كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديا وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيا وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر، ولهذا قال تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ .. ﴾ [آل عمران : ٦٥] ثم قال تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٦]^(٣).

والآيات والروايات تصور مظاهر الجدل ومنطق القرآن للرد عليهم كما تصور وقع هذا الجدل في نفوس السامعين والمتتبعين لهذه الأحداث، فالقرآن ينكر على من يجادل فيما لا علم له به، وهي مجادلة اليهود في كون إبراهيم يهوديا أو نصرانيا، مع أنه لا ذكر لدين إبراهيم في أحد الكتابين، وهذا الأسلوب الحكيم أثبت للناس أن هذا الجدل لذات الجدل فقط لا لمعرفة الحقائق^(٤).

(١) : سورة آل عمران . الآية ٦٥-٦٨ .

(٢) : تفسير المراغى ج٣، ص ١٨٠، ١٨١ بتصرف .

(٣) : تفسير ابن كثير، ج١، ص ٣٧٣ .

(٤) : تفسير المراغى ج٣/١٨٢ .

ومن ثم فإن على المجتمع الإسلامي المعاصر أن يستقي في صراعه مع خصوم الدعوة الإسلامية في حاضره وفي مستقبله سواء في ذلك المفهوم من خارج البيئات الإسلامية أو من داخلها معين الهدى القرآني الثمر، ليكشف عن نهج الفكر اليهودي وغيره في التزييف والتزوير التاريخي للوقائع، فما خصومة أعداء الدعوة الا ثمرة من ثمار التحريفات اليهودية، وما يزال إفكهم يورق ويشمر حنظلا يتجرع المسلمون عصارته وما يزال المسلمون عاجزين عن استئصال هذا الإفك، لتغافلهم عما أقام الإسلام : قرآنا وسنة ومنهج يهدي التي هي أهدى وأقوم في مجادلة ومجادلة عبدة العجل، على الرغم من أنهم يقيمون صروح أفكهم على كثران رملية يسير تبديدها بأعاصير الحق الذي كاد يتغافل عنه كثير من المسلمين^(١).

الاسلوب الخامس :

●● اسلوب محاولات إحراج النبي ﷺ :

من ضروب الخصومة القولية التي اقترفها اليهود ومارسوها ضد الدعوة الاسلامية في العهد المدني أساليب الإحراج التي كان اليهود يحاولون بها تشكيك المسلمين في إيمانهم بل بلغت بهم الجرأة أن يتصوروا أنهم يملكون من الأساليب القولية ما يمكنهم من بذل الجهود لإحراج الرسول ﷺ نفسه، كان ذلك حين سأله ﷺ عن الروح، فسجل القرآن الكريم سؤالهم والجواب المفعم الدامغ قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٥) ﴿^(١).

(١) : بسام جوار «زوال اسرائيل في القرآن الكريم» مرج الزهور لبنان صفحة ٧.

(٢) : سورة الإسراء، الآية ٨٥ .

عن عبدالله بن مسعود^(١) - رضي الله عنه - قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرث المدينة وهو متوكئ على عسيب، فمر بقوم من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم : لا تسألوه، قال : فسألوه عن الروح، فقالوا: يا محمد، ما الروح؟ فما زال متوكئاً على العسيب، قال : فظننت أنه يوحى إليه، فقال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥ ﴾.. فقال بعضهم : قد قلنا لكم لا تسألوه.^{(٢)(٣)}

وهذا حديث يشير إلى أن هذه الآية مدنية، وأنها أنزلت حين سأل اليهود عن ذلك بالمدينة، مع أن السورة مكية إلا آيات لم تعد هذه الآية منها .

وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية وكما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما يسألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه، وما يدل على نزول هذه الآية بمكة ما قاله الإمام (أحمد) : حدثنا قتيبة، حدثنا يحيى بن زكريا، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا : سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت : وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ...

ولذلك حمل العلماء تعدد الروايات على تعدد نزول الآية، فقالوا نزلت مرتين : مرة في مكة ومرة في المدينة^(٤) .

(١) : هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن المكي، حليف بن زهرة كان يعرف أيضاً بإبن أم عبد، امام، حبر، فقيه، قارى، شهد بدرًا وهاجر الهجرةين روى علماً عزيزاً وله مناقب جمة وحدث عنه كثير، اتفق له في الصحيحين على ٦٤ حديثاً وله عند بقي بن مخلد ٨٤٠ حديثاً، لازم النبي ﷺ وحدث عنه بالكثير. توفي سنة ٢٣ هـ بالمدينة ودفن بالبقيع، وله بضع وستون سنة . انظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج٢ / ٢ - ٣٤٢ - ٣ / ص ١٥٠ ، والذهبي سير أعلام النبلاء ج١ / ص ٤٦١ .

(٢) : محمد نسيب الرقاعي «تيسير العلي القدير» باختصار ابن كثير . ج٢ / ٤٨ سورة الاسراء الآية ٨٥ .

(٣) اخبره البخاري في كتاب التفسير باب «ويسألونك عن الروح» ج٤ ص ١٧٤٩ حديث رقم ٤٤٤٤ ومسلم في كتاب صفات المنافقين واحكامهم باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح وقوله تعالى «ويسألونك عن الروح» الآية ، ج٤ ص ٢١٥ رقم الحديث ٢٧٩٤ .

(٤) : انظر ابن عاشور «التحرير والتنوير» ج١٥ / ١٩٤ .

وعن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ قال : اليهود يسألونه.^(١)

السؤال عن الساعة :

وعلى درب الخصومة الحاقدة توجهت الأساليب الماكرة الى رسول الله ﷺ لتسأل عن غيب ما كان لعاقل أن يسأله ناهيك عن توجيهه من جماعة الأصل فيها أن فيها بقية من معرفة ببعض الكتب السماوية وهذه المرة، سأل اليهود رسول الله ﷺ عن الساعة وسجل القرآن الكريم عليهم هذه الخصومة وهذا البهتان.

وأجاب عن سؤالهم بما يكف كل لسان عنه، وبما يؤكد لهم أنه لا يملك من علمها شيئا لاستثثار ذلك بعلم الله تعالى، وما كان له ﷺ أن يفترى على الله، يقول الحق عز وجل : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾^(٢).

قيل : نزلت في قريش وقيل في نفر من اليهود والحق أن اليهود بتساؤلهم عن مثل هذه الأشياء التي لا يضير جهل الإنسان بها إنما يقصدون منه التشكيك في صدق نبوة المصطفى ﷺ وليشيروا بالبلبة في هذا المجتمع الذي يتابع قصة الوحي لحظة بلحظة ويتلقى كل يوم أنباء جديدة وقيما ومثلا فريدة من نوعها^(٣).

أخرج ابن اسحق وابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس قال : قال حمل ابن أبي قشير، وسموّل بن زيد، لرسول الله ﷺ يقول له أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول ، فإننا لا نعلم ما هي ؟^(٤) فانزل الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ الى قوله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . [الأعراف : ١٨٧] .

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب ويسألونك عن الروح ج٣ / ص ٢٧٢، رقم الحديث : ٤٧٢١.

وأخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، ج٤ / ص ٢١٥٢، رقم الحديث : ٢٧٩٤ الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بن إسرائيل، ج٥ / ص ٢٨٤، رقم الحديث : ٣١٤٠، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) : سورة الأعراف الآية ١٨٧.

(٣) : انظر ابن عاشور «التحرير والتنوير» ج١٥ / ١٩٤.

(٤) : محمد نسيب الرفاعي «تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير» ج٢ / ٢٥٩.

الاسلوب السادس :

●● اسلوب التعنت :

اللافت للنظر أنه على كثرة اللجاج والمراء من قبل اليهود فقد طلبوا الى رسول الله ﷺ أن يأتيهم بكتابٍ مخطوطٍ ينزله عليهم من السماء مجسماً يلمسونه بأيديهم ويتولى الله سبحانه الإجابة عن نبيه ﷺ. ويقص عليه وعلى المسلمين في مواجهة اليهود صفحة من تاريخهم مع نبيهم موسى عليه السلام خلاصتها بأن هذه طبيعتهم وتلك جبلتهم، إنهم من عهد موسى أهل تعنت وإعنت، فلا يسلمون إلا تحت القهر والضغط فقد سألوهم موسى ما هو أكبر من ذلك فقالوا : أرنا الله جهرة، وكان جزاء هذا التعنت وثمرته : " فأخذتهم الصاعقة بظلمهم " .

قال محمد بن كعب^(١) القرظي والسدي وقتادة : سأل اليهود رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة قال ابن جريج : سألوه أن ينزل عليهم صحفاً من الله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان بتصديقه فما جاءهم به، فهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد.^(٢)

قال صاحب الكشاف : "فقد سألوهم موسى أكبر من ذلك" الشرط مقدر معناه : إن استكثر ما سألك منه فقد سألوهم موسى أكبر من ذلك، وإنما نسب السؤال اليهم وإن وجد من آبائهم فسي أيام موسى، لأنهم كانوا على طريقهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت.^(٣)

(١) : هو محمد بن كعب بن سليم الامام العلامة الصادق أبو حمزة ، من حلفاء الأوس وكان أبو كعب من سبي بني قريظة ، سكن الكوفة ثم المدينة. كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً. وكان من أئمة التفسير ، قيل كان مجاب الدعوة، كبير القدر توفي سنة ثمان ومائة وقيل سنة سبع ومئة وقيل ستة ومائة وهو ابن ثمان وسبعين سنة، انظر الذهبي سير اعلام النبلاء ج٥ / ص ٦٥-٦٨.

(٢) : تفسير ابن كثير م١، ص ٨٧١ .

(٣) : تفسير الكشاف : ج١، ص ٣٩٤ .

وكان من أساليب التعنت والكيد والمكر التي مارسها اليهود ضد الدعوة الإسلامية توجيه الأسئلة إلى النبي ﷺ ليس للتعرف على الإسلام وإنما كان الغرض منها بالإضافة إلى إحراج النبي ﷺ التعنت^(١) والجدل والبأس الحق بالباطل وإزعاج الرسول عليه السلام، وتضليل المسلمين كأن يطلبوا كما طلبت قريش من قبل كتاباً من السماء وفي ذلك يقول ابن اسحق : أتى رسول الله ﷺ محمود بن سليمان . ونعمان بن أضي، وبحري بن عمرو ، وعزير وسلام بن مشكم ، فقالوا : أحق يا محمد أن هذا الذي جئت به الحق من عند الله فإننا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ : أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به ، فقالوا عند ذلك جميعاً : يا محمد أما يعلمك هذا إنس ولا جن ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله تجدون ذلك مكتوباً عندكم في التوراة ، فقالوا يا محمد فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويقدره منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتاباً من السماء نقرؤه ، ونعرفه والا جئناك بمثل ما تأتي به.^(٢)

هذا وقد روى ابن هشام في «السيرة» أن ابن اسحق قال : أتى رهط من يهود إلى الرسول عليه السلام فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب الرسول ﷺ حتى امتقع لونه غضباً لربه . فجاءه جبريل عليه السلام فسكته وقال: خفض عليك يا محمد، وجاءه من الله بجواب ما سأله عنه^(٣)، وهو ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾

(١) : أصل التعنت التشديد ، فإذا قالت العرب : فلان يعنت فلانا ويعنته فمرادهم يشدد عليه ، ويلزمه بما يصعب عليه أداؤه (لسان العرب) جزء ٢ ، ص ٦١ .

(٢) : ابن هشام ، " السيرة النبوية "، جزء ٢ ، ص ١٥٧ .

(٣) : انظر ما أخرجه الطبراني في السنة عن الضحاک عند قول اليهود : يا محمد صف لنا ربك ، وانظر السيوطي:

«الدر المنثور» ج٦٧١/٨ش

أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴿ (١١) (٢)﴾

فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصف لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب الرسول عليه السلام أشد من غضبه الأول : فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له : مثل ما قال أول مرة وجاء من عند الله الجواب على ما سأله (١١) وفي ميدان التعنت تفنن اليهود في الأساليب وتنويع المراء فقد سألوا عن قيام الساعة ومعرفة موعدها كما طلبوا أن يكلمهم الله ثم طلبوا من النبي ﷺ ترك الرسالة الالهية وتنويع نفسه ملكاً عليهم .

الاسلوب السابع :

● ● اسلوب الحسد وجحود الحق :

أسلوب الحسد وجحد الحق من بين أساليب اليهود التي مارسوها على امتداد التاريخ في علاقتهم بالمسلمين، وإنما أخذوا يسخرون ويستنهضون بالله عز وجل حيث اتهموا الله بالفقر (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً).

ثم مضوا بحسدهم وجحودهم للحق، إلى محاولة اختبار النبي ﷺ ، وبالفعل خاضوا هذه التجربة فأرادوا امتحانه في حكم الرجل والمرأة الزانين المحصنين فإن حكم فيهم بأمر الله فهو نبي يجب عليهم أن يحذروه ، وإن حكم بغير ما أنزل الله فهو ملك عليهم أن يتبعوه فلما حكم بما جاء في القرآن ، والتوراة، لم يتبعوه وكان الحكم هو الرجم حتى الموت (١٢) وحول هذه الواقعة جاءت الأخبار عن أبي هريرة (١٣) أن أحبار اليهود اجتمعوا في بيت المدراس حين قدم الرسول عليه السلام المدينة ، وقد أتى رجل منهم بعد

(١) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/١٥٨.

(٢) : سورة الإخلاص . الآية ١-٤

(٣) : ابن هشام، "السيرة النبوية" جزء ٢ ، ص ١٥٨ .

(٤) : ابن هشام، "السيرة النبوية"، جزء ٢ ، ص ١٤٩ .

(٥) : أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، صحابي جليل مشهور قدم «المدينة» ورسول الله ﷺ بهخير، فأسلم سنة سبع ولزم صحبة النبي ﷺ فكان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له فلقد روى ٥٣٧٤ حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم على ١٢٦ وانفرد الأول ب ٩٢ ومسلم ب ٩٨ وبلغ عدد من حدث عنه ٨٠٠ كان أكثر مقامه بالمدينة وقد تولى إمارتها في بعض الاحايين وبها توفي سنة ٥٩هـ على خلاف ، انظر: الذهبي سير اعلام النبلاء ج٢/ ص ٥٧٨ وما بعدها، وابن سعد الطبقات الكبرى ج٢/ ص ٤٦٢ - ٤٦٥ / ٣٢٥.

احصانه بامرأة من اليهود قد أحصنت فقالوا ابعثوا بهذا الرجل وبهذه المرأة إلى محمد فسلوه كيف الحكم فيهما، وولوه الحكم عليهما، فان عمل فيها بعملكم من التجبية^(١). فاتبعوه فإنما هو ملك، وصدقوه، وإن حكم فيهما بالرجم فإنه نبي فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه فأتوه، فقالوا: يا محمد هذا رجل أتى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت فاحكم فيهما وقد وليناك الحكم فيهما، فمشى رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم في بيت المدراس فقال: يا معشر يهود اخرجوا إلى علماءكم فخرج له عبد الله بن سوريا، وقيل آخرون من علمائهم وأحبارهم فسألهم الرسول عليه السلام، حتى وصل أمرهم إلى أن قالوا لعبد الله بن سوريا هذا أعلم من بقي من التوراة فخلا به الرسول عليه السلام، وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا فأغلظ به الرسول عليه السلام المسألة، يقول له يا بن سوريا أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بني اسرائيل هل تعلم أن الله حكم فيمن أتى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟ قال اللهم نعم أما والله يا أبا القاسم إنهم يعرفون أنك لنبى مرسل، ولكنهم يحسدونك فخرج الرسول عليه السلام، فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم ابن مالك بن النجار، ثم كفر بعد ذلك ابن سوريا وجحد نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام^(٢).

لكن الذي يلفت النظر هو قدرة اليهود على تلوين أساليبهم وتنوعها فبعد كل ألوان وصور الزيف التي أشرنا إلى بعضها ادعى اليهود أمام النبي ﷺ أنهم على الحق وذلك حين جاء إلى رسول الله ﷺ رافع بن حارثة، وسلام بن مشكم، ومالك بن الصيف ورافع بن حريملة، فقالوا: يا محمد أأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من عند الله حق؟ قال: بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس، فبرئت من إحداثكم قالوا: فإننا نأخذ بما في أيدينا فإننا على الهدى والحق، ولا نؤمن بك، وتتبعك^(٣).

(١) : التجبية هي الجلد بحبل من ليف مطلى بالقار ثم تسود وجوهها ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل أديار الحمارين .

(٢) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج٦/٢٠٠.

(٣) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج٦/٢٠٠.

وقد كان غرض اليهود من هذه الأسئلة إحراج الرسول ﷺ واستدراجه إلى اليهودية، واقتصار دعوته على المشركين ، وأن يعتبرهم على حق فلا يدعوهم إلى الإسلام ويتركهم وشأنهم ، يحرفون دين الله وينشرون الفساد ، ولكن الرسول عليه السلام أدرك ما في سؤالهم من مكرٍ وخداعٍ فبين لهم أنه على ملة ابراهيم ودينه وأنه يؤمن بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ، ولكنهم حرقوها وبدلوها، ولم يبينوها للناس ، بل كتموها وأخفوها وخالفوا أوامر الله ، لذلك فهو يتبرأ مما فعلوه ويعتبرهم جاحدين .^(١)

الاسلوب الثامن :

●● اسلوب التعريض بنساء المسلمين :

لما كان التاريخ اليهودي يضح بالفضائح والمخازي الأخلاقية، حيث الأعراض والحرمات مهذرة وكرامة المرأة غير مصانة لا مع بر أو شقي . فإن اليهود قد حاولوا أن ينفذوا الى أنبل ما يتمتع به المسلمون من خلق وعفة وصون للمحارم. ومن هنا فقد اطلقوا لسان: كعب ابن الأشرف اليهودي^(٢) الذي أغاظه انتصار المسلمين ببدر، فسافر الى مكة ليواسي المشركين في قتلاهم ويحرضهم على أخذ الثأر من المسلمين، ثم ابتدأ يهجو الرسول ﷺ وعندما سأله أبو سفيان قائلاً: «أناشدك الله أديتنا أحب الى الله، أم دين محمد وأصحابه؟» وأينا أهدى الى ربك وأقرب الى الحق؟ قال كعب: «أنتم أهدى منهم سبيلاً» فأنزل الله على رسوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

(١) : ابن هشام، «السيرة النبوية»، ص ١٥٥.

(٢) : الواقدي «المغازي» باب قتل كعب بن الأشرف ج١/١٨١، وابن اسحق باسناد مرسل لابن هشام «السيرة النبوية» ج٣/٧٤-٧٥، والطبري «تاريخ الطبري» ج٢/٤٨٨ .

سَيِّلاً ﴿٥١﴾ (١). ولم يكتف بذلك التضليل ، ولكنه عندما عاد الى المدينة أخذ بقرض الشعر متشبيها بنساء المسلمين، لما هدر الرسول ﷺ دمه. وتصدى لهذه المهمة وانزال العقاب بكعب بن الأشرف: محمد بن مسلمة وأبو نائلة أخو كعب من الرضاع وقتلوه بالفعل، وعندما احتج اليهود على هذا الفعل بين لهم الرسول ﷺ ما صدر من كعب بحق نساء المسلمين (٢).

هذا وقد تنوعت الأساليب العملية التي واجه بها اليهود الدعوة الإسلامية نذكر من هذه الأساليب أهم بعضها فيما نراه .



(١) : سورة النساء الآية ٥١

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه ج٣/ حديث ١٤٢٥-١٤٢٦ وأبو داود في سننه ج٣/٢١١ كتاب الجهاد باب العدو يؤتى على غرة.

المبحث الثاني أساليب اليهود العملية

تهديد:

استغل اليهود حادثة فردية بسيطة، وأيا كان الرأي حولها أهي عارضة، أم خطة معدة، لكنهم جعلوها مدخلا بعد ذلك لكل الأساليب العملية التي قاموا بها ضد الدعوة، وكان هذا الحادث بمثابة التعبير عن نيات اليهود وخططهم تجاه الاسلام والمسلمين وخلاصة هذا الحادث: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع. قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر عن قتادة. قال فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه. فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج. قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه قال: فأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ^(١). قال ابن هشام وكان يقال لها ذات الفضول، فقال له رسول الله ﷺ أرسلني. وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً. ثم قال: ويحك أرسلني قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمئة حاسر وثلاثمئة دراع قد منعوني من الأحمر والأسود محصدهم في غداة واحدة إني والله امرؤ أخشى الدوائر. قال: فقال رسول الله ﷺ: هم لك.^(٢)

وبهذا الموقف الذي عمل على تفاقم العلاقة بين المسلمين واليهود وتضيق حالات العداء التي كان يعمل المسلمون على تجنبها ، فقد كان اليهود يدركون أن الوقت ليس

(١) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج٣/٣. ٤.

(٢) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢٧/٢. ٤٢٧.

في صالحهم فاذا لم يكسروا شوكة المسلمين من الآن وخاصة بعد بدر فإن خطر المسلمين سيتضاعف ومع أن المسلمين كانوا يعيشون انتصار بدر وصداه العظيم في كل أرض الحجاز فإنهم كانوا يدركون أن خطر قرش لا يزال قائماً^(١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه في المدينة وتحت راية النظام الذي أقامه النبي ﷺ تعبيرا عن الدعوة الإسلامية وجهادها ، كان شيئا متوقعا أن تنتشر دعوة الاسلام وأن يقبل الناس عليها وأن يستظل بظلها وينعم بأمنها معظم الفئات والعناصر البشرية التي يمكن أن ينتهي إليها أمر الإسلام ففي المدينة وتحت راية النبي كان بجانب أشرف العرب بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وغيرهم لكن اليهود أزعجهم هذا الانتشار وضايقتهم هذه التوجهات العالمية التي تجمع تحت لوائها نماذج من شعوب الأرض لذا فقد واجهوا الدعوة بالأساليب القولية ومارسوا من الأساليب الفعلية ما حاولوا به اعاققة الدعوة^(٢) .

وفي هذا المبحث أستعرض أبرز الأساليب العملية التي واجه بها اليهود الدعوة الإسلامية.

(١) : ابن كثير ، " البداية والنهاية " ، ج ٣/٤ .

(٢) : د. صابر طعيمة ، « بنو اسرائيل بين نبي القرآن الكريم وخبر العهد القديم » ، عالم الكتب ، بيروت ، ط. ٣ ، عام ١٩٨٦ ، ص ٣٢٣ .

المبحث الثاني أساليب اليهود العملية

●● الأسلوب الأول: (أسلوب إثارة الفتنة بين المؤمنين):

وحيثما باءت الأساليب القولية والجدل والمراء بالفشل وعجزوا أن يقفوا في وجه الدعوة، حاولوا ممارسة أسلوب التدمير الجماعي وذلك بتهيئة أسباب التفريق بين المسلمين بإثارة الأحقاد القديمة وإحاكة الدسائس بين عناصر القوة الاجتماعية في المدينة مثلما فعلوا بين الأوس والخزرج ليوم بعاث ومثلما فعلت يهود بالأمس تريد أن تؤدي نفس الدور في مواجهة الدعوة الإسلامية لأنها تستهدف أن تكون لها السيادة في وجه الدعوة إذ لم يعجبها التأخي والحب الذي أحدثه الإسلام بين الأوس والخزرج فسعت إلى الوقيعه بينهم والتفريق ، فأرسلت شاس بن قيس ، وكان عظيم الكفر شديد الحسد والعداوة على المسلمين على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج . في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية. ثم أخذ يذكرهم بما كان يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ففعل فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتشاوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة ، قيل ذلك للنبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول : (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟) " فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح .

(١) أخرجه صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله وسواء عليهم استغفرت لهم... ٧٦/٦، رقم الحديث: ٤٩٠٥.

أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، ١٩٩٨/٤، رقم الحديث: ٦٣.

●● الاسلوب الثاني - اسلوب الدخول في الإسلام ثم الارتداد عنه :

هذا وقد كان من أساليبهم التشكيكية دخولهم في الاسلام ثم الارتداد عنه، وذلك لكي يفتنوا المسلمين عن دينهم فيرتدوا مثلهم ويشيروا الاضطراب والقلق والشك والحيرة بين المسلمين. وفى إطار مواجهة اليهود للدعوة الإسلامية مواجهة فعلية تعتمد على ما يسمى اليوم اختراق الجبهة الداخلية استهدف اليهود إحداث ردة أو تشكيك بصدق الدعوة والداعية ، وذلك من خلال الإعلان بالإيمان بما يدعو اليه فترة من الزمن ثم الإعلان باكتشاف فساد ما يدعو اليه وذلك بهدف زعزعة المؤمنين ووضع العقبات أمام القطاعات التي تحاول التعرف على الاسلام ، ومن ذلك مثلاً ما اتفق عليه كل من عبد الله بن اللصيف وعدي بن زيد والحاتث بن عوف ، أن يظهروا للناس الإيمان ثم يعلنوا بعد ذلك عدولهم عنه ويجهروا بالكفر . وهم يزعمون أن الناس إذا رأوا ذلك منهم قالوا : " لولا أنه ظهر لهم كذب محمد لما عدلوا عن الإيمان به وهم أهل علم ودراية " وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم وكشف به ما يبيتون للإسلام قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٢) ﴿١﴾ . وفيما أخرجه ابن جرير عن مجاهد قال : "صلت اليهود مع محمد صلاة الصبح وكفروا آخر النهار مكرًا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد أن كانوا اتبعوه " ﴿٢﴾ .

وخسر هؤلاء وتلاعبت بهم أهواؤهم وضلوا عن سواء السبيل فلم ينتبهوا إلى ما انتبه اليه هرقل ملك الروم ، إذ كان مما سأل عنه أبا سفيان بن حرب يوم حمل اليه رسول النبي ﷺ الرسالة التي يدعوها فيها إلى الاسلام ، بعد أن استدعى أبا سفيان : ما تعرف عن شتون الذين يؤمنون بمحمد : " وهل يرجع عنه من دخل في دينه ؟ فقال أبو سفيان لا " ﴿٣﴾ .

-(١) : سورة آل عمران، آية ٧٢ .

-(٢) : رشيد رضا ، " تفسير المنار " ، الجزء الثالث ، ص ٣٣٣ .

-(٣) : المرجع السابق، نفس الموضع.

●● الأسلوب الثالث - أسلوب محاولة قتل النبي ﷺ :

يلفت نظر الباحث جسامة وخطورة حجم الخصومة التي مارسها اليهود ضد النبي ﷺ، وتحت حقد ووطأة هذه الخصومة أقدم اليهود على محاولة قتل النبي ﷺ بأسلوب الخيانة، كان ذلك وفي ضوء ما ينقله ابن كثير حين فتحت خيبر. وقد نقل ابن كثير رحمه الله تعالى عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة أنه قال: : لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ : «اجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود».

فجمعوا له، فقال النبي ﷺ : «إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟ قالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم؟» قالوا أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ : «كذبتكم بل أبوكم فلان» قالوا صدقت وبررت، فقال: «هل أنتم صادقي عن شيء إذا سألتكم عنه؟» قالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت في أبيننا، فقال رسول الله ﷺ : «من أهل النار»، فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «والله لا نخلفكم فيها أبداً» ثم قال لهم : «هل جعلتم في هذه الشاة سما»^(١) فقالوا نعم! قال: «ما حملكم على ذلك؟ قالوا أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك وإن كنت نبياً لم يضرك»^(٢).

ومما نقله ابن هشام برواية ابن اسحق أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة فأرسل إليها فقال «ما حملك على ما صنعت؟» قالت احببت أو أردت إن كنت نبياً فإن الله سيطلعك عليه، وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك قال: فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم قال فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم وفي صحيح البخاري من حديث شعبان عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ

(١) فتح الباري، كتاب المغازي، باب الشاة التي سمت للنبي ﷺ بخيبر ، ٦٣٣/٧ رقم الحديث : ٤٢٤٩.

(٢) ابن هشام «السيرة النبوية» ، ج٣ / ٣٩٠.

فسألها عن ذلك؟ قالت أردت لأقتلك؟ فقال: ما كان الله ليسلطك علي»^(١) أو قال علي ذلك قالوا: ألا نقتلها؟ قال «لا» قال أنس فمازلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ قال: وكان جابر بن عبد الله^(٢) يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ثم قال رسول الله ﷺ «ارفعوا أيديكم» وأرسل الرسول ﷺ إلى المرأة فدعاها، فقال لها: «أسمت هذه الشاة؟» قالت اليهودية من أخبرك؟ قال: «أخبرتني هذه التي في يدي» وهي الذراع، قالت نعم قال: فما أردت بذلك؟ قالت: قلت إن كنت نبيا فلن تضرك، وإن لم تكن نبيا استرحنا منك فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها^(٣)، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم النبي ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبنى بياضة من الانصار، وقد نقل عن أبي سلمة^(٤) فيما وروى البيهقي من حديث عبد الرزاق بن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب^(٥) بن مالك أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة مصلية بخيبر فقال: «ما هذا؟» قالت: هدية وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل قال فأكل وأصحابه ثم

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ ج٤١/٧، رقم الحديث: ٥٧٧٧.

(٢) هو جابر بن عبد الله بن حرام الحنزي الاتصاري السلمي صحابي مشهور من أهل بيعة الرضوان وأهل السبق في الاسلام. كان من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ إذ روى (١٥٤٠) حديثا غزا تسع عشر غزوة توفي معمرًا، واختلف في سنة وفاته، قيل: ٧٨هـ وكان آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وقد كف بصره. ويقال: أنه عاش أربعاً وتسعين سنة. توفي وليس له عقب. انظر الذهبي سير اعلام النبلاء ج٣/ص ١٩٨ والحاكم المستدرک ج٣/ص ٥٦٤ وما بعدها.

(٣) انظر ابن كثير «البدایة والنہایة» ج٦/٣٩٠.

(٤) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مروة بن كعب القرشي الزهري المحافظ احد الاعلام بالمدينة قيل: اسمه عبد الله، وقيل: اسماعيل وحدث عن كثير من الصحابة، وحدث عنه جمع كثير، كان ثقة فقيها كثير الحديث، وأمه: قاضر بنت الأصبح بن عمرو من أهل دومة الجندل. ادركت حياة النبي ﷺ وهي أول كلبية نكحها قرشي وأرضعته أم كلثوم، فعائشة خالته من الرضاعة، كان أبو سلمة من أهل العلم، إمام، توفي أبو سلمة بالمدينة سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر الذهبي سير اعلام النبلاء ٢٨٧/٤.

(٥) عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الاتصاري السلمي أبو الخطاب المدني، كان أعلم قومه وقال النسائي ثقة، وقال خليفة بن خياط مات في خلافة هشام بن عبد الملك، انظر في تهذيب التهذيب ط١/ج٦/ص ١٩٤.

قال «امسكوا» ثم قال للمرأة «هل هي مسمومة» قالت من أخبرك هذا؟ قال «هذا العظم» لساقها وهو في يده، قالت نعم قال «لم؟» قالت: أردت إن كنت كاذباً أن نستريح منك وإن كنت نبياً لم يضرك، قال فاحتجم رسول الله ﷺ على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا ومات بعضهم.^(١)

●● الأسلوب الرابع - أسلوب الغدر ونكث العهود :

بعد ازدياد الوجود الإسلامي وتعاظم قوته منذ الهجرة إثر بطولة العمل العظيم في معركة بدر، ثم الإقدام على إجلاء "بنى قينقاع" فإن تحالفا كبيرا من الأحابيش في جيش مكة، ومن المتطوعين من أبنائها ومن المتطوعين من أبناء مكة، وقبائل من بنى كنانة أحلاف قريش، وقبائل تهامة المرتبطة بتحالف هي الأخرى مع قريش قد قاموا للثأر من محمد وأصحابه في معركة أحد^(٢)، وكانت فرصة اغتنامها اليهود عندما تمكنوا من التخلي عن اتفاقهم مع المسلمين فقد انتهزوا فرصة استجابة الرسول ﷺ لرأي أصحابه بالخروج من المدينة لقتال قريش خارجها، بينما كانت مزاعم اليهود أن يكونوا عوناً للمسلمين داخل المدينة، كما تعذر اليهود بأن المعركة يوم السبت وقالوا: نحن لا نقاتل يوم السبت والمعركة خارج المدينة والاتفاق على القتال داخلها^(٣) ووقف (عبدالله بن أبي) يقول لليهود: "ارجعوا أيها الناس ما ندرى علام نقتل أنفسنا فقد أطاعهم وعصاني"^(٤). ويقصد ابن أبي بهذه الكلمة الرسول عليه السلام حين استجاب للرأي الذي قرر الخروج من المدينة ومواجهة جيش مكة خارج المدينة، بينما هو ﷺ قد رأى في أول الأمر أن يقاتل جيش مكة من داخل المدينة^(٥).

(١) عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ من كتاب الطب باب ٥٥ حديث رقم ٥٧٧٧ ، انظر فتح الباري ج٧/٣٠٠ .

(٢) : انظر الطبري «تاريخ الرسل والملوك» ج٢/٥٠١ .

(٣) : انظر الطبري «تاريخ الرسل والملوك» ج٢/٥٣١ .

(٤) : انظر الطبري «تاريخ الرسل والملوك» ج٢/٥٠٤ وابن هشام «السيرة» ج٣/٨ .

(٥) : المصدر السابق ج٣/ نفس الموضع

ومن أمثلة نقض العهد ما كان من نقض بني قريظة للعهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ بتحريض من حبي بن أخطب النصري^(١)، واللافت للنظر أن هذه الخيانة في نقض العهد جاء من جانب بني قريظة في وقت عصيب إذ ما أن صرف الله تعالى الأحزاب، الا وقد جاءت الأخبار بنقض بني قريظة عهدهم مع النبي، وأعلنوا محللهم من كل ما بينهم وبين المسلمين من المواثيق. وعلى الرغم من أن عددهم لم يكن يتجاوز أربعمائة على الأرجح^(٢) الا أن الرسول ﷺ خرج اليهم في ثلاثة الاف مقاتل معهم ستة وثلاثون فرساً^(٣) وعندما رغبوا في الاستسلام ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ أوكل ﷺ الحكم فيهم الى واحد من رؤساء الأوس بحكم أنهم كانوا حلفاء بني قريظة، وكان هذا الحكم هو سعد بن معاذ الذي حكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وتقسيم أموالهم، وهو الحكم الذي علق النبي ﷺ عليه بقوله: قضيت فيهم بحكم الله تعالى^(٤).

ولما حان وقت التقدير اليهودي أنه لا بد من فتح ثغرة في قلب المدينة للاتقضاض منها على ظهر المسلمين. كان موقف " كعب بن أسد القرظي " أنه أغلق أبواب حصنه وابتعد عن ميدان الصراع لكن العدوان اليهودي المتآمر جعل " حبي بن أخطب " يذهب إلى كعب بن أسد الذي اغلق باب حصنه في وجه حبي بن أخطب رافضاً أن يفتح له أو يقابله. وتسجل مصادر التراث العربي مواقف كعب الأولى من محاولات حبي بن أخطب حين قال لابن أخطب : ويحك يا حبي إنك امرؤ شؤم، وإني قد عاهدت محمداً فلست

(١) : ابن سعد «الطبقات» ج٤/٢٤، الواقدي، «المغازي» ج٢/٣٩٦

(٢) من روايه أحمد في مسنده بإسناد حسن ج٣/٣٥٠، وابن حجر «الفتح» ٣٠١/١٥، لكن ابن اسحق روى أنهم ستمائة أو سبعمائة، ابن هشام ج٣/٣٣٣ معلقاً، وعند ابن سعد «الطبقات» ج٢/٧٥ أنهم كانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة، انظر الواقدي «المغازي» ج٢/٥١٧-٥١٨.

(٣) : ابن سعد «الطبقات» ج٣/٧٤، معلقاً، والمعلق كما هو معروف من أقسام الضعيف.

(٥) : أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الاحزاب ومخرجه الى بني قريظة، ٦٠/٥، رقم الحديث : ٤١٢١.

وصحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد، ١٣٨٨/٣، رقم الحديث: ١٧٦٨.

بناقض ما بيني وبينه، ولم أرمنه الا وفاء وصدقا لكن الاستجداء الذي كانت عليه أخلاق ابن أخطب من أجل تحقيق العدوان على الإسلام . جعلته يقول لكعب بن أسد : افتح لي أكلمك، ويرد عليه كعب : ما أنا بفاعل لكنه حين يدخل إلى قلب كعب من باب غريب جدا حين قال لكعب : والله يا كعب إنك ما أقفلت باب حصنك ولم ترد أن أدخل عليك الا خوف أن أكلفك طعاما وشرابا! وعندما فتح الرجل باب حصنه وقال له : ماذا تريد ؟ فيقول له حيى ويحك يا كعب أما لنا فرصة العمر التي يجب أن لا تضيع جنتك بعز الدهر في كثرة من الرجال ووفرة في السلاح وجنتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بجوار جبل أحد، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل بجوار جبل أحد محمدا ومن معه ^(١) . ورغم أن كعب بن أسد في بادئ الأمر قد وقف متشددا من حوار ابن أخطب وذلك من خلال قوله له : جنتني والله بذل الدهر ا فدعني وما أنا فيه فإني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء لكن الإلحاح الشديد من جانب حيى بعد عهد وإيمان أقسمها لكعب أن قریشا وغطفان ومن معهم إذا لم يقتلوا محمدا ويستأصلوا شأفته فإنه سيحضر إلى حصن كعب ويعالجا موقفهما معا ^(٢) .

وما زال حيى بن أخطب بكعب بن أسد حتى نقض عهده مع رسول الله ﷺ، وأعلن الخبر على الملأ - وخلق ذلك الموقف رد فعل سيء في نفوس الكثيرين، نظرا لانفتاح جبهة في القتال كان من الممكن أن تعاون أو ان يكتفي شرها وكان على الرسول ﷺ أن يكون رابط الجأش قوي العزيمة كعهده في كل المواقف العصبية التي تعرض لها المسلمون، من جراء كيد اليهود للإسلام ونبيه عليه السلام .

وقرر الرسول أن لا يحدث هذا الموقف تأثيره في نفوس المسلمين فقبل أن يستشري الخبر ويعم الجميع، بعث رسول الله ﷺ وفدا يضم : "سعد بن معاذ ، وهو يومئذ ، سيد

(١) : انظر : ابن هشام، " السيرة النبوية"، ج ٣ / ١٩٨ .

(٢) : المصدر السابق. نفس الموضع

الأوس و "سعد بن عباد" وهو سيد الخزرج يرافقهما في تأدية المهمة عبدالله بن رواحة، وانضم اليهم (خوات بن جبير) وأوكل اليهم الرسول مهمة دراسة الموقف مع اليهود وكعب بن أسد، وطلب منهم التثبيت مما إذا كان اليهود بقيادة كعب بن أسد قد نقضوا عهدهم مع الرسول حقيقة أم لا، فإن ظلوا على موقفهم بعد ذهابكم اليهم وتعذر معالجة الموقف، فأخبروني بطريقة لا تزعج الناس ولا تفت في عضدهم، وإن كانوا على البقاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس^(١).

ولما ذهب الوفد الاسلامي إلى مواقع كعب وجدوا اليهود بقيادته على أشد ما يكونون نكرانا وجحودا وكفرا بعهدهم وعقودهم مع الرسول عليه السلام. وحين كان الوفد يتحدث باسم رسول الله ﷺ كان الرد اليهودي : من رسول الله ؟ لاعهد بيننا وبين محمد ولا عقدا .

وتوتر الموقف بين الوفد المسلم وبين اليهود وكادت تحدث مذبحة حين أهاج حديثهم عن رسول الله ﷺ بما لا يليق "سعد بن معاذ" الذي كاد أن يستل سيفه ويقاوم من حوله من اليهود، وحين شامته اليهود وشاتمهم تدخل سعد بن عباد، وقال لأخيه سعد بن معاذ : دع عنك مشاتمهم فهم بنقضهم عهد رسول الله أصبح ما بيننا وبينهم أشد وأخطر من المشامة^(٢).

وبالفعل فإن نتائج نقض العهد الذي قام به يهود بني قريظة بقيادة سيدهم كان له تأثيره السيء في الجبهة الاسلامية الأمر الذي اقتضى من رسول الله ﷺ أقصى الجهد لتعبئة الصفوف من جديد، وتقوية المعنويات التي قد يكون اعترافها بعض الفتور من أثر الدور الذي قامت به العناصر الموالية لليهود بني قريظة بين مجتمع المدينة .

(١) : انظر ، ابن هشام، " السيرة النبوية"، ج ٣ / ١٩٩ .

(٢) : انظر صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ج ١٥/ ٢٩٨ حديث رقم ٤١٠١، ومسلم ج ٣/ ١٣٨٨ حديث

رقم ١٧٦٨ .

وكان تأثير نقض اليهود من بني قريظة عهدهم مع المسلمين على قریش وحلفائها في حصارهم للمسلمين قويا وعظيما فارتفعت الأصوات المنكرة تهلل وترفع السلاح وتتوثب للعدوان.^(١)

وكان على الرسول ﷺ أن يعالج هذا الحصار العسكري الذي لا قبل للمسلمين به، بمهارة سياسية فذة وبأسلوب جاد وجريء فحين رأى البلاء قد اشتد على الناس استقبل غدر بني قريظة بثبات منقطع النظير ولجأ إلى رفع المعنويات بالتكبير : الله اكبر .. الله اكبر أيشروا يا معشر المسلمين بنصر الله ! ثم خرج الجيش الإسلامي من قلب المدينة وأوكل إلى الصحابييين الجليلين " سلعة بن أسلم" وزيد بن حارثة مهمة حماية المدينة والدفاع عنها، فضلا عن مهمة التنبيه لحركات الغدر المتمثلة من وراء الظهر التي ستقوم بها يهود قريظة ولجأ الرسول بعد ذلك إلى المهارة السياسية لكي يخرج بأصحابه من الأزمة والحصار الذي أطبق على المسلمين، بسبب كيد اليهود ونقضهم للعهد والمواثيق. وقد نجح ﷺ في ذلك نجاحا عظيما، حين تمكن ﷺ من السيطرة على اليهود في كل المواجهات التي خاضها ضدهم، حتى تم تطهير المدينة من سلطانهم بل ومن وجودهم، وأحبط الله تعالى كل وسائلهم القولية والعملية على السواء .

●● الاستلوب الخامس - استغلال مصائب المسلمين :

وبعد انكسار المسلمين في معركة أحد فإنه لم يكن أمام اليهود ميدان عمل يلعبون ويشفون مر كيدهم وغيظهم من المسلمين سوى استغلال هزيمة المسلمين، ولذا فإنهم يستغلون فرصة آلام المسلمين من عدم توفيقهم في معركة أحد ودخلوا بالمؤامرة مرحلة - الوشاية والخديعة ضد المسلمين، وقد تمثل ذلك في استغلالهم ظروف سيئة مرت بالمسلمين لنشر كيدهم وتشفية غيظهم بعد أن تتابعت على المسلمين مصائب كثيرة كان منها :

(١) : انظر ما جاء عند ابن سعد «الطبقات» ج٣/٢٧٤، وأيضا ما رواه أحمد «الفتح الرباني» ج١/ ٨١-٨٣، وابن كثير «البدية والنهاية» ج٤/١٤٠، والطبري «تاريخ» ج٢/٥٨٣.

- مقتل عاصم بن ثابت ومن معه من المسلمين .^(١)

- مقتل المنذر بن عمرو ومن معه من المسلمين^(٢) .

والذي حدث في هذين الموقفين هو: اهتزاز كيان المجتمع الإسلامي الصغير ذلك أن بعض (بنى لحيان من بني هذيل) وكانت تقيم في منطقة من الحجاز بين مكة والطائف - وكان موقعها إلى مكة أقرب - جاؤوا (عضلا والقارة) وهما قبيلتان من بني الهون بن خزيمة بن مدركة، فجعلوا لهم إبلا على أن يطلبوا رسول الله ﷺ فيخرج اليهم نفرا من أصحابه، فجاء سبعة من هؤلاء إلى المدينة فأظهروا الإسلام واقترحوا على النبي ﷺ أن يرسل معهم نفرا من أصحابه ليفقهونهم، كان منهم^(٣) : عاصم بن ثابت الأنصاري، ومرشد بن أبي مرشد الغنوي وحبيب بن عدي وزيد بن الدغنة وعبدالله بن طارق وخالد بن البكير^(٤)، فغادروا المدينة في شهر صفر من السنة الرابعة قاصدين إلى هذيل لتعليمهم . وأخذ القوم السرية فجأة حينما بلغت " ماء الرجيع " قرب ديار هذيل، وأحاطوا برجالها فهرعوا إلى سلاحهم للدفاع عن أنفسهم، فقالوا لهم : لا نريد قتالكم ، فلم يظمنوا اليهم وقالوا: والله لا تقبل من مشرك عهدا وقاتل خالد وعاصم ومرشد حتى قتلوا، واستسلم الثلاثة الآخرون فقيدهم وقصدوا بهم مكة. وقبل أن يبلغوها تخلص

(١) هو عاصم بن ثابت بن قيس، وقيس هو أبو الأفلح بن عصمه بن مالك بن أمة بن ضبيعة، وأمه الشموس بنت أبي عامر بن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمة بن ضبيعة، ويكنى عاصم أبا سليمان وأخي رسول الله بين عاصم بن ثابت وعبد الله بن جهش، وشهد عاصم بدرأ وأحدا، وثبت يوم أحد مع رسول الله ﷺ حين ولي الناس وبأيمه على الموت وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله ﷺ وجهه رسول الله ﷺ مع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ إلى هذيل ، فلما وصلوا إلى هذيل عرضوهم وقتلوهم، وقتل عاصم وأصحاب يوم الرجيع في صفر على رأس ستة وثلاثين شهر من الهجرة، أنظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٣ / ٤٦٢ .

(٢) : ابن كثير ، " البداية والنهاية " ، ج٤ / ١١ .

(٣) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، ج٣ / ٢٠ .

(٤) هو خالد بن بكير بن عبد باليل بن عبدنا شب بن غيرة بن سعد بن ليث الليثي عبد باليل حالف في الجاهلية نفيل بن عبد العزي جد عمر بن الخطاب فهو ولده بكير خلفاء بني عدي، شهد خالد وأخوته بدرأ ولا أعلم له رواية وقتل خالد بن البكير يوم الرجيع في صفر سنة أربع من الهجرة، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٢ / ص١٠ .

عبدالله بن طارق منهم وانتضى سيفه لقتالهم بالحجارة فقتلوه، فلم يبق معهما سوى خُبيب^(١) وزيد فباعوهما لأهل مكة فقتلوهما^(٢)، وحزن المسلمون كثيرا على المصير السيء الذي حل بإخوانهم، ويشاء الله أن يواصل المسلمون جهادهم ويتعرضون لكثير من المصائب كالتى حدثت لهم، بعد مقتل عاصم بن ثابت ومن معه من المسلمين.. فلم يكادوا يفرغوا من آلام هذا الحادث وهم لما يزالوا في جراحهم منذ أحد واذا بحادث يعرف في التاريخ الاسلامي بحادث " بعث بثر معونة" وخلصته : " أنه قد وفد على المدينة من السنة الرابعة للهجرة في شهر صفر أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامري ويعرف بملاعب الأسنه فعرض النبي عليه السلام، الإسلام فوقف موقفا لم يفصح فيه عما في دخيلة نفسه إذ لم يقبل ولم يرفض وقال : يا محمد إني أرى أن أمرك هذا حسن وشرف فلو أنك بعثت معي نفرا من أصحابك لرجوت أن يتبعوا أمرك.

وأما في أن يوسع رسول الله ﷺ أرضا جديدة للدعوة وللرجال، وثق بهذا الرجل الذي كان يعرف بملاعب الأسنه فانتدب سبعين من قراء القرآن، وكانوا يحفظونه ويرتلونه في المسجد^(٣) .

وسار البعث الإسلامى الى شرق المدينة ولما وصل القوم إلى منطقة "بثر معونة" في الأرض التي تقع بين أرض بنى عامر وحره بنى سليم أرسل المنذر بن عمرو رئيس البعث كتابا إلى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي، وهو ابن الأخ للبراء عامر بن

(١) هو خبيب بن عدي بن عامر بن مجدعة بن جحجيا الأنصاري الشهيد شهد أحدا وكان فيمن بعثه النبي ﷺ مع بني لحيان فلما صاروا بالرجيع غدروا بهم واستصرخوا عليهم وقتلوا فيهم، وأسروا خبيبا وزيد بن الدثنة فباعوهما بمكة فقتلوهما بمن قتل النبي ﷺ من قومهم وصلبوهما بالتنعيم، انظر الذهبي سير اعلام النبلاء .٢٤٦/١

(٢) : ابن هشام، " السيرة النبوية"، ج٣/١٦٣ .

(٣) : صابر طعيمة « بنو اسرائيل بين نبا القرآن الكريم وخبر العهد القديم» صفحة ١٨١.

مالك، وحمل الكتاب المنذر بن عمرو "حرام ابن ملحان"^(١) وكانت المفاجأة أن يقوم عامر بن مالك بقتل الرسول الذي يحمل الكتاب دون أن ينظر ما جاء فيه، وأراد على الفور أن يعبئ قومه من بنى عامر لكي يقوموا معه بقتل البعث المتجه اليهم من قبل المسلمين، وكان موقفهم منه الرفض بعد أن قالوا له : لن نخفر لأبى براء عهدا الا أن الرجل لجأ إلى بعض القبائل المجاورة من سليم وذكوان ورعل، بعد رفض قومه له، واستطاع أن يستنفر هذه القبائل لقتال المسلمين فاستجابت، وبعد غيبة الرسول : المنذر بن عمرو رئيس البعث فأخذ البعث واتجه إلى بنى عامر وفي الطريق لقيهم عامر بن الطفيل بمن معه من القبائل، وفوجئ المسلمون بالمؤامرة وبالحرث وبالإنقضاض عليهم، وبأنهم في معركة دامية تقتضي الموقف الفدائي البطل وقد كان وكانت معركة رهيبة لم تسعف الشجاعة التي قاوم بها المسلمون القبائل الموقف غير المتكافئ بين الطرفين، فقد تكاثرت القبائل المتآمرة بقيادة عامر بن الطفيل فقتلوا المسلمين جميعا، ولم ينج من المسلمين سوى واحد هو عمرو بن أمية الضمري، فقد أطلق سراجه "عامر بن الطفيل" نفسه فداء عن والدته بعد ما جز ناصيته.^(٢)

-
- (١) : هو حرام بن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار وأمه: مليكة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، حرام شهد بدرًا وأحدًا وبشر معونة وقتل يومئذ شهيدا في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا ، انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٣/ ص ٥١٤ .
- (٢) : انظر : ابن هشام " السيرة النبوية" ، ج٣/ ١٣٩ ، طبعة دار المعرفة بيروت .

الأسلوب السادس :

●● أسلوب التحالف :

سعدت القيادات اليهودية التي قادت التخطيط لحرب رسول الله في معركة كبرى باستجابة قريش لها، وكان على (سلام بن أبي الحقيق النضري) أن يطمئن إلى كل مسيبات نجاح كيدته للإسلام، فانطلقت المجموعة اليهودية بعد قريش إلى قبائل غطفان من قيس عيلان، ونقلوا اليهم أخبار إعدادهم للحرب الكبرى التي لا قبل للمسلمين بها ويتحالفهم مع قريش واطمأنت غطفان إلى تأكيدات اليهود في استعداد قريش وهنا كان على القيادات التي استجابت لنداء العدوان أن تتحرك على مسرح المنطقة التي ستجري عليها عمليات التجمع لحرب الإسلام ونبيه عليه السلام، فكان أبو سفيان بن حرب يمثل ثقلاً في جانب قريش وعينية بن حصن بن حذيفة بن بدر يمثل جانباً عن غطفان من بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة السري عن بني مرة وانضم إلى هذه القيادات مجموعات عداء من بني كنانة وأهل تهامة وبعض أهل نجد.

ومع عمليات التجمع اليهودي استطاعوا تجنيد عشرة آلاف مقاتل ضد المسلمين الذين لم يكونوا ليقدروا على صد العدوان بأكثر من ثلاثة آلاف مقاتل فإن اليهودي المتآمر " حبي بن أخطب" لم يكفه كل هذا الحشد وإنما راح ليحكم الطوق حول أعناق المسلمين ولو كان ذلك بخيانة .

وبالفعل توجه " حبي بن أخطب" اليهودي إلى كعب بن أسد القرظي اليهودي وكان كعب قد وادع الرسول عليه السلام وعاهده، وعندما قامت الفتنة وأدرك ما يعده بنو قومه للمسلمين آثر السلام، وابتعد عما يجري ولم يشارك فيه، فقد كان يهودياً يحترم كلمته وعهده لرسول الله، وكانت " قريظة" نتيجة موقف سيدها غير مستعدة للتآمر مع باقي القوى اليهودية وتحالفها مع الأحزاب، إلا أن «حبي بن أخطب» ظل يمارس وعوده وأمانيه على «كعب بن أسد القرظي» حتى سمح له على أن أعطاه عهداً وميثاقاً لثن

رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن يدخل معه في حصنه حتى يصيبه ما أصاب، كعباً فنقض كعب بن أسد عهده، وبريء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ. (١)

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الحبر، وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان - وهو يومئذ سيد الأوس - وسعد بن عباد بن دليم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج - وهو يومئذ سيد الخزرج - ومهما عبد الله بن رواحة أخو بني الحرث بن الخزرج، وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: «انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاء الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة، فقال سعد بن عباد: «دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أرى من المشاقمة، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسلموا إليه ثم قالوا: عضل والقارة، أي: كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه. (٢) ويرز هنا كأوضح ما يكون تحالف اليهود وتخطيطهم لحرب المسلمين والكيد لهم.

(١) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢ / ٣٢٦.

(٢) : انظر ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢ / ٣٢٧ وابن كثير «البدية والنهاية» ج٤ / ١١٠.

الفصل الثالث أساليب النصارى في العهد المدني

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أساليب النصارى القولية في العهد المدني
المبحث الثاني : أساليب النصارى العملية في العهد المدني

الفصل الثالث

أساليب النصارى في العهد المدني

المبحث الأول : أساليب النصارى القولية في العهد المدني

تمهيد:

تحدثنا في الفصل التمهيدي عن النصارى، وبيننا وجود فئات كثيرة منهم كانوا في العهد المدني، منهم من استجاب للدعوة، وآمن بالرسول ﷺ، ومنهم من شق بهذه الدعوة، ومضى في عداوته للرسول ﷺ، ولهذا الدين مستخدماً عدة أساليب في مخاصمة الدعوة منها:

الأسلوب الأول :

●● أسلوب المجادلة :

كتب السيرة تبين ان النصارى أوفدوا وفداً إلى النبي ﷺ وهو بمكة إذ بلغهم خبره من مهاجري الحبشة حتى يروا صفاته فقرأ عليهم القرآن الكريم، فأمنوا كلهم^(١).

وأوفدوا إليه عليه الصلاة والسلام وهو بالمدينة وفداً يتألف من ستين رجلاً، وقد أهدوا إلى النبي ﷺ هدية : بسطاً ومسوحاً، فقبل المسوح ورد البسط، ودعاهم إلى الإسلام فأبوا، وقالوا : كنا مسلمين قبلكم، فقال عليه الصلاة والسلام: " يمنعكم من الإسلام ثلاثة عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً"^(٢).

قالوا : فمن مثل عيسى خلق من غير أب ؟

وحول بدايات ذلك الجدل الذي تحول الى مرآة من جانب النصارى قبل أن يفسد عليهم النبي ﷺ ما ذهبوا إليه. يقول أبو نافع القرظي فيما نقل عنه ابن هشام^(٣) أنه حين اجتمعت الأخبار من النصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، أن قالوا له: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم واليه تدعوننا؟ أو كما قال : قال رسول الله ﷺ : « معاذ الله أن أعبد غير الله، أو أمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثني الله

(١) : انظر ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢٨/٢٨-٢٩.

(٢) : انظر ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢٨/١٨١.

(٣) : المصدر السابق ، نفس الموضع.

ولا أمرني، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ . الى قوله تعالى: ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١١) .

هكذا احتد النقاش وتغير الجو، فدعاهم عليه الصلاة والسلام إلى المباهلة (١٢) .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) ﴾ (١٣) .

تذكر عدة روايات أن هذه الآيات نزلت في الحوار مع وفد نجران الذي قدم المدينة في السنة التاسعة من الهجرة (١٤)، وبعض العلماء يستبعد أن تكون السنة التاسعة هي زمن نزول هذه الآيات، إذ أنه واضح من طبيعتها وجوهرها أنها نزلت في الفترة الأولى من الهجرة (١٥) . ونحن نطمئن إلى هذا الرأي لأن تطهير المجتمع المدني وتنظيمه واستكمال عناصر بنائه يوحى بذلك . " وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران، أن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه من النبوة والإلهية ما يزعمون فأنزل الله صدر هذه السورة ردا عليهم " (١٦) .

وكتب التفسير تصور قصة المباهلة وطريقتها مما يتراءى معه أن هذا الحدث كان مشيرا للغاية، وكان له تأثيره في المجتمع وكانت له هزة في النفوس، ففي طلب انعقاد المباهلة قال : " (تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم) أي يدعو كل منا ومنكم . ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم قيل أراد بالأبناء الحسن والحسين، وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه ﷺ

(١) : سورة آل عمران : الآيات ٧٩-٨٠ .

(٢) : انظر محمد أبو زهرة ، " تاريخ الجدل " ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٣) : سورة آل عمران ، الآيات ٥٩-٦١ .

(٤) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/١٦٦ .

(٥) : جوهري طنطاوي ، " الجواهر في تفسير القرآن الكريم " ، ج ٣/١٥٧ .

(٦) : تفسير ابن كثير ج ١ ، ص ٥٥١ .

وعليا رضى الله عنه، وقيل على العموم لجماعة أهل الدين ثم نبتهل قال ابن عباس رضى الله عنهما: " نتضرع في الدعاء وقيل معناه مجتهد ونبالغ في الدعاء وقيل : معناه نلتعن، والابتهاال : الالتعان، يقال : عليه بهلة الله ا لعنه الله " فنجعل لعنة الله على الكاذبين" يعنى : منا ومنكم في أمر عيسى، قال المفسرون : لما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباحلة قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتبك غدا .."^(١) فأتوا رسول الله ﷺ وقد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه، وعلى يمشى خلفها، والنبى ﷺ يقول لهم : إذا دعوت فأمنا فلما رأهم أسقف نجران قال: يا معشر النصارى إنى أرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لأزاله من مكانه، فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة فقالوا : يا أبا القاسم قد رأينا ألا نباهلك، وأن نتركك على دينك، وتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله ﷺ فإن أبيتم المباحلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا ذلك فقال : إنى أناجزكم فقالوا : مالنا بحرب العرب طاقة، ولكننا نصالحك على ألا ترمينا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وأن تؤدى إليك في كل سنة ألفى حلة : ألفا في صفر وألفا في رجب.. فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك، وقال : والذي نفسى بيده، إن العذاب تدلى على أهل نجران، ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنزير"^(٢).

الاسلوب الثاني :

●● اسلوب التعالي على الناس وادعاء الخصوصية :

كذلك كان من أساليب النصارى في مواجهه الدعوة الإسلامية دعواهم أنهم على الحق، ولن يدخل الجنة سواهم، كما قال تعالى ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا

(١) تفسير الحازن «مجمع التفاسير» ج٩/١ . طبعة اسطنبول عام ١٣٩٩-١٩٧٩م.

(٢) : المرجع السابق ج١، ص ٥١٠ - ٥١١ ، ط إسطنبول ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ ..

قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ^(١) وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ^(٢) وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مِنْ كَسَبِ سَيِّئَةٍ وَأَحَاطَتْ بِهَا حَاطَتُهُ فَاتُوتُكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ ^(٤) .

كذلك كان من أساليب جدلهم ومراتهم دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه كما قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ^(٥) .

وفي الآيات القرآنية إشارات الى كثير من مسالكهم وأساليبهم ضد المؤمنين ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ^(٦) .. ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ^(٧) .

(١) البقرة، الآية ١٣٥

(٢) البقرة، الآية ١١١

(٣) البقرة، الآيات ٩٤-٩٥

(٤) البقرة، الآيات ٨٠-٨٢

(٥) المائدة، الآية ١٨

(٦) آل عمران، الآية ٧١

(٧) المائدة، الآية ٥٩

الاسلوب الثالث :

●● اسلوب التهديد :

يتمثل هذا الأسلوب عندما أرسل رسول الله ﷺ : شجاع بن وهب الأسدي الى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء من أرض الشام يدعوه الى الاسلام، وكان الحارث بن أبي شمر من ولاية قيصر^(١)، فلما قدم عليه رسول الله ﷺ، كان مشغولاً بتهيئة الألفاظ والأنزال لقيصر بغوطة دمشق^(٢)، فانتظره : شجاع بن وهب^(٣) لبعض الأيام حتى جلس ذات يوم ووضع التاج على رأسه فدخل عليه شجاع ليدفع اليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ثم رمى به وقال: من ينتزع مني ملكي؟ أنا سائر اليه، ولو كان باليمن جنته، ثم قال: علي بالناس فلم يزل يوجب للجنود عطاءهم ويأمرهم بالتأهب للحرب، بعد أن أمر بأن تنقل الخيول.^(٤) ثم قال متوعداً، لشجاع بن وهب أخبر صاحبك ما ترى. لكن قيصر منعه من الخروج الى المسلمين، ولما علم النبي ﷺ بما كان قد عقد عليه الحارث بن شمر وجنده وقومه، دعا الله تعالى أن يبيد ملكهم ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح^(٥). وسقط أسلوب من أساليب النصارى في وجه الدعوة الإسلامية.

(١) : النويري «نهاية الأرب في فنون الأدب» ج١٨/١٦٥

(٢) : النويري «نهاية الأرب في فنون الأدب» ج١٨/١٦٦

(٣) : هو شجاع بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كعب بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه، كان يكنى أبا وهب وكان من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية، وأخى رسول الله ﷺ بين شجاع وبين أوس بن خولي. بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في سرية في أربعة وعشرين رجلاً الى جمع هوازن بالسبي من أرض بني عامر، وشهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقتل شجاع بن وهب يوم البمامة شهيداً سنة ١٢هـ وهو ابن بضع وأربعين سنة، انظر ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٩٤.

(٤) : ابن سيد الناس: (عبيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير) تحقيق لجنة حياء التراث العربي، دار الآفاق، بيروت طبعة ثمانية بيروت، عام ١٩٨٠/٢/٣٤٤.

(٥) : المصدر السابق، نفس الموضع.

الاسلوب الرابع :

●● اسلوب طرح النصارى لعقائدهم :

من المطارحات التي مارسها النصارى في العهد المدني، وفي مواجهة التوحيد الذي جاءت به الدعوة الاسلامية، قولهم بأن المسيح عيسى ابن مريم: ابن الله - تعالى الله- وقولهم بأن المسيح هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون، كما طرح بعضهم أسلوبه العقدي القائل بأن الله تعالى ثالث ثلاثة.

وفي التدليل على مسلك ومذهب النصارى العقدي بهذه الألوان العقديّة الثلاثة يقول الله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾^(١).

ويقول سبحانه ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾^(٢) ويقول سبحانه ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) ﴾^(٣).

(١) الصفة آية ٣٠-٣١.

(٢) المائدة آية ١٧.

(٣) المائدة آية ٧٢.

كما يقول سبحانه في دحض القائلين بأن الله تعالى ثالث ثلاثة حيث جعلوا المسيح وأمه إلهين مع الله ^(١) : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣) ^(٢).

وتجدر الإشارة الى أن من بين أساليب النصارى في بيان عقائدهم التي طرحوها أمام الدعوة الاسلامية في العهد المدني : تأليه أم المسيح عيسى بن مريم رضي الله عنها حيث اجتمع النصارى في مجمع القسطنطينية الثاني عام ٢٥٥م الذي دعا اليه الامبراطور جستنيان وأقروا عقيدة التثليث التي تتضمن القول بألوهية مريم ^(٣).



(١) تفسير ابن كثير جزء ٢، ص ٨٢.

(٢) المائدة آية ٧٣.

(٣) : انظر عباس صالح عباس (عقيدة التثليث النصرانية وموقف الاسلام منها، رسالة ماجستير بجامعة الملك سعود عام ١٤٠٤هـ ورقة ١٥٠ آلة كاتبة.

المبحث الثاني أساليب النصارى العملية في العهد المدني

تمهيد:

خصوم الدعوة في العهد المدني من النصارى لم يقطعوا شوطا بعيد المدى ضد المسلمين بالممارسات القولية لأسباب كثيرة منها أن اليهود وهم الأقوى من بين خصوم الدعوة في العهد المدني قد كفوهم الجزء الأعظم من هذه العمليات ناهيك عن المشركين والمنافقين لكن كان لابد من أن يتصدى النصارى بالعمل ضد الاسلام والذي أجل الصدام بينهم وبين المسلمين سواء في مكة أو المدينة هو عدم قدرتهم وعدم وجود تجمع سياسي قوي لهم^(١)، والقوة الرئيسية للنصارى في العهد المدني تتمثل في دولة الروم البيزنطيين كانت تواجه مشاكل كثيرة جعلتها تترث في مهاجمة المسلمين لا استهانة بأمرهم ولكن لعدم قدرتها على توجيه حملة إلى الحجاز في ذلك الوقت، بعد أن استطاع هرقل التغلب على الفرس واستعاد الصليب وواجه حدة الخلاف الديني داخل الأمبراطورية بين الأرثوذكسية والكاثوليكية من جهة والخلاف حول طبيعة المسيح ووصفه من جهة أخرى فحاول أن يعيد الوحدة فأصدر قراراً بمنع الناس من الحديث في طبيعة المسيح ورأى أن يعترف الجميع بأن المسيح مشيئة واحدة وحاول أن ينشر هذا المذهب الجديد في مصر ملجأ المذهب الأرثوذكسي البعقوبي أي أصحاب الطبيعة الواحدة، فخلق بذلك مذهبا ثالثا زاد من حدة الخلاف والشقاق والاضطهاد^(٢).

وبرز الإسلام فهدد مصالح بيزنطية في الجزيرة وأطرافها فعزمت على وقف زحفه داخل الجزيرة وخارجها والقضاء على الدولة الإسلامية فأصبح الصدام العسكري بين الدولة الرومانية والإسلامية أمرا محتوما واتخذ من مؤته وتبوك مسرحا له^(٣). وسنوجز أبرز الأساليب العملية التي سلكها اليهود في مواجهة الدعوة الإسلامية .

(١) : محمد عبد الرحمن سالم، " أهل الكتاب عصر ظهور الإسلام"، رسالة دكتوراة بجامعة الاسكندرية، كلية الآداب، مكتوبة على الآلة الكاتبة، ص ٥٨١ ، ٥٨٢ .

(٢) : شارل جنيبير: «المسيحية نشأتها وتطورها» ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود. دار الكتب الحديثة ، القاهرة عام ١٩٦٤ صفحة ٨٤.

(٣) : انظر : اللواء الركن محمود شيت خطاب « الرسول القائد» دار العلم، بيروت، طبعة سادسة عام ١٩٦٤م صفحة ١٩٣.

الاسلوب الاول :

●● اسلوب قتل رسل رسول الله ﷺ :

يلاحظ الباحثون أن مقدمات أسلوب النصارى العملي كانت عنيفة وبالغة العنف وواضح فيها تماما تأثير ودعم ومساندة هرقل ملك الروم ذلك أنه لما بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتابه عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني بمؤتة فأمر الحارث فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه صبورا، ولم يقتل لرسول الله ﷺ غيره^(١) .

ويظهر أن عداة النصارى هؤلاء للإسلام كان بوحى من هرقل الروم لإيقاع العداوة والبغضاء بين صفوف العرب خوفا من أن تجرف العصبية العربية هذه القبائل فيكونوا عوناً للمسلمين على الروم. بينما كانت نية هرقل التريث والتثبيت ثم أرسل محمد ﷺ كعب بن عمير في خمسة عشر رجلا إلى ذات أطلاح على حدود الشام يدعون إلى الإسلام فكان جزاؤهم القتل ولم ينج إلا رئيسهم كعب^(٢) .

فاشتد على الرسول ﷺ الأمر وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث بن عمير فأسرعوا فكان ذلك من أسباب غزوة مؤتة على قول ابن سعد^(٣) .

الاسلوب الثاني :

●● اسلوب التحالف والتآمر :

الشام أصبحت متجهة أنظار الرسول ﷺ بعد أن أمن الجنوب لعهد مع قريش وإذعان : " بإذان " عامل اليمن لدعوته فكانت غزوة مؤتة لتأديب القبائل الغادرة العميلة للروم، ولتكون في الوقت نفسه طليعة لحملة أكبر للفتح، فهي مقدمة لغزوة تبوك التي كانت بدورها مقدمة لما كان بعد وفاته ﷺ من فتح الشام تحقيقا لطبيعة المد الإسلامي التابع من طبيعة الدعوة الإسلامية بصفتها العالمية.

- (١) : ابن سعد ج ٤، ٢م، ص ٦٥ - ج ٢، ١م، ص ٩٢ - " إمتاع الأسماع " ج ١ .

- (٢) : إمتاع الأسماع ج ١، ص ٣٤٤ - بينما يذكر الواقدي أن غزوه ذات أطلاح كانت في شهر ربيع الأول سنة ٨هـ (الغازي ج ٢، ص ٧٥٣) .

- (٣) : ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ٢م، ص ٦٥ .

وقد شجع اليهود الغزوة لإدراكهم مدى قدرة الروم والعرب المنتصرة على صد هجمات المسلمين ولأنهم أحبوا أن يضرب عدو بعدو^(١).

أما العرب المنتصرة فقد شعرت بخطر الإسلام على كياناتها فتجمعت جميعها: بهراء ووائل ولخم وجذام^(٢) ويلي^(٣) بزعامة رجل من بلى هو مالك بن رافلة، وبالغ المؤرخون وأصحاب السير في عددهم فذكروا أن هرقل كان في مائة ألف من الروم ومائة ألف من العرب المنتصرة^(٤) وشجعها هرقل بالذات بقصد خبيث ليضرب العرب بعضهما ببعض بينما يبقى بعيدا يتدبر أمره ويرى رأيه في المناورة مع معرفته بأهمية الثأر الذي يلهب نفوس العرب ويشير بين أبنائها وقبائلها العداوة والبغضاء ولذلك فرجع عدم اشتراك الروم في المعركة وإنما جموع العرب المنتصرة الكثيرة العدد هي التي قابلت جموع الإسلام في صدامه الأول مع الروم.

الأسلوب الثالث:

●● أسلوب التحرش بالمسلمين:

عندما وجد النصارى أن الإسلام بدأ ينتشر في جميع أرجاء جزيرة العرب مارسوا من الأساليب العملية ما عساه أن يوقف انتشار الدعوة، أو يعوق مسيرتها ومن تلك الأساليب ما يمكن أن يندرج تحت لغة التهديد بقطع الطريق على المسلمين أو بداية التحرش بالمسلمين بأمل أن لا يتوسعوا باتجاه أرض الشام، كان ذلك متمثلا فيما وقع من النصارى «بدومة الجندل»^(٥) حين جمعوا الجموع، وتريصوا بمن يمر بهم من «الضاغطة» وهم الذين يجلبون الميرة والطعام، كما أنهم جمعوا العدة ليدنوا إلى المدينة انطلاقا من دومة الجندل^(٦)، وأمام ذلك ندب رسول الله ﷺ واستخلف على المدينة وخرج في الف

(١) : انظر ابن عساکر ، تاریخ دمشق ، ج ٧ ، ص ٣٩٠ .

(٢) : الطبقات ج ٢ ، م ١٠ ، ص ٩٣ .

(٣) : عقد الجمان ج ٤ ، م ١٠ ، ص ٦٠ ، الطبري ج ٣ ، ص ٣٧ .

(٤) : الكامل ج ٢ ص ١٥٩ ، السيرة ج ٣ ، ص ٣٢٤ ، الطبري ج ٣ ، ص ٣٧ .

(٥) : دومة الجندل بلدة بينها وبين دمشق خمس ليال ، وهي أقرب بلاد الشام إلى المدينة .

(٦) : انظر أمين سعيد «نشأة الدولة الإسلامية» ج ٢/٤٥ طبع الحلبي بمصر بدون تاريخ .

من المسلمين ، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل من بني عذرة حتى أخذهم على غرة فأخذ ما بأيديهم ورجع ولم يلق كيدا.^(١)

وقد ناور هرقل إمبراطور بيزنطة الإسلام ليكسب الوقت فلما كتب الرسول ﷺ سنة ٦ هـ إلى الحارث بن أبي شمر ملك غسان بالبلقاء من أرض الشام وعامل قيصر على العرب يدعوه إلى الإسلام ، استأذن الحارث هرقل لحرب الرسول فنهاه هرقل^(٢) . كما أرسل رجلا من غسان ينظر إلى الرسول ﷺ ويستطلع أمره ليتأكد من موقفه ومقدار مركزه بين قومه وقوته ليستعد لمواجهة وإن كانت بعض الشواهد تعين على تصور أن الرجل لم يكن متحمسا لحرب النبي كما يروي في ذلك ابن كثير روايات عديدة منها قول هرقل: يامعشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم ؟ فتبايعوا لهذا النبي، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردوهم علي، وقال : إني إنما قلت مقاتلي أنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل .

لكن اللاقت للنظر أن النصارى حاربوا الاسلام بقيادة هرقل ومن جاء بعده، وسواء أكان الرجل أخفى رغبته في الاسلام ، أم غلبه النصارى والنصرانية فإن الأساليب العملية للنصارى ضد الاسلام في العهد المدني لم تهدأ، ومن هنا استمرت اليقظة الإسلامية في مواجهة الأساليب العملية . وكانت الساقطة^(٣) أو الضاغطة^(٤) وهم الأنباط يقدمون المدينة بالدرمك والزيت في الجاهلية وبعد أن دخل الإسلام ، فكانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم ، وليس بالمستبعد أن يكون للرسول ﷺ بينهم عيون يصلونه بأخبار الروم أولا بأول ولعل الروم سللوا إليهم خيرا مفاده أن الروم قد جمعت

(١) : انظر ما جاء بشأن غزوة دومة الجندل : علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية ج٢/٥٨١-٥٨٢ دار المعرفة بيروت عام ١٤٠٠-١٩٨٠.

(٢) : ابن خلدون التاريخ، ج ٢، ص ٤٦٢ ، وانظر ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤/٢٦٥.

(٣) : الواقدى ج ٣ ، ص ٩٩٠ .

(٤) : ابن عساکر ج ٢، ص ٤١٣ .

جموعا كثيرة بالشام وأن هرقل زج بأصحابه لسنة وأجلبت معه لحم وجذام وغسان وعاملة^(١) وإن هذه الجموع زحفت وقدمت مقدماتها إلى البلقاء وعسكروا بها وتخلف هرقل بحمص، وقد اعتقد بعض المؤرخين المسلمين أن ذلك لم يكن، إنما كان شينا قيل لهم فقالوه .

والأرجح أن الخبر كان صحيحا ، وأن الروم سألوه ليلبغ المسلمين إرجافا لهم وتهينة الفرصة للمنافقين ولبقايا أهل الكتاب في الحجاز ليقوموا بعمليات تخريبية داخل المجتمع الإسلامي تمهيدا لغزوة يقوم بها الروم والعرب المنتصرة بصحبة أبي عامر الراهب.

وكان بقايا اليهود يحبذون مسيرة الرسول ﷺ إلى حرب الروم كما حبذوا من قبل غزوة مؤتة في الوقت الذي كانوا يشبطون فيه المسلمين عن المسير .

وجد الرسول ﷺ في مواجهة ذلك ولم يحتمل صبيرا ولم يطق انتظارا فأمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجذب من البلاد وحين طابت الثمار وأحييت الظلال ، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان عليه الصلاة والسلام قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الذي يعمد له إلا ماكان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يعمد له فتجهز الناس على ما في أنفسهم من استئصال ذلك إذ لم يكن عدو أخوف عند المسلمين من الروم لما عاينوا منهم من العدد والعدة والكراع وفي هذه الغزوة - والله أعلم^(٢) - نزل قوله تعالى :

١- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى

الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ

إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴿٣﴾ .

(١) : فتوح البلدان، ص ٧١، الطبقات ج ٢، ق ١١٩، الكامل ج ٢، ص ٢٧٧ .

(٢) : انظر ابن كثير «الهداية والنهاية» ج ٣/٥ .

(٣) : سورة التوبة، الآية ٣٨ .

٢- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (١).

وقد اجمع الرواة والمفسرون على أن هذه الغزوة هي غزوة تبوك في مشارف الشام التي تبعد عن المدينة مسيرة خمسة عشرة ليلة وقد كانت هذه المشارف مجال قبائل عربية يدين كثير منها بالنصرانية وفيها إمارة : "دومة الجندل" التي كان ملكها الأكبر من بني كلب يدين بالنصرانية مع قومه أيضا . وقد بلغ النبي ﷺ أن الروم استجاشوا القبائل العربية النصرانية من نخم وجذام وعاملة وغسان وجمعوها في مشارف الشام لغزو المسلمين للبلقاء بقيادة زيد بن حارثة فخرج النبي على رأس جيش عظيم لمقابلة هذه الجموع حيث يمكن أن يقال أن الأمر بقتال أهل الكتاب المنحرفين في آية التوبة هو لأجل قتال القبائل النصرانية المحتشدة العازمة على غزو المدينة . وحيث ينطوى في ذلك تأييد آخر لانتشار النصرانية في عرب بلاد الشام البدو والحضر بمقياس واسع .

وبرغم الصعاب انطلق جيش الإسلام بقيادة الرسول ﷺ قاصدا تبوك فبلغ الروم أمر هذا الجيش وكثرته وقوته فآثروا الانسحاب إلى داخل بلاد الشام ولم ير الرسول محلا لتتبعهم قبل أن يؤمن مشارف الشام فصالح أهل تبوك على الجزية (٢) .

وأقام الرسول بتبوك بضع عشرة ليلة (٣) .

واستمر هرقل في مناوراته ولعله هو الذي سمح لأسقف غزة الذي جاء للرسول ﷺ بتبوك وسلمه أموال هاشم وعبد شمس (٤) .

(١) : سورة التوبة، الآية ٤٢ .

(٢) : البلاذري فتوح البلدان ، ج١ ص ٧١ .

(٣) : الطبري «تاريخ» ج ٣ ، ص ١٠٩ .

(٤) : ابن سعد الطبقات ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٢ .

وأعجب عدد كبير من نصارى الشام بدعوة الإسلام فتقربوا إليها وآمن بعضهم
ومن هؤلاء مالك بن أحمر - من نصارى الشام - وقد على الرسول ﷺ بتبوك فأسلم
وسأله أن يكتب له كتابا يدعو إلى الإسلام فكتب له في رقعة^(١).

وعامل ﷺ النصارى معاملة طيبة وخير ما يوضح هذه المعاملة عهده لأمير أيلة
النصراني ، " يوحنة بن رؤبة " الذي أتاه وهو بتبوك فصالحه على الجزية وكتب لهم
كتابا بأن يحفظوا ويمنعوا^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن الرسول ﷺ ظل إلى آخر حياته يتابع ويواجه أسلوب
النصارى العملي حتى أمر ﷺ بتكوين بعث أسامة في مرضه الذي لحق بعده بالرفيق
الأعلى وكان ذلك بسبب ما كلف العدوان النصراني المسلمين من مشقة وما بذلوه من
تضحية فقد كان ﷺ يذكر شهداء مؤتة زيد وجعفر وعبد الله وأصحابهم^(٣) فلما كان يوم
الاثنين لأربع ليالي من صفر سنة ١١ هـ أمر الرسول الناس بالتهيؤ لغزو الروم وأمرهم
بالانكماش^(٤) في غزوهم بقيادة أسامة وقال له : " يا أسامة سر على اسم الله وبركته حتى
تنتهي إلى مقتل أبيك فأوطنهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش فاغز صباحا فإن
أظفرك الله فاقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم البعوث أمامك والطلائع"^(٥).

وواضح من الوصية أن غاية بعث أسامة كان شن الغارة ، والغارة طليعة لفتح
الشام لأنه أمره أن يقلل اللبث فيهم وودعه ﷺ بما يشبه وصية الأمراء (في مؤتة) وكان
في جيشه جلة المهاجرين الأولين ، ولما تقول المنافقون رغم قتلهم على حداثة سن أسامة

(١) : البلاذري فتوح البلدان ، ص ٧١ .

(٢) : البلاذري فتوح البلدان ص ٧١ ، المبرد الكامل، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

(٣) : الواقدي ، " المغازي " ، ج ٣ ، ص ١١١٨ .

(٤) : الانكماش : الإسراع .

(٥) : الواقدي ، " المغازي " ج ٣ ، ص ١١١٨ .

نقل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ذلك إلى الرسول ﷺ فغضب رسول الله غضبا شديدا وقد عصب رأسه من الصداع ومما قاله :
"والله لئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله وإن كان أبوه خليقا للإمارة وإنه لخليق لها فأنفذوا بعث أسامة" (١) .
بهذا الحزم أمر الرسول ﷺ بإنفاذ البعث ، ولكن الوجع اشتد برسول الله فأقام عسكره بالجرف على بعد فرسخ من المدينة ينتظرون ما الله قاض برسول الله .
وشاء الله أن يلتحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى وأسامه لا يزال معسكرا بالجرف، فأنفذه أبو بكر بعد بيعته وتمكن المسلمون من قهر العدوان النصراني على الإسلام والمسلمين عصر النبي ﷺ ثم عصر أصحابه رضوان الله تعالى عليهم .



(١) : انظر الطبري، ج ٣، ص ١٨٦، الواقدي، ج ٣، ص ١١١٩، ابن هشام، السيرة، ج ٤، ص ٢٥٧، ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ق ١ ص ٤٥.

الفصل الرابع

أساليب المنافقين في العهد المدني

وفيه مبحثان :

المبحث الأول :

أساليب المنافقين القولية في العهد المدني

المبحث الثاني :

أساليب المنافقين العملية في العهد المدني

الفصل الرابع

أساليب المنافقين في العهد المدني

المبحث الأول

أساليب المنافقين القولية في العهد المدني

تمهيد:

تحرك المنافقون في المدينة ضد الاسلام عبر أساليب عديدة، قولية و فعلية، عقب غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة لأن انتصار المسلمين في هذه الغزوة بقيادة النبي ﷺ كان أشبه بالطعنة في صدر : عبد الله بن أبي، و صدور أتباعه كما كانت طعنة شديدة في صدور اليهود .

يقول الواقدي : " لما قدم الرسول ﷺ بالأسرى أذل الله بذلك رقاب المشركين والمنافقين واليهود، ولم يبق بالمدينة يهودي ولا منافق إلا خضد عنقه لغزوة بدر^(١) .

" وكان مشركو يثرب وبعض المنافقين قد منوا أنفسهم بهزيمة المسلمين، فقال رجل منهم وهو يرى أسامة بن زيد قادماً من ساحة القتال : "قتل صاحبكم ومن معه"، وقال آخر: "قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده وقتل محمد، وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب " ^(٢) .

ولكن سرعان ما تبددت تلك الأراجيف، وعلمت أنحاء المدينة وما جاورها من البلاد حقيقة انتصار المسلمين، فأسلم كثير ممن لم يسلم من أهل المدينة ^(٣)، وشعر المنافقون بإحراج شديد، ووجدوا أن خير وسيلة للخروج من هذا المأزق هو أن يعلنوا إسلامهم و يبقوا على اعتقاداتهم وعلاقاتهم، وبهذا ينجون من شبح العقاب، فاضطر عبد الله بن أبي بن سلول أن يذهب إلى النبي ﷺ ويظهر إسلامه وقلده أتباعه . ^(٤)

(١) : محمد عمر الواقدي، " كتاب المغازي " ، طبع بيروت عام ١٩٦٦ م ، ص ٢٢٦ .

(٢) : أحمد بن يحيى البلاذري، " أنساب الأشراف "، ج ١١ ، ص ٢٩٤ ، ط ١٩٥٧ ، تحقيق حميد الله .

(٣) : التناق والمنافقون ، مرجع سابق ص ٥٠ .

(٤) : نفس المصدر ، ص ٥٠ .

ومنذ ذلك الحين برزت إلى المجتمع المدني قوة جديدة في مواجهة الجماعة المؤمنة، وسببت لها الكثير من المتاعب والمعن، ووضعت في دروبها الكثير من الحواجز والعقبات، ومارست إزاءها عمليات تخريبية لا حصر لها، والآيات التي تتضمن تحركات وأوصاف المنافقين والحملات عليهم كثيرة جدا، حتى لا تكاد تخلو سورة مدنية منها .
 وكانوا يستغلون مجريات الأحداث، وكانت بداية تحركاتهم مع معركة بدر عندما تحرك جيش المسلمين نحو الساحة، حيث أبدوا شماتتهم التي يشير إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٩) ﴿^(١) .

قال ابن جرير عن الحسن في هذه الآية قال : قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين^(٢)، لأن المنافقين والذين في قلوبهم مرض لا يدركون حقيقة أسباب النصر وأسباب الهزيمة، فهم يرون ظواهر الأمور دون أن تهديهم بصائرهم إلى بواطنها، فلا غرو أن ينظروا إلى المسلمين وهم يتحركون نحو بدر على أنهم مخدوعون في موقفهم مغرورون بدينهم واردة موارد التهلكة بتعرضهم لجحافل المشركين التي يرونها^(٣) .
 هذه الفئة من المنافقين واجهت الدعوة الإسلامية وعملت جهودها للصد عن هذا الدين وسلكت أساليب قولية في ذلك منها:

الاسلوب الاول :

●● اسلوب الإرجاف بالمؤمنين :

انتهج المنافقون هذه الوسيلة للوصول إلى إفساد المجتمع وجعله جاهزا لتلقي الأراجيف، قابلا للإخافة والإرعاب بمجرد صدور هذه الأراجيف من المنافقين الذين يجتهدون في نشرها وترويجها بين الناس، وفي ذلك يقول الله تعالى :

(١) : سورة الأنفال ، الآية ٤٩ .

(٢) : تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ٣٢٠ .

(٣) : انظر ابن هشام «السيرة النبوية» ج ٢/٢٦١

﴿ لَمَّا يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٦٠) ﴿^(١) .

قال الحافظ ابن كثير "ثم قال تعالى متوعدا للمنافقين وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر "والذين في قلوبهم مرض" قال عكرمة وغيره : هم الزناة ههنا "والمرجفون في المدينة" يعني الذين يقولون : جاء الأعداء وجاءت الحروب، وهو كذب وافتراء"^(٢) .
ا . ه . وفي هذا إشارة إلى نشرهم للإشاعات والأراجيف التي لا حقيقة لها في دنيا الواقع، وذلك لتخذيل المسلمين، وبث الخوف والهلع في نفوسهم . واللافت للنظر أنه قد جاء في النهاية تهديد المنافقين ومرضى القلوب والمرجفين الذين ينشرون الشائعات المزلزلة في صفوف المسلمين، وتهديدهم القوي الحاسم بأنهم إذا لم يرتدعوا عما يأتونه من هذا كله، وينتهوا عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات، أن يسلط الله عليهم نبيه، كما سلطه على اليهود من قبل، فيطهر منهم جو المدينة ويطاردهم من الأرض، ويبيح دمهم، فحيثما وجدوا أخذوا وقتلوا"^(٣) .

ولقد بدأ المنافقون باستخدام أسلوب الإرجاف مبكرا، فبعد انتصار النبي، ﷺ، في بدر أرسل عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة مبشرين لأهل المدينة بسلامة رسول الله ﷺ، وقتل المشركين، فجاء رجل من المنافقين لأبي لبابة - رضي الله عنه - فقال: تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده أبدا، قد قتل محمد وغالب أصحابه، وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب"^(٤) .

قال أسامة : فجئت حتى خلوت بأبي لبابة وسألته عما أسره الرجل فأخبرني بما أخبره به : فقلت أحقا ما تقول ؟ قال : أي والله حق ما أقول يا بني . فقويت نفسي

(١) : سورة الأحزاب ، الآية ٦٠ .

(٢) : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/٥٧٠) .

(٣) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٢/٢٦٣

(٤) : انظر : ابن كثير «الهداية والنهاية» ج٣/٣٠٤

ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت : أنت المرجف برسول الله ﷺ، لنقدمك إلى رسول الله ﷺ، إذا فيضرب عنقك . فقال : إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه ^(١) .

ولازال أهل النفاق يتشبثون بهذه الحجة البليدة إلى اليوم حين انكشاف أراجيفهم وأكاذيبهم فيقول قائلهم : إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه .

وحيثما تعرض المسلمون للهزيمة يوم أحد بسبب مخالفة أمر رسول الله ﷺ، سارع المنافقون في بث الأراجيف التي تؤكد أن رسول الله ﷺ، قد قتل وأن أصحابه قد صفدوا في الأغلال عند قريش، ليوهنوا من عزائم المسلمين، ويشمتوا فيهم، بل لقد بلغ من شماتتهم وسعيهم لتحطيم معنويات المسلمين أن قالوا : ما محمد إلا طالب ملك، ما أصيب بمثل هذا نبي قط، أصيب في بدنه، وأصيب في أصحابه . ويقولون : لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل ^(٢) .

ولما غدرت عضل والقارة بالصحابة الستة الذين أرسلهم النبي ﷺ، ليفقهوهم في الدين ويعلموهم القرآن، فقتلوا منهم أربعة وسلموا الباقين إلى قريش ^(٣) سارع المنافقون إلى القيام بدروهم الخبيث فأخذوا يطلقون الأراجيف، ويسعون في تحطيم معنويات المؤمنين، قال ابن عباس : "لما أصيبت السرية التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع قال رجال من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم قعدوا في أهليهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم " ^(٤) .

وبلغ الإرجاف ذروته يوم الأحزاب حين تجمعت قريش وغطفان وقبائل العرب تريد استئصال شأفة الإسلام ومحاربة الرسول ﷺ، وأصحابه، فأمر النبي ﷺ، بحفر الخندق

- (١) : انظر السيرة الحلبية (١٨٣/٢) .

- (٢) : المصدر السابق (٢٢٧/٢) .

- (٣) : سيرة ابن هشام (٢٤٧/٢) ، والأربعة الذين قتلوهم : مرثد بن أبي الغنوي ، وخالد بن البكير الليثي ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، وعبد الله بن طارق ، أما خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة فقد باعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

- (٤) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، (٢٤٨/٣) .

حول المدينة واجتهد في ذلك مع أصحابه، لكن المنافقين كانوا ينشطون في ذلك الوقت في بث الشائعات والأراجيف الهادفة للتخويف والإرباك على نحو غير معهود من قبل لعظم الخطر وقربه، وهكذا تقوى أراجيفهم وتكثر كلما زاد الخطر وقرب العدو. ولما بشر النبي ﷺ، أثناء حفر الخندق بفتح الشام واليمن وفارس أثناء تكسيره لصخرة عظيمة استعصت على الصحابة سارع قائلهم وأحد ناشري أراجيفهم بالقول: "الا تعجبون من محمد؟ يمينكم وبعذك الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وإنما أنتم تحفرون الخندق من الفرق - أي من الخوف - لا تستطيعون أن تبرزوا" (١).

وفى ذلك الموقف العظيم أنزل الله تعالى قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣)﴾ (٢).

واستمر المنافقون في استخدام وسيلة الإرجاف ونشر الشائعات في محاولتهم الدؤوبة لإفساد المجتمع المسلم من داخله حتى بعد وفاة النبي ﷺ، وانقضاء عهد الخلفاء الراشدين من بعده، مروراً بالعصور اللاحقة وحتى وقتنا الحاضر، لا زال هذا الأسلوب مفضلاً عند كثير من المنافقين في كل مجتمع يحلون فيه (٣).

(١) : وهو معتب بن قشير كما في السيرة الحلبية (٢/٣١٤).

(٢) : سورة الأحزاب، الآيات ٩-١٣.

(٣) : انظر : عادل الشدي ودراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة: رسالة ماجستير بكلية التربية جامعة الملك

سعود عام ١٤١٠، آلة كاتبة ورقة ١٨.

الاسلوب الثاني :

●● اسلوب الخداع والكذب :

كان من البدهة أن يخطط المنافقون في التعبير عن موقفهم من الدعوة الإسلامية في المدينة ما يمنع صدامهم بالمسلمين أول الأمر، ولذلك لجأوا إلى الكذب والخداع، ليقيموا موقفا يحفظ عليه أوضاعهم ومصالحهم التي يرونها لأنفسهم في الوقت الذي يعلنون فيه انتماءهم للدعوة الإسلامية، وقد كشف القرآن الكريم هذا النوع من الخداع والكذب.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴿١٦﴾ .

ومن مظاهر الكذب كذب المنافقين وخداعهم للمسلمين في المدينة، أنهم كانوا يظهرون المحبة للرسول عليه الصلاة والسلام ويحدثونه بكلام يبدو من ظاهره الرفق والحب والاخلاص، ولكن كانت قلوبهم مليئة حقا وبغضا وضحينة للرسول عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين^(١).

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴿٢٠٥﴾ .^(٢)

(١) : سورة البقرة ، الآيات ٨ - ١٦ .

(٢) : عادل الشدي «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة» مرجع سابق صفحة ١٨٣ .

(٣) : سورة البقرة ، الآية ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

ومن كذب المنافقين اتخاذهم أيمانهم وقايةً حيث كانوا يحلفون كذباً ليغتر المسلمون بهم ويصدقوهم فيما يقولون . وفي ذلك يقول سبحانه :

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ﴾ .^(١)

أى أن هذه الايات الكريمة تكشف الأبعاد النفسية للمنافقين في تعاملهم مع النبي إذ كان المنافقون يظهرون الإسلام كذباً ويبطنون الكفر حقيقة لكي يخدعوا المؤمنين، وحتى يدبروا مؤامراتهم في الخفاء والسر، ونسوا أن الله مطلع كاشف لخداعهم وكذبهم . ورغم ما كان يخفيه المنافقون من الحقد والبغض في قلوبهم إلا أنه كان يظهر على ملامح وجوههم ومن كلامهم .

ويكشفهم القرآن الكريم ويحذر منهم في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ... (١١٩) ﴾ .^(٢)

ينهى الله عز وجل عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة يطلعونهم على أسرارهم والمنافقون يسعون جهدهم لمخافتهم والضرر بهم بما يستطيعون من مكر وخديعة ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم .

وفي ذلك يقول ابن مسعود والسدي رحمهما الله :

" هذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين المودة وهم في الباطن بخلاف ذلك " .^(٣)

(١) : سورة المنافقون ، الآية ١-٣ .

(٢) : سورة آل عمران ، الآية ١١٨ ، ١١٩ .

(٣) : تفسير ابن كثير ، جزء ١ ، ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

وكذلك من مظاهر كذب المنافقين وخذاعهم إظهار الإيمان أمام الرسول، ﷺ ثم بعد خروجهم من عنده يسارعون في العدوان والظلم، وأكل المال بالباطل قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ (٦٢) ﴾^(١)

يقول ابن كثير : (وهذه صفة المنافقين منهم أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر)^(٢) .

والسبب الذي جعل المنافقين يكذبون ويقسمون بالله أنهم مؤمنون هو خوفهم من المؤمنين بأن يفعلوا بهم ما فعلوه بالمشركين، لذلك أظهروا الإسلام تقية وأخفوا الكفر والحقد على الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى المؤمنين .

قال تعالى : ﴿ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧) ﴾^(٣) .

لقد بين الله عز وجل كيف كان حالهم، والجزع والفرع، والهلع، الذي جعلهم يخلفون بالله إنهم لمنكم ولو وجدوا حصنا يتحصنون به أو حرزا يتحرزون به أو سرية لأسرعوا إليه ذاهبين عن المؤمنين لأنهم إنما يخالطون المسلمين كرها لا محبة، وودوا أنهم لا يخالطون المؤمنين، ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم لأن الإسلام وأهله لا يزالون في عز ونصر ورفعة، ولهذا كلما فرح المسلمون ساء ذلك المنافقين وودوا أن لا يخالطوا المؤمنين، لذا قال الله : ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧) ﴾ [التوبة: ٥٧]^(٤) .

فهذه الآيات المباركات صورت خوف المنافقين من المؤمنين .

(١) : سورة المائدة ، الآية ٦١ ، ٦٢ .

(٢) : تفسير ابن كثير : جزء ٢ ، ص ٧٥ .

(٣) : سورة التوبة ، الآيات ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) : تفسير ابن كثير ، جزء ٢ ، ص ٣٦٤ .

الاسلوب الثالث :

● ● اسلوب التشكيك والبلبله :

استنفد المنافقون في خصومتهم للدعوة وسائل وأساليب كثيرة، فمن الأساليب القولية، حرصهم على التشكيك في كل موقف يقفه المسلمون، وإثارة البلبله مع كل ظرف أو مناسبة ومن ذلك مثلاً عندما كان الرسول ﷺ ببعض الطريق الى تبوك في السنة التاسعة من الهجرة^(١) لغزو الروم ضلت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه يقال له: عمارة بن حزم^(٢)، وكان بدريا، وهو عم بني عمرو بن حزم وكان في رحله زيد اللصيت القينقاعي، وكان منافقا. ^(٣). وفي ضوء رواية ابن اسحق، أن زيد بن اللصيت هذا عندما كان في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله ﷺ قال : أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: «إن رجلاً قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم الا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونني بها»^(٤) فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم الى رحله فقال: والله لعجب من شيء : حدثنا رسول الله ﷺ أننا عن مقالة قاتل ، أخبره الله عنه بكذا وكذا للذي قال زيد بن لصيت، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة، ولم يحضر رسول الله ﷺ : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي. فأقبل عمارة على زيد يجافي عنقه، ويقول: الى عباد الله إن في رحلي لداهية وما أشعر أخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحيني.^(٥)

(١) : انظر : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٤/١٧٨

(٢) : هو عمارة بن حزم بن ميمون من ولد عكرمة مولى ابن عباس: كاتب من الولاة الأجواد ومن الشعراء الصدور، وكان من الدعوة، وجمع له بين ولاية البصرة وفارس، والأهواز واليمامة والبحرين. انظر الزركلي للاعلام ج٥/٣٦.

(٣) : الطبري «تاريخ» ج٣/٩٦

(٤) : انظر : ابن سيد الناس «عيون الأثر» ج٢/٢٩٥.

(٥) : انظر : ابن هشام «السيرة» ج٤/١٧٨

كذلك من صور التشكيك وإثارة البلبلة التي حرص المنافقون على اشاعتها بين المسلمين ما كان من جماعة من المنافقين منهم: ودیعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ومنهم رجل من أشجع حليف بني سلمة يقال له: محشَّن بن حمير^(١)، كانوا يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى غزوة تبوك. وهم يقولون بعضهم لبعض: أحسبون جلاد بن الأصفر، كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكنا بكم غدا مقرنين في الجبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فقال محشَّن بن حمير والله لوددت آتي أفاضي على أن يضرب كل منا مائة جلدة، وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه^(٢) وفيما يقوله ابن هشام عن ابن اسحق أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر، أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا، فإن انكروا فقل بلى قلتكم كذا وكذا، فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يتعذرون إليه، يقول ودیعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على ناقته فجعل يقول وهو أخذ بمضجها - الجبل الذي يشد بطن البعير، يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...﴾ [التوبة: ٦٥]^(٣) وقال: محشَّن بن حمير يارسول الله فعد اسمي واسم أبي، وكان الذي عفى عنه في هذه الآية محشَّن ابن حمير، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه أحد فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر.^(٤)

الاسلوب الرابع :

●● اسلوب التثييط والتخذيل :

لقد حاول المنافقون تخذيل المؤمنين وإضعاف همهم ويزد الخوف في قلوبهم وذلك بإشاعة الأقوال الكاذبة لكي يحطموا معنويات المسلمين ويوهنوا من عزائمهم، ويفرقوا

(١) : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٤/١٨٠، ٢٠٠

وانظر الطبري «تاريخ» ج٢/١٠٦

(٢) : الطبري «تاريخ» ج٢/١٠٨

(٣) : سورة التوبة الآية ٦٥

(٤) : ابن هشام «السيرة» ١٨٠

صنفهم، ولكن كان إيمان المؤمنين قويا أقوى من مكاييد المنافقين، وقد بين لنا القرآن هذه المواقف التي قام بها المنافقون .

قال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ... ﴿١٥٤﴾ ﴾^(١)

هكذا كان موقف المنافقين يوم أحد حيث أخذوا يرددون قول : "لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا" وذلك لكي يوهنوا من عزائم المؤمنين ويشبطوهم ويخذلوهم .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾^(٢) .

وهذا القول كان يردده عبد الله بن أبي^(٣)، رئيس المنافقين، وأصحابه، وذلك لكي يوهنوا من عزائم المؤمنين، وكان قولهم : "لو سمعوا مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ماقتلوا مع من قتل" .

من هذا القول يتبين لنا أن المنافقين كانوا قد أشاروا على المؤمنين بعدم الخروج مع الرسول ﷺ . ومن هنا فقد رأوا في هذه المناسبة البداية العملية التي يطورون بها خصومتهم للإسلام وللمسلمين، وذلك عندما اتخذوا مسجداً ضراباً بأمل أن يارسوا منه عداوتهم ضد المسلمين .

١- (١) : سورة آل عمران . الآية ١٥٤ .

٢- (٢) : سورة آل عمران . الآية ١٦٨ .

٣) : هو عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرج أبو الحباب. المشهور بابن سلول جدته لأبيه. من خزاعة: رأس المنافقين في الإسلام من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليته. وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقيّة. ولما تهيأ النبي ﷺ لوقعة أحد انخذه أبي وكان معه ثلاثمائة رجل. فعاد بهم إلى المدينة . كان عملاقاً. لما توفي صلى عليه النبي ﷺ سنة ٩هـ. انظر الزركلي : الأعلام ٦٥/٤ .

المبحث الثاني أساليب المنافقين العملية في العهد المدني

الأسلوب الأول :

●● أسلوب التفريق بين المؤمنين :

بعد أن استنفد المنافقون معظم أساليبهم القولية، دخلوا طور الأساليب العملية، وذلك للخداع والتمويه والاستفزاز.

يقول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾ (١٠٧) ﴿^(١) الآية .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير :

إن الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثني عشر رجلا من المنافقين بنوا مسجدا

يضارون به مسجد قباء^(٢)، وقد وصفه الله بأربع صفات هي :

١- ضرارا اتخذوه ليضروا به المؤمنين .

٢- وكفرا أي بالنبي (ﷺ) .

٣- وتفريقا بين المؤمنين أي يفرقون بواسطته جماعة المؤمنين .

٤- وإرصادا لمن حارب الله ورسوله، والمقصود به أبو عامر الذي سماه الرسول ﷺ^(٣)

الفاسق الذي ظل يقاتل رسول الله ﷺ إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن

خرج إلى بلاد الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدادوا بما استطعتم من قوة

وسلاح وابنوا لي مسجدا فإني ذاهب إلى قيصر، وآت من عنده بجند فأخرج

محمدا وأصحابه، فبنوا المسجد وانتظروا مجيء أبي عامر ليصلي بهم في

المسجد^(٤) وتجدر الإشارة إلى أن. المنافقين عندما بنوا ذلك المسجد لتلك

(١) : سورة التوبة ، الآية ١٠٧ .

(٢) : انظر : الطبري «التفسير» ج٤/٤٧٠، وأيضا : عبد القادر السندي «الذهب المسبوك في تاريخ تبرك» صفحة ٣١٦

(٣) : ابن هشام، " السيرة النبوية"، تحقيق طه عبدالرؤف سعد، دار الجبل، بيروت، ج٤/١٢٨-١٢٩ .

(٤) : ابن هشام، " السيرة النبوية"، تحقيق طه عبدالرؤف سعد، ج٢/٢٢٢ .

الأغراض الفاسدة كان ذلك عند ذهاب الرسول ﷺ إلى غزوة تبوك، وقالوا :
 يارسول الله بنتينا منسجدا لذي العلة والليللة المطيرة والشاتية، ونحن نحب أن
 تصلى لنا فيه وتدعوا لنا فيه بالبركة فقال عليه الصلاة والسلام : إني على
 جناح سفر، وإذا قدمنا صلبنا إن شاء الله فيه،^(١) فلما رجع من تبوك سأله إتيانه فأخبره
 الله بكيدهم ونهاه عن الصلاة فيه حيث قال الله عز وجل: لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا^(٢).

فدعا الرسول عليه الصلاة والسلام بعض القوم وقال لهم : (انطلقوا إلى هذا
 المسجد الظالم أهله فاهدموه وخرّبوه) ففعلوا ذلك وأمر الرسول عليه الصلاة
 والسلام أن يتخذ مكانه كناسة يلقي فيها الجيف والقمامة^(٣) .
 وقصة مسجد الضرار قصة بالغة الأهمية، حدثت في وقت كان المسلمون يتجهزون
 فيه لغزوة تبوك: قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ
 حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِقُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
 لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ
 فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨) ﴾^(٤) .

فهذا هو مسجد الضرار الذي أمر الله رسوله ﷺ أن لا يقوم فيه وأن يقوم في
 المسجد الأول "مسجد قباء" الذي أقيم على التقوى من أول يوم، والذي يضم رجالا
 يحبون أن يتطهروا، "والله يحب المطهرين"^(٥) وصار المنافقون يعقدون مؤتمراتهم، ووجدوا
 بين جدرانها مكانا ملائما لا اجتماعهم وتأميرهم وصاروا يعيبون النبي ﷺ ويستهزئون به

(١) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله « لا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره »
 ٢٤٧/٥ رقم الحديث : ٤٦٧٢ .

أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ٢١٤١/٤ ، رقم الحديث: ٢٧٧٤ .

(٢) : سورة التوبة : الآية ١٠٨ .

(٣) : الرازي ، جزء ١٦ / ١٩٣ / ١٩٥ .

(٤) : سورة التوبة ، الآيات ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٥) : ابن كثير: م ٢ ص ٦٠٢ ، ٦٠٣ مختصراً .

وينتظرون أبا عامر بما وعدهم، وستروا أمرهم وأتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك ولكن الله تعالى فضح بيانهم^(١).

ومشهد آخر يرسمه التعبير القرآني الفريد لأثار مسجد الضرار في نفوس بناته المنافقين قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١١٠) ^(٢) " أي شكا ونفاقا بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع " ^(٣).

وقصة مسجد الضرار شاهد على المنهج الرباني العظيم الذي عمد إلى تبصير المجتمع المدني بما ينتظره من مكائد، وما يخبأ له من مؤامرات ليأخذ حذره في تطويره وتنظيمه وترسيخ قواعده وتطهيره من دسائس أعدائه .

الاسلوب الثاني :

●● إثارة الفتنة بين المسلمين :

وفي سبيل إفساد المجتمع المسلم من داخله سعى المنافقون إلى إثارة الفتنة بين أفراد المجتمع الواحد الذين يدينون بدين واحد، ويعبدون ربا واحدا، ويتبعون رسولا واحدا، لكن أهل النفاق - وقد علموا أن هذا التوحد هو سر القوة - أرادوا أن يثيروا العصبية القبلية والنمرات الجاهلية بين أهل الإسلام، التي لا تتمكن في مجتمع متماسك إلا فككته، ولا تدخل بيتا عامرا إلا دمرته^(٤)، فهذا هو قائدهم عبد الله بن أبي سلول يستغل حادثا عارضا بين رجلين من المسلمين اختصما على ماء المريسع حين عودة النبي ﷺ، من غزوة بنى المصطلق، فأسال أحدهما دم الآخر .

إلى هنا والحادث عادي، ويمكن أن يحدث في أي مجتمع، لاسيما في ظروف الترحال وعودة الجيش إلى وطنه، لكن المنافق - وقد رأى أحد المتخاصمين مهاجريا أجيرا لعمر بن الخطاب، والآخر أنصاريا هو سنان بن فروة من حلفاء الخزرج - لم يفوت

(١) : السهلي، "الروض الأنف"، ج ٤، ص ١٨٠ .

(٢) : سورة التوبة الآية ١١٠ .

(٣) : تفسير ابن كثير م ٢، ص ٦٠٧ .

(٤) : عمرو النامي "ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية"، ٤٩ .

هذه الفرصة لإثارة نعرات الفرقة بين المؤمنين، وهو الذي لم يؤثر عنه قط أنه دعا إلى فرقة الأنصار عن اليهود المخالفين لهم في الدين والقبيلة، المتكبرين عليهم وعلى دينهم، ورغم ذلك فقد سلموا منه، بل لقد محضهم الولاء والمحبة .

فلما وقع الحادث العارض بين أنصاري ومهاجري قال عبد الله بن أبي في رهط من قومه من الخزرج من المنافقين : "والله ما رأيت كاليوم مذلة أو قد فعلوها ؟ نافرنا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا رجلايب قريش هؤلاء إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، والله لقد ظننت أنني سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما سمعت ^(١) ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل" ^(٢) ،، يعني بالأعرض نفسه، والأذل، رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) ﴾ ^(٣) .

ثم أقبل على من حضر من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم، ثم لم ترضوا حتى جعلتم أنفسكم غرضا للمنايا فقتلتم دونهم، فأيتتمت أولادكم، وقللتم وكثروا، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد ^(٤) .

وهذا الكلام الذي صدر عن عبد الله بن أبي لا يمكن أن يكون وليد اللحظة وعفو الخاطر، بل إنه كلام قد أعده بعناية، صور فيه الموقف كاملا من وجهة نظر المنافقين، ووضع فيه أبرز اقتراحاته لإذلال المسلمين وتحويلهم عن المدينة .

ثم إن المتأمل في هذا الكلام يلحظ نبرة التفريق واضحة جدا فإنه لا يعد المهاجرين والأنصار شيئا واحدا أو عنصرا يجمعهم دين واحد : " إنما المؤمنون إخوة" بل يعتبر المهاجرين عنصرا دخيلا على أهل المدينة من الأنصار كما في قوله : "أو قد فعلوها؟"، "ونافرنا وكاثرونا في بلادنا" . أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، ولتحولوا إلى غير داركم، وقللتم وكثروا، ولا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا.

- (١) : يقصد قول المهاجري : يا للمهاجرين .

- (٢) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، (٤٠٢/٣) و " السيرة الحلبية " (٢٨٧/٢) .

- (٣) : سورة المنافقون ، الآية ٨ .

- (٤) : السيرة الحلبية (٥٩٦/٢) .

وتظهر نبرة الكفر جلية واضحة في قوله : ثم لم ترضوا حتى جعلتم أنفسكم غرضا للمنايا فقتلتهم دونه . فهذا كلام من لا يؤمن بالله ولا برسوله ﷺ، وليس بكلام مسلم أبداً^(١) . وقد كادت الفتنة العظيمة أن تقع بعد تحريض المنافقين عليها وتلاقف العامة لها لولا أن رسول الله ﷺ أحسن التصرف يومذاك، فأمر من يكلم المضروب فتنازل عن حقه، ثم أذن بالرحيل في ساعة لم يكن يرحل فيها، وذلك لما شاع الخبر في الناس و لم يكن لهم من حديث غيره، فسار النبي ﷺ يومه ذلك وليلته و صدر اليوم التالي حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث ابن سلول^(٢) . وهكذا فإن أهل النفاق يركزون على إثارة الفتنة ونعرة الجاهلية المفرقة بين المسلمين إلى يومنا هذا، من أجل الحيلولة دون توحيد المسلمين وتآلفهم وتربطهم، وإن اختلفت قبائلهم وتنابت أوطانهم .

الاسلوب الثالث :

● ● اسلوب التحالف مع اعداء المسلمين :

وذلك من خلال تحالفهم مع اليهود أو مع المشركين. وهذا التحالف من جانب المنافقين من الظواهر التي تستحق الدراسة والبحث وظاهرة تكتل المنافقين مع اليهود، وتعاطف بعضهم مع بعض، ووقوفهم مع الفئة المعادية للإسلام لتشكيل جبهة واحدة ضد المسلمين من الظواهر الواضحة في تاريخ المنافقين، والقرآن يشير إلى هذه الظاهرة، وينبه المسلمين نحوها بصيغة استفهامية بليغة فيقول تعالى عن رأس المنافقين عبد الله بن أبي وأضراجه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم بالنصر^(٣) قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِن

(١) : عادل الشدي «دراسة قرآنية في النفاق وأثره» مرجع سابق صفحة ٩٥.

(٢) : ابن هشام ، " السيرة النبوية" ، (٤٠٤/٣) .

(٣) : ابن كثير «تفسير ابن كثير» ج٤ / ٣٤٠.

أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾^(١) .

الآيات تصور تكتل المنافقين مع اليهود، وتلفت النظر بأسلوب استفهامي إنكارى إنها ظاهرة تتطلب الوقوف والتبيين، واتخذ القرآن هذا الحدث والتكتل لتربية النفوس وربطها بالحقائق الواقعة أمام الناس، فقد انكشف المنافقون في غزوة بنى النضير وهم يتحركون لمساندة اليهود، فعندما ضيق المسلمون عليهم الخناق بسبب خياناتهم، قال المنافقون لليهود: "لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم" أي لئن أخرجتم من دياركم ومنازلكم لنخرجن معكم ولا نطيع أحدا سألنا خذلانكم وترك نصركم، وإن قاتلكم المسلمون فنحن معكم نناصركم ونعينكم عليهم، فلا تهتموا - أيها اليهود - بل اجتهدوا في قتالهم . لكن الله عز وجل الخبير بحقيقتهم رد عليهم زعمهم هذا بقوله: "والله يشهد إنهم لكاذبون"^(٢)، وظواهر الكذب يجليها القرآن الكريم عن طريق خصائص ودلالات التركيب الذي حكاها عنهم، حيث أقيم أسلوبهم على ظاهرة التأكيد المكثف: القسم وإن في: "لئن أخرجتم"، واللام ونون التوكيد في: لنخرجن"، وادعاء النفي، والتأبيد في قولهم: "أبدا" واللام ونون التوكيد في: "لننصرنكم"^(٣).

كل هذه الظواهر الأسلوبية تكشف عن عمق ما تغلغل فيهم من كذب أخذ بخناقهم، فأدركوا أن مواقفهم بحاجة إلى تأكيد فأغدقوا هذه المؤكدات حتى ينتزعوا بها ما أفعم قلوب أصحابهم اليهود من عدم اطمئنان إلى ما حولهم . وقد أكد الله صراحة الحكم عليهم بالكذب بقوله: "والله يشهد إنهم لكاذبون"، فقدم اسمه الجليل وبنى عليه الفعل "يشهد"، وذلك مما يعده البلاغيون سبيلا من سبل الإبلاغ في تقرير المعنى، وكذلك التأكيد بإن وباللام في "إنهم لكاذبون"، فقابل مؤكداتهم

(١) : سورة الحشر، الآيات ١١، ١٢ .

(٢) : محمد السيد طنطاوي، "بنو إسرائيل في الكتاب والسنة"، ج ١، ص ٣٠٥ .

(٣) : دكتور محمد السيد طنطاوي «بنو إسرائيل في الكتاب والسنة» ج ١ / ٣٠٦ .

الفاجرة الكاذبة بمزكذات من معين الحق، اجتث بها شجرة الكذب والإفك التي أراد المنافقون غرسها ورعايتها^(١).

وفى وسط الأحداث يتحدث القرآن عنهم فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [٥٢] المائدة: ٥٠ - ٥٢^(٢).

وبعد أن تحدثنا عن تحالفهم مع اليهود نتحدث عن تحالفهم مع الكفار: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجرف وزعابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نقي إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين وضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام^(٣).

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل الظنون قال عز وجل ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ [١٠] ﴿٤﴾، إنها صورة الهول الذي روع المجتمع المدني ككل، والكرب الذي شمل البيوت والذي لم ينج منه أحد من أهلها، وقد أطبق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بنى قريظة من كل جانب من أعلاها ومن أسفلها، وتهيات الظروف والأجواء للمنافقين ليحققوا أغراضهم وليتحركوا في مثل هذه الأجواء تحرك الحائق المستغل لمجريات الأحداث، والتعبير

(١) - المصدر السابق نفس الموضع.

(٢) - سورة المائدة، الآية ٥٢.

(٣) - : الروض الأنف ومعه السيرة النبوية ج٣، ص ٢٦١ .

(٤) : سورة الأحزاب، الآية ١٠.

القرآني يسجل هذا المعنى فيقول سبحانه وتعالى :

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣)﴾^(١) .

والآيات تسجل لقطات من تحركات المنافقين وانتعاشهم ومن أقاويلهم المنكرة "وتظنون بالله الظنونا" : قال محمد بن اسحق : ظن المؤمنون كل الظن، ونجم النفاق حتى قال (معتب بن قشير) : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقبصر، وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط . وقال الحسن في قوله عز وجل : " وتظنون بالله الظنونا" ظنون مختلفة، ظن المنافقون أن محمدا رسول الله ﷺ وأصحابه يستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق^(٢) .

ولقد كان أشد الكرب على المسلمين وهم محصورون بالمشركين داخل الخندق، فلم يكونوا يأمنون في أي لحظة أن ينقض عليهم المشركون، أو تميل عليهم اليهود، وذلك كله بجانب كيد المنافقين والمرجفين في المدينة وبين الصفوف : "إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا" .

فقد وجد هؤلاء في الكرب المزلزل والشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبيثة نفوسهم، وهم آمنون من أن يلومهم أحد، وفرصة للتوهين والتحذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله وفي مثل هذه الظروف "قالت طائفة من أهل يثرب لا مقام لكم" أي هاهنا يعنون النبي ﷺ مقام المرابطة "فارجعوا" أي إلى بيوتكم " ويستأذن فريق منهم النبي" قال العوفي عن ابن عباس رضی الله عنهما : هم بنو حارثة، قالوا : بيوتنا نخاف عليها السراق، واعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة، ورد الله عليهم : "وما هي بعورة" أي ليست كما يزعمون "إن يريدون إلا فرارا" أي هربا من الزحف^(٣) .

.. (١) : سورة الأحزاب ، الآيات ١٢ ، ١٣ .

.. (٢) : تفسير ابن كثير : ٣م ، ص ٧٥٣ .

.. (٣) : تفسير ابن كثير : ٣م ، ص ٧٥٤ .

يعرضون أهل المدينة على ترك الصفوف والعودة إلى بيوتهم بحجة أن إقامتهم أمام الخندق مرابطين هكذا لا موضع لها ولا محل، وبيوتهم معرضة للخطر من ورائهم . وهي دعوة خبيثة تأتي النفوس من الثغرة الضعيفة فيها، ثغرة الخوف على النساء والذراري وهنا يستغل المنافقون مجريات الأحداث ويحاولون الصيد في الماء العكر .

الاسلوب الرابع :

●● اسلوب محاولة تشويه سمعة الرسول ﷺ :

تتمثل هذه المحاولة الأثمة التي قام بها المنافقون في المدينة في النيل من عرض النبي ﷺ ومن سمعته بل ومن حماية الرسالة الإلهية له حين قام "ابن أبي" بتلفيق حادثة الإفك، وجمع لها "عصابة" تروج لها .

وكان يشكل وجود هذه الفئة الاجتماعية الكامنة غير المحددة البنية والمنبثقة في صفوف المسلمين تحدياً خطيراً، وكأنما أراد الله سبحانه وتعالى أن يذكرهم بهم في النفوس اليقظة والحذر ليكون البناء صلباً متيناً وليمحص معدنهم ويعمل على تقويته بهذا الابتلاء فلا تتزعزع أركانه لفتنة طارئة أو حدث غير متوقع من المسلمين وتتجلى حكمة الله سبحانه وتعالى في هيئة الظروف والمواقف التي يمكن من خلالها سبر الأغوار والتعرف على معادن الرجال وكشف مواطن الشر . وفي ذلك ترسيخ لجذور البنية الجديدة وإرساء لقواعد البناء وفي سلسلة المواقف التي أشرنا إليها، والآيات الكريمة التي نزلت في المجتمع الجديد، ما يبين ملامح المنهج القرآني القويم في صياغة البنية الاجتماعية بقيمتها الجديدة وترويضها على مواجهة الأزمات والتحديات . ومعالجتها المبكرة لعوامل الفساد والإفساد لتصمد أمام الزلازل والفتن التي واجهت مسيرتها فيما بعد .

وفي دحض هذه الفرية نزل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴿١١﴾ .

وقد أفرد مؤرخوا السير والتواريخ لهذه القرية الأخبار الطوال ينقدون زينها
ويكشفون عن خبث ونفاق الذين روجوا لها. (١)

واللائق للنظر، أن المنافقين لم يتورعوا عن استعمال كافة الأساليب فهذه الإثارة
التي حاولوا بها إيذاء النبي ﷺ في أهله، هي من قبيل جهودهم في نشر الرذائل في
المجتمع وبلبلته في جو من الإشاعات التي كان يمكن أن تدمره ذلك أنهم يدركون جيدا
أن المجتمع المؤمن مجتمع قوى يتمسكه بأمر ربه، وانشغاله بمعالي الأمور وانصرافه عن
سفاسفها، وما دام على ذلك فإنه سيظل قويا مرهوب الجانب، لا يستطيع المنافقون ولا
غيرهم من أعدائه أن ينالوا منه .

وقد فطن المنافقون مبكراً إلى هذه الحقيقة فانتهجوا في سعيهم لإفساد المجتمع
المسلم وسيلة شيطانية خبيثة تقوم على نشر الرذائل في المجتمع، وتحريك الشهوات في
النفوس الضعيفة . والقصد من ذلك أن يعظم طلاب الشهوات الذين ينشغلون بها،
فيضعف شيئاً فشيئاً، ثم يفسد بالكلية، فلا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا مقارعة أعدائه
بعد أن انشغل بسفاسف الأمور عن معاليها، وهنا يصبح الطريق سالكاً أمام المنافقين
وأعوانهم من أعداء الإسلام للقضاء على ذلك المجتمع المسلم .

ولذلك فقد أخبر الله بعظم العذاب الذي أعده لأولئك المحبين لنشر الرذيلة وإشاعة
الفاحشة في المؤمنين فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ
آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ... ﴾ (١٩) ﴿ (٢) .

ولمحة شيوخ الفاحشة في مجتمع ما صور كثيرة ليس هذا مجال ذكرها، لكن
المقصود هو التأكيد على مدى تغلغل هذه الوسيلة في قلوب المنافقين ومخططاتهم، حتى
إنهم يحبون شيوخ الفاحشة في المجتمع لتحقيق شهواتهم ومآربهم من ذلك، وإضعاف
المجتمع وإفساده تمهيدا للقضاء عليه .

(١) : انظر تفصيل ذلك عند ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤/١٦٠ وما بعدها، وابن هشام «السيرة النبوية»

ج٣/٣٤١-٣٤٥

(٢) : سورة النور ، الآية : ١٩ .

ولقد كان للمنافقين دور خبيث في نشر الرذائل الخلقية وجرائم الأعراض في بلاد المسلمين إلى يومنا هذا، قاتدهم في ذلك زعيم المنافقين ورأسهم عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان له جاريتان يكرههما على البغاء، ويجبرهما على الزنا في المدينة وقت النبي ﷺ عن جابر - رضي الله عنه - قال: «كان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجارية له: اذهبي فابتغينا شيئا فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُّوْا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٣)» (١).

وعنه أيضا: «أن جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة، فكان يكرههما على الزنا فشكنا ذلك إلى النبي، ﷺ، فأنزل الله: « وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ » إلى قوله: « غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (٣)».

فإذا كان هذا هو حال زعيم المنافقين، فإن لأتباعه من أهل النفاق نصيبا من هذه الوسيلة الخبيثة التي ينشرون بها الرذائل، ليفسدوا المجتمع الذي يعيشون فيه .

كما أن المنافقين يعمدون في كل مجتمع يعيشون فيه إلى ترويح الإشاعات ونشر الأكاذيب بين الناس، لإرباك المجتمع، وإقناع الناس بصدق أكاذيبهم التي يختلقونها لينالوا من أولياء الله الثابتين على منهجه، المحاربين لأهل النفاق في كل ميدان .

ويسعى المنافقون بالخصوص إلى اختلاق الأكاذيب التي تتناول أعراض المؤمنين والمؤمنات، لاسيما الصالحين منهم، ليهزوا من صورتهم أمام الناس أولا، وليشجعوا الناس على السير في طريق الانحراف ثانيا، وليفقدوا أهل الصلاح ميزة الطهر والعفاف التي تميزوا بها عن أهل النفاق والفساد ثالثا .

ولا شك أن تفكير كل مسلم في الضرر الذي قد يلحق به فيما لو روج عليه المنافقون مثل هذه الإشاعات سوف يؤلمه ويزعجه، بل وربما دفع البعض إلى مصانعة أهل النفاق وملاينتهم، لكن المؤمن الصادق يجد العزاء كل العزاء فيما حدث لإمام الدعوة

(١) - سورة النور الآية ٣٣ .

(٢) - صحيح مسلم - كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : « وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ » الآية ، الحديث رقم (٢٦) .

(٣) - صحيح مسلم ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى « وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ » الآية ، الحديث رقم (٢٧) .

ورسول الأمة ﷺ، فقد رماه المنافقون في عرضه، وافتروا على أم المؤمنين عائشة بنت الصديق، وهي الحصان الرزان في حادثة الإفك المشهورة^(١)، حتى أظهر الله براءتها، وأكذب أهل الإفك والبهتان فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾^(٢).

وقد كان عبد الله بن أبي هو الذي تولى كبر هذا الإفك^(٣) فروجه ونشره كما قال ابن القيم عنه أنه كان "يستحكي الإفك، ويستوشبهه، ويشيعه ويذيعه، ويجمعه، ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه"^(٤) واللافت للنظر أن، أهل الإسلام متفقون على أن الذي تولى كبره، وقاد حملته واضطلع منه بالنصيب الأوفى كان هو عبد الله بن أبي بن سلول، رأس النفاق وحامل لواء الكيد^(٥)، ولقد عرف كيف يختار مقتلا، لولا أن الله كان من ورائه محيطا، وكان لدينه حافظا، ولرسوله عاصما، وللجماعة المسلمة راعيا .

ولقد روى أنه لما مر صفوان بن المعطل^(٦) بهودج أم المؤمنين، وابن سلول في ملاء من قومه قال : من هذه ؟ فقالوا : عائشة - رضي الله عنها . فقال : والله ما نجت منه، ولا نجا منها . وقال : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها !! وهي قولة خبيثة راح يذيعها - عن طريق عصابة النفاق - بوسائل ملتوية، بلغ من خبيثها أن

(١) : انظر القصة بتفاصيلها في زاد المعاد ، لابن القيم (١١٣/٢).

(٢) : سورة النور ، الآية : ١١ .

(٣) : انظر : فتح الباري (٤٣٧/٧) .

(٤) : زاد المعاد (١١٣/٢) .

(٥) : ابن هشام «السيرة» ج٣ / ٣٤٣ . ٣٤٥

(٦) : هو صفوان بن المعطل السلمي ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهشة بن سليم السلمي ، ثم الذكواني يكنى أبا عمرو، ويقال أنه أسلم قبل المرسيع^(١) وشهد المرسيع وشهد صفوان مع رسول الله ﷺ الخندق والمشاهد كلها بعدها قاله الواقدي قيل أن صفوان قتل شهيدا في يوم غزوة أرمينية سنة ١٩هـ في خلافة عمر، وقيل أنه مات بالجزيرة في ناحية شمشاط ودفن هناك . والله أعلم، انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص ٢٨٠.

تروج المدينة بالفرية التي لاتصدق، والتي تكذبها القرائن كلها^(١) . وهذا هو ديدن المنافقين في كل مجتمع يعيشون فيه، يروجون الأكاذيب، وينشرون الشائعات المجهولة المصدر التي تؤذي المؤمنين والمؤمنات^(٢)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (٥٨) وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣)^(٣) .

ولاشك أن المنافقين بسلوكهم هذا الدرب وانتهاجهم هذه الوسيلة يهدفون إلى إفساد المجتمع بكل لون متصور من ألوان الإفساد، تمهيدا لتحقيق هدفهم الأكبر الذي هو القضاء على الإسلام وأهله وبالفعل فقد حاول صفوان أن يعترض حسان بن ثابت بالسيف بعدما قال فيه شعرا يرد فيه فريته على أم المؤمنين^(٤) .

ولقد كان لهذه الشائعات تأثير عظيم على نفوس المستهدفين بها من المؤمنين إلى درجة جعلت النبي ﷺ، يتأثر منها، ويعتبرها أذى لا يسكت عنه، وفي ذلك أكبر الدليل على عظم تأثير هذه الوسيلة الخبيثة التي يجيد المنافقون ترويجها .

أخرج البخارى ومسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - في سياق روايتها لحادثة الإفك - قالت: "فقام رسول الله، ﷺ، فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله ﷺ، وهو على المنبر: يامعشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغنى أذاه في أهل بيتي . فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي..."^(٥) . الحديث والمتأمل لهذا الموقف

(١) : الطبري تاريخ ج٢/٦١١

(٢) : عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني «ظاهرة النفاق وخبايا المنافقين في التاريخ، دار العلم، دمشق ج١٩/٢»

(٣) : سورة الأحزاب، الآية: ٥٨ .

(٤) : سورة النور، الآية: ٢٣ .

(٥) : ابن هشام «السيرة» ج٣/٣٥٢ .

(٦) : أخرجه البخارى - كتاب المغازي، باب حديث الإفك، حديث رقم (٤١٤١) وأخرجه مسلم - كتاب التوبة،

باب في حديث الإفك، حديث رقم (٥٦) وأخرجه الترمذى - كتاب التفسير، باب «ومن سورة النور» حديث

رقم (٣١٨٠) وأخرجه أحمد في المسند (١٩٥/٦) .

النبوي يلحظ أن النبي ﷺ، قد تأذى بشكل عظيم من هذه الشائعات التي تناولت أهله، وروج لها كبار المنافقين، ولم يؤثر عن النبي ﷺ، أنه استعذر^(١)، وطلب الإنصاف من أحد إلا في هذه الحادثة، ومن رجل واحد هو عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين، وقد فعل ذلك على رؤوس الأشهاد حين صعد المنبر أمام الناس، مما يعنى أن هذه الشائعات قد شغلت تفكيره، ﷺ وآذته في نفسه، ومن ثم حققت شيئاً من مقاصد مروجيها من أهل النفاق، الذين كانوا يريدون إفساد المجتمع بهذه الوسيلة الخبيثة التي يلازمها أهل النفاق في كل وقت يعيشون فيه^(٢).

الاسلوب الخامس :

● ● اسلوب استغلال المواقف في الإضرار بالمؤمنين :

لقد كان المنافقون مختلطين مع المسلمين اختلاطاً كبيراً في شتى القبائل والبطون، ولهذا كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحق به الكافرين .

وكان من رأي رسول الله ﷺ أن يقيم المسلمون بالمدينة، فإن دخل المشركون عليهم قاتلوهم فيها، وكان رأى عبد الله بن أبي غير ما رأى رسول الله ﷺ، فقال رجال من المسلمين ممن فاتتهم غزوة بدر : يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جئنا عنهم وضعفنا، فلم يزالوا برسول الله ﷺ حتى دخل بيته ولبس ﷺ لامته، وندم الذين اقترحوا الخروج، فقالوا : استكرهناك يا رسول الله ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ : " ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل " .

- (١) : قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩٧/٣) : «أعذار الرجل إذا بلغ أقصى الغاية من

العلو» ا . ه . والمعنى : من يقوم بعذرى إن كافأته على سوء صنيعه ، فلا يلومنى .

- (٢) : الطبرى، " تاريخ الأمم والملوك"، ج ٢ / ٦١٥ - ٦١٦ .

فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه، حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد
انخذل عنه (عبد الله بن أبي بن سلول) بثلك الناس، وقال : أطاعهم وعصاني، ما ندرى
علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ^(١) .

وقد عز ذلك على أحد الصحابة الأجلاء وهو عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر
رضي الله عنهما ، وكان من علماء الخزرج، فتبعهم يقول : " يا قوم أذكركم الله ألا
تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ، وقاتلوا في سبيل الله أو اذفَعُوا،
ولكن عبد الله بن أبي إعتذر بأعذار واهية، إذ قال : "ما أرى أن يكون قتال، ولو علمنا
أن يكون قتال لكننا معكم" ^(٢) .

وقد سجل القرآن ملابسات هذه القصة، وما دار بخلد المنافقين وكشف خلجات
نفوسهم وخبايا نواياهم قال تعالى :

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنِ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا
لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَتَلُوا قُلُوبًا
فَادْرَعُوا عَنِ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨) ﴾ ^(٣) .

والآيات تشير إلى موقف عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه، وتسميهم "الذين
نافقوا" ، وقد كشفهم الله تعالى في هذه الموقعة، وقرر حقيقة موقفهم يومذاك : "هم
للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان" هم غير صادقين في انتحالهم الأعذار بأنهم لا يعلمون
أن هناك قتالا سيكون بين المسلمين والمشركين : "يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم"،
وهذا عين النفاق لغة وشرعا، ثم تمضي الآيات تبين استغلالهم لمجريات الأحداث لإثارة

(١) - : سيرة ابن هشام ، ٢م ، ص ٦٤ ط دارالوقاف .

(٢) - : إبراهيم على سالم ، " النفاق والمنافقون " ، ص ٦٧ .

(٣) - : سورة آل عمران ، الآيات ١٦٦ - ١٦٨ .

المخلخلة في المجتمع، فتقول : "الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا"، فهم يجعلون من تخلفهم سياسة ومصلحة، ويجعلون من طاعة الرسول ﷺ مغرماً ومضرة، وهذه محاولة أخرى لإثارة البلبلة في العقيدة، وإثارة الشك في حقيقة الموت والحياة وتعلقهما بقدر الله وحده، ومن ثم يبادرهم الله تعالى بالرد الحاسم القاطع : "قل فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين" .

ولقد كانت الهزيمة في غزوة أحد مجالا لدسائس الكفار والمنافقين واليهود في المدينة، وكان المجتمع المدني مازال يتطور ويتهدب ومازالت بعض الفئات فيها غضة طرية لم تنضج بعد، فلما كانت الهزيمة في أحد سنحت الفرصة للأعداء المترصين أن يظهروا أحقادهم ويثبوا سمهم، وأن يجدوا في جو الفجائع التي دخلت كل بيت من بيوت المسلمين وخاصة بيوت الشهداء، ومن أصابتهم الجراح الملحة مايساعد على ترويح الكيد والدس والبلبلة في المجتمع. ومن هنا نرى القرآن الكريم في مجريات ومنحنيات الطريق يوجه المسلمين ويرشدهم ويحذرهم من طاعة الذين كفروا، ويعددهم النصر على عدوهم والقاء الرعب في قلوبهم قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَقْلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) ﴾^(١) .

وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) ﴾^(٢) .

(١) : سورة آل عمران ، الآيات ١٤٩ - ١٥١ .

(٢) : سورة آل عمران ، الآية ١٥٤ .

فهذا قدر قدره الله عز وجل، وحكم لامحيد عنه ولا مناص، والله يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال .

لقد انتهز المنافقون واليهود والكفار في المدينة ما أصاب المسلمين من الهزيمة ليشطوا عزائمهم ويصوروا لهم مخاطر القتال وعواقب الاشتباك مع الأقوياء .

والقرآن يتابع هذه التحركات والمؤامرات، ويوجه المسلمين أولا بأول، فقال تعالى :

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١٥٧)

[آل عمران : ١٥٧] .

تضمن هذا أن القتل في سبيل الله والموت أيضا وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه، وذلك خير من البقاء في الدنيا وجمع حطامها الفانى، ثم إن كل من مات أو قتل فمصيره ومرجه إلى الله عز وجل فيجزيه بعمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر^(١) .

هكذا كان القرآن يصحح المفاهيم، ويرد على مزاعم المنافقين في حينها، ولقد ظهر

خلال غزوة أحد أن التعاطف بين اليهود والمنافقين كان يشكل جبهة قوية ضد المجتمع المدني وعقبة في سبيل تنظيمه، وكانوا يترصدون لاستغلال مجريات الأحداث وكأنها مواسم لهم حتى تكون المجريات حيث الناس في المجالس والمنتديات، وهذا التكتل يظهر من جديد في غزوة الأحزاب وفي الغزوات التي بعدها.

الاسلوب السادس :

●● اسلوب تخذيل المسلمين :

كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من الهجرة في فصل الصيف، ووسط أشعة الشمس المحرقة، والناس يعانون عسرة من العيش، وفي مثل هذه الظروف أمر النبي ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم .

(١) : تفسير ابن كثير، م ١، ص ٦٢٧ .

يقول ابن إسحاق : إنه حدث هذا "حين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخصوص على الحال من الزمان الذي هم عليه . وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أن يريد غير الوجه الذي يعمد له، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعده شقته وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يعمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبطه، فأمر الناس بالجهاد" (١).

وذلك تنفيذا لقوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤١) ﴿ (٢) .

"أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب، وحتم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المنشط والمكره والعسر والبسر" (٣) .

وكانت هذه الظروف القاسية ثقيلة على النفس في اقصى مظاهر الابتلاء والامتحان، ويادر فيها أهل الثراء من المؤمنين بتقديم أنفسهم وأموالهم، فأنفق عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ألف دينار، وكانت مساعدة فعلية كبيرة، فقال رسول الله ﷺ : "اللهم أرض عن عثمان فيأني عنه راض" (٤) وأحضر أبو بكر جميع ماله وكان أربعة آلاف درهم (٥) وهكذا تنافس أثرياء الصحابة ببذل الغالي النفيس طاعة لله ورسوله. خاصة عندما علموا بقوله ﷺ : «من جهز جيش العسرة فله الجنة» (٦)

ثم إن رجالاً من المسلمين أقبلوا إلى رسول الله ﷺ يطلق عليهم : "البكاؤون" يطلبون من رسول الله ﷺ ظهوراً يركبونها للخروج إلى الجهاد معه، وكانوا أهل حاجة،

(١) : السهيلي "الروض الأنف"، ج ٤، ص ١٧٣ .

(٢) : سورة التوبة، الآية ٤١ .

(٣) : تفسير ابن كثير م ٢، ص ٥٦٠ .

(٤) : الروض الأنف ج ٤، ص ١٧٤ .

(٥) : ابن كثير «الهداية والنهاية» ج ٤/٥ .

(٦) : أخرجه صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه،

٢٤٣/٤٠ رقم الحديث ٣٦٩٥ .

فقال كما قال تعالى: ﴿... لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٩٢) ﴿١١﴾ .

هذه صور مشرفة للتضحية والقداء في زمن الجذب والعسرة وتفهم معانى الجهاد والبذل في سبيل الله في حين انكشف أمر المنافقين وصاروا يتصيدون الأعذار الضعيفة والعلل الواهية، فما لهم ولهذا الحر القاتل وقلوبهم خاوية من الإيمان بالله ورسوله، فأخذ البعض منهم يقول لبعضهم: "لا تنفروا في الحر" حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحمارة القيظ، أما البعض الآخر فقد انتحل الأعذار بصورة تكشف نفاقه، منها أن الجد بن قيس من بني سلمة حضر إلى الرسول ﷺ وهو في جهاده لهذه الغزوة فقال له الرسول الكريم ﷺ: "يا جد، هل لك العام في جلاذ بنى الأصفر"؟ فقال: "يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتنى؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء منى، وأنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال: "قد أذنت لكم فنزلت هذه الآية قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٤٩) ﴿ [التوبة: ٤٩] ﴾ [١٢] .

وفى قوله: "ومنهم من يقول" إشارة إلى أن الجد بن قيس إنما هو واحد منهم وليس غريباً فيهم .

وهكذا يظهر دور المنافقين في غزوة تبوك، انتحال الأعذار وتثبيط همة المسلمين، وتخريفهم من الانطلاق نحو المعركة، وتلك سنتهم في كل مجتمع وحال .

ووجدوا أن تخلفهم وحدهم غير كاف للخروج من ذلك الحرج، فلجأوا إلى تأليف فرقة همها أن تثبط هم الناس عن الجهاد، وكان أفراد هذه الفرقة يجتمعون في بيت

- (١) : سورة التوبة ، الآية ٩٢ .

(٢) رواد ابن اسحق معلنا، ابن هشام ج٤/٢١٦-٢١٧، والطبري: «التفسير» ج٤/٢٨٧-٢٨٨ وقد عنته باسناد منقطع وموقوف على أئمة شيوخه، الزهري، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر وغيرهم، ورواه أبو نعيم، وابن مردويه فيما عزاه اليهما ابن حجر في «الإصابة» ج١/٢٨٨ وضعف استناديهما.

- (٣) : الروض الأنف ج٤ ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

يهودي يدعى سويلم بمكان بالمدينة، كما روى الواقدي^(١) وابن سعد^(٢) وابن عساكر^(٣) أن النبي ﷺ بعث إليهم نفرا من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل^(٤) جزاء وفاقا، إذ إنهم أرادوا أن يشعلوا نار الفتنة في المسلمين، فأشعل فيهم نار العقوبة "والفتنة أشد من القتل" ومن مظاهر نشاطهم في هذه الغزوة وتحركاتهم في وسط البيئة إظهار فرحتهم بتخلفهم في مثل هذه الظروف، كما يصور القرآن ذلك، فيقول تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٨١) ﴿^(٥) .

وتستمر الآيات في فضح المنافقين وأفعالهم في المجتمع، ووصف أحوالهم النفسية والعملية، ومواقفهم في غزوة تبوك، وكشف نواياهم وحيلهم في التخلف عن الجهاد وإيذاء رسول الله ﷺ والتخلص من المؤمنين، وتحديد العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء، لأن المجتمع المدني بدأ يتضح ويستكمل أنظمتة ودساتيره، ويكاد يستكمل كل مقوماته ومميزاته، فلا بد أن تكون هناك مفاضلة بين الفريقين وتمييز كل صنف بصفاته وأعماله قال تعالى :

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤٦) ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٤٧) ﴿^(٦) .

(١) : الواقدي (الغازي) ج٣/٩٨٩-٩٩٠ بروايته عن مجموعة شبوخه.

(٢) : ابن سعد «الطبقات» ج٢/١٦٥ من رواية الواقدي.

(٣) : ابن عساكر «تاريخ دمشق» ج١/١٦٧-١٦٨ باسناد مرسل ضعيف، وقال ابن كثير «التفسير» ج٥/٩٨ وفي هذا الاسناد نظ.

(٤) : النفاق والمنافقون، مرجع سابق، ص ١٤١ .

(٥) : سورة التوبة، الآية ٨١ .

(٦) : سورة التوبة، الآيات ٤٦، ٤٧ .

الاسلوب السابع:

●● اسلوب الاغتيالات:

أساليب المنافقين العملية لحرب الدعوة الاسلامية في عهدنا المدني عديدة ومنتوعة وكان هدف خصوم الدعوة من المنافقين أن لا يتمكن المسلمون من نشر الاسلام ولا من بسط سيادتهم في ظل التوحيد على الأرض ولذلك دفعتهم خصومتهم للإسلام إلى التخطيط لاغتياله ﷺ، كان ذلك التدبير الخبيث، أثناء رجوعه ﷺ من غزوة تبوك .

ولما أحس الرسول بذلك أمر عمار بن ياسر^(١) أن يأخذ بزمام الناقة يقودها وأمر حذيفة بن اليمان يسوق خلفه، ولما سمع حس القوم أمر حذيفة أن يردهم فرجع إليهم فجعل يضرب وجوه راحلهم بمحجن في يده فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس وأتى حذيفة فساق به فسأله الرسول ﷺ : هل عرفت أحدا من الركب (الذين رددتهم؟) قال : يارسول الله ما عرفت إلا راحلة فلان وفلان وكان القوم متلثمين فلم أعرفهم من ظلمة الليل وهكذا كما فشلت أساليب القوى الثلاث في محاربه الإسلام في عهدنا المدني، فشل المنافقون بأساليبهم القولية والعملية على السواء .^(٢)

(١) هو عمار بن ياسر بن اليقظان الكناني، من الولاة وأحد السابقين الى الاسلام ومن عذب في الله، شهد بدرًا وعقبة المشاهد وهو أول من بني مسجداً في الاسلام «مسجد قباء» في المدينة لقيه النبي ﷺ «الطيب» كان من أصحاب علي في يوم صفين حيث قتل بها سنة ٣٧هـ وكان شيخا تجاوز عمره التسعين انظر : ابن سعد الطبقات الكبرى ج٣/٢٤٦ والحاكم المستدرک ج٣/٢٨٣ والذهبي سير اعلام النبلاء ج١/١ ص ٤٠٦.

(٢) انظر الرازي «الغزوي» ج٣/٤٣-١٠ وامتاع الأسماع ج١/٤٧٨

الباب الثاني

مواجهة أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول: مواجهة أساليب المشركين

الفصل الثاني: مواجهة أساليب اليهود

الفصل الثالث: مواجهة أساليب النصارى

الفصل الرابع: مواجهة أساليب المنافقين

الباب الثاني
مواجهة أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني
الفصل الأول
مواجهة أساليب المشركين
المبحث الأول
مواجهة أساليب المشركين القولية

تمهيد:

في ضوء ما سبقت الإشارة إليه من أن عقيدة التوحيد التي طهرها الإسلام مما شابها تناقض كل ألوان الشرك الظاهر منه والخفي ، لأنه يهدم ما بينه الإسلام معتقداً ومسلكاً ، ولذلك فقد كان حرص الرسول ﷺ شديداً على أن يكون كل أتباعه من المؤمنين برئين من كل شرك مهما كان لونه ونوعه حتى إنه حذرهم من الاهتمام بالدرهم والدينار والأشياء الدنيوية اهتماماً ينسبهم الله ويظهرهم كأنهم تعبدوا لها . "تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة تعس عبد الحميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش" [أى إذا أصابته شوكة فلا تخرج] إن أعطى رضى وإن منع سخط" (١) . لأنه ربط بها آماله وعقد عليها أمانيه وجعل دنياه كلها موقوفة على ما يكون له منها ، فإن عظمت عظمت في نظره الحياة وإن ضوّلت اسودت في عينيه الدنيا . وكل هذا ثمرة أمر الله تعالى في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٩) ﴿ (٢) .

(١) : أخرجه صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ٢٩٣/٣، رقم الحديث: ٢٨٨٦ و ٢٨٨٧.

صحيح سنن ابن ماجه، باب الزهد، باب في الكثيرين، ٣٩٨/٧، رقم الحديث : ٤٣٣٥-٤١٣٥.

(٢) : سورة المنافقون ، الآية ٩ .

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ (١٥) ﴾^(١) .

ومن هنا فقد انتهج الرسول ﷺ مع المشركين وغيرهم أوضح الأساليب وأيسرها، ليصرفهم عما هم فيه من جهالة وضلال وليردهم الى الحق ويهديهم سنن الذين اتقوا وأخلصوا لله متوسلا بالحكمة والمرونة واللين وكل صنائع التحبب وذلك لكي يحبب ويحسن لهم تقبل الحق والهدى ، والانتهاى عن الباطل والشر ، مستفيدا من إرشاد الله له وتوجيهه بما كان يوجهه إليه من أخبار من سبقه من الأنبياء والمرسلين . كقوله تعالى أمرا موسى وأخاه هرون عليهما السلام عندما أوفدهما الى فرعون ليذكراه بالحق ويدعواه الى الهدى قال تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (٤٤) ﴾^(٢) . وقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾ (١٢٥) ﴿^(٣) .

(١)- سورة التغابن ، الآيات ١٤ ، ١٥ .

(٢)- سورة طه ، الآيات ٤٣ ، ٤٤ .

(٣)- سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

منهج المواجهة

دراسة المواجهة بين الدعوة وخصومها سواء في العهد المدني أم المكي تكشف عن أن جوهر المواجهة من جانب النبي ﷺ والمؤمنين معه، كانت تركز الى الصبر وتحمل المشاق في سبيل تبليغ الدعوة أي أن تبليغ الدعوة كان هو الهدف مهما عظم واشتد حجم التضحية والبلاء.

ومن هنا فقد كان لنهجه ﷺ مع المشركين أعظم الأثر في اتباعه وقبول دعوته وترك ما هم عليه من عقائد الآباء والأجداد، وفي تلك الحقيقة يروي البخاري عن خباب بن الأرت أنه قال: "أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر الوجه فقال " قد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن ذلك وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل ولكنكم تستعجلون" (١).

ولقد كان أصحابه يشكون كثيراً من مضايقة المشركين وتعذيبهم، فكان يرق لهم ويتلطف معهم ويقص عليهم من خبر الأولين ما يشجعهم ويثبت قلوبهم ويعلي هممهم كما كان يسمع لهمومهم وأحزانهم، ثم يحضهم على الصبر ويبشرهم برضوان الله وجناته. بل كثيراً ما كان يقع عليه من ذلك أعباء مرهقة ومؤلمة ففي المرحلة المكية مثلاً فقد تغل ابن عمه أبي لهب في وجهه ذات مرة، وكاد عقبة ابن أبي معيط يخنقه بشوبه، ورمى أبو جهل عليه فرث الجذور وهو يصلي. وكان ﷺ يقابل كل ذلك بالصبر والتحمل الذين كان يوصي بهما أصحابه.

(١) : أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الاسلام ٢٠٤/٣، رقم الحديث: ٣٥٧١.

وكتاب الاكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ٧٥/٤ رقم الحديث: ٦٩٤١.

وكان صبر الرسول ﷺ وتحمله مع محاسنته لقومه ، وثباته على منهجه الرقيق اللطيف يتوسل به للدخول الى قلوب الناس هو الذي جعل دعوته تنتقل من نصر الى نصر ، ومن موقف حسن إلى موقف آخر أكثر حسنا بل مما جعل الناس ينظرون اليه بإكبار واجلال ، وينظرون لدعوته باستحسان ولقد حدث ابن اسحاق أن أبا جهل وقف ذات يوم في قريش يقول : "يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ماترون من عيب ديننا وستم آياتنا وتسفيه أعلامنا وسب آلهتنا وإنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فلما أصبح أبو جهل لعنه الله ، أخذ حجرا ثم جلس لرسول الله ينتظره . فلما جاء رسول الله وقام يصلي ، فلما سجد احتمل أبو جهل الحجر وأقبل عليه ، فلما دنا منه ، رجع منبهتا منتقعا لونه مرعوبا ، وقذف الحجر من يده . فقام إليه رجال من قريش ، فقالوا له : ما بك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلنى" (١) .

وهذه القصة تكشف بعض ما كان يلاقيه الرسول من مشركي قريش في المرحلة المكية من تحد وأذى وعذاب ، وما كان منه من تحمل وصبر كذلك في المرحلة المدنية والتي تكاثرت فيها الخصوم .

ومثل هذه القصص والوقائع كانت تنتهي بسبب حسن موقف الرسول وحكمته ومرونته ، إلى إسلام البعض وانقلابهم أعداء للشرك والمشركين .

(١) : ابن كثير ، " البداية والنهاية " ، ج ٤٣/٣ .

الانسلوب الاول :

●● اسلوب المواجهة بالبرهان الكوني والنظر العقلي :

التأمل في آيات الله تعالى وفي أسلوب نبيه محمد ﷺ في تعامل الدعوة مع المشركين ، يرى أن البرهان الديني كان يتمثل في آية بعد آية يخاطبهم بها النبي ﷺ كي يؤمنوا وتستقيم عقولهم وتصح قلوبهم ومداركهم وفي أن الله تعالى جعلهم أهلا لتقبل الحق والتميز بين الحق والباطل . وأن مكابرة بعضهم سرعان ما تزول وتتلاشى^(١) .
يقول سبحانه : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦) ﴿^(٢) .

ويقول : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٤) ﴿^(٣) .

ويقول : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) ﴿^(٤) . ومن منطلق تعظيم الإسلام للعقل وتقديره لدوره البناء

لابد هنا من التنبيه إلى ما تحلت به سيرته ﷺ لدى معاملته المشركين من تفريق بين إنسانيتهم وشركهم فعلى الرغم من أن الإسلام أسقط كل ضروب ووسائل ومظاهر الشرك التي تحول دون عبادة الله وحده لا شريك لكن سلوك الدعوة وأسلوبها مع المشركين روعي فيه القيمة الانسانية للمشرك على أمل بأن يتمكن من مساعدتها فيه لإنجائها من خطر

(١) : القرطبي «تفسير» ج ٣٧/٥ .

(٢) : سورة الحج ، الآية ٤٦ .

(٣) : سورة البقرة ، الآية ١٦٤ .

(٤) : سورة الرعد ، الآية ٤ .

الشرك وبلاته العظيم ، فقد ثبت في الصحيحين عن طريق عبد الله بن وهب أن عائشة رضي الله عنها حدثته ﷺ فقال: "هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من أحد؟" قال ﷺ: "ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال . فلم يجبنى الى ما أردت وانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الشعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فتناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت .

ثم ناداني ملك الجبال ، فسلم على ، ثم قال يا محمد : إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى إليك ربك لتأمرني ما شئت . إن شئت أطبق عليهم الأخشبين !! فقال رسول الله ﷺ "أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً" (١) .

الاسلوب الثاني :

●● المواجهة بالرفق والحلم واللطف :

من نافلة القول الإشارة إلى أنه ﷺ لم يكن فظاً ولا غليظاً في التعبير عن دعوة الله ولا في معاملته لأصحابه أو المدعوين الذين كان ﷺ يحب أن يصبر نفسه معهم ، ودراسة سيرته ﷺ تؤكد باليقين أنه كان ﷺ يمارس أسلوب الرفق والحلم واللطف مع القوي التي خاصمته سواء في مكة أو المدينة والدليل على ذلك أنه مارس ﷺ أسلوباً حانياً رقيقاً بالمشركون على كراهيته لكل الوان الشرك ورفضه إياه فهو نقيض ما جاء به ففي غزوة بدر ، وبعد عون الله للمسلمين بالنصر على المشركين ، تسنح الفرصة للنبي ﷺ لينتقم من المشركين بقتل أسراهم بعد التنكيل بهم والتشفي منهم انتقاماً لقتلى المسلمين على مدى ثلاثة عشر عاماً ، وثأراً للذين جردت عليهم طيلة هذه الفترة أسوأ حملات الكره والتصفية، ولكنه ﷺ يؤثر بعد أن تداول مع أصحابه في شأنهم ومصيرهم أن يقبل مفاداتهم ويرفض أن يضرب أعناقهم، إلا أن الله تبارك وتعالى قد عاتبه فيما

(١) : ابن كثير، "السيرة النبوية" ، ١٥٢/٢ - ١٥٣ .

بعد على اختياره هذا بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦٨) " لكن هذا الاتجاه يمثل في الأصل ميله الوجداني ويعبر عن خاصية الرحمة التي خلقها الله تعالى فيه وجبله عليها مالم يشرع الله له ﷺ توجهها آخر.

الاسلوب الثالث:

●● اسلوب العفو عند المقدرة:

يتمثل ذلك الأسلوب كأعظم ما يكون يوم الفتح ، يوم دخل مكة منتصراً ، ورجعت قريش بقضها وقضيضها بخزي الدنيا ، وجمع أهلها كلهم بين يديه في ساحة الحرم وسألهم : "ما تظنون أنى فاعل فيكم ؟ فلما قالوا له أخ كريم وابن أخ كريم قال لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" " . أفلا يعبر هذا الموقف الكريم من رسول الله ﷺ على عمق فكره وتمكنه من الفصل بين إنسانية هؤلاء المشركين وشركهم ؟! أليس قوله لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء ، كان موجها الى أعدائه المشركين ؟؟ وكيف يطلق سراحهم ويعفو عنهم ويتركهم يسرحون ويمرحون وهم الذين عذبوه ونكلوا بأصحابه وهجر الكثيرين منهم من أرض الآباء والأجداد وقتل بعضهم بغيا وظلما ؟ كيف يتركهم وهم يحملون الوثنية ويجاهرون بالشرك ؟؟

إنه الأسلوب النبوي في مواجهة الأسلوب الشركي ، فالدعوة الاسلامية ما كانت بالأصل إلا دعوة ضد الشرك وألوانه ومظاهره بحكم أن الشرك مصدر انقطاع العبد عن ربه لكن جوانب العظمة في الدعوة الاسلامية تتجلى في التعامل مع خصومها حتى ولو كانوا مشركين ذلك لأن الدعوة الاسلامية تملك ملكة الرفق بالانسانية كلها خوفاً عليها من النار " ، ومن هنا فتعامل الإسلام مع المشرك كإنسان عرضة دوماً للتطور والتقلب

(١) : سورة الأنفال ، الآيات ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) : انظر ابن كثير «الهداية والنهاية» ج٤ / ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٣) : انظر ، عباس محمود العقاد «الدعوة والاسلامية دعوة عالمية» دار الهلال ، مصر عام ١٩٤٦ صفحة ١١٢ ، ١١٤ .

بقدر ما يكون لديه من استعداد لرؤية ما حوله والتأثر به ، فإذا كان الآن مشركاً فلا يبعد أن يصبح في الغد مؤمناً إذا ما تيسرت له أسباب الإيمان . وإذا كان اليوم عدواً فلا يمتنع أن يصير فيما بعد صديقاً صحيحاً وما سمي قلب الانسان قلباً إلا لتقلبه ، ومادام في الكون مؤثرات تفعل فعلها في قلب الإنسان فسيبقي هذا القلب قابلاً للتغير والتبدل^(١) . ولولا هذه الحقيقة التي أدركتها مبكراً الدعوة الاسلامية لما ملكت قلوب الناس بغير قهر أو اكراه، يقول سبحانه ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦) ﴿^(٢) .

وهو قول يحمل على فتح الباب على مصراعيه أمام المشرك ليسمع كلام الله، وليكون له من ذلك مدخل إلى حقيقته ، فيدرك ما ينطوي عليه من الخير والنور والضياء، ويهوى اليه قلبه فيقبل به ويهتدي الى سبيل الله القويم^(٣) .

إن أسلوب الرسول ﷺ في التفريق بين إنسانية المشركين وشركهم ، وأمله الكبير بأن يتمكن بفضل الله من إنقاذهم من الشرك ، هو الذي حمله على أن يدعوهم إلى الإسلام وأن يصبر عليهم ثلاثة عشر عاماً من الدعوة والتوجيه ، وأن يقابل ما كان يراه منهم من صدود ونكال وقسوة بمزيد من التحمل والسماحة والرحمة والسلام وإذا قيل إن الأصل في التعامل مع المشركين هو قتالهم واستئصال شأفتهم وانطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) ﴿^(٤) .

والواقع أن هذه الآية وما سبقها نزلت في مشركي الجزيرة العربية الذين دخلوا مع الرسول ﷺ في عهود مؤقتة أو غير مؤقتة ، والحكم الوارد فيها هو حكم خاص بهؤلاء ولا ينسحب على سواهم . وفي تقرير ما نذهب اليه يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه

(١) أمين دويدار: صور من حياة الرسول ﷺ ، دار المعارف مصر عام ١٩٥٣ ، صفحة ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) : سورة التوبة ، الآية ٦ .

(٣) : أحمد موسى سالم ودعائم الاسلامية الأساسية دار الجيل، بيروت عام ١٤٠٢ ، صفحة ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٤) : سورة التوبة ، الآية ٥ .

الله^(١) "وهذه الآية هي التي يسمونها آية السيف واعتقد بعضهم أن آية السيف هي قوله تعالى: ﴿.. وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ..﴾ [التوبة: ٣٦] وقال بعضهم أنها تطلق على كل منهما أو على كليهما ، ويكثر في كلام الذين تناولوا الآيات المنسوخة بقولهم أن آية كذا وآية كذا من آيات العفو والصفح والإعراض عن المشركين والجاهلين، والمسألة وحسن المعاملة منسوخة بآية السيف. والصواب أن ما ذكروه من هذا القبيل ليس من النسخ الأصولي في شيء قال السيوطي في أقسام النسخ في الإتيان ما نصه : "الثالث" ما أمر به لسبب ، ثم يزول السبب كالأمر ، حين الضعف وحين القلة ، بالصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال ، وهذا في الحقيقة ليس نسخاً ، بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى : "أونسأها" فالمنسأ هو الأمر بالقتال الى أن يقوى المسلمون . وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى .

على أنه ليس في موقف الإسلام هذا من مشركي العرب الذي عرضناه آنفاً ما يتعارض مع ما أردنا إبرازه من قبل من اهتمام الرسول ﷺ بإنسانية المشرك وتفريقه بينها وبين الشرك الذي يحمله فقد اهتم الرسول ﷺ بهذا الجانب الإنساني كل الاهتمام وهياً له كل الفرص المؤاتية ليستفيد منها ويخرج من شرقة الكفر والإلحاد ومن القوقعة البهيمية التي يعيشها وهذا المنهج الحكيم سواء كان مع مشركي العرب أو مع المشركين كافة لا يغير من أمر المشرك شيئاً ما دام مصراً على إشراكه فحكمه واضح في نظر الإسلام لا يتغير ولا يتبدل ، كما أن حكم التعامل معه بصورة عامة يبقى هو كما نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ السَّلْهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)﴾
 إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾^(١) .

(١) : نقلا عن دكتور محمد سيد طنطاوي «بنو اسرائيل في الكتاب والسنة» ج٢/١١٥.

(٢) : سورة الممتحنة ، الآيات ٨ ، ٩ .

الاسلوب الرابع :

●● اسلوب الدعاء بهداية المشركين :

هذا الأسلوب يتمثل فيما رواه البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه من أن أسلوب ومنهج الرسول ﷺ في هذا الجانب يكشف بعض جوانب العظمة في أسلوب النبي مع خصومه قال : "قدم الطفيل ابن عمرو" على رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله : إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها فظن الناس أنه يدعو عليهم . فقال ﷺ : "اللهم اهدِ دوساً وآت بهم" (١) . وقوله ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه عن جابر قال : "مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراس يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا أخذ يحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي" (٢) .

وهذا السلوك الأخلاقي من جانب الرسول في مواجهة أساليب خصومه من المشركين وغيرهم ، كان يرتكز الى طبيعة الدعوة التي يمثلها ﷺ حيث لم يخلط ﷺ بين حق الله تعالى وما يجب له وحقه الشخصي الذي لا ينال من النبوة ، أو بما تقدمه الدعوة للناس من توحيد الله وإخلاص العبودية له وحده ولذا لم ير ﷺ غاضباً لنفسه قط ، وإنما كان لا يغضب إلا الله . فقد روي البخارى عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت "ماخير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه .. وما انتقم رسول

(١) : هو الطفيل بن عمرو ابن طريق بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهيم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد ، كان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً مليحاً كثير الضيافة ، وقدم مكة مع رسول الله ﷺ وذهب الى بيت رسول الله ﷺ وقال لرسول الله مقالة قريش ، فعرض رسول الله ﷺ على الطفيل الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق وأمره رسول الله ﷺ أن يذهب إلى قومه ويدعوهم إلى الإسلام وأن يرفق بهم ، وفعل ما أمره به رسول الله ﷺ وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، والطفيل في قومه يدعوهم ، وقدم الطفيل ومن أسلم من قومه إلى رسول الله ﷺ وهو في خيبر ، حتى نزل المدينة ب (٧٠) أو (٨٠) بيتاً) من دوس ثم لحق برسول الله كفيرو ، فأسلم لهم رسول الله ﷺ وكان مع رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة ، وقتل الطفيل باليمامة شهيداً ، انظر سعد الطبقات الكبرى ج٤ / ص ٢٣٧-٢٤٠ .

(٢) : أخرجه صحيح البخاري ، باب الدعاء للمشركين بالهدى لبتألفهم ، ٣٠٨/٣ ، رقم الحديث : ٢٩٣٧ .
أخرجه صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب شفقتي ﷺ على أمته ومبالفتي في تحذيرهم مما يرضهم ، ١٧٩٠/٤ ، رقم الحديث : (٢٢٨٥)١٩ .

(٣) : أخرجه صحيح مسلم ، كتاب الفضائل باب شفقتي ﷺ على أمته ومبالفتي في تحذيرهم مما يضرهم ج٤ / ١٧٩٠ رقم ٢٢٨٥/١٩ .

الله ﷻ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله" (١) . وروى مسلم عن عائشة أيضا أنها قالت :
"ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئا قط لا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل
منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله" (٢) .
ولقد كانت عداوته موجهة في الأصل للشرك وما ينطوي عليه من مفهوم أما عداوته
للمشرك فقد كانت عداوة قائمة ما دام المشرك ملتزما بالشرك مستسلما لمعتقداته ومفاهيمها
الباطلة المفسدة متفاعلا معها بحمية وعنف، وداوته مع ذلك تبقى دائرة مع الشرك وجودا
وعدمًا، فهي قائمة ما دام المشرك متمسكا بشركه . وهي قابلة للزوال عند ما ينسلخ المشرك
عن إشراكه ويقلع عنه .

(١) : أخرجه صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ «يسروا ولا تعسروا» ١٣٢/٤، رقم الحديث :
٦١٢٦ .

(٢) : أخرجه أحمد في المسند ، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ، ٣١٨/٦ ، رقم الحديث : ٢٣٩١/٢٦٣٩٥ .

الاسلوب الخامس :

●● اسلوب التخذيل :

الجدير ذكره أن مواجهة الدعوة لخصومها في المدينة اعتمدت عدداً من المحاور والمرتكزات تمثل جوهر المواجهة وكيف ستكون، سواء قولية أو عملية، فقد بدأ رسول الله ﷺ بعقد ميثاق المدينة والهدنة مع خصوم الدعوة ما عدا قريشا وحلفاءها. كذلك عقد ميثاق الأمان مع بني ضمرة.^(١)

وذلك في غزوة الأبواء أو ودان في صفر من السنة الثانية للهجرة حيث (عقد معاهدة حلف مع عمرو بن مخشي الضمري، وكان سيد بني ضمرة في زمانه، وهاك نص المعاهدة: هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا دين الله ما بلّ بحر صوفة. وإن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه.

وهذه أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ.^(٢) وكذلك فإنه ﷺ قد عقد ميثاق عدم اعتداء مع بني مدلج حتى يتيح للمجتمع الجديد أن يقف على قدميه.

وكان ذلك في غزوة العشيرة في جمادى الأولى من السنة الثانية حيث عقد هذه المعاهدة مع بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة.

وكذلك فإنه ﷺ قد وادع أهل دومة الجندل. وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة بعد ان بدأت القبائل تتجرأ على المسلمين عقب أحد حيث بلغه أن هذه القبائل على مشارف الشام تعد العدة لغزو المدينة. وأما أهل دومة الجندل ففروا في كل وجه، فلما نزل المسلمون بساحتهم لم يجدوا أحداً، وأقام رسول الله ﷺ أياماً وبث السرايا، وفرق الجيوش، فلم يصب منهم أحداً، ثم رجع إلى المدينة، ووادع في تلك الغزوة عبيدة بن حصن.

فلقد كانت هذه الأحلاف والمعاهدات مع القبائل البعيدة المجاورة بهدف تخذيل العدو وفتح جبهة واحدة مع قريش فقط، بينما يطمئن إلى بقية الجبهات أنها لن تغزوه،

(١) : ابن هشام «السيرة النبوية» تحقيق عبد السلام هارون صفحة ١٢٦.

(٢) : المباركفوري «الرحيق المختوم» صفحة ٢٢٠ .

ويهدف التخذيّل عن العدو، فلا يبقى مع قريش مناصرة في المدينة وما حولها. فلا تجد الدعوة الإسلامية على ضوء هذه السمة حرباً في أن تحالف من شئت وتحارب من شئت إلى أن تصبح قادرة على تطبيق الإسلام كاملاً بالنسبة للمشركين، إما الإسلام وإما القتل. وعليها أن تفي بعهودها مع هذا الحليف.

وكذلك فإن النبي ﷺ لما بلغه أن عبد الله بن أبي، ومن كان معه يريدون أن يجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ لقيهم وأنهى إليهم : أنه قد بلغ وعيد قريش منهم المبالغ، وما كانت تكيدهم بأكثر مما يريدون أن يكيدوا به أنفسهم ، فلما علموا ذلك من النبي تفرقوا^(١).

لقد كان لهذا الموقف صورة مشابهة نقلها لنا البخاري رحمه الله حول الصورة السابقة من لقاء رسول الله ﷺ مع عبد الله بن أبي.

وفي الرواية (... وأردف أسامة بن زيد^(٢) وراءه وفيه ... وذلك قبل وقعة بدر وقبل أن يسلم عبد الله، فلما غشيت القوم عجاظة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال : لا تغيروا علينا. وفيه: فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتشاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخففهم حتى سكتوا. وفيه : قال سعد بن عبادة: اعف عنه واصفح، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجه فيعصبونه بالعصاibe فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ.^(٣)

لقد استعمل رسول الله ﷺ ما يمكن أن تسميه الأسلوب الوطني، الأسلوب العشائري في فضحه هذا التجمع، وإنهاء المعركة دون قتال، وتفتيت التجمع دون دماء

(١) : انظر : أبو داود، خبر بني النضير.

(٢) : هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزّي بن امرئ القيس المولى الأمير الكبير حب رسول الله ﷺ ومولاه وابن مولاه أبو زيد. ويقال : أبو محمد، ويقال: أبو حارثة، وقيل : أبو يزيد استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمر والكبار رضي الله عنهم، ولم يسر حتى توفي الرسول ﷺ فبادر أبو بكر الصديق ببعثهم، وتوفي المدينة، وقيل بواد القرى، سير اعلام النبلاء، للإمام الذهبي ط٩٦/٢ / ص٤٩٦ ابن سعد الطبقات الكبرى ج٤ / ص٦١-٦٢ والذهبي.

(٣) : الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب «مختصر السيرة النبوية» صفحة ٧٠.

بكلمات بسيطةٍ معبرةٍ، عميقةٍ، خالدةٍ على مدى الزمن، ومُن؟ من رسول الله ﷺ قال:
لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ...

ولقد حرك بهذه الفقرة جانباً نفسياً عندهم يابونه، وهو الخوف من قريش، ومهما
كان العربي فحين تستفز كوامن قوته، وكوامن بطولته يأبى أن يعبر بالجبن، أو الخوف،
أو الخور.

(.. ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم ..). وبعد الضرب
على الوتر الحساس الأول، وتر البطولة والشجاعة. عاد رسول الله ﷺ ليحرك وترأ نفسياً
آخر. وهو الترهيب من تأمر العدو الخارجي على أهل المدينة أصحاب المصير المشترك
الواحد. فليس هذا الموقف جيناً فقط، ولكنه غفلة وسذاجة وجهالة، ولا يرضى العربي
مهما كان أن يتهم بهذا الاتهام، أن يتهم بأنه لا يدرك كيد عدوه، ولا يعرف مخططاته،
ولا يفقه الأعيبه. فلقد هيح هذا المعنى في أنفسهم شعوراً جديداً من النفرة لاستجابة
دعوة قريش البعيدة المعادية. ولو أن رسول الله ﷺ راح يدعوهم لإلقاء السلاح باسم
الإسلام لأحس البشريون أنهم أقرب إلى قريش من رسول الله ﷺ ولتهيح في أنفسهم
شعور الاعتزاز بالوثنية ضد هذا الدين الجديد، ولهم مع قريش قاسم مشترك، إذ عندها
البيت الحرام ومقام إبراهيم والحج لبيت الله. فلا غرو أن يتساقطوا جميعاً صرعى ضد
محمد ودينه ومع قريش. إن رسول الله ﷺ بأسلوب التخذيل هذا أحبط تخطيط قريش
لبعض الوقت حيث توقعوا أن ينتهي رسول الله ومن معه على أيدي مشركي المدينة ،
ولكن باء تخطيطهم بالخذلان والخسران .

المبحث الثاني

مواجهة اساليب المشركين العملية

الاسلوب الاول :

●● اسلوب الاعلان عن القوة :

لم يكن ليدور بخلد أحد أن قريشا يمكن أن تسكت عن مطاردة الدعوة وملاحقة المؤمنين بها، بعد أن فلتوا من أيديهم بالهجرة، وبعد مقاومتهم لهم في مكة. وطوال ثلاثة عشر عاما. وأمام اصرار قريش على ملاحقة المسلمين وتصميمهم على خوض المعارك ضدهم، لم يكن أمام رسول الله الا إعلان قريش بأنه سيجابهم بالقوة، بعد أن فشلت معهم كل وسائل الاقتناع والدعوة والرفق واللفظ والصبر والعفو.

ومن أجل هذا كانت السنة الأولى كلها سنة رصد لحركة قوافل قريش. فلقد جهز رسول الله ﷺ ثمانى سرايا وكانت كلها لاعتراض غير قريش ما عدا واحدة كانت رداً على هجوم قام به: كرز بن جابر الفهري. واستمرت هذه السرايا من رمضان - السنة الأولى للهجرة إلى رمضان في السنة الثانية من الهجرة. وكان قادة هذه السرايا جميعها من المهاجرين، وكان لهذا معنى خاص في هذه الحرب. فأصل العهد مع الأنصار هو حماية رسول الله ﷺ وصحبه في المدينة. وهذه السرايا تعرض للقوافل خارج المدينة. هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، فلا بد من تدريب المسلمين على الحرب، بعد أن أمروا بكف أيديهم خلال ثلاثة عشر عاماً من العهد المكي.

ومن جهة ثالثة ، لا بد أن تعرف قريش أن هؤلاء المهاجرين الفارين من اضطهادها في مكة ليسوا موطن ضعف وهوان، بل هم قوة مرهوبة ذات شوكة عليها أن تحسب ألف حساب لها قبل أن تفكر في مواجهتهم.

ومن جهة رابعة ، فعلى قريش ان تذوق وبال أمرها لموقفها المشين من الدعوة، وأن تتجرع مرارة هذا الموقف، فتعلم أن مصالحها وتجارتها صارت مهيب الريح بعد أن سيطر المسلمون على شريان حياتها من خلال قوافلها إلى الشام، حيث أصبحت رحلة الصيف عندها وخيمة العواقب.

الاسلوب الثاني :

●● اسلوب المواجهة العسكرية في غزوة بدر :

قبل نشوب أولى معارك الدعوة الإسلامية بقيادة النبي ﷺ ضد مشركي قريش تنزل الوحي بدرس تاريخي وقع أيضا بين المؤمنين وأعدائهم ، وكان هذا الدرس للعبارة، ولشحذ همم المؤمنين، واللافت للنظر أن مقدمات هذه المواجهة اشتملت على منهج تربوي، واعداد عقدي يشير إلى طبيعة المواجهة، ففي السنة الثانية من الهجرة. وبينما الخبر عن قافلة أبي سفيان المسافرة إلى الشام، يطير إلى النبي ﷺ في يثرب، كان الوحي يسترسل شارحاً لوضع الحاضر مقارناً بما حدث في الماضي، ليحفز همم المسلمين ، فيحكى لهم عن (شاؤول-طالوت)، بعد أن استقر له أمر الملك، وبدأ حملاته على مدن الساحل الفلسطيني قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ... قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ... ﴾ (٢٤٩) ﴿^(١) .وجالوت هنا هو (جوليات) الزعيم الفلسطيني في رواية التوراة، لكن رواية التوراة تختلف مرة أخرى، عن نبا القرآن الكريم حيث كان ائتلاف القبائل الإسرائيلية في مملكة واحدة، تشكياً هائلاً ومجيبشاً لعدد ضخم من المقاتلين، ومن ثم يكون تطابق الآيات ليس من التاريخ التوراتي كما ترويه التوراة، لكن مع واقع المسلمين والمشركين، حيث المشركون هم الأكثرية، والمؤمنون هم الأقلية، لكن العون الإلهي إلى جانب الحق كان كفيلاً بحسم الموقف، فالآيات تستطرد ﴿ ... قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢٤٩) ﴿^(٢) .

(١) (٢) : سورة البقرة الآية ٢٤٩.

وإعمالاً لذلك، وحتى تتطابق الروايتان، ويتطابق الواقعان، ونبوة الحاضر المنتصر بإذن الله، يملك الماضي، يحكى (أبو أيوب الأنصاري) ^(١) عندما خرجوا إلى بدر: « فإذا نحن ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فأخبرنا النبي ﷺ بعدتنا، فسر بذلك وحمد الله، وقال: عدة أصحاب طالوت ^(٢)».

وتحكي كتب السيرة أن النبي ﷺ خرج يريد قرش المسافرة إلى الشام، ولما بلغ الموقع الذي تمت حسابات الوصول إليه من يثرب، تقاطعاً مع الحسابات المتوقعة لزمن وصول قافلة أبو سفيان إليه من مكة، وهو (العشيرة)، اكتشف المسلمون خطأ الحسابات، فالحسابات كانت إنسانية صرف، تقبل خطأ الإنسان وصوابه، ووجدوا أبا سفيان قد سبقهم بعدة أيام، وعليه تحول الموقف إلى محاولة تعويض ما فات، بالعودة إلى يثرب، وتريص موعد عودة القافلة، قافلة من الشام. ^(٣)

ولم يطل انتظار المترقبين، فيخبرنا (ابن هشام) أن أمر القافلة قد بلغ مسامع النبي ﷺ، ولما سمع النبي بأبي سفيان مقبلاً من الشام، ندب المسلمين إليه، وقال: هذه غير قرش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها.. فانتدب الناس، فخف بعضهم، وثقل بعضهم. ^(٤)

وكان الرد على تشاغل بعض المسلمين عن الخروج إلى أموال قرش، عودة أخرى للقديم، تذكيراً، وتنبيهاً، وتحفيزاً، بذات المثل الإسرائيلي قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ (٢٤٦) ﴿ ^(٥)

(١) : هو اسمه خالد بن زيد بن كلب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار. شهد العقبة وهدراً

واحداً والمخندق وسائر المشاهد، مع رسول الله ﷺ وتوفي بالقسطنطينية، من أرض الروم سنة ٥١ في خلافة معاوية تحت راية يزيد.

انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٦٩/٤.

(٢) : البيهقي «دلائل النبوة» ج٣/٣٧

(٣) الحلبي: السيرة، سبق ذكره، مج ٢، ص ٣٧٤.

(٤) السهيلي: (السيرة النبوية لابن هشام)، سبق ذكره، مج ٣، ص ٣٠.

(٥) : سورة البقرة- الآية ٢٤٦.

وهنا جماعة إسرائيل لا تعترض على اختيار الملك لعدم سعته من المال، بل هي تطلبه، فتتطابق هنا الروايتان القرآنية والتوراتية، لكن الحكمة تنزع الماضي من سياقه لرسم صورة الحاضر، وإتمام صياغة الرسالة، المطلوب من المسلمين إدراكها، وفهم دلالاتها قال تعالى: ﴿... قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾^(١).

نعم، القتال في سبيل الله، وهو قتال- في التاريخ التوراتي القديم- لهزيمة سكان الساحل الفلسطيني، وهي الآيات التي تستدعي القديم لحاضر يثرب، تأجيلاً لنوازع نفسية في المهاجرين تحديداً، قال تعالى :

﴿... قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا...﴾ (٢٤٦) ﴿...﴾^(٢).

إن التوراة لا تقول بخروج بني إسرائيل من ديارهم وأبنائهم حينذاك، بل كانوا - حسب روايتها- مهاجمين لا مدافعين، محتلين وغاصبين، وهذه روايتها، وإثمها مردود عليها في المخالفة، لكن ما نعلمه يقيناً، أن الذين أخرجوا من ديارهم مهاجرين ، وتركوا أبنائهم واللوعة من أهل مكة تعتمل في نفوسهم، هم المسلمون المهاجرون إلى يثرب، وبالطبع كان لا بد أن تفعل تلك الآيات في نفوسهم فعلها وأثرها.

يروى (الطبري) خبر قافلة (أبي سفيان) فيقول:

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار. حتى أصاب خبراً عن بعض الركبان، أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك.. فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة.^(٣)

(١) : سورة البقرة- الآية ٢٤٦.

(٢) : سورة البقرة الآية ٢٤٦.

(٣) : الطبري: تاريخ الرسل والملوك، سبق ذكره، ج٢، ص ٤٥١.

وهكذا بدأت بدايات أقول الأمن القرشي على طريق الإيلاف الشامي، فالقافلة الآمنة، المطمئنة بالإيلاف، تضطر - في سابقة خطيرة- إلى استنفار أهل مكة، من أصحاب المال، وبينما كانت الأحوال في مكة على وتيرتها الرتيبة وهدوئها، وقبل وصول ضمضم الغفاري، أُلقت (عاتكة بنت عبد المطلب) عمه النبي، وسليمة البيت الهاشمي، بما حرك ذلك السكون الراكد المطمئن، برواية عن رؤيا رأتها، حملها أخوها (العباس بن عبد المطلب) إلى مجلس الملأ، تقول فيها:

والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ... رأيت راكباً أقبل على بعير له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله، مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت، فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار، إلا دخلتها منها فلقة.

فكان أن قام أبو الحكم ابن هشام يخاطب (العباس) بشأن رؤيا شقيقته قائلاً:
يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبوة؟.. أما رضيتم أن بتنبأ رجالكم، حتى تتنبأ نساؤكم؟- أوأما رضيتم يا بني هاشم بكذب الرجال، حتى جئتمونا بكذب النساء- قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتريص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتاباً، أنكم أكذب أهل بيت في العرب.^(١)

وبينما لم تكن تموجات رواية عاتكة قد سكنت بعد، على سطح الاستكانة القرشية المترفة الآمنة، وصل (ضمضم الغفاري) بعد الأيام الثلاثة، وهو يصرخ ببطن الوادي، واقفاً على بعير له، وقد حول رحله، وشق قميصه، وهو يقول:

(١) السهيلي: سبق ذكره، مع ٣، ص ٣٠، انظر أيضاً: الحلبي: سبق ذكره، مع ٢، ص ٣٧٦.

بامعشر قريش؛ اللطيمة، اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها؟ الغوث، الغوث.^(١)

وحدث بعدها ما جاء في رواية البيهقي «فتجهز الناس سراعاً، وقالوا : أيعظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي، كلا والله ليعلمن غير ذلك.^(٢) ثم يفيدنا أن (أبا سفيان) تمكن من النجاة بالقافلة، بسلوك درب آخر بقوله: وخفض أبو سفيان فلصق بساحل البحر، وخاف الرصد، وكتب إلى قريش حين خالف مسير رسول الله ﷺ ورأى أنه أحرز ما معه، وأمرهم أن يرجعوا.^(٣) أو بتفصيل (الطبري): «إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجهاها الله، فارجعوا.^(٤)»

لكن (أبا الحكم - أبا جهل) الذي أدرك - كواحد من رجال الملأ المقدمين- أن تهديد طريق الإيلاف، إنما يعني تهاوي الهيبة القرشية، مما قد يدفع القبائل الأخرى إلى ذات المحاولة، وتهون قريش بين العربان، وتضيق المصالح والمكاسب، ثم ما يستتبع ذلك من فقد قريش لثقة الامبراطوريتين الرومانية والفارسية، في القيام على شأن المواد المطلوبة في مواقيتها، في زمن حرب حرج، يكون فيه أي تأخير عاملاً مؤثراً وفاعلاً في الانتصارات والهزائم ، وهو ما قد يدفع إحدى الإمبراطوريتين إلى ركوب مغامرة تأمين الطريق باحتلاله، وربما احتلال مكة ذاتها، وهو ما يمكن أن ينقل الصراع الامبراطوري إلى باطن الجزيرة، فما كان من أبي الحكم إلا أن نادى بعدم عودة الرجال إلى مكة، ودعاهم إلى استعراض هيبتهم أمام القبائل، باحتفال كبير، اختار له أحد أسواق العرب الكبرى، في موقع وادي بدر، حيث الماء والخضرة، بإبلاغ العرب بدلالات الاحتفال، وأن قريشاً لم تزل قادرة على تأمين طريقها، وأنه لم يحدث شيء يعكر صفو الأمان السائد، ومن هنا قام ينادي:

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، سبق ذكره، ج ٣، ص ٢٥٧.

(٢) البيهقي: سبق ذكره، مج ٣، ص ٣٢.

(٣) المرجع السابق ، ج ١٠٨/٢.

(٤) الطبري: سبق ذكره، ج ٢، ص ٤٣٨.

والله لا نرجع حتى نرد بدرأ.. فنقيم عليه ثلاثاً، وننحر الجذور، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالوا يهابوننا بعدها أبداً.^(١) وهكذا عاد الركب موجهاً نحو بدر ليقيم سمره الاحتفالي لليال ثلاث، وكانوا خمسين وتسعمائة، وقيل كانوا ألفاً، وقادوا مائة فرس... معهم القيان... يضرين بالدفوف ويفغين»^(٢).

هذا والجدير ذكره أن هناك أحداثاً صغيرة لا تخطئها العين المدققة، لعبت - بعد ذلك - دوراً في حسم الأحداث، ربما كان أولها بالملاحظة، هو قرار بني زهرة الرجوع جميعاً إلى مكة، بعد أن تأكد لديهم سلامة القافلة ومرافقيها، فلم يخرج إلى بدر زهري واحد.^(٣)، ومعلوم أن بني زهرة هم أهل (آمنة بنت وهب) أخوال النبي ﷺ. والأمر الثاني، هو أن بني هاشم عشيرة النبي، تشاقلوا عن الخروج، وجرت بينهم وبين الأمويين مجادلة، أرادوا معها الرجوع إلى مكة، فاشتد عليهم أبو جهل بن هشام وقال: والله لا تفارقنا هذه العصاة حتى نرجع^(٤)، ومن ثم كان طبيعياً أن تلتفت إليهم الرؤوس الأموية لتقول محذرة:

يا بني هاشم:

وإن خرجتم معنا، فإن هواكم مع محمد!^(٥)

ويضاف إلى ذلك أن بعض كبار الملأ، مثل (أمية بن خلف)^(٦)، قرر القعود وعدم الخروج، وهو من تصفه كتب التراث الإسلامية بأنه «كان شيخاً جليلاً جسيماً وثقيلاً»^(٧)، الذي أراد تجنب المشقة وهو في هذا السن وذلك الجسم الثقيل، لولا أن أتاه (عقبة بن

(١) البيهقي: سبق ذكره، ص ١٠٨.

(٢) الحلبي: سبق ذكره، مج ٢، ص ٣٧٩.

(٣) الطبري: سبق ذكره، ج ٢، ص ٤٣٨.

(٤) البيهقي: سبق ذكره، مج ٣، ص ١٠٨.

(٥) الطبري: سبق ذكره، ج ٢، ص ٤٣٩.

(٦) : هو أمية بن خلف بن وهب من بني لؤي: أحد جبابرة قريش في الجاهلية ومن سادتهم أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو الذي عذب بلالا الحبشي في بدء ظهور الإسلام، أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر، فرآه بلال فصاح بالناس بحرضهم على قتله فقتلوه سنة ٢هـ انظر الزركلي الاعلام ٢٢/٩.

(٧) السهيلي: سبق ذكره، مج ٣، ص ٣١.

أبي معيط^(١) وهو جالس في المسجد بين ظهرائي قومه، بمجرة فيها نار ومجرم، حتى وضعها بين يديه ثم قال:

يا أبا علي استجمر، فإنما أنت من النساء، فقال: قبحك الله وقبح ما جنت به، ثم تجهز فخرج مع الناس.^(٢) وقيادة النبي - عليه الصلاة والسلام - خرج المسلمون لضرب طفيان مكة في قدرتها الاقتصادية بقطع طريق الإيلاف الشامي، على كبرى القوافل القافلة من الشام إلى مكة بقيادة أبي سفيان، والتي أسهم فيها البيت الأموي بما ينوف على الأربعة أخماس.

وحتى وصول المسلمين إلى (الصفراء)، لم يكن النبي قد علم بعد أيأ من أخبار القافلة، سوى إجراء حسابات تنبؤية لموعد عودتها من الشام، قياساً على موعد مغادرتها مكة، لهذا، وبالتصرف البشري، والممكنات الإنسانية، أرسل رسول الله ﷺ (بسيس بن عمرو الجهنسي)^(٣) ومعه (عدي بن أبي الزغباء الجهنسي)^(٤)، يتحسسان له الأخبار ويتسقطان الأنباء عن قافلة أبي سفيان فاتاه الخبر أن أبا سفيان قد علم بدوره بخروج النبي وأصحابه إليه، وأنه أرسل إلى قريش يستنفرها أموالها.^(٥)

وكان الموقف الجديد دقيقاً، يحتاج إلى حكمة في المعالجة، فقد تحول الأمر، عن مواجهة ثلاثين فرداً يحرسون القافلة، إلى مواجهة عدد غفير من أهل مكة، خرجوا

(١) : هو عقبة بن أبي معيط، هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس: من مقدمي قريش في الجاهلية كنيته أبو الوليد، وكنية أبيه، أبو معيط . كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الإسلام، انظر الزركلي ج٤/ص٢٤٠.

(٢) ابن كثير: سبق ذكره، ج٣، ص٢٥٧.

(٣) : هو بسيس بن عمرو بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعد بن ذبيان بن رندان ابن قيس ابن جهينة، الجهنسي، شهد بدرأ وأحداً وليس له عقب، انظر ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٢/ص٥٦٠.

(٤) :هو عدي بن الزغباء، ويقال : ابن أبي الزغباء، واسم أبي الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة الجهنسي، من جهينة، حليف لبني النجار، من الاتصار وقال موسى بن عقبة عدي بن الزغباء حليف لبني مالك بن

النجار من جهينة شهد بدرأ وأحداً والمحدث وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وتوفي في خلافة عمر بن

الخطاب رضي الله عنه، هو الذي بعثه رسول الله ﷺ عيناً مع بسيس بن عمرو الجهنسي يتجسس له عبر

أبي سفيان بن حرب. في قصة بدر ، انظر أبا عمر: « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » ج٣/ص١٦٩.

(٥) السهيلي: في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، سبق ذكره، مج٢، ص٣٣.

ليمنعوا أموالهم من النهب، وربما كان موقف المهاجرين محسوماً، بما يتأجج في صدورهم من ذكرى الهوان في مكة، وخروجهم من ديارهم وأبنائهم إلى يثرب، إلا أن وضع الأنصار كان يقتصر حتى الآن على حسن الضيافة، وصدق الإيمان، بينما الموقف الجديد يحتاج - ليس فقط- إلى عدد كبير من الرجال، بل وإلى قدر كبير من التضحية، بينما الأنصار- فيما يروي ابن هشام- «عندما بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله: إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا، نمنعك مما تمنع منه آبائنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره، إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو يبعد عن بلادهم.»^(١)

وهنا قال النبي ﷺ:

«أشيروا عليّ أيها الناس...»

فلما قال ذلك، قال له سعد بن معاذ: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، قال: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك.. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال:

سيروا وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين- إما العير وإما قريش-

والله، لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم.»^(٢)

وإعمالاً لكل ما تم الحصول عليه من معلومات استخبارية، تقرر أن يسبق المسلمون قريشاً إلى بدر، فيروي ابن كثير:

فخرج رسول الله ﷺ يبيادرهم إلى الماء، حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به.. فذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح - محارب أنصاري - قال: يا رسول الله: رأيت

(١) الموضع نفسه.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، سبق ذكره، ج٣، ص ٢٦١.

هذا المنزل؛ أمزول أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، قال يارسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فامض حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزله، ثم تغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً ونملؤه ماء ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي.^(١)

وهنا يأتي خبر السماء مصداقاً على الخطة البشرية ومشورة الأنصار، ورجلهم المقاتل (الحباب) المشهود له بالدربة والحكمة والخبرة القتالية، فبأتي جبريل إلى النبي المصطفى - عليهما السلام - ليقول:

يا محمد :

ربك يقرأ عليكم السلام، ويقول لك:

إن الرأي ما أشار به الحباب.^(٢)

وحتى نتمكن من وضع تصور لخريطة المواقع في بدر، وموقع كل من الطرفين فيها، نقف مع القائد وموقعه بين أتباعه المسلمين، وهو ما أوضحه قول سعد بن معاذ له: يا نبي الله؛ ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد عنك ركائبك، حتى نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا... فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير، ثم بنى للرسول عريشاً كان فيه.^(٣)

وتتفق كل كتب السير على موقع ذلك العريش، بأنه كان فوق تل مشرف على المعركة.^(٤) وبعد بناء العريش، دخل إليه النبي ومعه أبو بكر، واتفق على أن تحيطه

(١) ابن كثير: سبق ذكره، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٢) الموضع نفسه.

(٣) ابن كثير: سبق ذكره، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٤) الحلبي: سبق ذكره، مج ٢، ص ٣٩٤.

حراسة من الأنصار بقيادة سعد بن معاذ خوفاً عليه من أن يدهمه العدو من المشركين، والجنائب النجائب مهيأة لرسول الله ﷺ إن احتاج ركبها ورجع إلى المدينة.^(١)

ومرة أخرى وليست أخيرة، نجد الإعداد الجيد، والتخطيط البشري، والحرص على حماية صاحب الدعوة والحفاظ على حياته، بإيقاف الحراس عليه في تل بعيد عن متناول المشركين، تحت حراسة مسلحة من رجال الحرب، وركائبه معدة للعودة السريعة إلى يثرب إن حدثت الهزيمة، إضافة إلى عناية الله ورعايته والوعد الإلهي بالمدد العلوي من مقاتلي الملائكة المقدمين.

وقد جاء الوعد بالملائكة، دافعاً لمزيد من الطمأنينة لصحابة الرسول الأمين، ومدعاة لهدوتهم النفسي والعصبي، وإخلاصهم للنوم في ظل تلك الحراسة السماوية، لأخذ قسط مناسب من الراحة، انتظاراً لوصول قريش في الغد عطشى مجهدة متعبة، وهو ما وعته كتب الأخبار والسير، وساقته على عجلة تقول:

ويشرهم النبي ﷺ بنزول الملائكة، فحصل لهم الطمأنينة والسكون، وقد حصل لهم النعاس وهو دليل الطمأنينة.^(٢)

وعند الصباح ، عدل رسول الله ﷺ صفوف رجاله، وألويتهم، ثم دخل عرشه بناجي ربه:

اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم ، لا تعبد بعد في الأرض أبداً.^(٣)

ثم عاد فخرج إلى رجاله يحرضهم على القتال منادياً:

والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابراً محتسباً إلا دخل الجنة.

وهكذا بدأت وقعة بدر الكبرى، وهكذا كان التخطيط الجيد والإعداد الدقيق، الذي تفاعلت فيه خطة القائد وعزمه، مع خبرة أركان حربه من رجال الدم والحرب والحلقة، صفوف صفوف، منها من يشد على الأعادي ومنها من يحمي بسهامه المتقدمين، فلم يترك شيئاً للصدفة، ولا أمراً للهوى، وهو ما كانت نتيجته المحتممة، ما سجلته كتب السير والأخبار:

(١) ابن كثير: سبق ذكره، ج ٣، ص ٢٧١.

(٢) الحلي: السيرة ، مع ٢، ص ٣٩٢.

(٣) نفسه، ص ٢٧٤.

فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر منهم من أسر.^(١)
هذا بينما استكان القائد إلى عريشه مع أبي بكر، وعلى رأس التل وقف سعد بن
معاذ يتأمل ما يحدث تحته في الوادي، ورأى النبي في وجهه شيئاً فقال له: «كأنك
ياسعد تكره ما يصنع الناس!»^(٢)

وكان حصاد المعركة ما جاء عند (الطبري) «فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم
سبعون رجلاً»^(٣)، بينما كان شهداء المسلمين (كما ذكر البيهقي) «من قريش-
المهاجرين- ستة نفر، ومن الأنصار ثمانية نفر»^(٤)

وبفرار أهل مكة فراراً بلا كرامة، وسقوط بعضهم قتلى أو أسرى، هبط النبي
ليأمر بإلقاء الجثث في القليب، ليعتمل في النفس ما كان يجيش بها، وينطلق اللسان
النبيو منادياً:

يا أهل القليب؛ بنس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس،
وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، هل وجدتم ما وعدكم ربكم
حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً.^(٥)

الأسلوب الثالث :

●● أسلوب تأديب القبائل العربية المشتركة الأخرى :

بعد مواجهة الدعوة لخصومها من مشركي مكة على أرض بدر كان على الرسول
ﷺ أن يسعى لتأمين كيان الدولة الوليدة في مجتمع المدينة، وكان لابد أيضاً من تطوير
أسلوب المواجهة العلمية في أكثر من ميدان، والاستعداد لأية احتمالات. ومن هنا وفي
رواية ابن اسحق، فإن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة مرجعه من بدر، لم يقم بالمدينة إلا
سبع ليال ، حتى غزا بنفسه يريد بني سليم .

(١) البيهقي: سبق ذكره، ج ٣، ص ١٢٢.

(٢) الطبري: سبق ذكره، ص ٤٤٩.

(٣) نفسه : ص ٢٩٧.

(٤) البيهقي : سبق ذكره، ص ١٢٢.

(٥) : السهيلي ، مصدر سابق ص ٥١.

وقال الواقدي:

فلما أتاه وجد الحمي خلوفاً، فاستاق النعم، ولم يلق كيداً، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة.^(١)

وفي ضوء ذلك التوجه فقد بات واضحاً أن السياسة العسكرية الواضحة، تشير إلى أنه بعد قطع الرؤوس من شيوخ قريش وسراتها، اتجه الجيش الإسلامي نحو القبائل الكبرى في باطن الجزيرة لإخضاعها لدولته، وإرهابها لتؤوب إلى حلف المدينة، إمعاناً في تقطيع أوصال الإبلان القرشي لصالح الدولة الجديدة، أما حديث (الواقدي) هنا، فيشير إلى الأثر العظيم لوقعة بدر في نفوس أعراب بني سليم، تلك القبيلة التي لا يستهان بها، إلى الحد الذي هربوا فيه من مضاربتهم لمجرد سماعهم بمقدم المسلمين، وتركوا ديارهم وأنعامهم، ليقبض المسلمون على مياهم وحياضهم ومضاربتهم أياماً ثلاثة، ويعودون بعدها إلى يثرب بغنيمتهم آمنين.

وتشير الأخبار إلى مسير آخر للنبي ﷺ إلى سليم، بعد أن نما إلى علمه اجتماع سليم وغطفان بحلف يريد الانتقام، ومرة أخرى تهرب سليم هرباً غير كريم وتترك حبيها، فلما سار إليه لم يجد به أحداً.. فوجد خمسمائة بعير مع الرعاة ...

فحازوها وانحدروا بها نحو المدينة.. فأخرج خمسة، وقسم الأربعة أخماس على أصحابه.^(٢) هذا وبينما كان الحال في مكة غير الحال في يثرب، فكانت مكة موتورة. بقتلاها، حائرة في أمرها وأمر مهابتها وتجارتها وهو ما يعني كل مصيرها، ولما وصل (أبو سفيان) بقافلته، التي كانت سبب بدر الكبرى، ورأى قريشاً تعود فلولا منهزمة وهو لا يستطيع شيئاً، وهو صاحب اللواء والعسكر، نذر بيمين مغلظ إزاء ما رأى من هوان، ألا يمسه رأسه من جنابة حتى يفزوا يثرب.

(١) البيهقي: دلائل النبوة، سبق ذكره، ج٣/١٦٣.

(٢) الحلبي: السيرة، سبق ذكره، ج٢، ص ٤٨٠.

ولما طال الأمر بالرجل، وهو من السادة المرفهين، وكان غزو يثرب بحاجة إلى زمن وإعداد، لم يحتمل عدم الاغتسال، ولم يكن ممن يحثون باليمين، وهو حث عند العرب عظيم، فخرج على رأس مائتي راكب من قريش إلى يثرب متخفياً يريد أن يبر فقط بقسمه حتى يغتسل، فحرقوا بعض النخل المتطرف، وقتلوا رجلين من فلاحي الأنصار كانوا في حرثهما، ثم عادوا هارين إلى مكة، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام مع رجاله في إثرهم، مما اضطر رجال أبي سفيان إلى إلقاء ما معهم من قرب السوق للتخفف والسرعة، والسويق هو حنطة تجمص وتطحن وتمزج بالسمن واللبن والعسل، وتتخذ زاداً في السفر، فغنمها المسلمون، لذلك سميت تلك الغزوة (غزوة السوق) ^(١) ولا يمضي شهر حتى يخرج النبي برجاله لتأديب غطفان على حلفها مع سليم، في الغزوة المعروفة بغزوة (ذي أمر)، وهنا تحكي كتب السير أن غطفان وجدت السلامة في تصرف بني سليم:

وهربت منه الأعراب فوق ذرى الجبال، ونزل رسول الله ﷺ (ذا أمر)، وعسكر به، فأصابهم مطر كثير، فذهب رسول الله لحاجته، فأصابه ذلك المطر فبلل ثوبه، فجعل رسول الله وادي ذي أمر بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها، والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله ﷺ.

ثم عاد عليه الصلاة والسلام إلى يثرب، بعد أن أقام هناك شهر صفر كله، إرهاباً لهم. ^(٢) ولم تمض سوى أيام حبتى خرج إلى بني سليم، الطرف الثاني في حلف (غطفان/سليم)، في غزوة ثالثة، حتى بلغ (بحران) وليقيم هناك شهر ربيع الآخر وشهر جمادى الأولى، يستعرض قوة المسلمين وينشر هيبته، دون أن يتجرأ عليه أحد، ثم عاد إلى يثرب ^(٣) (المدينة).

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر، سبق ذكره، ج ١، ص ٣٠٤-٣٥٥.

(٢) البيهقي: سبق ذكره، ج ٣، ص ١٦٧-١٦٨.

(٣) البيهقي، دلائل النبوة ج ٣ / ١٦٨.

الاسلوب الرابع :

●● اسلوب مواجهة الدعوة لخصومها في احد:

سبق أن تناولنا اسلوب المشركين في غزوة أحد بتفصيل دقيق وتوسع مقصود، وذلك لإلقاء الضوء على حجم خصومة وكراهية المشركين للدعوة الإسلامية وكل ما تمثله، لكن الوقوف على اسلوب مواجهة الدعوة للمشركين في غزوة أحد تحتتم الإشارة إلى الأجواء والملابسات والممارسات التي أحاطت بمجتمع المؤمنين في المدينة إبان تحرك حشود جيش قريش في اتجاه المدينة وذلك للوقوف على اسلوب المواجهة الذي قام به المسلمون بقيادة النبي ﷺ :

وفي ضوء ذلك نقف على ما يرويه ابن كثير، وهو يؤرخ لكيفية بداية حرب أحد بين المشركين والمسلمين فيقول:

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع فلهم إلى مكة.. مشى.. رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان ومن كانت له من تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يامعشر قريش ، إن محمداً قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربهم، لعلنا ندرك منه ثأراً، ففعلوا ، قال ابن إسحق: ففيهم.. أنزل الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٦) ﴿^(١)

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها، ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظعن (النساء) التماس الحفيظة، وألا يفروا.^(٢)

(١) : سورة الأنفال . الآية ٣٦

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، سبق ذكره، ج ٣، ص ١١ . ١٢

ويستكمل (برهان الدين الحلبي) في سيرته فيقول: «ويبلغ رسول الله ﷺ ذلك، أرسل به إليه عمه العباس، بعد أن راودوه على الخروج معهم، فاعتذر بما لحقه من القوم يوم بدر، ولم يساعدهم بشيء وذلك في كتاب جاء إليه ﷺ، وهو بقاء، أرسله العباس مع رجل استأجره من بني غفار، وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها، ففعل... ويقال: أن عمرو بن سالم الخزاعي مع نفر من خزاعة، فارقوا قرشاً من ذي طور، وجاءوا النبي ﷺ وأخبروه خبرهم، وانصرفوا.»^(١)

وعليه، فقد بلغت أخبار مسير قرش رسول الله ﷺ برسالة عاجلة من عمه العباس، الذي كان عيناً له مع بعض بني هاشم على قرش، إضافة إلى هوى خزاعة مع النبي، التي كانت عضواً بقبائل الإيلاف، وظلت على إيلافها مع قرش لتتسقط أخبار قرش للنبي، وهو ما يفصح به (عبد الله بن أبي بكر)^(٢) في قوله: «كانت خزاعة مسلمهم ومشرکہم عيبة رسول الله، أي موضع سره وعيونه على قرش، وبخاصة (معبد الخزاعي) الذي لم يكن مؤمناً بدعوة الإسلام، فيما تخبرنا به صدور كتب الأخبار.»^(٣)

ولما بلغت الأنبياء رسول الله والمسلمين، فرح المسلمون، ورأى من لم يخرج منهم إلى بدر فلم يصب مغنماً، أن له نفلأ في وقعة قريبة، فيروي (ابن هشام)، فقال رجال من المسلمين من كان فاته بدر: يارسول الله: اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون إنا جبننا عنهم وضعفنا.^(٤) هذا بينما كان (عبد الله بن أبي بن سلول) زعيم المنافقين، يرى غير ذلك، وكان ذلك الرأي يجد هوى عند معظم الأنصار فقد قال بعضهم:

(١) الحلبي: السيرة، سبق ذكره، ج ٢، ص ٤٨٩ و ٤٩٠.

(٢) هو عبد الله بن أبي بكر الصديق. صحابي بن صحابي، أسلم قديماً، وكان يأتي أباه أبا بكر وهو مع رسول الله ﷺ في الغار بالطعام وأخبار قرش كل ليلة، فكان يبيت عند رسول الله ﷺ في الغار وهو شاب. فيخرج عند السحر فيصبح في قرش شهد الطائف مع رسول الله ﷺ فأصابه سهم فاندمل جرحه ثم انتقص فمات به أول خلافة أبيه. انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج ١ / ص ٢٢٨ وابن حجر الاصابة في تمييز الصحابة ج ٦ / ص ٢٦-٢٧ رقم ٤٥٥٩.

(٣) الطبري: التاريخ، سبق ذكره، ج ٢، ص ٥٣٥.

(٤) السهيلي: الروض الأثف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، سبق ذكره، ج ٣، ص ١٤٩.

يارسول الله ؛ ما غلبنا أحد أتانا في دارنا.. فكيف وأنت فيها؟^(١)
ومع ذلك ، ظل الراغبون من المتحفزين للنفل، أو للقاء الله على حميتهم للخروج
إلى قريش، وظلوا بالنبي يحفزونه حتى قام فلبس لباس الحرب، فوضع البيضة على
رأسه وتدرع بدرعين، وكان ذلك يوم الجمعة من شوال، من السنة الثالثة للهجرة.
وخرج المسلمون، ولكن عند مشارف المدينة، لا أكثر من ميل منها، قرر (ابن
أبي) العودة باتباعه وهو سيد الخزرج، فناداهم بقوله:
ارجعوا أيها الناس، عصاني وأطاع الولدان، وما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا
أيها الناس؟^(٢).

ومن الجدير ذكره، أنه أمام الحشد الذي عبأته مكة لمعركتها مع النبي ﷺ
والمؤمنين به، أن كان أسلوب مواجهته العسكرية لهذا العدوان المسلح مرتكزا على خطة
حماية رجاله السيافة، بالرجال النبالة، فأنزل الرماة في مواقع تواجه خيل العدو، وأمر
عليهم نبالاً مشهوداً له، هو (عبد الله بن جبير)، وأمرهم بعدم ترك مواقعهم حتى يأتيهم
منه الأمر بذلك، مهما حدث، فقط كان مطلبه منهم الذي أكده لهم «أكفوني الخيل»^(٣)
أما قريش فكانت البادئة بتسخين أحد، فخرج طلحة بن أبي طلحة، وأبو طلحة والده
اسمه عبد الله بن عثمان بن عبد الدار.. وطلب طلحة المبارزة مراراً، فلم يخرج إليه أحد،
فقال: «يا أصحاب محمد؛ زعمتم أن قتلاكم في الجنة، وأن قتلاتنا في النار.. فهل أحد
منكم يعجلني بسيفه إلى النار، أو أعجله بسيفي إلى الجنة؟
فلما لم يخرج إليه أحد، من بين المسلمين، نادى يقول:
كذبتهم واللات والعزى، لو تعلمون ذلك حقاً، لخرج إلى بعضكم.

(١) الخليلي: سبق ذكره، مج ٢، ص ٤٩١.

(٢) السهيلي: سبق ذكره، ج ٣، ص ١٤٩.

(٣) : البيهقي: «دلائل النبوة» ج ٢/٣٠٩.

فخرج إليه علي بن أبي طالب .. فالتقيا بين الصفين، فبدره علي فصرعه، أي قطع رجله ووقع على الأرض وبدت عورته، فقال : يا ابن عم، أنشدك الله والرحم، فرجع عنه ولم يجهز عليه.. فقال له رسول الله ﷺ: ما منعك أن تجهز عليه؟ فقال: ناشدني الله والرحم، فقال : اقتله، اقتله.^(١)

وهكذا، بدأ تردد المسلمين واضحاً لأهل مكة، فخرج رجل ثان من صفوف المشركين يدعو للمبارزة، فأحجم عن الناس حتى دعا ثلاثاً، فقام إليه الزبير بن العوام، فوثب حتى استوى معه على البعير، فعانقه، فاقتتلا فوق البعير، فقال رسول الله ﷺ : الذي يلي حضيض الأرض مقتول، فوقع المشرك فوق عليه الزبير، فذبحه.^(٢)

وارتفعت معنويات المسلمين بهذين القتيلين، وخرج عبد الرحمن بن أبي بكر من صفوف المشركين، فقال: من يبارز؟ فنهض إليه أبوه أبو بكر شاهراً سيفه، فقال له رسول الله ﷺ : شم سيفك، وارجع إلى مكانك، ومتعنا نفسك^(٣). أما أبو دجانة (سماك بن خرشة) الأنصاري، ذو الخبرة الحربية، والشجاعة المتفردة بين أقرانه، فقد نهض يتناول من يد رسول الله سيفاً، ورجل مثل أبي دجانة إن قام للقتال، كان ذلك تحفيزاً لنفوس من يعرفون قدره، ويقول ابن هشام في أمر أبي دجانة:

«وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذ كانت، وكان إذا أعلم بعصاة حمراء فاعتصب بها، علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من رسول الله ﷺ، أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصفوف، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصاة الموت، فقال رسول الله حين رأى أبا دجانة يتبختر: إنها لمشية يبغضها الله، إلا في مثل هذا الموطن.^(٤)»

(١) : الحلبي ، السيرة، ج٢/٤٩٧.

(٢) المصدر السابق صفحة ٤٩٩.

(٣) : المصدر السابق نفس الموضع صفحة ٤٩٩.

(٤) : السهيلي، مصدر سابق ج٣/١٥٠-١٥١.

ثم بدأت الوقعة فعلياً عندما هتف النبي ﷺ برجاله: أمت، أمت، وبدأت وقعة أحد بداية متميزة، فقد صرع المسلمون أصحاب اللواء من بيت عبد الدار، ثم انتشر النبي وأصحابه، وصاروا كتائب متفرقة، فجاسوا في العدو ضرباً حتى أجهضوهم عن أثقالهم، وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات، كل ذلك تنضح بالنبل فتراجع مغلولة، وحمل المسلمون عليهم فنهكوهم قتلاً^(١).

ولاحت بوادى النصر، وتقهقر المشركون وهم يلقون بدروعهم وجحفهم وتروسهم، تخففاً للهرب^(٢).

بينما يصف (عبد الله بن الزبير) الموقف بقوله:

والله لقد رأيتني أنظر إلى هند بنت عتبة وصواحباتها، مشمرات هاربات، ما دون
أخذهن قليل ولا كثير^(٣).
بينما يقول آخر:

والله لقد رأيت النساء يشتددن على الجبل، قد بدت خلاخيلهن وسوقهن، رفاعات
ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير - الرماة - الغنيمة، الغنيمة^(٤).
وهكذا نزل الرماة وراء الغنيمة، وهو ما يصوره أحدهم: «والله ما مجلس هنا
لشيء، قد أهلك الله العدو، فتركوا منازلهم التي عهد إليهم النبي ألا يتركوها^(٥)،
ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير، فقالوا له: انهزم المشركون فما مقامنا ها هنا؟ وانطلقوا
ينتهبون وثبت عبد الله بن جبير، وثبت معه دون العشرة^(٦)».

ولما ترك الرماة مواقعهم، بينما كانت ميمنة (خالد بن الوليد) في مكانها لا
تتزعزع، كذلك ميسرة (عكرمة بن أبي جهل)، ظلت ثابتة دون حراك، أطبقت الأجنحة
على الوسط، وثبت القلب المتقهقر ليعاود الهجوم، في هجمة مرتدة سريعة، ثم ثنى

(١) : البيهقي، مصدر سابق ج٣/٣٠٩.

(٢) : الحلبي: مصدر سابق، ج٣/٥٠٢.

(٣) : ابن كثير: سبق ذكره، ج٤، ص ٢٣.

(٤) : البيهقي، مصدر سابق ج٣/٢٢٩.

(٥) : نفسه: ص ٢١٠.

(٦) : الحلبي: سبق ذكره، مج ٢، ص ٥٠٢.

(خالد) و (عكرمة) على الرماة، فحملوا على من بقي منهم فقتلوه مع أميرهم ابن جبير.

وأحاطوا بالمسلمين، فبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والسلب، إذ دخلت خيول المشركين تنادي فرسانها بشعارها: ياللعزى، يالهبيل، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون.. واختلط المسلمون، وصار يضرب بعضهم بعضاً من غير شعار، وهو أمت، أمت، مما أصابهم من الدهش والحيرة.^(١)

أما الأخطر من نسيان المسلمين لشعارهم، نتيجة الدهشة والذهول، وقتلهم بعضهم بعضاً، هو تمكن المشركين من الانغراس في العمق إلى نهايته، والوصول إلى موقع رسول الله ﷺ، لتأخذ منه ثأرها، وتنال منه فيخمد الجسد الإسلامي ويستسلم، وهو ما خرجت من أجله، لإيقاف نهر الدم، وإنقاذ ما بقي من مصالحها، بقتل النبي ﷺ بالذات وبالتحديد.

وعندما وصل المشركون إلى رسول الله ﷺ صار ينادي:
إليّ يافلان، إليّ يافلان، أنا رسول الله، فما يعرج إليه أحد، والنبل يأتي إليه من كل ناحية.^(٢)

ويروي (الطبري) إنه عند الهجوم على النبي، كان أصحابه في حالة تفرق، فهرب بعضهم وعاد إلى المدينة لا يلوى على شيء بينما صعد البعض الآخر إلى صخرة فوق الجبل، بينما استمر النبي ينادي :
إليّ عباد الله، إليّ عباد الله.^(٣)

وتصف كتب السير أبا طلحة بأنه «كان رجلاً رامياً شديد الرمي، فنثر نبله، وأخذ يرمي والرسول يجلس خلفه محتتماً به^(٤)، وظل (أبو طلحة) يرمي دفاعاً عن النبي يومذاك، ويترس دونه، حتى كسر ثلاثة أقواس، وكان المسلم يفر هارباً فيمر عليهما

(١) نفسه، ص ٥٠٢، ٥٠٣.

(٢) المصدر السابق صفحة ٥٠٥.

(٣) الطبري، مصدر سابق، ج٢/١٩٩-٥٢٠.

(٤) الحلبي: سبق ذكره، مج ٢، ص ٥٠٥.

فيناديه رسول الله ﷺ : انثر نبلك لأبي طلحة. (١) ، حتى وتره رام أصاب يده في أوتارها فشلت من فورها فصرخ متألماً: حس، فقال له النبي، لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون إليك، حتى تلج بك في جو السماء. (٢)

وفي كرة رابعة، عادت موجة مهاجمة إلى المكان الذي فيه رسول الله ﷺ، بينما كان النبي قد تقهقر من مكانه مصعداً في الشعب، وخرج لهم (مصعب بن عمير) دون رسول الله، فوجد (ابن قمئة) مصعباً في دروعه وخوذته في مكان رسول الله، فشد عليه شدة قتله بها، وهو يظن أنه محمد، ثم أكمل دورة فرسه نحو المشركين وهو يصيح مهلاً: قتلت محمداً، في اللحظة التي كان فيها الرسول يتابع صعوده في شعب الجبل متحاملاً على طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، الذي هرع إلى طلحة يساعده في حمل رسول الله. (٣)

وإذ يقول المحافظ ابن كثير، أن صيحة ابن قمئة: قتلت محمداً، قد أدت إلى بهتة عظيمة بين المسلمين (٤)، فإنها على الفور أوقفت يد القتل المكبة عن استمرار القتال والقتال، فهذا ما جاءوا من أجله، وقد تحقق، ولم تعد ثمة ضرورة لاستمرار القتال، وبالفعل هدأ الميدان تماماً بعد صيحة ابن قمئة.

وعليه، فإن تلك الصرخة التي أطلقها (ابن قمئة)، كانت سبباً في تراخي أيدي قريش عن القتال، بينما النبي وطلحة والزبير يتسللون متخفين في الشعب، يريدون صخرة عالية، تصادف أنها كانت الصخرة التي فر إليها بعض المسلمين الفارين، ولجأوا إليها لمنعتها.

ويعد أن امتنع المسلمون الذين بقوا مع نبيهم على الصخرة المنبعة- التي ما كان لأحد أن يصعد عليها الا وصاب، برماح وسهام الممتنعين فوقها- ومعهم سيوفهم، لا مجال لأخذهم، تقدم أبو سفيان حتى اقترب من سفح الصخرة ثم نادى: «أفي القوم

(١) نفسه : ص ٢٣٩.

(٢) ابن كثير: سبق ذكره، ج ٤، ص ٢٧، ٢٨.

(٣) السهيلي: سبق ذكره، مج ٣، ص ٢٥٣، انظر أيضاً البيهقي: ج ٣، ص ٢٣٨.

(٤) البيهقي: سبق ذكره، ج ٣، ص ٢١١.

محمد؟ أفي القوم محمد؟ ثلاثاً، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه»، وهكذا كانت حصافة القائد قلمي على رجاله رغم الامتناع فوق الصخرة، أن يتركوا قريشاً تتوهم قتله، حتى لا يحاولوا الكر عليهم مرة أخرى. لكن (أبو سفيان) استمر ينادي «أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك. (١) . فكان ان رد عليه أبو سفيان ومن معه ينادون شامتين متوعدتين:

يوماً بيوم بدر، إن موعدكم بدر للعام القابل.

«فقال رسول الله لرجل من أصحابه: قل : نعم هو بيننا وبينكم موعد... ثم بعث رسول الله علي بن أبي طالب قال: أخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده، لئن أرادوها، لأسيرن إليهم فيها، ثم لأنجزهم، قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون؟ فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة. (٢)»

لكن الذي يلفت نظر الباحث هو أنه بالرغم من حجم التضحية البالغ الذي قدمه المسلمون في مواجهتهم لعدوان المشركين في أحد، هو سرعة التحرك والمواجهة الفعالة التي قادها النبي ﷺ في الأيام بل في الساعات التي أعقبت واقعة أحد. ذلك أنه لما كان الغد يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، أذن مؤذن الرسول في الناس بطلب العدو... أنه لا يخرج معنا أحد، إلا أحد حضر يومنا بالأمس.

(١) ابن كثير: «البدية والنهاية» ج٤/٣٧.

(٢) السهيلي: سبق ذكره، مج ٣، ص ١٧٠، ١٧١.

ثم يعقب ابن هشام بالقول ويقول : « وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم. ^(١) »
وعليه ، فإن قریشاً لم تستمتع بنشوة نصرها سوى ليلة واحدة، أو بضع منها،
وخاب فآلها في هيبتها، وسقطت آمالها في تأمين طريق الإيلاف، لم تمض شوطاً عن
المدينة، حتى خرج المسلمون وهم بعد جرحى، بزعامة قائدهم المقتدر، رغم ما أثقل جسده
الشريف من آلام وجراح، إلى حمراء الأسد، ليوهم قریشاً أنه خرج لها مطارداً، وأن
المسلمين لم يهنوا أو يتخاذلوا ليسلبهم لذة نصر الأمس، ونشوة عزهم الكاذب، وليثبت
لهم أن ما حدث بأحد، كان أمراً اعتراضياً في مشوار طويل سيطول مداه، وأن النبي لن
يتراجع عما انتواه، وبالفعل خرج المسلمون إلى حمراء الأسد طاعة لنبئهم رغم جراحهم،
فمنهم من كان به تسع جراحات، وهو أسيد بن حضير رضي الله عنه، وعقبة بن عامر
رضي الله عنه، ومنه من كان به عشر جراحات وهو خراش بن الصمة رضي الله عنهم ^(٢) ،
ومنهم من كان به بضع عشرة جراحة، وهو كعب بن مالك رضي الله عنه، ومنهم من كان
به بضع وسبعون جراحة، وهو طلحة بن عبيد الله.. وخرج رسول الله ﷺ وهو مجروح في
وجهه من أثر الحلقتين، ومشجوج في وجهه، ومكسورة رباعتيه، وشفته السفلى قد
جرحت من باطنها، وشفته العليا قد كلمت من باطنها، متوهن منكبه لضربة ابن قمئة
لعنه الله ، وركبتاه مجروحتان من وقعته في الحفيرة. ^(٣)

(١) السهيلي: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، سق ذكره، مج ٣، ص ١٧٣.

(٢) هو خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري
السلمي، شهد بدرأ وأحداً وجرح يوم أحد عشر جراحات (ويقال لخراش بن الصمة قائد الفرسان) وكان من
الرماة المذكورين، انظر : الإستيعاب في معرفة الأصحاب ج٢ / ص ٢٧.

(٣) الحلبي: سبق ذكره، مج ٢، ص ٥٥١-٥٥٢.

كانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله ﷺ بتهمته، صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها، ومعبد بن أبي معبد الخزاعي^(١) يومئذ مشرك، مر برسول الله ﷺ وهو مقيم بحمراء الأسد، فقال: يا محمد؛ أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج من عند رسول الله بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله وأصحابه، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحق عليكم ما لم أر مثله قط، قال: وملك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترجل حتى ترى نواصي الخيل.. فقال النبي وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة، والذي نفسي بيده، لقد سومت لهم حجارة، لو صبحوا لها لكانوا كأمس الذاهب.^(٢)

وعليه شدت قريش في طريق العودة سراعاً نحو مكة، وهي تظن يشرب بجمعها قد خرجت وراءها تطلبها، بينما كان النبي ﷺ في طريق عودته من حمراء الأسد إلى يشرب، بعد أن حقق غرض الإرهاب لقريش^(٣).

(١) : هو معبد بن أبي معبد ، هو الذي رد أبا سفيان عن انصرافه يوم أحد وكان يومئذ مشركاً، وقال: أيا محمد،

أما والله لقد عز علينا من أصابك في أصحابك، انظر الاستيعاب في معرفة الاصحاب ج٣ / ٤٨١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، سبق ذكره، ج٤، ص٥٠٠-٥٢.

(٣) ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤ / ٥٠-٥٢.

الاسلوب الخامس :

●● مواجهة أساليب المشركين في يوم الأحزاب :

لعله من نافلة القول أن نشير الى المقدمات والممارسات التي تلازمت مع حوادث ووقائع التجمع الشركي في اتجاه المدينة للقضاء التام على الاسلام والمسلمين في يوم الأحزاب لكي تقف على حجم وطبيعة مواجهة الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين للمشركين في غزوة الخندق. الأحزاب.

فقد خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة، وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف ، ووافاهم بنو سليم بمر الظهران، وخرجت من المشرق قبائل غطفان.. واتجهت هذه الأحزاب وتحركت نحو المدينة على ميعاد كانت قد تعاقدت عليه، وبعد أيام تجمع حول المدينة جيش عرمرم يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل. جيش ربما يزيد عدده عن جميع من في المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيخوخ. ولو بلغت هذه الأحزاب المحزنة والجنود المجندة إلى أسوار المدينة بغتة لكانت أعظم خطر على كيان المسلمين مما يقاس، ربما تبلغ استئصال الشأفة وإبادة الحضرة. وسارع رسول الله ﷺ إلى دراسة الموقف ، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى اتفقوا على قرار قدمه الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه^(١). قال سلمان : يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا. وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك. وأسرع رسول الله ﷺ إلى تنفيذ هذه الخطة، فوكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعاً.^(٢)

(١) : هو أبو عبد الله سلمان الفارسي، أصله من مجوس أصبهان، قرأ كتب الفرس والروم ورحل إلى الشام فالوصل، وقصد بلاد العرب فلقبه ركب من بني كليب فاستخدموه وباعوه فاشتراه رجل من بني قريظة فجاء به إلى المدينة وأسلم حين مقدم النبي ﷺ إليها وكان أول مشاهدته الخندق التي دل المسلمين على حفرها في غزوة الأحزاب صحب النبي ﷺ وخدمه. وحدث عنه أحاديث أخرج له البخاري منها أربعة ومسلم ثلاثة وفي مسند بقي ستون حديثاً، وكان نبيلاً حازماً. لبيباً عاقلاً عابداً. توفي في المدائن آخر خلافته عثمان وهو أمير عليها سنة ٣٥هـ وقيل ٣٦هـ. انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ٤/٧٥-٨٢ والحاكم المستدرک ٣/٥٥٩.

(٢) : الطبري «تاريخ» ج٢/٥٦٦

وأخذ المشركون يدورون حول الخندق غضاباً يتحسسون نقطة ضعيفة، لينحدروا منها، وأخذ المسلمون يتطلعون إلى جولات المشركين، يرشقونهم بالنبل حتى لا يجرئوا على الاقتراب منه، ولا يستطيعوا أن يقتحموه أو يهيلوا عليه التراب ليبنوا به طريقاً يمكنهم من العبور. وقد حاول المشركون في بعض الأيام محاولة بليغة لاقتحام الخندق، أو لبناء الطريق فيها، ولكن المسلمين كافحوا مكافحة مجيدة، ورشقوهم بالنبل وناضلوهم أشد النضال حتى فشل المشركون في محاولتهم.

ومن هنا يؤخذ أن محاولة العبور من المشركين، والمكافحة المتواصلة من المسلمين دامت أياماً، إلا أن الخندق لما كان حائلاً بين الجيشين لم يجر بينهما قتال مباشر وحرب دامية بل اقتصر على المراماة والمناضلة.. وبينما كان المسلمون يواجهون هذه الشدائد على جبهة المعركة كانت أفاعى الدس والتآمر تتقلب في جحورها تريد إيصال السم داخل أجسادهم. انطلق كبير مجرمي بني النضير إلى ديار بني قريظة فأتي كعب بن أسد القرظي - سيد بني قريظة، وصاحب عقدهم وعهدهم.. فلم يزل حبي بكعب .. حتى نقض كعب بن أسد عهده وبريء مما كان بينه وبين المسلمين، ودخل مع المشركين في المحاربة ضد المسلمين.. وقد كان أخرج موقف يقفه المسلمون فلم يكن يحول بينهم وبين قريظة شيء يمنعهم من ضربهم من الخلف. بينما كان أمامهم جيش عرمرم لم يكونوا يستطيعون الانصراف عنه، وكانت ذرايعهم ونسائهم بمقربة من هؤلاء الغادرين في غير منعة وحفظ، وصاروا كما يقول الله تعالى: ﴿... وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُّونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

وكانت غزوة الخندق سنة خمس من الهجرة في شوال وأقام المشركون محاصرين رسول الله ﷺ والمسلمين شهراً أو نحو شهر^(١) إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر، بل كانت معركة أعصاب، لم يجر فيها قتال مرير إلا أنها كانت من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام تمضخت عن تخاذل المشركين، وأفادت أن أية قوة من قوات المشركين لا

(١) : سورة الأحزاب الآية ١٠-١١

(٢) : ابن هشام «السيرة النبوية» في كتاب «السهيلي» مصدر سابق ج٣/٢٥٨-٢٥٩.

تستطيع استئصال القوة الصغيرة التي تنمو في المدينة لأن العرب لم تكن تستطيع أن تأتي بجمع أقوى مما أتت به في الأحزاب، ولذلك قال رسول الله ﷺ حين أجلى الله الأحزاب؛ والآن نغزوهم ولا يفزونا، نحن نسير إليهم.^(١)

تجمع هذه الأحداث التي استمرت سنتين متتاليتين خطوط عريضة تمثل طبيعة هذه المرحلة، وتوضح جوها العام.

الخط الأول: السمعة الضخمة التي ارتفعت للمسلمين بعد بدر. وكيف استطاع ثلاثمائة مقاتل أن ينتصروا على ألف مدججين بالسلاح، كما أعقب بدرًا النصر على بني قنيقاع.

الخط الثاني: فلو نظرنا في كل تحركات المسلمين العسكرية، خلال هذه المرحلة لوجدناها تعتمد الهجوم كأقوى وسيلة من وسائل الدفاع. وهو هجوم مركز مدروس مخطط له مهمته أن يضرب العدو قبل أن يتحرك نحوه، ولم يكن خط فتح الجبهات كلها أو ضرب عدو هاديء هو المحرك لهذه العمليات. إنما كان الهدف منها إحباط التجمعات المضادة للإسلام، والتي تعد لغزوه. والمسلمون يحسبون في كل يوم حساباً جديداً يمكن أن ينقض عليهم من الشمال أو الجنوب أو الشرق.

الخط الثالث: لم يكن هدف الدعوة لينسى أبداً على الطريق، إنه دائماً الهدف الأول، وفي الوقت الذي رأى فيه رسول الله ﷺ فرصة سانحة لهذه الدعوة أن تنتشر لم يتوان أبداً عن بث الدعوة لذلك.

ونظرة على ما أحاط بتجمع الأحزاب من بواعث ودوافع، نجد أن هذا التجمع كان رد فعل للخطوات السريعة التي اتخذها رسول الله ﷺ من أجل تطهير المدينة وخلصها للمسلمين رغب من خلالها تصفية كثير من المعارضين من المنافقين والمشركين واليهود، وقبلها كان قد تم طرد يهود قنيقاع، ومن بعد أحد تم الخطوات المتسارعة لتطهير المدينة، بطرد بني النضير، وسيدهم حبي بن أخطب ذلك الداهية، الذي ما خرج من يثرب

(١) : انظر تفصيل قوله ﷺ في صحيح البخاري ٥٩١/٢.

إلى خيبر، حتى أخذ سادة النضير وأشرفهم، سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وانحدر بهم إلى مكة، ليدرك ثأره من محمد ﷺ.^(١)

وكانت سرايا المسلمين وغزوات النبي، قد أرهقت قريشاً وقطعت سبيلهم إلى الشام، ووصل الأمر بقريش إلى الجبن عن ملاقاته محمد على ماء بدر في بدر الآخرة، رغم أن أبا سفيان صاحب اللواء القرشي، كان صاحب الموعد التهديدي في أحد، ومن ثم استجابت قريش من فورها لسعاية يهود نضير، الذين أخذوا على عاتقهم إقامة حلف عظيم بين العرب مع قريش، لضرب العصبة المؤمنة في يثرب، ضربة قاتلة ونهائية.

وإذا كانت دية بني عامر أسفرت عن طرد يهود النضير، فإنها أفرزت أيضاً أول جمع عظيم لجند قريش، مع أحابيشها المتحمسين في الدين، المعظمين للكعبة والأشهر الحرم، وكانوا يرون محمداً قد خرق تلك التحريمات فجازت عليه الحرب، ثم فرسان كنانة وأهل تهامة وأشائوس غطفان وأشداء نجد، وكان هؤلاء بدورهم قد وتروا في زعامتهم المغدورة، ولم ينس الغطفانيون من بني فزارة، مقتلة عقيلتهم الشريفة أم قرفة، التي مزقتها زيد بن حارثة في غزوة مفاجئة أخذتهم على غرة. لكن غطفان لم تكن ذات مصلحة مباشرة مادية في تلك الحرب الشاملة، ولأن اليهود قد أدركوا ذلك، فقد تعاقدوا مع الطماع الأحمق المطاع: عبيدة بن حصن الفزاري على اتفاق يحصل بموجبه عبيدة على تمر خيبر لمدة عام كامل، فوافق من فوره.^(٢)

وتحرك الجيش العظيم، الذي يربو على عشرة آلاف من المقاتلين الأشداء بين فيافي الحجاز ميمما شطر يثرب، ليكون أول جيش يجمعه العرب بهذا الحجم تعرفه جزيرة العرب تحت قيادة واحدة، وتحت رايات قريش، لينزل الجمع الهائل بمجمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة، قرب جبل أحد، مركز العدوان الأول لقريش، ولم تكن المعركة هذه المرة بغرض الانتقام فقط، إنما بغرض التصفية النهائية، وهو الأمر الذي بلغ يثرب

(١) : انظر : ابن هشام «السيرة في كتاب السهيلي» مصدر سابق ج٢/٢٥٧.

(٢) الهلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩، ج١، ص ٣٤٣.

الاحزاب على رسول الله ﷺ حتى قدموا على قريش مكة، فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ . وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله.. ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان، فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق : فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف.. في بني مرة، ومسعر بن خزيمة فيمن تابعه من قومه من أشجع .^(١)

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجمع الأسياال من رومة، بين الجرف وذي غابة، في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذي نقي إلى جانب أحد^(٢)، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب عسكره هنالك، والخندق بينه وبين القوم.. حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا:

والله! إن هذه لمكيدة

ما كانت لتكيدها العرب.^(٣)

(١) ابن هشام : السيرة في كتاب السهيلي.. سبق ذكره ج ٢، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) ابن كثير: «البداية والنهاية».. سبق ذكره، ج ٤، ص ٩٨.

(٣) ابن هشام: السيرة في كتاب السهيلي.. سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٦١، ٢٦٣.

ومع الحصار ، واشتداد الأزمة، جاءهم نصر الله حين بعثت عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم.. ثم قال أبو سفيان: يامعشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام.. أخلفتنا قريظة.. ولقينا من شدة الريح ما ترون.. فارتحلوا فإني مرتحل. فانشمروا راجعين إلى بلادهم^(١).

وهو الأمر الذي جاء تأكيده وحيا يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (٩) ﴿^(٢).

وهي الجنود الملائكية التي لم تحارب أبداً في الخندق، وهو ما جاء مشروحاً عن مجاهد: وجنود لم تروها يعني الملائكة، ولم تقاتل الملائكة يومئذ. ^(٣) وهو ما يعني أن الملائكة كانت وراء تلك الريح الصرصر العاتية، وأنها أخذت تعيث بالمهاجمين وتقلع خيامهم وتكفأ قدورهم وتطفىء نارهم. وهكذا أعان الله نبيه على مواجهة جيوش الأحزاب وبيات بالخسران.

(١) ابن هشام: السيرة في كتاب السبيلي.. سبق ذكره، ج٣، ص٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) : سورة الأحزاب الآية ٩.

(٣) البيهقي: دلائل.. سبق ذكره، ج٣، ص٤٤٨.

الفصل الثاني

مواجهة أساليب اليهود

المبحث الأول :

مواجهة أساليب اليهود القولية

المبحث الثاني :

مواجهة أساليب اليهود العملية

الفصل الثاني مواجهة أساليب اليهود في العهد المدني المبحث الأول مواجهة أساليب اليهود القولية

الاسلوب الاول :

●● دعوتهم إلى الإسلام :

ويتمثل هذا الأسلوب الذي واجهت به الدعوة الإسلامية أساليب اليهود القولية بتذكيرهم بما تبقى في كتابهم «التوراة» من الحق الذي يبشر بالنبى الخاتم محمد ﷺ ، ومن هنا كان ﷺ حين قدم المدينة، لا يفتر عن دعوة اليهود للإسلام، وكان ﷺ يلح عليهم في قبول دعوة الاسلام ويحذرهم نقمة الله وعذابه، وأنه رسول من قبله إلى الثقلين الإنس والجن، وكانوا إذا دعاهم وحذرهم يقولون: ما نخوفنا، يا محمد ، نحن أبناءُ الله وأحباؤه، كقول النصارى، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ... ﴾ [المائدة: ١٨] (١).

كما أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقومون بدعوة اليهود إلى الإسلام وإلى اتباع محمد ﷺ وترك اليهودية المحرفة، حيث ذهب معاذ بن جبل وسعد بن عباد وعقبة بن وهب - رضي الله عنهم - مرة لليهود، وقالوا لهم: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته، فقال بعضهم: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم (٢) : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٦) [المائدة: ١٩] (٣).

(١) سورة المائدة، جزء من الآية رقم ١٨.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٠٥/٤.

(٣) سورة المائدة الآية رقم ١٩.

الاسلوب الثاني :

●● اسلوب الصبر وضبط النفس :

من الطبيعي أن يلاقي أهل الدعوة بعض المصائب وألواناً من الأذى، فهذه سنة من سنن الله في الحياة ، فالذي يعترض الناس ويحول بينهم وبين شهواتهم وأهوائهم يكون عرضاً لسبهم وشتيمهم ومرمىً لضربهم وايدائهم، لذا كان من الأساليب التي قام القرآن بوضعها للأمة الإسلامية كي تواجه بها أعدائها: أسلوب الصبر وضبط النفس، يقول تعالى: ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦] .^(١)

حيث ورد سبب نزولها: أن النبي ﷺ بعث أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى فنحاص اليهودي يستمده، وكتب إليه بكتاب ، وقال لأبي بكر: - « لا تفتاتن عليّ بشيء حتى ترجع ». فجاء أبو بكر وهو متوشح السيف، فأعطاه الكتاب، فلما قرأه قال: - « قد احتاج ريكم أن تمده » فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف، ثم ذكر قول النبي ﷺ: « لا تفتاتن عليّ بشيء حتى ترجع » فكفّ وصبر..^(٢)

الاسلوب الثالث:

●● اسلوب رد الشبهات التي يثيرونها:

كان أهل الكتاب يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويثيرون عليهم الشبهات في أي أمر يرون أن لهم مدخل فيه لكي يشككوا المسلمين بدينهم ويصدوا غيرهم عنه، ولهذا الأسلوب والرد عليه أمثلة عدة نذكر منها:

(١) فقد روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه: « أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٨٦.

(٢) انظر الطبري ، جامع البيان، ٣/٥٤١، ٥٤٢.

البيت وإنه صلى - أو صلاها - صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون قال:- أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت. وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله: ﴿... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)﴾ [البقرة: ١٤٣].^(١)

حيث ذكر ابن حجر - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث قال: إن اليهود قالوا: خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبياً لما خالف ، فلما كثرت الأقاويل من هؤلاء السفهاء أنزلت هذه الآيات من قوله تعالى: ﴿... مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا (١٠٦)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي (١٥٠)﴾ الآيات.^(٢)

وذكر الطبري - رحمه الله - في تفسيره:- عند تفسير قوله تعالى: ﴿... سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ...﴾ [البقرة: ١٤٢] قوله: فأعلم الله جل ثناؤه نبيه ﷺ، ما اليهود والمنافقون قائلون من القول عند تحويل قبلته وقبله أصحابه عن الشام إلى المسجد الحرام، وعلمه ما ينبغي أن يكون من رده عليهم من الجواب، فقال له:- إذا قالوا ذلك لك يا محمد، فقل لهم: ﴿... لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)﴾ [البقرة: ١٤٢].^(٣)

(٢) يقول تعالى: ﴿... وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...﴾ [المائدة: ٦٤].^(٤)

فيخبر تعالى عن اليهود، بأنهم وصفوه - تعالى عن قولهم علواً كبيراً- بأنه بخيل، كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء، وعبروا عن البخل بأن قالوا: «يد الله مغلولة» أي بخيلة.

(١) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب سيقول السفهاء، رقم ٤٤٨٦.

(٣) سورة البقرة، الآيات من ١٠٦-١٥٠.

(٤) انظر ابن حجر، الفتح، ٢١٧/٨.

(٥) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٤٢.

(٦) انظر الطبري، جامع البيان، ٤/٢.

(٧) سورة المائدة، جزء من الآية رقم ٦٤.

وقد ردَّ الله عز وجل عليهم ما قالوه، وقابلهم فيما اختلفوه وافتروه وائتفكوه ، فقال: ﴿ .. غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا .. ﴾ (٦٤) ﴿ [المائدة: ٦٤] وهكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم.

ثم قال تعالى: ﴿ .. بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ .. ﴾ (٦٤) ﴿ [المائدة: ٦٤] أي: بل هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه، وهو الذي ما يخلق من نعمة فمنه وحده لا شريك له، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه، في ليلنا ونهارنا، وحضرنا وسفرنا، وفي جميع أحوالنا، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٣٤) ﴿ [إبراهيم: ٣٤].^(١)

الاسلوب الرابع:

●● اسلوب قص اخبار من سلف من اجدادهم وما فعل الله بهم:

وهذا اسلوب تحذير وتهديد لهذه الطائفة بأنها إن زاغت عن الحق وردته فسبيلها سبيل من سبقها ممن كفر فحلت به لعنة الله ومقته وعذابه، وإن كانت الأخرى فهو الأمان من اللعنة والسلامة من المقت والعذاب.

وقد حكى الله جل وعلا لنا وقص علينا من سلف من اجدادهم وما فعل بهم، في آيات عديدة من كتابه الحكيم، فمن ذلك:-

(١) قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٧) ﴿ فِيمَا

(١) سورة إبراهيم، الآية رقم ٣٤.

(٢) أنظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٢٦/٢.

نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ (١٣) . . ﴿^(١)﴾

فبين الله تعالى أن اليهود لما نقضوا العهد والميثاق أعقبهم ذلك لعناً منه لهم، وطردها عن بابه وجناته، وحجاباً لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق، وهو العلم النافع، والعمل الصالح.^(٢)

وذكر بعض المفسرين أن المراد باللعنة ثلاثة أقوال:-

(١) أنها التعذيب بالجزية.

(٢) التعذيب بالمسخ.

(٣) الإبعاد عن الرحمة.^(٣)

(٢) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخَذَ الْكُفَّارُ الْكِتَابَ آمِنًا بَمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدِّهَا عَلَيَّ أَدْبَارَهَا أَوْ نَنْعَنَّهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧)﴾ [النساء: ٤٧].^(٤)

فيقول تعالى آمراً أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على رسوله محمد ﷺ، من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات، ومتهدداً لهم إن لم يفعلوا بقوله تعالى: « من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها » قال بعضهم: معناه من قبل أن نطمس وجوهاً، فطمسها هو ردها إلى الأدبار وجعل أبصارهم من ورائهم، ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نطمس وجوهاً فلا نبقى لهم سمعاً ولا بصرأ ولا أنفاً ، ومع ذلك نردها إلى ناحية الأدبار، وهذا أبلغ في العقوبة والنكال.^(٥)

(١) سورة المائدة، الآية رقم ١٢ وجزء من الآية رقم ١٣.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٤/٢.

(٣) انظر ابن الجوزي ، زاد المسير، ٣١٣/٢.

(٤) سورة النساء، الآية رقم ٤٧.

(٥) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٨٠٢/١.

الاسلوب الخامس :

●● مواجهة الافراد الذين تصدروا في عداوة الدعوة :

تعرضت الدعوة الإسلامية في العهد المدني لأعداء شرسين يسيئون إليها وإلى أفرادها بالافتراءات الكاذبة والأوصاف الدنيئة والسخرية والهمز واللمز وبث ذلك بين القبائل والبلدان حتى تظهر بصورة قائمة تنفر منها الطباع وتشمئز منها النفوس فكان لزاماً أن يواجه أولئك المؤذنين لينكف الاسلام وأهله عن شرهم وتستريح البلاد والعباد من إيذائهم وهذه المواجهة يجب أن تتسم بالقوة التي لا تجارى والهيبة التي لا تقارى كي يكونوا عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن تدبر.

وقد ظهر مثل أولئك المؤذنين على الساحة في عهد المصطفى ﷺ فكان جزاؤهم أن شريت سيوف المسلمين من دمائهم وارتوت منها رماحهم، فمن الأمثلة على ذلك:-

(١) ما رواه الامام البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: « قال رسول الله ﷺ :- من لكعب بن الأشرف، فإنه قد أذى الله ورسوله. فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله ، أنحب أن أقتله؟ قال نعم. قال: فأذن لي أن أقول شيئاً. قال: قل. فأناه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألتنا صدقةً، وإنه قد عتانا ، وإني قد أتيتك أستسلفك. قال: وأيضاً والله لتملئنه. قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تُسلفنا وسقاً أو وسقين، فقال: نعم، ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم. قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجملُ العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيُسبُّ أحدهم فيقال: رهنٌ بوسق أو وسقين، هذا عارٌ علينا، ولكننا نرهنك اللأمة - يعني السلاح - فواعده أن يأتيه. فجاء ليلاً ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. وقيل : قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال : إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو

دعي إلى طعنةٍ لبيلٍ لأجاب. قال: ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال:-
إذا ما جاء فإني قائم بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم
فاضربوه وقال مرةٌ : ثم أشمكم فنزل إليهم متوحشاً وهو ينفخ منه ريح الطيب
فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً - أي أطيب - وفي رواية: قال: عندي أعطر نساء
العرب وأكمل العرب. فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال: نعم . فشمه، ثم
أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي ؟ قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم .
فقتلوه. ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه»^(١).

(٢) ما رواه أيضا البخاري - رحمه الله - في صحيحه:- عن البراء بن عازب -
رضي الله عنه- قال: «بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من
الأنصار، فأمرهم عبد الله بن عتيك. وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ
ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه - وقد غربت
الشمس وراح الناس بسرهم- فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني
منطلق ومتلطف للبوابِ لعلني أن أدخل فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنّع بشويه
كأنه يقضي حاجةً، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن
تدخل فأدخل، فإني أريد أن أغلق الباب. فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق
الباب ثم علق الأغاليق على ودّ. قال: فقمتم إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب،
وكان أبو رافع يُسمرُ عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت
إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليّ من داخل. قلت: إن القوم نذروا بي لم
يخلصوا إلى حتى أقتله.. فانتهيت إليه، فإذا هو في بيتٍ مظلم وسط عياله، لا
أدري أين هو من البيت، فقلت:- أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت
فأضربه ضربةً بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئاً. وصاح، فخرجت من البيت
فأمكث غير بعيدٍ، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبارافع؟ فقال: لأمك
الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف. قال: فأضربه ضربةً أثخنته ولم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، / رقم ٤٠٣٧. وانظر ابن
حجر، الفتح، ٤٢٧/٧.

أقتله ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أنني قتلتته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجةٍ له، فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلةٍ مقمرةٍ، فانكسرت ساقِي، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته. فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت النجاء، فقد قتل الله أبارافع فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته، فقال لي : ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها، فكانها لم أشتكها قط»^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق، / رقم ٤٠٣٩. وانظر ابن حجر، الفتح، ٤٣٢/٧، ٤٤٣.

الاسلوب السادس :

●● اسلوب مواجهة الأخطاء العقديّة :

من نافلة القول أن نشير هنا إلى أن النبي ﷺ لم يكن حين تبليغ أمر ربه يستهدف معارك أو خصومات أو مواجهات ، لكنها مواقف القوى الأربعة إلى وجدها تترىص به في المدينة: المشركون، واليهود، والنصارى، والمنافقون، لذا كان منهج الدعوة دائماً أبداً طرح الحوار الهادئ، والدعوة المتأنية، ومن هذا القبيل مواجهة الأخطاء العقديّة التي كان عليها اليهود في العهد المدني.

يقول تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ .^(١)

وما جاء بشأن هذا الخطاب الكريم أخرج ابن جرير عن قتادة في قوله تعالى :
﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ... ﴾ (١٥) [المائدة: ١٥] قال: هو محمد ﷺ
﴿ ... يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا ... ﴾ (١٥) [المائدة: ١٥] يقول : يبين لكم محمد رسولنا كثيراً
مما كنتم تكتُمونه الناس: ولا تبيّنونه لهم مما في كتابكم، وكان مما يخفونه من كتابهم
فبيّنه رسول الله ﷺ للناس: رجم الزانين المحصنين.

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: ان نبي الله ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم، فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى ، والذي رفع الطور بالمواثيق التي أخذت عليهم، هل تجدون الرجم في كتابكم؟ فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة وحلقنا الرؤوس فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

(١) : سورة المائدة ، الآيات ١٥ ، ١٦ .

وأخرج ابن الضريس والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن قال: من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب. قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ .. ﴾ [المائدة: ١٥] قال: فكان الرجم مما أخفوا.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ .. ﴾ [المائدة: ١٥] قال: سبيل الله الذي شرعه لعباده، ودعاهم إليه، وابتعث به رسوله، وهو الإسلام الذي لا يقبل من أحد عمل الا به، لا اليهودية، ولا النصرانية، ولا المجوسية، والله تعالى أعلم .

ومن هذا المنطلق الاسلامي تجيء الدعوة الإلهية في النهج القرآني عظيمة الغاية، تحمل في ثناياها الوضوح الإسلامي، في التعامل وفي الاتجاه نحو الإله الواحد يقول الله في الذكر الحكيم موجها إلى نهج لم تألفه الدنيا من قبل قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤) ﴿ ١١١ .

هكذا يحسم القرآن الكريم القضية الدينية ويواجه موقف اليهود ويفلق الباب أمام كل أساليب الخصومة ووسائل المعارضة حين يطلب الوحي الإلهي من نبي الإسلام أن ينادي الدنيا بأعلى صوته ليسمع اليهود وغيرهم : " يا أهل الكتاب : إن هناك كلمة سواء بيننا وبينكم " وهي حقيقة في التوراة والإنجيل جاء بها القرآن الكريم طاهره نقية، وبهذه الكلمة تلتقي الأهداف ويتحدد المسار الطويل للرسالة الإلهية ويصبح بها المضمون العقدي المستهدف حقيقة واقعة بيننا وبينكم وهي : "ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا" وينتهي القرآن الكريم إلى قضية القضايا وهي طهارة العقيدة : ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ومنطلق هذه القضية أن المعتقد إذا كان هكذا لا عبادة الا لله فإن المنطقي أن تبرأ الإنسانية المؤمنة من معبود غير هذا الإله الفرد الصمد وتصبح القضية

.. (١) : سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

الجديدة التي طرحها النهج القرآني أمام اليهود أنه : "ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله" هي قضية التوحيد والخير والعدل، وهي العقائد والقيم التي لا يمثلونها. وعلى الرغم من كل هذه الهداية القرآنية التي تحاول أن تستنطق اليهود للسير معا نحو الهدف المبتغى والمستهدف فإن القرآن الكريم افترض الرفض اليهودي، وعند ذلك يحسم النهج القرآني المواجهة : " فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" .

الاسلوب السابع :

●● اسلوب مواجهتهم بالتهديد :

المتتبع لجملة الآيات الكريمة والمتعلقة بالحديث عن بني إسرائيل يجد أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الذي يقرر أن اليهود كان لديهم مما يتداولونه من التوراة بعض الحق الذي يمكن أن يشوبوا اليه وأن يكون هذا الحق الضئيل البداية لتصحيح ما هم عليه. ورغم أن القرآن الكريم وهو يخاطبهم من أجل اتباع محمد ﷺ قد قرر صراحة أنهم في حاجة ماسة إلى اتباع محمد ﷺ لأنهم أصبحوا مشركين لا يعرفون الإله الحق وأن الشرك كفر عظيم ومن ثم فلا حق لهم في الإدعاء بأنهم على دين نبي أو على علاقة بميراث وحي ومع ذلك يقرر القرآن أنه كان لديهم بعض الحق وأنهم على هديه كان لا بد لهم من الإيمان بمحمد ﷺ،^(١) ولكنه الخلق الملتوي الراض لكل هداية السماء ومن هنا يناديهم الرحمن الرحيم في كتابه المحكم التنزيل.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدِّهَا عَلَىٰ أَذْيَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾^(٢).

(١) : د. صابر طعيمة، التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، دار الجيل بيروت عام

١٩٧٨م، ص ٣٢٣ .

(٢) : سورة النساء، الآيات ٤٧، ٤٨ .

ولا شك أن المؤدى واضح ويدهى على ضوء هاتين الآيتين الكريمتين فإن الذين كان بين أيديهم الكتاب أي التوراة من بني إسرائيل كان لديهم ومعهم ما يلزمهم بالاستجابة لدعوة محمد ﷺ، لكنهم لم ينتبهوا للتهديد الإلهي قال تعالى :

﴿... آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧] وعلى ضوء ما جاء في تفسير ابن جرير^(١) : عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله، خاطب رؤوساء من أحبار اليهود منهم : عبدالله بن صوريا، وكعب بن أسد، فقال لهم : "يا معشر اليهود، اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جنتكم به لحق فقالوا ما نعرف ذلك يا محمد، وجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر، فأنزل الله فيهم قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧] ومن هنا كان الواجب على اليهود أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن لا يقاوموا ولا يختلفوا.

الاسلوب الثامن :

●● مواجهة اسلوب الاعراض عن الدعوة :

على الرغم من أن مواجهة الدعوة لليهود تمثلت في دعوتهم للإسلام أولا ثم كشفت لهم عن أخطاء عقديّة وانحرافات شركية في علاقتهم بالله ثم انتقلت الى مواجهة بتهديدهم بعقاب الله وعذابه، ثم انتقلت المواجهة الى الكشف عن طبيعة اعراضهم وفضح نواياهم وتعرية سلوكهم. كان ذلك منهج الدعوة في مواجهة خصومها من اليهود ولما أعرض الكثيرون منهم كان الخطاب الإلهي لرسول الله ﷺ قال تعالى :

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾^(٢).

(١) : انظر : تفسير ابن جرير الطبري ، جـ ١٢٤/٥ .

(٢) : سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .

وبلغت القرآن الكريم الناس إلى حقيقة تتعلق بالسلوك اليهودي وهي البغي والعدوان والغل والحقد والحسد فهذه النوازع الشريرة لم يهذبها خلق أو دين وهذه الحقيقة المرضية هي التي كانت وراء رفضهم ومقاومتهم وفي ذلك يقول تعالى :

﴿... وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا

بَيْنَهُمْ...﴾ (١٩) ﴿٣١﴾ .

وهذا البغي الذي كان سببا في الاختلاف حول الإيمان بنبوته محمد ﷺ ورسالته هو الذي كان سبب الفرقة اليهودية بل هو الذي كان سبب الشك والريبة وهو الخلق الذي يميز السلوك اليهودي عبر كل العصور، يقول الله تعالى :

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ

إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لِّقَضِي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ

مُرِيبٍ﴾ (١٤) ﴿٣١﴾ .

ويكشف القرآن الكريم حقيقة سلوك البغي اليهودي كظاهرة مرضية تلازم عامة سلوكهم القولي منه أو العملي في قوله تعالى .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ

الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٧) ﴿٣١﴾ .

ويتابع القرآن الكريم إحاطته وشموله لكل الجوانب المتعلقة بسلوك وأساليب بني إسرائيل فبرغم التشخيص الدقيق الذي يكشف عن تأصل غريزة البغي عندهم يفرز القرآن الكريم من بينهم العناصر التي التزمت وتطهرت حتى وإن كانت مجموعة قليلة لم يتيسر

١- (١) : سورة آل عمران ، الآية ١٩ .

٢- (٢) : سورة الشورى ، الآية ١٤ .

٣- (٣) : سورة الجاثية ، الآيات ١٦ ، ١٧ .

لها أن توصل قضية الرسالة الإلهية إلى أهدافها المرجوة بين الناس بالحق والخير و يجئ الحكم القرآني بهذا اللون العظيم من الإنصاف قال تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

وعند قوله تعالى : ﴿... ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ ...﴾ (٨٣) [البقرة: ٨٣]

تبرز العدالة القرآنية في الحكم على نوعيات بني إسرائيل من استجاب للحق وتطهر به وهم قليل لكن الرفض والبغى والتولي عن الحق والخير هو القاسم المشترك عند الأكثرية الغالبة فيهم .

وعندما ندقق في النظرة القرآنية لجوانب الوجود الاسرائيلي كله نرى القرآن يرفع مجموعة من بني إسرائيل على طول تتابع الرسالة الدينية منذ عصر أبي الأنبياء إلى درجة عالية من الإيمان بالله والتعبد له . بل والالتزام بقضايا الحق والعدل حتى وإن كانت هذه المجموعة ضئيلة على مدى التاريخ قال تعالى :

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾^(١)

وهكذا تتجلى قيم الحق والعدل كلها في القرآن الكريم حتى وهو يتحدث عن خصوم الوحي والرسالة الإلهية ويواجههم قال الله سبحانه : ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ لكن القرآن الكريم وهو يستقصي كل الجوانب المتعلقة بتاريخ بني إسرائيل لا يغفل التنبيه إلى طبيعة العناد أو التخريف عند الكثرة، وبلغة تفيض تسامحا ومحبة يكشف عن مواقف متناقضة لليهود. وتحجى الآيات المتتابعة في سورة المائدة لتبين

(١) : سورة آل عمران ، الآيات ١١٣-١١٥ .

عن مراقف متناقضة لليهود مع أنفسهم ومع ما في أيديهم من تراث بعضه حق وأكثره باطل ... يقول الله تعالى لنبيه الخاتم محمد ﷺ .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٥٩) ﴿ (١) .

وحتى لا يضيق المؤمنون صبراً وهم يبذلون أقصى الجهد الإنساني في مخاطبتهم ومحاوله التعامل الديني معهم بمنهج الحق والعدل فإن آيات الذكر الحكيم تكشف في تشخيص دقيق واقعهم وسوء العاقبة التي تنتظرهم ، يقول جل شأنه :

﴿ وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٢) ﴿ (٢) .

ويقول تعالى في السورة ذاتها :

﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٠) ﴿ (٣) .

ومع كل ما كشفه القرآن عن طبيعة السلوك العدواني لبني إسرائيل وبكل رصيد التجارب الذي كان عند المسلمين عن الأساليب اليهودية حتى قبل الهجرة فإن القرآن قد أباح للمسلمين إذا ما رغبوا في التعامل مع بني إسرائيل أن يتعاملوا وأن يأكلوا طعامهم (٤) بل وأن يتزوجوا من نساتهم وعلى نفس المستوى الأخلاقي الذي يتعامل به المسلم مع أخيه المسلم، وغير غريب على المسلم زواج الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من "نائلة بنت القرافصة الكلبية" (٥) .

(١) : سورة المائدة ، الآية ٥٩ .

(٢) : سورة المائدة ، الآية ٦٢ .

(٣) : سورة المائدة ، الآية ٨٠ .

(٤) : ابن كثير " الهداية والنهاية " ، ج٧/٢٣٨ .

(٥) : ابن هشام " السيرة النبوية " ، ج٢-١٣٩ .

وانضم إلى القيادات اليهودية بعض رجال الأوس والخزرج ممن ظلوا على جاهليتهم وانضم اليهم بالولاء بعض العناصر المنافة التي تعتنق الإسلام ظاهراً، أما حقيقة عواطفهم فكانت مرتبطة بالقوى المقاومة للإسلام .

ومن هنا فإننا نرى أن أسباب انتشار المغالطات التي كان يروج لها اليهود بين سكان المدينة كانت من خلال هذا التجمع التلاقي على أهداف محددة ضد الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام . ولقد أعان تفاقم التباين وتصاعد حدة التناقض بين ما يبينه الإسلام في عالم الروح ونظام الاجتماع وأمور الاقتصاد والسياسة وبين ما يمتلكه اليهود وما يطمعون فيه من تسلط وعدوانية وإرهاب، هو أن عناصر يهودية من الأحرار والكهان أسلمت نفاقاً ورياءً واندرست تحت ظل ارتداء ثوب الإسلام بين المسلمين واطلعت على ما هم بصدده من أمور الحياة وشؤون الدين^(١) . هذا وقد حث الله اليهود على الوفاء بالعهد والميثاق الذي أخذه عليهم من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واتباع شرعه المحكم^(٢) .

كما قال تعالى مخاطباً لهم : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (٤٠) وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ ﴿ (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٢) ﴿^(٣) . تلك حقيقة لا تعصب فيها بل هي كما جاء بها القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولكن هل حقق اليهود هذه الأفضلية التي أمروا أن يحققوها ويلتزموها ليكونوا من أهلها؟ حول الإجابة التي جاءت مضطربة عند اليهود تاريخياً بين الحق والباطل يكشف القرآن ما انتهى إليه القوم يقول تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١١٠) ﴿^(٤) وقد فضحهم الله وبين مخازيهم فبين

(١) : صابر طعيمة، "بنو إسرائيل بين نها القرآن الكريم وخبر العهد القديم"، عالم الكتب بيروت، ط ١، عام ١٩٦٨، ص ٣٢ .

(٢) : محمد بن فتح الله بدران، "الفلسفة الحديثة في الميزان وتأسيس القواعد من القرآن"، مرجع سابق، صفحة ٥١٧ .

(٣) : سورة البقرة، الآيات ٤٠ - ٤٢ .

(٤) : سورة آل عمران، الآية ١١٠ .

أنهم أمة غضبية غضب الله عليهم وحذر المسلمين منهم ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ (٦) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (٧) ﴿ ١١١ ﴾ .
 فالمغضوب عليهم هم اليهود في قول السلف والخلف والضالون هم النصارى كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ " اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال " ١١١ .

وكان اليهود المعاصرون للنبي ﷺ يهددون الأنصار من الأوس والخزرج بأن الرسول سيظهر ويكونون أول المؤمنين به ويقاتلونهم معه فلما سبق الأنصار رضي الله عنهم إلى الايمان به قبلهم ورأوا أنه بعث من غير نبي إسرائيل بل من العرب كفروا به وأنكروا صفاته وأنه ليس هو الذي يتحدثون عنه الذي أخبرت به كتبهم، فسلط الله عليهم رسول الله ﷺ والمؤمنين معه فقتلوا من قتلوا منهم وأجلوا بقيتهم ومكنهم الله من دمانهم وأموالهم ونسائهم وفضحهم الله في محكم كتابه الذي يتلى إلى يوم القيامة قال تعالى:
 ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾ ١١٢ ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) ﴾ ١١٣ وبين الله سبحانه أن جردهم لصفات الرسول ﷺ وعدم الايمان به، إنما هو الحسد والبغى فلعنهم الله وغضب عليهم ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩٠) ﴾ ١١٤ وإيمانهم بمن آمنوا به من الرسل والكتب لا ينفعهم شيئاً من كفرهم ببعض الرسل أو الكتب قال تعالى: ﴿ ... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ

(١) - : سورة الفاتحة ، الآيات ٦ ، ٧ .

(٢) - : أخرجه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة فاتحة الكتاب ١٨٧/٥ رقم الحديث ٢٩٥٤ .

(٣) - : سورة البقرة ، الآية ١٠١ .

(٤) - : سورة البقرة ، الآية ٨٩ .

(٥) - : سورة البقرة ، الآية ٩٠ .

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ^{١١} وكفرهم وقتلهم الأنبياء قال تعالى في التنكيل بهم قال تعالى: ﴿... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ السَّيِّئِينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ^{١٢} ومن أجل تركهم العمل بما أنزل الله عليهم من الكتاب ، وأول ذلك جردهم صفات النبي ﷺ وعدم إيمانهم به، شبههم الله بالحمار الذي يحمل أسفارا قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا الصُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ^{١٣} ولم يقفوا عند هذا فحسب بل تنقصوا الله عز وجل فقالوا : "إن الله فقير ونحن أغنياء ونسبوا البخل إليه" فرد الله عليهم ولعنهم بما قالوا. وقال تعالى: ﴿... يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ^{١٤} قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ^{١٥} ونسبوا الولد إلى الله عز وجل كما رد الله عليهم ولعنهم على قولهم هذا قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِيرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ^{١٦} فقد اشتركوا مع النصارى في الشرك وأن اختلفوا في بعض تفاصيله وزاد اليهود على النصارى الكثير من القبائح والجرائم والفسوق، وقد مسخ الله طائفة منهم قرده وخنازير قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عَنِ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ

.. (١) : سورة البقرة ، الآية ٨٥ .

.. (٢) : سورة البقرة ، الآية ٦١ .

.. (٣) : سورة الجمعة ، الآية ٥ .

.. (٤) : سورة المائدة ، الآية ٦٤ .

.. (٥) : سورة آل عمران ، الآية ١٨١ .

.. (٦) : سورة التوبة ، الآية ٣٠ .

السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾^(١) وهذه الآيات وغيرها كثير تعنى اليهود في قول السلف وعامة المفسرين مما لا ينكر^(٢).

أما موقفهم من موسى عليه السلام وما جاءهم به من التشريع فقد أبان القرآن عن الكثير من مواقفهم السيئة وعنادهم مع موسى عليه السلام، وما لقيه منهم من الأذى والكيد^(٣).

فمن ذلك : نكولهم عن الجهاد في سبيل الله عندما أمرهم الله بدخول الأرض المقدسة وقتال أهلها ليخرجهم منها وأخبرهم موسى عليه السلام أن الله قد كتبها لهم، فامتنعوا وقالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وقد ذكرهم موسى بنعمة الله عليهم حيث أنجاهم من فرعون واستعباده لهم وأغرقه وقومه وهم ينظرون قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِن فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتْرُكُوكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾^(٤) ومن ذلك لما مروا وموسى فيهم على قوم يعبدون الأصنام طلبوا من موسى أن يجعل لهم صنما ليتخذوه إلهًا لهم كما اتخذ أولئك القوم آلهة وكادوا يقعون في الشرك لولا أن من الله عليهم وصرفهم عنه بموسى الذي حال بينهم وبين طلبهم ذلك كما أخبر الله عنهم ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنَّا وَيَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾^(٥).

ولما غاب عنهم عليه السلام لبيقات ربه وخلف أخاه هارون فيهم صنعوا عجلًا جسدًا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى ولم يسمعوا لهارون عليه السلام قوله ونصحه بل قالوا لن نبرح عليه عاكفين

(١) : سورة المائدة ، الآية ٦٠ .

(٢) : انظر محمد عزة دروزة، سيرة الرسول ج٢/١٤٨ .

(٣) : د. جواد علي والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٢ ٥١٣-٥١٤ بيروت عام ١٩٦٨ .

(٤) : سورة المائدة ، الآيات ٢٠ - ٢٤ .

(٥) : سورة الأعراف ، الآيات ١٣٨ ، ١٣٩ .

حتى يرجع إلينا موسى كما أخبر الله عنهم^(١) قال تعالى ﴿ وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلِيهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (١٤٨) ﴿^(٢) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونَ مِنْ قَبْلِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ (٩١) ^(٣) " وقد شدد الله عليهم في التوبة من هذا الذنب العظيم والشرك الأكبر الذي لا يغفر من غير توبة إذا مات صاحبه عليه، فأمرهم أن يقتل بعضهم بعضاً ليتوب الله عليهم ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَيَّ يَا رَبُّكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ السَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٤) ^(٤) " ومن ذلك عنادهم إلا يؤمنوا حتى يروا الله جهرة فعاقبهم الله بالصاعقة التي أخذتهم وهم ينظرون ثم بعثهم الله ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (٥٥) ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ (٥٦) ﴿ [البقرة: ٥٥، ٥٦].

ورفضوا أن يأخذوا ما جاءهم به موسى عليه السلام من التشريع ويعملوا به إلا بالقوة والجبل فوق رؤوسهم كأنه ظل، عقوبة على امتناعهم قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ السُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمِ اللَّهِ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٩٣) ﴿^(٥) .

وتعننتهم في كثرة الأسئلة كما قص الله عنهم في سورة البقرة لما أمرهم بذبحها وغير ذلك كثير مما يطول تتبعه وقد آذوا موسى عليه السلام بنفسه حتى برأه الله مما اتهموه به كما قال الله تعالى محذرا المسلمين من أفعالهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

(١) د. محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، صفحة ٤٤٨-٤٥٠، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٣٩٧-١٩٧٧.

٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٨.

٣) سورة طه، الآيات ٩٠، ٩١.

٤) سورة البقرة، الآية ٥٤.

٥) سورة البقرة، الآية ٩٣.

تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴿٣١﴾ وهذا قليل من كثير مما جصل في أسلاف اليهود وموسى عليه السلام بين أظهرهم والوحي ينزل عليه فكيف تعامل بعضهم مع بعض وكيف تعاملوا مع غيرهم، بل لنا أن نتصور أساليبهم ومناهجهم في التعامل مع الدعوة الإسلامية والوحي ينزل ودولة الإسلام على يد النبي ﷺ تقام ١١ .

الاسلوب التاسع :

●● مواجهة اسلوب المراء :

على الرغم من تضيق الخناق على ضروب الانحراف العقدي والسلوكي الذي مارسه اليهود في العهد المدني إلا أنهم استمروا الجدال والمراء ورغم أن القرآن الكريم كان يوبخهم عليه أولاً بأول حتى جاء حبر يهودى كبير لرسول الله ﷺ هو " رافع بن حرملة"، وقال للمصطفى يا محمد إن كنت رسولا حقا من عند الله كما تقول فأثبت لنا ذلك بالدليل وقل لربك أن يكلمنا نحن حتى نسمع كلامه عندئذ نؤمن بك! ولما كان هذا المطلب يعتبر تعطيلاً لوظيفة الوحي في الناس فضلا عن أنه عدوان على الله تعالى في تفضله على من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة فإن الذكر الحكيم يسجل عليهم هذا المطلب السخيف ويضرب لهم الأمثال لعلمهم يعقلون : يقول رب العزة : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴿٣٢﴾ وحتى لا يكون هناك أدنى شك في قلوب كل الذين استمعوا لرد القرآن الكريم على هذا المطلب اليهودي في أن يكلمهم الله، بالرفق الإلهي القاطع قص الله سبحانه وتعالى على نبيه سبب الرفض وعدم الاستجابة لهراء ما يطالب به الكهان من بنى إسرائيل فقال لنبيه ﷺ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴿٣٣﴾ .

وفي هذه الآية الكريمة يكشف القرآن عن النيات اليهودية ويوضح أن السلوك اليهودي غير مستعد لتقبل الوحي، ولا مهياً للاستجابة له .

- (١) : سورة الأحزاب ، الآية ٦٩ .

- (٢) : سورة البقرة ، الآية ١١٨ .

- (٣) : سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

ولما قالوا لرسول الله ﷺ وهم يسوفون في الاستجابة له وكان يتزعم الموقف حبر يهودى اسمه " ابن صوريا الفطيونى " يا محمد ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها .. كان الرد القرآنى الحاسم ليخرس الحواس المتبلدة والقلوب الغليظة :

" ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر الا الفاسقون " (١)

عندئذ أعلنوا أنهم ليسوا في حاجة إلى الايمان بمحمد ولا إلى اتباع دين جديد؛ لأنهم بما لديهم من تراث في الدين ومن انتماء إلى إبراهيم عليه السلام وما يحفظونه من تعاليم ليسوا في حاجة إلى جديد .

ولما كانت توراتهم وكل ما يتعلق بها - إن كان بها بقية من صدق - كانت في زمن متأخر عن إبراهيم بفترة طويلة، ولما كان ينازعهم في نفس الدعوى نصارى عصرهم ويجادلونهم في أمر أحقية من هم أولى : اليهود أم النصارى في دعوى الانتماء .. والارتباط بإبراهيم ودينه فإن رب العالمين يكشف لعباده حقيقة الانتماء الذي ينسب اليه إبراهيم عليه السلام، يقول سبحانه . ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) ﴾ (١)

وكان من الممكن لو كان عند اليهود بعض حياء أن يتأدبوا أمام هذه الروح الإسلامية وأن لا يكرروا مواقف التزيف والتضليل التي تسيطر عليهم، تجاه كل ما هو حق من خلال روح الإسلام التي قوى بها بأس الأمة ، والتي كانت تتقاتل بالأمس ويريق بعضها دماء بعض فأكرمها الله بالإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام .

(١) : سورة النساء ، الآية ١٥٣ .

(٢) : سورة آل عمران ، الآيات ٦٥-٦٨ .

المبحث الثاني

□ مواجهة أساليب اليهود العملية :

قام اليهود كعادتهم في مواجهة الإسلام وأهله بالأساليب العديدة والمتنوعة، وكان مقابل تلك الأساليب المواجهة من قبل المصطفى ﷺ وأصحابه ، فمن ذلك:

الانسلوب الأول :

□□ اسلوب تقوية الصف الإسلامي والتحذير ممن يرد تفريقهم :

فالصف الإسلامي في بداية تكوينه كان لا بد له من الأساليب الترغيبية حتى يكثُر أتباع الدعوة أي أنه لا بد له من المعاهدة والمواصلة مع الأعداء المترصين ريثما تنتقل الدعوة من هذه المرحلة الضعيفة والتي لا تتناسب مع المواجهة والمقابلة، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) أن الرسول ﷺ أول ما قدم المدينة - كما أسلفنا-^(١) كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأمرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم ومن بين ما جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم «هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس... وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوثق.»^(٢) إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار وبني الحارث، وبني ساعدة وبني جشم، وبني الأوس، وبني ثعلبة وجفنة، وبني الشظنة مثل ما ليهود بني عوف، وإن بطانة يهود كأنفسهم... وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم

(١) صفحة ٥٠، ٥١ من البحث.

(٢) لا يوثق: أي لا يهلك ذكره ، ابن كثير: انظر: البداية والنهاية ج٣/ هامش صفحة ٢٢٥.

النصح والنصيحة والبر دون الإثم... الخ»^(١) وكان لابد للمسلمين من المواجهة تمثل ذلك الأسلوب الذي أسهم في تقوية صفوف المسلمين وإن تعرض المسلمون بعد ذلك لغدر وخيانة بعض الاطراف التي وردت في هذا الكتاب^(٢).

□□ الأسلوب الثاني :

اسلوب العفو والصفح واللين :

وهذا الأسلوب من الأساليب التي انتهجتها الدعوة الإسلامية في مواجهتها لأساليب اليهود، وهو أسلوب فيه جذب للأعداء وإلانة قلوبهم وترغيب لهم في الإسلام ، فالدعوة لا تطبق المواجهة القوية وعودها لم يصلب ويقوى، ذلك أن المرحلة التي تعيشها مرحلة ضعف وقلة عدد فلا مناسبة للقوة والمواجهة. ومن الأمثلة على ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾^(٣).

ففي هذه الآية، يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم، ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو أو الاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح .

وذكر ابن كثير - رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية:- أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي ﷺ وفيه أنزل: «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم» إلى قوله: «فاعفوا واصفحوا»^(٤).

(١) أنظر ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٢٤/٣.

(٢) : أنظر دكتور محمد سيد عبد التواب «أسس النظام السياسي في الإسلام» صفحة ٨٢ ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٠٩.

(٤) أنظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٣٩/١، ٢٤٠.

ولقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب ، كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى^(١).

(ب) عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ، شاة فيها سم^(٢).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في شرحه للحديث، روايات عديدة توضح أن النبي ﷺ لم يتعرض للمرأة بل صفع عنها^(٣).

□ □ الأسلوب الثالث:

أسلوب استخدام القوة:

من نافلة القول أن نؤكد أن الحكمة وضع الشيء في موضعه فالمعاهدة والمواعدة لها وقتها، والصفح والعفو له زمنه، والقوة والشدة لها وقتها أيضاً، فلكل مقام مقال، ذلك أن الغاية هي مصلحة الإسلام والمسلمين في كل زمن يتجدد ومكان يتنوع وحالة تتغير. والرسول ﷺ حينما رأى أن أمر الإسلام قد قوي وشوكته قد قويت وأن اليهود لم ينفع معهم اللين والعفو استخدم أسلوب القوة تجاه الأعداء ، والذي يتمثل بعدة أساليب نذكر منها:

(١) أسلوب القتل: ويتمثل هذا الأسلوب في موقف الرسول ﷺ وأصحابه تجاه بني قريظة مع اليهود، حيث ذكر أهل السير أن الرسول ﷺ لما انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة، والمسلمون قد وضعوا السلاح، فلما كانت الظهر، أتى جبريل النبي ﷺ فأمره أن يأتي بني قريظة^(٤) حيث روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب التفسير، باب: « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم من الذين أشركوا أذى كثيراً »، / رقم ٤٥٦٦.

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب الشاة التي سمت للنبي ﷺ بخيبر رقم ٢٢٤٩.

(٣) انظر ابن حجر، الفتح، ٦٣٣/٧.

(٤) انظر ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، ١٠٣/٢، ط: ١، مكتبة دار التراث، المدينة ودار ابن كثير، دمشق، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

أتاه جبريل - عليه السلام - فقال: قد وضعت السلاح ، والله ما وضعناه فاخرج إليهم. قال: «فإلى أين؟ قال: ههنا وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي ﷺ إليهم»^(١) وكان لابد للمسلمين من القيام بهذا الأمر فكيف يلدغ المؤمن من جحر مرتين؟ وهل كانت جيوش العدوان يوم الخندق إلا ثمرة من ثمارهم المرة، يوم نجوا بأرواحهم فراحوا يخططون لإبادة المسلمين فأين النجاة لهم بعد هذا الغدر والكيد، لقد وضعوا بين فكي الكماشة، الاستسلام بدون قيد ولا شرط، أو الموت جوعاً وعطشاً كما قال لهم حليفهم أسيد بن خضير: يا أعداء الله لا تبرحوا حصنكم حتى تموتوا جوعاً، إنما أنتم بمنزلة ثعلب في جحر^(٢). ولقد ذكره بحلفه قائلين: يا ابن الخضير نحن مواليك دون الخزرج! وخاروا فقال: لا عهد بيني وبينكم ولا إل. لقد بعثوا نباش بن قيس بالمهمة التالية: أن ينزلوا على ما نزلت عليه بن النضير: له الأموال والحلقة، ويحقن دماءهم ويخرجون من المدينة بالنساء والذراري ولهم ما حملت الإبل على الحلقة، ولعلها مشورة حبي بن أخطب زعيم بني النضير، الذي ظن أن الحيلة تتكرر. وكان جواب رسول الله ﷺ حاسماً قاطعاً: أبى إلا أن ينزلوا على حكمه .

وتتدارس يهود الأمر لقد كان كعب بن أسد^(٣) زعيم بني قريظة أقل حقداً من حبي بن أخطب، ومن أجل ذلك كان في بعض الأحيان لا يغلبه الحقد ويدرك مصلحته. ولقد كان ثاقب النظر حين قال لحبي: إنك امرؤ مشؤوم، جئتني بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماؤه فهو يرعد ويبرق. وأنى له الندم ولات ساعة مندم، وراح يراجع رصيده حياته قبل قدوم محمد ويعده ودعا قادة اليهود وأولى الرأي منهم، وعرض عليهم أمام إصرار محمد ﷺ حلولاً ثلاثة قائلاً لهم: «قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم»^(٤) قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دماؤكم وأموالكم

-
- (١) أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب المغازي، باب رجع النبي ﷺ من الأحزاب... ٥٩/٥، رقم ٤١١٧.
(٢) أنظر: الواقدي، المغازي، ج٣/٤٥٤-٤٥٩، والطبري، تاريخ ج٣/٥٧٠ وابن حزم (جوامع السيرة) ١٨٧-١٨٨، وابن كثير البداية والنهاية ج٤/١٠٣-١٠٤.
(٣) أنظر ابن هشام، السيرة النبوية ج٣/٢٥٤.
(٤) ابن سعد، الطبقات ج٣/٧٦-٧٧.

وأبنائكم ونسائكم، قالوا : لا تفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره. قال: أبيتكم عليّ هذه فهلّم لنقتل أبنائنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نحشى عليه، وإن ظهر لعمري لنجدن النساء والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتكم عليّ هذه الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أموتوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً^(١).

وها نحن لمجد كعب بن أسد يدرك أبعاد المعركة ونتائجها، ويعلم أن الموقف خاسر، وأن نزوله على حكم محمد ﷺ يعني الإبادة التامة، والمقاومة يائسة خارسة، ويبحث عن طرق النجاة فلا يراها إلا في الإسلام، والإسلام هو الذي يحقن دمه ودم بني قريظة جميعاً. فمحمد يقول " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله."^(٢)

وفي هذا الموقف الدقيق والحاسم في مواجهة الدعوة لليهود تحركت ضمائر ثلاثة من يهود، ففروا ليلاً إلى معسكر المسلمين وأسلموا فعصموا دماءهم وأموالهم، كما وجد فيهم شريف واحد يرعى الذمام غادر معسكرهم يوم أعلنوا غدرهم برسول الله ﷺ قائلاً: لا أغدر بمحمد أبداً. ومر على محمد بن مسلمة صاحب حرس رسول الله ﷺ فهش له بن مسلمة قائلاً : اللهم لا تحرمني إقالة عشرات الكرام، وخرج لم يدر أحد أين توجه فقال عنه عليه الصلاة والسلام : ذلك رجل نجاه الله بوفائه. وكان الاستسلام الأخير: (فلما

(١) : الواقدي ، المغازي ج٣/٤٥٩.

(٢) أخرجه صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ج١/٥١ رقم الحديث ٣٢، وما بعده من الأحاديث إلى آخر الباب. وصحيح البخاري كتاب الإيمان. باب والذين تابوا وأقاموا الصلاة ج١/١٤ رقم الحديث ٢٥.

أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج. وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قدم علمت فلما كلمته الأوس قال: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى؛ قال رسول الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ.. فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمارٍ قد وطئوا له بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمر أحسن في مواليكم فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل. فنعى لهم رجال بني قريظة، قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التي سمع منه. فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم.. فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من ها هنا، في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله إجلالاً له؛ فقال رسول الله ﷺ : نعم؛ قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبي الذراري والنساء. فقال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

قال ابن اسحاق: ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث، امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدو الله حبيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم وهم ست مائة أو سبع مائة والمكثرون لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة. وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب ، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ وأتى بحبيي بن أخطب عدو الله وعليه

حلة له فقاحية^(١) قد شقها عليه من كل ناحية حتى لا يسلبها مجموعة يدها إلى عنقه جبل، فلما نظر رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه.

قال ابن اسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ قسّم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين .

نزل اليهود على حكم رسول الله ﷺ ورفضوا كل اقتراحات زعيمهم كعب بن أسد، وقرروا أن يتلقوا مصيرهم على يد من نكثوا عهدهم معه.^(٢)، ولم يكتف رسول الله ﷺ بذلك. بل ابتاع بسبايا بني قريظة الخيل والسلاح من نجد. لقد كانت المعركة شوكة كبيرة للمسلمين ونصراً ماحقاً على اليهود، وإنهاء لوجودهم في المدينة بعد ست سنوات من التعايش القلق. وهذا ما قاله سلام بن مشكم زعيم بني النضير بعد حبي بن أخطب والذي أقام في خيبر وتلقى مع بقية اليهود نبأ مقتل بني قريظة صبراً بالسيف: (هذا كله عمل حبي بن أخطب لا قامت يهودية بالحجاز أبداً^(٣)). ولكن هذا الحكم العادل، لم يكن غضباً لنفس أو إهانة لآدمية، فلقد حرص عليه الصلاة والسلام على أن لا يكون التشفي والثأر هو الذي يسيطر على الموقف . (فلقد جابذ نباش ابن قيس الذي جاء به (لقتله) حتى قاتله ودق أنفه فأرعفه، فقال ﷺ للذي جاء به: لم صنعت به هذا ؟ أما كان السيف كفاية! ثم قال: أحسنوا إسارهم، وقبّلوهم واستقوهم، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحرّ السلاح. وكان يوماً صائفاً، فقبّلوهم وسقوهم وأطعموهم. فلما أبردوا راح رسول الله ﷺ فقتل من بقى منهم^(٤) .

(١) فقاحية: تضرب إلى الحمرة، وقال ابن هشام: ضرب من الوشي، أنظر السيرة ج٣/٢٤٩.

(٢) : ابن هشام، السيرة النبوية ج٣ ص ٢٤٩-٢٥٦.

(٣) : المقرئ امتاع الأسباع ج١، ص ٢٥٣.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٤٨.

إنها عظمة النبوة التي تحترم آدمية الإنسان ، ولو كان يهودياً حكم الله تعالى به

القتل.

٢- أسلوب الاجلاء:

وهو من الأساليب العملية التي أتخذت طابع القوة مع اليهود ونذكر مثلاً عليه ما فعله الرسول ﷺ مع يهود بني النضير.

أخذت العلاقة بين النبي ﷺ وطور المواجهة العملية على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجر النبي ﷺ وكانت كمواجهة عملية محددة بسبب أن عمرو بن أمية الضمري قتل رجلين من بني عامر وقد خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعين في ديتهم.

لأن بين النضير كانوا حلفاء لبني عامر، وكان ذلك يوم السبت- فصلى في مسجد قباء ومعه رهط من المسلمين ثم جاء بني النضير، ومعه دون العشرة من أصحابه فيجدهم في ناديبهم، فجلس يكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين اللذين قتلها عمرو بن أمية. فقالوا: نفع، اجلس حتى نطعمك. ورسول الله ﷺ مستند إلى بيت، فخلا بعضهم إلى بعض ، وأشار عليهم حبي بن أخطب أن يطرحوا عليه حجارة من فوق البيت الذي هو تحته فيقتلوه. فجاء الوحي بما هموا به، فنهض ﷺ سريعاً كأنه يريد حاجة، ومضى إلى المدينة . فلما أبطأ لحق به أصحابه- وقد بعث في طلب محمد بن مسلمة- فأخبرهم بما همت به يهود؛ وجاء محمد بن مسلمة فقال: اذهب إلى يهود بني نضير فقل لهم: إن رسول الله أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلده فإنكم قد نقضتم العهد بما همتم به من الغدر، وقد أجلتهم عشراً، فمن رؤي بعد ذلك ضربت عنقه.^(١)

والملاحظ في تطور مواجهة الدعوة العملية لخصومها من اليهود أن غزوة بني قينقاع بعد بدر ثم غزوة بني النضير بعد أحد، وبعد المحنة الشديدة فيها. والتجربة المرة لبني قينقاع دفعتهم رغم محنة أحد إلى التوقف عن نقض العهد. وطالما أن العهد مصون، فالصلات قائمة. والأمان مستتب بين الفريقين. وقدم عليه الصلاة والسلام إلى بني النضير يستعينهم في دية قتييلين من بني عامر قتلها عمرو بن أمية الضمري رضي

(١) : القرظي وامتاع الأسباع، ج١/ ١٧٨-١٧٩

الله عنه لأن بني النضير كانوا حلفاء بني عامر. فلقد كان ذهاب رسول الله ﷺ إليهم يمثل قمة من الوفاء في العهد. فليس لبني عامر حلف مع رسول الله ﷺ، ومن ثم فرسول الله ﷺ يمكن أن يتجاهل الأمر.

ومقتل هذين الرجلين إنما تم من عمرو بن أمية لأن بني عامر قد ساهم زعيمهم في ذبح سبعين من المسلمين في بئر معونة. وقدّر عمرو أنه يأخذ بثأر الشهداء من هذين الرجلين وتقول الرواية كذلك أن لهذين الرجلين عهداً عند رسول الله ﷺ لم يدر بهما عمرو. ولهذا مضى عليه الصلاة والسلام مع نفر يسير من أصحابه فالقوم حلفاء للمسلمين. لكن سيطرة السجبة اليهودية طغت عليهم. فدأبهم في تاريخهم نقض العهد وقتل الأنبياء ونكث الموثيق وخفر الذمم. فوجدوها فرصة سانحة لقتل محمد ﷺ وهو بين ظهرانئهم، ولو كان الأمر اندفاعاً أعمى من جندي متحمس لهان الأمر، لكن رئيسهم حبي بن أخطب هو صاحب الفكرة وهو صاحب الاقتراح. فالتمالؤ متوفر من القيادة العليا عندهم وأقروه عليها أزامه وزيانيته. وانتدب لذلك عمرو بن جحاش لي طرح عليه صخرة. لقد قتلوا يحي وزكريا أنبياءهم من بني اسرائيل. فكيف لا يقتلون محمداً وقد نزع منهم النبوة والملك وهو من بني إسماعيل؟ وتداركت رحمة الله تعالى الموقف، فأبلغ الوحي رسول الله ﷺ بما هموا به، فمضى عائداً إلى المدينة، موهماً اليهود أنه ماضٍ لقضاء حاجة، حتى لا يكون التصرف مفاجئاً، فيشير انتباههم إلى كشف هدفهم ومخططهم، ولحق به الصحابة الذي كانوا معه، دون أن يعرف اليهود شيئاً عن جلية الأمر.

وهذا درس منه ﷺ في سرية التخطيط وسرعة المبادرة من خلال هذا التظاهر بقضاء الحاجة. وكيف مكث اليهود ينتظرون عودته لقتله، وكانت المناهضة في خطاب رسول الله ﷺ لحبي على لسان محمد بن مسلمة: (أن اخرجوا من بلدي فإنكم قد نقضتم العهد بما همتم به من الغدر) فالهم بالغدر ثابت، ولم يناقش اليهود به لأنهم يعلمون صدق نبوة محمد ﷺ، ولم يعترضوا على الأصل، بل كان ردهم سفيهاً في الاستعداد للحرب ورفض الجلاء: (إنا لا نخرج فليصنع ما بدا له).^(١)

(١) : الطبري «تاريخ» مرجع سابق ج٢/٥٥١

فلما وصل رد اليهود في الصبح حتى كان رسول الله ﷺ محاصرهم عصراً، وصلى العصر في فضاء بني النضير وتحرك- الطابور الخامس من المنافقين ليعلن ولاءه مرة ثانية لليهود، ويؤكد لهم سراً على لسان عبد الله بن أبي^(١): (أن أقيموا ولا تخرجوا فإن معي من قومي وغيرهم من العرب ألفين يدخلون معكم فيموتون من آخرهم دونكم). ولم يأتهم ابن أبي ، واعتزلتهم قريظة فلم تعنهم بسلاح ولا رجال وهذا درس للمؤمنين على مر العصور، فالصف المسلم القوي يحرق النفاق وخططه، ولا يجروء دعاة الشر والفتنة أن يتحركوا أمام وحدة الصف المسلم وقوته، إنهم يتحركون حين يجدون الصف مزعزأ والعزيمة خائرة، والنفوس خائرة الثقة بقيادتها.

وجرى أثناء الحصار ثلاثة حوادث جلية وهامة :

الحدث الأول: النبيل الذي كان ينزل على دار القيادة وهي القبة في أدم التي كان رسول الله ﷺ يقيم فيها، وكان قائد النبالة وأمهرهم هو (عزوك اليهودي)، فكمن له علي رضي الله عنه وقتله. وكان يود مرة ثانية أن يفتال رسول الله ﷺ مع عشرة معه. فلم يكتف رسول الله ﷺ بقتله بل أرسل أبا دجانة وسهل بن حنيف^(٢) في عشرة لاحقوا الكتيبة اليهودية فقتلوا عن بكرة أبيها وأتوا برؤوسهم فطرحت في الآبار، وكان وجودها رفعا عظيما لمعنويات المسلمين.

الحدث الثاني: وهو التعرض لنخلهم الذي يعيشون عليه، فها هم يرون النار تشتعل بمحصولاتهم وتمرهم. والذي كلف بهذا الأمر أبو ليلى المازني، وعبد الله بن سلام

(١) : هو عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي الأنصاري من ذرية يوسف عليه السلام أبو يوسف الإمام المجر المشهود له بالجنة صحابي من خواص أصحاب النبي ﷺ كان من أحبار اليهود وأسلم وقت قدوم النبي ﷺ المدينة وكان من فقهاء الصحابة وعلمائها بالكتاب، ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهم اتخذ سيفاً من خشب واعتزلها وأقام بالمدينة حتى مات سنة ٤٣. انظر : ابن سعد الطبقات الكبرى ج٢/ص٣٥٢، والحاكم المستدرک ج٣/ص٤١٣.

(٢) هو سهل بن حنيف بن وهب بن الحكيم بن ثعلب بن الحارث بن مجدعه بن عمرو بن حنش بن عوف بن عمرو بن عوني ويكنى أبا سعد ويقال أبا عبدالله وأمه هند بنت رافع بن عميش بن معاوية بن أمية بن زيد بن قيس بن عامرة بن مرة بن مالك بن الاوس من الجفادرة وأخي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سهل بن حنيف وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وشهد بدر وأحد . انظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج٣ / ٤٧١ .

(حبر اليهود من قبل) فراحوا يطلبون برجاء أن يبقى لهم على نخيلهم فأبقاه، وانبثقت فتنة جديدة تثير الشغب لهذا الحريق، وتشكك في تصرف القيادة، فلا بد أن يكون أحد التصرفين حق لأن كليهما متناقضان. فأكد القرآن صحة التصرفين ، وأعاد مخطط يهود إلى جحره: بقوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ (شجرة التمر) أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) ﴾^(١). فلا بد أن يفاجأ العدو بأعز ما يملك حتى يستسلم وهو ما فعله عليه الصلاة والسلام بهم .

الحديث الثالث: حيث أدى الحدثان السابقان إلى طلب التسليم من رسول الله ﷺ معلنين استعدادهم للخروج بعد أن دام حصارهم ستة أيام. وهنا اختلف الأمر، فقد كان طلب رسول الله ﷺ منهم أن يخرجوا لكن الأمر الآن وبعد هذا الحصار لن يكون كما كان من قبل، والحساب بعد الحرب غير الحساب قبلها فقال عليه الصلاة والسلام لهم: لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة^(٢) فلم يقبل حبي.

ولما رفض اليهود الخروج بدون سلاح تابع رسول الله ﷺ حصارهم من جديد، وبث في صفوف اليهود أن الذي يسلم منهم سوف يأخذ ماله. فأسلم: يابن بن عمر وأبو سعد ابن وهب ونزلا فأحرزا أموالهما. واستطاع أحدهما أن ينفذ عملية ضخمة في قلب يهود. وهي اغتيال ابن عمه عمرو بن جحش الذي أراد اغتيال رسول الله ﷺ وكانت عملية الاغتيال هذه على يد رجل من قيس جعل له عشرة دنانير أو خمسة أوسق من تمر على قتله، وسر رسول الله ﷺ بذلك.

(١) سورة الحشر. الآية ٥.

(٢) ورد هذا المعنى في ابن هشام ج١/٣٠٩.

وأقام ﷺ على حصار يهود خسة عشر يوماً حتى أجلاهم وولى إخراجهم محمد بن مسلمة^(١)، وكانوا في حصارهم يخربون بيوتهم بأيديهم مما يليهم، والمسلمون يخربون ما يليهم ويحرقون حتى وقع الصلح، فجعلوا يحملون الخشب، ويحملون النساء والذرية و شقوا سوق المدينة، والنساء في الهوادج عليهن الحرير والديباج وحلى الذهب والمعصفرات، وهن يضرين الدفوف ويزمرن بالمزامير تجلداً، وقد صف لهم الناس وهم يرون، فكانوا على ستمائة بعير. فنزل أكثرهم بخيبر فدانت لهم، وذهبت طائفة منهم إلى الشام، فكان ممن صار منهم إلى خيبر أكابرهم كحبيبي بن أخطب وسلام ابن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحزن المنافقون لخروجهم أشد حزن.^(٢)

إنها أمة من أمم اليهود تهزم ويبلغ غيظها أن تهدم بيوتها بأيديها، وترغم على الصلح بترك سلاحها كله غنيمة للمسلمين، وتمضي في محنتها مشردة في الأرض جزاء نكالا لنقضها العهد، وطعنها بالمواثيق، تحمل حليها ومتاعها، وتترك شرفها وسلاحها غنيمة للمؤمنين كما وصفها الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤)﴾^(٣).

ومن الملاحظ أن تطور المواجهة بين النبي ﷺ واليهود جاء من جانب النبي ﷺ

(١) هو محمد بن مسلمة الاتصاري الحاربي يكنى أبا عبد الرحمن، ويقال: بل يكنى أبا عبد الله وهو أخو محمود بن مسلمة، حليف لبني عبد الأصيل شهد بدرًا والمشاهد كلها ومات بالمدينة كانت وفاته في صفر سنة ٤٣ هـ وقيل ٤٦ أو ٤٧ هـ وهو ابن ٧٧ سنة، وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ أمير على المدينة، انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٣/ ص ٤٣٣.

(٢) : المقرئ «امتاع الأسماع»، ج١/ ٧٨١.

(٣) سورة الحشر، الآيات ٢ و٣ و٤.

بمشابة رد فعل لم يكن يدور بخلد أحد أن يفكروا فيه فضلا عن القيام به ، وهنا يتضح دور دية بني عامر والإصرار عليه فيما أدت إليه من نتائج باهرة، توضحها رواية الطبري عن النبي ﷺ عندما ذهب إلى بني النضير، يستعين بهم في أداء دية العامرين ، بما أصبح بينهم وبين الرسول من تحالف ، فتقول الرواية:

فانطلق رسول الله ﷺ إلى قباء ثم مال إلى بني النضير مستعينا بهم في ديتهما، ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر وعلى وأسيد بن خضير، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية القتيلين ، قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه.^(١)

إن أي متابع كان لا بد أن يتوقع من بني النضير تسويفا أو مماطلة أو رفضا، لكن يبدو أن يهود نضير قد قدروا الأمر تقديراً عميقاً، فمازال خروج يهود قينقاع المهين ماثلاً في الأذهان، وهناك صحيفة معاقل تضمن لهم قدراً من السلام لا يرجون غيره، ناهيك عن معرفتهم أن المسلمين قد صاروا مقتدرين مالياً على أداء مثل تلك الديات بعدما حصلوه من مال نتيجة غزوة بدر الكبرى، ومن ثم كانت الحكمة تقتضى إجابة مثالية واضحة، لا تعطي أية فرصة لنقض صحيفة المعاقل ولما يمض عليها من الشهور سوى ستة، فقالوا : نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، رغم ما في ذلك من نكاية بعهدهم مع بني عامر وحلفهم معهم، وهو ما تعلمنا به ابن إسحاق، الذي أكد أن النضير مثلما كانت قبل الهجرة على حلف تأخ مع أوس يثرب، كانت على ذات الحلف مع بني عامر^(٢) ومعنى أن يدفعوا الدية عن مسلمين ، أنهم اتخذوا جوارهم وفكوا حلفهم مع العامرين .

ويتابع الطبري روايته فيقول: إن يهود النضير عندما أجابوا النبي ﷺ إلى ما طلب: قام وقال لأصحابه : لا تبرحوا حتى آتيكم ، وخرج راجعا إلى المدينة، فلما استلبث رسول الله ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ..

(١) : الطبري «تاريخ» ج٢/٥٥١

(٢) ابن كثير: البداية .. سبق ذكره، ج٤، ص ٧٦.

فقالوا : يا رسول الله ، انتظرناك ومضيت، فقال : يهود همت بقتلي وأخبرني الله عز وجل. ^(١)

أما كيف همت نضير بقتل النبي ﷺ وهو جالس وسط رجاله، وكيف علم النبي وحده بتلك المؤامرة، فهو ما تخبرنا به رواية ابن اسحاق وهو يقول : فأتني رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج عائداً إلى المدينة ^(٢)، أن يهود نضير قد خلا بعضهم ببعض فقالوا: «إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذا، ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعداً، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويريحنا منه. ^(٣)

ومن ثم لم يكن هناك سوى رد واحد على خبر السماء الصادق بخيانة بني نضير الواضحة، وهو الجلاء عن يشرب، وزيادة في النكاية بهم أرسل النبي لهم واحداً من الأوس وهو محمد بن مسلمة، يحمل إليهم رسالة النبي ﷺ تنذر وتقول بلا لیس: اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها، وقد هممت بما هممت به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً، فمن رثى بعد ذلك، ضربت عنقه. ^(٤)

لقد كانت نضير تظن عبر تاريخها الطويل أن يشرب بلدها هي، لكن ها هي الرسالة واضحة مفصحة تؤكد أنها قد أصبحت بلد الرسول ، وأنه سيدها، وأن عليهم مغادرتها فوراً وخلال أيام عشرة. أو يكونوا في خسر، تقطع بعدها منهم الرقاب إن ظلوا قائمين. ويقول البيهقي : أن النضير لما رأت أن محمد بن مسلمة الأوسي يحمل لها تلك الرسالة القاسية، وهو كشخص بحد ذاته يعد رسالة أخرى من النبي بخذلان الأوس لهم، تساءلت عن حلفتها مع الأوس وعقدتها قائلة لابن مسلمة: يا محمد، ما

(١) الطبري : تاريخ... سبق ذكره، ج ٢، ص ٥٥١، ٥٥٣.

(٢) ابن كثير .. البداية، سبق ذكره، ج ٤، ص ٧٦.

(٣) الموضع نفسه.

(٤) ابن سعد: الطبقات.. سبق ذكره، مج ٢، ج ١، ص ٤١.

كنا نرى أن يأتي بهذا رجل من الأوس، فقال محمد بن مسلمة: تغيرت القلوب^(١)، أو بنص الطبري «تغيرت القلوب ومحا الإسلام اليهود»^(٢) وهنا يعلمنا ابن سعد عبر طبقاته أن عبد الله بن أبي بن سلول أرسل لهم يقول: لا تخرجوا من دياركم وأقدموا في حصونكم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب، يدخلون معكم حصنكم، فيموتون عن آخرهم، وقدمكم قريظة، وحلفاؤكم من غطفان، ومن ثم كانت إجابة زعيم النضير، الذي لقبته العرب سيد الحاضر والبادي، حيي بن أخطب؛ إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدالك.^(٣) وهو أيضاً ما أكده ابن كثير وهو يروي «فبعث لهم أهل النفاق يشبتونهم ويحرضونهم على المقام، ويعدونهم بالنصر، فقويت عند ذلك نفوسهم، وحمى حيي بن أخطب، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون ونابدوه بنقض العهد»^(٤)

وهنا تسترسل آيات الوحي تنذر وتتوعد وتقول:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢)﴾^(٥).

وكان الإنذار واضحاً لا يحمل أي لبس، وهو ما كان كفيلاً بتراجع المنافقين وحساب مواقفهم بدقة، بحيث لا نرى عند حصار المسلمين للنضير أي تحرك من جانب الأوس، ولا من جانب ابن سلول وأشياعه، أما قريظة فقد فهمت الرسالة، ومن ثم التزمت صحيفة المعامل وهو ما يقوله ابن سعد في تقريره .

(١) البيهقي ، دلائل .. سبق ذكره، ج ٣، ص ٣٦٠.

(٢) الطبري: تاريخ .. سبق ذكره، ج ٢، ص ٥٥٢.

(٣) ابن سعد : الطبقات .. سبق ذكره، مج ٢، ج ١، ص ٤١.

(٤) ابن كثير : البداية .. سبق ذكره، ج ٤، ص ٧٧.

(٥) سورة الحشر الآيات ١١، ١٢.

الفصل الثالث

مواجهة أساليب النصارى

المبحث الأول:

● مواجهة أساليب النصارى القولية

المبحث الثاني:

● مواجهة أساليب النصارى العملية

الفصل الثالث

مواجهة أساليب النصارى

المبحث الأول

مواجهة أساليب النصارى القولية

الاسلوب الأول :

● المواجهة بالرفق واللين :

لقد كانت مواجهة القرآن الكريم والسنة النبوية لأساليب النصارى مناسبة لأفعالهم ومواقفهم وممارساتهم التي قاموا بها ضد الإسلام والمسلمين . وخاصة بعد أن حاولوا اتخاذ مراكز لهم في بلاد المسلمين ، ثم ترصدوا لهم وهموا بقتل الرسول ، ثم يقتل من أسلم منهم ، ثم بإعلان الحرب على المسلمين .

ولقد تعامل الرسول ﷺ مع النصارى بمرونة ورفق عظيمين على أمل أن يؤمنوا بالإسلام، خاصة أن بداية التعامل معهم كانت مبكرة منذ الفترة المكية، وفي المدينة فإنه من نافلة القول أن نقرر أن حوار الإسلام مع أهل الكتاب سواء من اليهود أو النصارى كان يستهدف الخير لهم حين يؤمنوا بالدين الحق والخاتم، ومن هنا فقد أرسل الرسول عليه الصلاة والسلام الكتب إلى ملوك أهل الأرض ومنهم أهل الكتاب - تلبية لأمر الله تعالى يدعوهم إلى الإسلام^(١) - مثل رسالته عليه السلام إلى هرقل وهي : "من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤) ﴿^(٢) رواه البخارى^(٣) . ومن تأمل حوارات النبي ﷺ وأصحابه وجد

- (١) : انظر تفصيل ذلك في كتب التاريخ والسير حول أحداث سنة ست من الهجرة .

- (٢) : سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

- (٣) : أخرجه البخارى كتاب مناقب الأنصار ج٤/٢٧٨ رقم الحديث ٣٨١١ .

أن غايتها هذا الهدف السامي ومن ذلك: أنه لما سمع بعض نصارى الحبشة بمبعث النبي ﷺ قدموا إلى مكة - وكان ذلك قبل الهجرة - وكانوا عشرين رجلاً فأتوا النبي ﷺ فوجدوه عند البيت الحرام فجلسوا إليه وكلموه، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا ، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره^(١) . وعندما أسلموا أنزل الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفْرِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) ﴾^(٢) .^(٣)

وعندما هاجر الصحابة إلى الحبشة تحاوروا مع النجاشي ، وقرأ جعفر بن أبي طالب صدرا من سورة مريم فأسلم النجاشي^(٤) ومات على الإسلام سنة تسع ، ولما مات صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب^(٥) ولما قدم النبي ﷺ المدينة أتى إليه عبد الله بن سلام وحاور النبي ﷺ فأسلم رضى الله عنه^(٦) .

فهذا الهدف هو أسمى الأهداف وأعلاها لأن فيه تبليغ دعوة الله إلى الناس وإنقاذهم مما هم فيه من الشرك والجهل .

(١) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، ٢٨/٢ - ٢٩ .

(٢) : سورة المائدة ، الآيات ٨٢ - ٨٥ .

(٣) : ابن كثير « البداية والنهاية » ، ٨٥/٢ .

(٤) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، ٢٩٠/١ ، الأجرى : الشريعة ٤٩٩-٤٥١ .

(٥) : أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الصفوف على الجنائز ، ١٠٩/٢ ، رقم الحديث : ١٣١٨ - ١٣٢٠ .

(٦) : أخرجه صحيح البخاري ، كتاب مناقب الانصار ، باب مناقب عبد الله بن سلام ج٤/٢٧٧ ، رقم الحديث :

الاسلوب الثاني :

●● المواجهة بالحوار :

والتأمل في مواجهة القرآن الكريم والسنة النبوية لأهل الكتاب سواء كانوا يهودا أو نصارى يرى أن المنطلق والهدف من المواجهة هو الحوار معهم لبيان ما هم عليه من الباطل سواء بإثبات تحريفهم لكتبهم ، أو انحرافهم عن مناهج الأنبياء ، أو إشراكهم بالله تعالى ، وذلك لإقامة الحجة عليهم ، ولإظهار باطلهم للمؤمنين ليحذروا منه قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ ^(٦٠) فإذا تبين لهم باطلهم قامت الحجة عليهم ، وكان دافعا لهم للتوجه إلى الإسلام .

ولقد حاج النبي ﷺ نصارى نجران ويهود المدينة وأظهر باطلهم بل ودعا نصارى نجران إلى المباهلة عملا بقوله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٥٩) الحق من ربك فلا تكن من الممترين ^(٦٠) فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ^(٦١) ﴿ فلما دعاهم إلى المباهلة امتنعوا خوفا من عذاب الله ^(٦١) ، فأظهر الله كذب ما يدعون في عيسى عليه السلام .

أما المواجهة بالدعوة فقد تمثلت في رسالته عليه الصلاة والسلام إلى رهبان دير سانت كاترين في جبل سيناء وهي برهان قاطع على تسامح الحكومة الإسلامية الوليدة في معاملة رعاياها من غير المسلمين مهما كان دينهم . وقد حرص الرسول ﷺ على أن يملئ رسالته على سمع من صحابته ليتعلم الجميع ما يحض عليه الإسلام من تسامح ^(٦٢)

- (١) : سورة الأنفال ، الآية ٤٢ .

- (٢) : سورة آل عمران ، الآيات ٥٩ - ٦١ .

(٣) : انظر : تفصيل المباهلة في صحيح البخاري ج٥ / ١٢٠ وابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١ / ٧٦ .

- (٤) : إمتاع الأسماع ، ج١ ، ص٤٦٧ .

وذكر البلاذري أن بعض أهل مصر أخبره أنه رأى كتابهم بعينه في جلد أحمر دارس الخط وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى بني حبيبة وأهل مقنا : سلم أنتم ، فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون ولكم ذمة الله ورسوله ، وإنه لا ظلم ولا عدوان ، وإن رسول الله يجيركم مما يجير منه نفسه .. فإن سمعتم وأطعتم فعلى رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم ومن أنتم في بني حبيبة وأهل مقنا من المسلمين خيرا فهو خير له ، ومن أطلعهم فهو شر له وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله ^(١) .

وقد اتسع نطاق العلاقة بين الدولة الإسلامية وأهل الكتاب من النصارى حتى وصل البحرين. فأرسل عليه الصلاة والسلام العلاء بن الحضرمي ^(٢) قبل فتح مكة مع الجارود ^(٣) (الذي كان نصرانيا فوفد ببني عبد القيس إلى الرسول فأسلم ومن كان

(١) : البلاذري، "فتوح البلدان"، ص ٧٢.

(٢) : العلاء بن الحضرمي، ويقال: اسم الحضرمي عبد الله بن عمار، ويقال عبد الله بن عماد، ويقال عبد الله بن ضمارة، ويقال عبد الله بن عبيدة بن ضمارة بن مالك بن عميرة، أو عبيدة بن مالك. ونسبه البعض فقال: هو العلاء بن عبد الله بن عمار بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عوف بن مالك بن الحزرج من بني إباد بن الصدف. وقد قيل: الحضرمي والد العلاء هو عبد الله بن عمار بن سليمان بن أكبر. وقيل عماد بن مالك بن أكبر. ولا يختلفون أنه من حضر موت حليف بن أمية، ولاء رسول الله ﷺ على البحرين وتوفي ﷺ وهو عليها، فأقره أبو بكر رضي الله عنه في خلافته كلها عليها ثم أقره عمر رضي الله عليه، وتوفي في خلافة عمر سنة ١٤هـ وقيل: أنه توفي سنة ٢١هـ والبا على البحرين. فاستعمل عمر رضي الله عنه مكانه أبا هريرة. انظر لأبي عمر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣/ص ١٩٢.

(٣) : هو بن حنش بن المعلبي وهو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة، بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار، وكان الجارود سريفا في الجاهلية، وكان نصرانيا فقدم على رسول الله ﷺ في الوفد فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام وعرضه عليه، فقال الجارود: إني قد كنت على دين واني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ أنا ضامن لك أن قد هدك الله إلى ما هو خير منه، ثم أسلم الجارود فحسن إسلامه، ولاء عبيد الله بن زياد ثغر الهند فمات هناك الجارود سنة ٦١ أو إلى سنة ٦٢هـ وهو يومئذ ابن تسعين سنة ، انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ٥/٥٥٩-٥٦١.

معها^(١) إلى المنذر بن ساوي^(٢) ملك البحرين فأسلم المنذر وأسلم معه : "سيبخت مرزيان" هجر وجميع العرب هناك وبعض العجم . وأما المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء وكتب بينه وبينهم كتابا :

(بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ماصالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين صالحهم على أن يكفونا الفية ويقاسموا التمر فمن لم يف فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) . وأخذ جزية الرؤوس من كل حالم ديناراً^(٣) .

وتعلل سرعة استجابة البحرين وهجر للإسلام بسبب بعدها عن التأثيرات الرومانية المباشرة وظروف الدولة الفارسية الصعبة آنذاك . فقبلوا العلاء أميرا حتى زمن الردة^(٤) .



- (١) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج٤ ص ٧٥ مرجع سابق.

(٢) : هو المنذر بن ساوي العبدي، قدم على النبي ﷺ المدينة من البحرين في وفد إياس بن عبد القيس حين

أسلموا، انظر أبا عمر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٠/٤

- (٣) : المقرئ، إمتاع الأسماح، ج ١ ص ٥٠٦، مرجع سابق .

- (٤) : البلاذري، "فتوح البلدان"، ص ٨٩ .

الأسلوب الثالث :

●● مواجهة شبهات النصارى :

مواجهة شبهات النصارى لما طرحوه أمام الدعوة في العهد المدني من مفتريات أو ممارسات من المواجهات التي مارست فيها الدعوة صورا وأساليب متنوعة بهدف أن تصل الدعوة إلى القلوب الغلف، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن كثيراً من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها^(١)، وقد اهتم القرآن بهذا الهدف فذكر شبهات الكفار من أهل الكتاب والمشركين ورد عليها بأوضح برهان ، وهذا من الحكم في نزول القرآن مفردا كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) ﴾^(٢) قال ابن كثير "ولا يأتونك بمثل" بحجة وشبهة "إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً" أي ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق فنفس الأمر أبين وأوضح وأفصح من مقالتهم ، قال ابن عباس "ولا يأتونك بمثل" أي بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول^(٣) .

وفي الرد ، على الشبه إسكات للطاعتين ، وبيان للحائرين . ولكن يشترط على من يتولى الرد على شبهة أهل الكتاب إحكام الرد لئلا يقرر الشبه ويعجز عن الرد وذكر ابن تيمية : "أن بعض الذين قرروا دلائل النبوة قد أوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة ما يبلغ نحو ثمانين سؤالاً وأجابوا عنه بأجوبة لا تصلح أن تكون جواباً في المسائل الظنية، بل هي إلى تقرير شبه الطاعتين أقرب منها إلى تقرير أصول الدين وهم كما مثلهم الغزالي وغيره بمن يضرب شجرة ضرباً يزلزلها به وهو يزعم أنه يريد أن يثبتها"^(٤) وإن كثيراً من أهل الكتاب ليصدون عن سبيل الله بكافة الوسائل

١- (١) : ابن تيمية ، "الجواب الصحيح" ، ٧٦/١ .

٢- (٢) : سورة الفرقان ، الآيات ٣٢-٣٣ .

٣- (٣) : ابن كثير ، "التفسير" ٣١٧/٣-٣١٨ .

٤- (٤) : ابن تيمية ، "الجواب الصحيح" ، ٧٦/١-٧٧ .

لردة المؤمنين كما قال تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾^(١) وكما قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ... ﴿٩٩﴾﴾^(٢) . وإن من واجب المسلمين تثبيت هؤلاء المؤمنين الذين يسعى أهل الكتاب لردتهم ، فإن ذلك من وسائل دحض حجج أهل الكتاب والغلبة عليهم في ميدان الحوار .

وقد أوضح الله عز وجل في كتابه أن نزول القرآن بدحض شبهات الأعداء والرد عليهم فيه أعظم ثبات للمؤمنين كما قال تعالى ﴿وَإِذَا بَدُلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾^(٣) .

وفي الآيات القرآنية الإشارة إلى أسلوب القرآن الكريم في كيفية مواجهتهم ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾^(٦) .

-(١)- : سورة البقرة ، الآية ١٠٩ .

-(٢)- : سورة آل عمران ، الآية ٩٩ .

-(٣)- : سورة النحل ، الآيات ١٠١ - ١٠٢ .

-(٤)- : سورة آل عمران ، الآية ٩٩ .

-(٥)- : سورة آل عمران ، الآية ٧١ .

-(٦)- : سورة المائدة ، الآية ٥٩ .

الأسلوب الرابع :

●● المواجهة بالإعراض عنهم :

يتمثل هذا الأسلوب في توجيه عناية النبي ﷺ بأن لا يلتقى للنصارى بالا، ولا يهتم، ولا يغتم بما يقترفوه أو يدبروه بليل، وأن يتوكل على الله تعالى في كل أمره، وأن يعفو عنهم، ويصفح حتى يأتي الله بأمره فهو القادر على كل شيء وفي ذلك يقول سبحانه.

﴿... فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٠٩) ﴿^(١)

وأنه هو الذي يختص برحمته من يشاء من عباده لأنه صاحب الفضل العظيم ومن فضله العظيم ورحمته أن أرسل الرسول عليه السلام بالإسلام وأنزل عليه القرآن الذي فيه الخير والرشاد للإتس والجنان .

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١٠٥) ﴿^(٢)

يقول ابن كثير : (يقول جل ثناؤه وليست يا محمد اليهود ولا النصارى براضية عنك أبدا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعث الله به من الحق ، وقل لهم : إن هدى الله الذي بعثني به هو الدين المستقيم الصالح الكامل الشامل .

يقول قتادة : هذه خصومة علمها الله محمدا ﷺ وأصحابه ليخاصموا بها أهل الضلالة وفيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن إتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة فإن الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والأمر لأمته ^(٣) .

هذا وقد رد الله تعالى عليهم مفترياتهم حين قالوا : ﴿... يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن

كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى...﴾ (١١١) ﴿^(٤) . بأن هذه أوهام وتخيلات وطالبهم بالدليل على

(١) سورة البقرة الآية ١٠٩ .

(٢) : سورة البقرة ، الآية ١٠٥ .

(٣) : تفسير ابن كثير ، جزء ١ ، ص ١٦٣ .

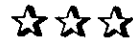
(٤) : سورة البقرة ، الآية ١١١ .

صدقهم في ما يقولون وما يدعون؟ وهيهات أن يأتوا ببرهان أو دليل فهذه أمانى تمنوها ، وتخيالات تخيلوها وليس لها دليل من الصحة والواقع .

قال تعالى : ﴿... قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾^(١) .

لقد تحداهم الله بأن يأتوا بدليل على صحة ما يقولون ، ولا يزال هذا التحدى قائما حتى تقوم الساعة .

ولقد بين الله حقيقة الكفار وهي عدم الرضا عن المسلمين حتى يتبعوا دينهم ويتركوا دين الإسلام لأن الحقد والكراهية قد ملأت قلوبهم والغرور والكبر سيطر عليهم فرد الله عليهم بقوله : ﴿قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾^(٢) .



(١) : سورة البقرة ، الآية ١١١ .

(٢) : سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .

الاسلوب الخامس :

●● اسلوب المحاجة وتفنيده المزاعم :

مقولات النصارى العقديّة التي انتهوا اليها في العهد المدني من القول بالتثليث والوهية المسيح وأمه، وغير ذلك من المفتريات واجهتها الدعوة في العهد المدني من خلال هدي الكتاب والسنة، ولقد حكم القرآن الكريم بكفرهم: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ (١٧) ﴿^(١) كما احتج سبحانه عليهم بقوله : ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ السَّلْهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (١٧) ﴿^(٢) .

وهذه جملة شرطية قدم فيها الجزاء على الشرط ، وكأن المراد والله أعلم : إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ، فمن الذي يقدر على أن يدفعه عن مراده ومتدوره أي من الذي يملك من أفعال الله ، ويقدر على دفع شيء من أفعاله ومنع شيء من مراده . فالله عز وجل هو صاحب الملك فهو مالك السموات والأرض وما بينهما ومن فيهما يخلق ما يشاء باختياره وإرادته وهو على كل شيء قدير حيث يخلق ما يشاء فتارة يخلق من الذكر والأنثى كما هو معتاد وتارة يخلق لا من الأب ولا من الأم كما هو في حق آدم وتارة يخلق من الأم كما هو في حق عيسى عليه السلام ^(٣) . قال تعالى : ﴿... وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧) ﴿^(٤) . ثم رد الله على النصارى وبين كفرهم حيث قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم . قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ (٧٢) ﴿^(٥) .

(١) سورة المائدة: الآية ١٧ .

(٢) : سورة المائدة ، الآية ١٧ .

(٣) : تفسير الرازي جزء ١١ ، ص ١٩١ .

(٤) : سورة المائدة ، الآية ١٧ .

(٥) : سورة المائدة ، الآية ٧٢ .

وهذا القول لليعقوبية لأنهم يقولون : إن مريم ولدت إلها ، ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون : (إن الله تعالى خل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى) .

ولقد بين لهم عيسى فساد قولهم بالحجة القاطعة حيث قال لهم عز وجل : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٧٢) ﴿^(١) .

فعيسى عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره فالجميع عبيد الله والله ربهم المستحق للعبادة وحده لا شريك له ومن يشرك به فجزاؤه جهنم خالدا فيها وليس له نصير من دون الله ينصره .

ثم بين الله كفر الذين قالوا : بأن الله ثالث ثلاثة
قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ... ﴾ (٧٣) ﴿^(٢) .

ويقول بعض المفسرين : إن النصارى أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ ... أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (١١٦) ﴿^(٣) .



١- (١) : سورة المائدة ، الآية ٧٢ .

٢- (٢) : سورة المائدة ، الآية ٧٣ .

٣- (٣) : سورة المائدة ، الآية ١١٦ .

الاسلوب السادس :

●● اسلوب الوعيد بالعذاب :

في ظل الشرك والكفر الذي بنى عليه النصارى عقائدهم في العهد المدني رد الله تعالى عليهم مفترياتهم ومفاسدهم ، وكشف كفرهم ، وواجهتهم الدعوة بنوع الوعيد بعذاب الله تعالى إن لم ينتهوا عما يقولون .

ومن كرم الله وجوده ورحمته بخلقه أنه يدعوهم إلى التوبة من هذا الذنب العظيم الذي قالوه والكذب الذي افتروه فإن تابوا فإن الله يتوب عليهم لأنه غفور رحيم .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾^(١) ثم بين الله عز وجل للكافرين بأن المسيح رسول كغيره من الرسل السابقين وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام . ومع اضطراب وفساد عقيدة النصارى ، إبان العهد المدني كان الوحي ينزل ليكشف الله تعالى عن هذا الإضطراب فيقول لنبيه محمد ﷺ : ﴿ ... انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٧٥) ﴿^(٢) .

أى انظر يا محمد كيف نوضح لهم الايات ونظهرها ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجللاء أين يذهبون؟ وبأي قول يتمسكون وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون؟^(٣) .

ولقد رد الله عليهم مستنكرا على كل من عبد غير الله من الأوثان والأصنام ومن الأنبياء بأن كل ما عبد من دون الله لا ينفعهم ولا يضرهم لأن الله هو الضار وهو النافع

.. (١) : سورة المائدة ، الآيات ٧٣ ، ٧٤ .

.. (٢) : سورة المائدة ، الآية ٧٥ .

.. (٣) : تفسير ابن كثير ، " جزء ٢ " ، ص ٨٣ .

وهو السميع العليم لأقوال عباده وأفعالهم ونهى أهل الكتاب عن تجاوز الحد في تعظيم عيسى والمبالغة في إطرانه حتى أخرجه من النبوة إلى الألوهية ونهاهم عن اتباع القوم الضالين الذي كانوا قبلهم والذين أضلوا غيرهم وأخرجوهم إلى الضلال وأبعدوهم عن طريق الاستقامة والاعتدال كما هم خرجوا وبعدوا عن الحق .

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) ﴾^(١) .

ثم رد الله على الذين قالوا بأن المسيح ابن الله وبأن قولهم ليس له دليل على صحته بل هو كذب واقتراء .

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ (٣٠) ﴾^(٢) . فرد الله عليهم مبينا كذبهم بأن ما يقولونه ليس له أي دليل على صحته بل هو كذب واقتراء يشابهون في ذلك ويمثلون من قبلهم من الأمم الضالة الذين ضلوا عن سواء السبيل . قال تعالى ﴿ ... ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْرَاهِهِمْ يُضَاهَتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ... ﴾^(٣) .

ولقد لعنهم الله لأنهم ضلوا عن الحق وعدلوا إلى الباطل .

قال تعالى: ﴿ ... قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾^(٤) .

(١) : سورة المائدة ، الآية ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) : سورة التوبة ، الآية ٣٠ .

(٣) : سورة التوبة ، الآية ٣١ .

(٤) : سورة التوبة ، الآيات ٣٠ ، ٣١ .

ثم بين الله ما يريد الكفار من أولئك الذين حرفوا عقائدهم من اليهود والنصارى وهو إطفاء نور الله أى ما جاء به الرسول عليه السلام من عند الله وهو الحق والهدى والرشاد ولكن لا يستطيعون لأن الله متم نوره ومظهره على سائر الأديان وناصره بالرغم من كره الكفار لذلك والمشركين .

قال تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴿٣١﴾ .

ولهذا حينما جاء عيسى بالمعجزات التي أيده الله بها قال لهم : قد جنتكم بالنبوة ولأبين لكم ما تختلفون فيه من الأمور الدينية فاتقوا الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه في ما أمركم به من تقوى الله (٣١) .

قال عيسى لقومه كما ورد في قوله تعالى : ﴿ ... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴿٣١﴾ .

فما قاله عيسى عليه السلام فيه إظهار الخضوع ، والاعتراف بالعبودية لكيلا يتقولوا عليه بالباطل بأنه إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة لأن إقراره بالعبودية يمنع ما تدعيه جهال النصارى عليه ، ثم قال : (فاعبدوه) والمعنى أنه تعالى لما كان رب الخلاق بأسرهم وجب على الكل أن يعبدوه ، ثم أكد ذلك بقوله : هذا صراط مستقيم (٣١) .



١- : سورة التوبة ، الآية ٣٢ ، ٣٣ .

٢- : انظر تفسير ابن كثير ، " جزء ٤ " ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

٣- : سورة الزخرف ، الآيات ٦٣ - ٦٤ .

٤- : تفسير الرازي ، " جزء ٨ " ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

المبحث الثاني

مواجهة أساليب النصارى العملية

تهديد:

تأخرت المواجهة العملية، من قبل الدعوة، ضد أساليب النصارى بسبب خلاقات داخل التجمعات النصرانية في الجزيرة العربية وخارجها^(١). لكن اللافت للنظر أنه عندما أصبح للإسلام قوة عسكرية، ودولة سياسية، عزم النصارى على وقف زحف الإسلام، والعمل على الوقوف في وجه انتشار دعوته والانتقال من امكان الحوار، وأجواء الخصومة القولية، إلى الإعداد للإساليب العملية، ومحاولات القضاء على الإسلام^(٢).

ولما كانت مقدمات أسلوب النصارى العملي عنيفة وبالغة العنف وواضح فيها تماما تأثير ودعم ومساندة هرقل ملك الروم بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتابه عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني بمؤتة فأمر الحارث فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه صبوا، ولم يقتل لرسول الله ﷺ غيره^(٣) ويظهر أن عداة النصارى هؤلاء للإسلام كان بوحى من هرقل والروم لإيقاع العداوة والبغضاء بين صفوف العرب خوفا من أن تحجرف العصبية العربية هذه القبائل فيكونوا عوناً للمسلمين على الروم. بينما كانت نية هرقل التريث والتثبيت ثم أرسل ﷺ كعب بن عمير في خمسة عشر رجلا إلى ذات أطلاق على حدود الشام يدعون إلى الإسلام فكان جزاؤهم القتل ولم ينج إلا رئيسهم كعب^(٤).

-
- (١) : محمد عبد الرحمن السالم "أهل الكتاب عصر ظهور الإسلام"، رسالة دكتوراة بجامعة الإسكندرية، كلية الآداب، مكتوبة على الآلة الكاتبة، ص ٥٨١، ٥٨٢.
- (٢) : أبو بكر ذكري «تاريخ الإسلام السياسي»، القاهرة عام ١٩٤٤، ج١/٣١٥.
- (٣) : انظر «الإصابة» ج٥/٤٠٥.
- (٤) : ابن سعد «الطبقات» ج٧/٦٢.

فاشتمد على الرسول ﷺ الأمر وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث بن عمير فأسرعوا فكان ذلك من الضرورة الداعية إلى المواجهة بالقوة المسلحة ومن أسباب غزوة مؤتة على قول ابن سعد^(١).

وإنه من نافلة القول أن نشير هنا إلى أن الدعوة الإسلامية قامت بالأساليب العديدة والمتنوعة والتي واجهت بها تلك الأساليب العدوانية من قبل أولئك النصارى الذين لم تقل درجة عدائهم عن إخوانهم في الكفر اليهود، حيث تنوعت وتعددت فمن ذلك مثلاً.

الأسلوب الأول :

●● مراسلة كبار النصارى:

لقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة أحمرهم وأسودهم أبيضهم وأصفرهم فلم تكن الدعوة محصورة لقوم دون قوم أو جنس دون جنس ، أو وطن دون وطن ، لذا قام ﷺ بهذا التكليف خير قيام، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي نبي عن شريعته وأمته. ومن أمثلة مراسلته ﷺ لهؤلاء الكبار، ما يلي:

(١) كتابه ﷺ إلى هرقل عظيم الروم:

وقد أرسله مع دحية الكلبي - رضي الله عنه- فدفعه إلى عظيم بصرى، ثم دفعه عظيم بصرى لهرقل، ونصه: «من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله - إلى قوله - اشهدوا بأنا مسلمون»^(٢).

(١) : الطبري «تاريخ» ج٣/١٠١

(٢) أخرج البخاري رحمه الله الرسالة في صحيحه ، في كتاب التفسير ، باب قوله تعالى: «قل يا أهل الكتاب تعالوا...» ١٩٩/٣ ، رقم الحديث ٤٥٥٣.

(٢) كتابه ﷺ للنجاشي:

فقد أرسل الكتاب مع عمرو بن أمية الضمري - رضي الله عنه - ونص الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، سلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى»^(١).

(٣) كتابه ﷺ إلى المقوقس:

وقد أرسل الكتاب مع حاطب بن أبي بلتعة - رضي الله عنه - ونصه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس، عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بداعية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنّ عليك إثم القبط «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»^(٢). هكذا نرى النبي ﷺ وهو يرأسل كبار النصارى في عصره ويبين لهم حقيقة أمر الدين الذي أرسله الله جل وعلا به.



(١) انظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٣٤٩/٢.

(٢) انظر المرجع السابق، ٣٥٠/٢.

الاسلوب الثاني :

●● الثناء على من آمن من النصارى :

إن المتمعن لآيات القرآن الكريم ليلحظ تلك الآيات التي نزلت في شأن بعض من آمن من أهل الكتاب من النصارى والتي جاءت بأسلوب رفيع يلمح منه الثناء والعطر عليهم ليثبتوا على إيمانهم وترتفع معنوياتهم في دينهم الجديد، وليبادر غيرهم ممن لم يؤمن بالإيمان لينال ذلك الحظ من الثناء من رب السموات والأرض - جل شأنه - والآيات في ذلك عديدة وكثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال:-

(١) قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِيَّسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ
تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ (٨٣)﴾^(١).

ففي هاتين الآيتين سبحانه وتعالى أن الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وماذاك إلا لما في قلوبهم إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة، كما قال: «وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية»^(٢) فقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)﴾ تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ (٨٢)﴾ أي:- مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)﴾ أي من يشهد بصحة هذا ويؤمن به.^(٣) وقيل: نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن

(١) سورة المائدة، الآيتان رقم ٨٢، ٨٣.

(٢) سورة الحديد، جزء من الآية رقم ٢٧.

(٣) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٤٣/٢، ١٤٤.

أبي طالب - رضي الله عنه - بالحبشة القرآن، بكون حتى اخضلوا لحاهم وقيل: نزلت في وفد بعثهم النجاشي إلى النبي ﷺ ليسمعوا كلامه ويروا صفاته، فلما رأوه قرأ عليهم القرآن أسلموا وكفوا وخشعوا ، ثم رجعوا إلى النجاشي فأخبروه. والقول الأول فيه نظر، لأن هذه الآية مدنية، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة .^(١)

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩)﴾ .^(٣)

فيخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الايمان، ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة، وأنهم خاشعون لله أي مطيعون له، خاضعون متذللون بين يديه، لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا، أي: لا يكتفون ما بأيديهم من البشارة بمحمد ﷺ وذكر صفته ونبوته ومبعثه وصفة أمته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هوداً أو نصارى.^(٣)



(١) انظر ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» ج٢/ ١٤٣-١٤٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٩٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٩٩.

الأسلوب الثالث :

●● استخدام القوة :

من الطبيعي أن تتنوع أساليب مواجهة الإسلام لأعدائه فهناك أساليب الترغيب وهناك أساليب الثناء وهناك أساليب العفر والصفح كما أن هنالك أساليب القوة والتي سنتحدث عنها - إن شاء الله- في هذا الموضوع.

وهذا التنوع راجع إلى وضع الدولة الإسلامية وما هي عليه من قوة أو ضعف حال صدور الأسلوب. فعلى سبيل المثال لو قام أتباع الدعوة بأسلوب قوي في زمن ضعف لكان هناك مردود سيء على الدعوة وأهلها بل قد يؤدي ذلك إلى وأدها. كما لو قاموا أيضاً بأسلوب مداراة في زمن قوة لما ظهر الأمر المقصود.

وعلى كل حال فالدعوة الإسلامية كانت بين الفينة والأخرى يقوى أمرها ويصلب عودها فكان لزاماً من تطوير الأساليب والارتقاء بها إلى ما فيه صلاح الدعوة. وكان هذا الأسلوب وهو :- أسلوب استخدام القوة.

والقارىء لتاريخ الدعوة الإسلامية في العهد المدني ليستشف بعضاً من هذه الأساليب والتي كانت الغزوات الحربية لهذه الفئة - النصارى - من بين أساليب مواجهة الدعوة الإسلامية العملية لها.

أولاً- دومة الجندل :

وهي في سنة ست من الهجرة في شعبان وقائد السرية عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه - حيث دعاه رسول الله ﷺ، فأقعدته بين يديه، وعممه بيده. وقال: أغزُ بسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، ولا تغل، ولا تغدر، ولا تقتل وليداً. ويعشه إلى كلب بدومة الجندل، فقال : إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبحُ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً، وكان رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه،

وأقام من أقام على إعطاء الجزية ، وتزوج عبد الرحمن بن عوف قماض بنت الأصبع ، وقدم بها إلى المدينة ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن.^(١)

هذا وقد توجهت عناية النبي ﷺ إلى مواجهة النصارى بدومة الجندل من قبل أن

يتوجه إليها خالد بن الوليد سنة ٩ من الهجرة.^(٢)

ففي ضوء ما يقول ابن كثير مما نقله عن ابن اسحق أن رسول الله ﷺ غزا دومة الجندل في ربيع الأول سنة خمس^(٣) - واستعمل على المدينة سبع بن عُرْفُطَةَ الغفاري ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته. وفي تبرير ذلك التوجه يقول الواقدي : أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أداني الشام ، وقيل له إن ذلك مما يفرغ قيصر ، وذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يظلمون من مر بهم ، وكان لها سوق عظيم وهم يريدون أن يدنوا من المدينة ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، ومعه دليل له من بني عذرة يقال له مذکور ، هادٍ خريت ، فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم بني تميم ، فسار حتى هجم على ما شيتهم ورعائهم ، فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا ، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبث السرايا ، ثم رجعوا ، وأخذ محمد بن سلمة رجلاً منهم فأتي به رسول الله ﷺ ، فسأله عن أصحابه فقال: هربوا أمس ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم ، ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة. قال الواقدي: وكان خروجه عليه الصلاة والسلام إلى دومة الجندل في ربيع الآخر^(٤) سنة خمس ، قال: وفيه توفيت أم سعد بن عبادة^(٥) وابنتها مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة^(٦) .

(١) انظر ابن حجر ، الفتح ، ٦٥٠/٧ ، وما بعدها .

(٢) انظر : ابن خلدون «تاريخ» ، ج٤٦٢/٢ .

(٣) انظر : ابن كثير «البداية والنهاية» ج٩٢/٤ .

(٤) : الطبري «تاريخ» ج٥٦٤/٢ .

(٥) أم سعد بنت زيد بن ثابت الأنصاري روى عنه محمد بن زاذان يقال: إن لم يسمع منها وبينهما عبد الله بن خازجة . لها عن النبي ﷺ أحاديث منها أنه أمر بدفن الدم إذا احتجم ، انظر أبا عمر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٤٩٢/٤ .

(٦) : الواقدي «الغازي» ج٢٢٥/١ .

ثانياً - غزوة تبوك :

في عام ٦: ه ناور هرقل إمبراطور بيزنطة الإسلام ليكسب الوقت ضد المسلمين بعدما توسعت الدعوة في أرجاء الجزيرة وعندما كتب الرسول ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر ملك غسان بالبقاء من أرض الشام وعامل قيصر على العرب يدعوه إلى الإسلام^(١)، استأذن الحارث هرقل لحرب الرسول فنهاه هرقل^(٢). كما أرسل رجلا من غسان ينظر إلى الرسول ﷺ ويستطلع أمره ليتأكد من موقفه ومقدار مركزه بين قومه وقوته لا كما توهمه بعض المؤرخين المسلمين من أن كان ينوى الإسلام ويخاف قومه^(٣).

وكانت الساقطة^(٤) أو الضاغطة^(٥) وهم الأتباط يقدمون المدينة بالدرمك والزيت في الجاهلية وبعد أن دخل الإسلام ، فكانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم، وليس بالمستبعد أن يكون للرسول ﷺ بينهم عيون يصلونه بأخبار الروم أولا بأول ولعل الروم سللوا إليهم خبرا مفاده أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وأن هرقل زج بأصحابه لسنة وأجلبت معه لحم وجذام وغسان وعاملة^(٦) وإن هذه الجموع زحفت وقدمت مقدماتها إلى البلقاء وعسكروا بها وتخلف هرقل بحمص ، وقد اعتقد بعض المؤرخين المسلمين أن ذلك لم يكن، إنما كان شيئا قبل لهم فقالوه .

والأرجح أن الخبر كان صحيحا ، وأن الروم سللوه ليبلغ المسلمين إرجافا لهم وتهينة الفرصة للمنافقين ولبقايا أهل الكتاب في الحجاز ليقوموا بعمليات تخريبية داخل الحكومة الإسلامية تمهيدا لغزوة يقوم بها الروم والعرب المنتصرة بصحبة أبي عامر الراهب.

(١) : الإصابة ج ٥، ص ٤٠٦، ٤٠٩، الطبقات ج ٧، ق ١، ص ٦١.

(٢) : ابن خلدون، ج ٢، ص ٤٦٢ .

(٣) : ابن خلدون ج ٢، ٩٦٣.

(٤) : الواقدي ج ٣، ص ٩٩٠ .

(٥) : ابن عسكراج ٢، ص ٤١٣ .

(٦) : فتوح البلدان، ص ٧١، الطبقات ج ٢، ص ١١٩، الكامل ج ٢، ص ٢٧٧ .

وجد الرسول ﷺ في مواجهة ذلك ولم يحتمل صبراً ولم يطق انتظاراً فأمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجذب من البلاد وحين طابت الثمار وأحييت الظلال ، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان عليه الصلاة والسلام قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الذي يعمد له إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يعمد له فتجهز الناس على ما في أنفسهم من استئصال لذلك إذ لم يكن عدو أخوف عند المسلمين من الروم لما عاينوا منهم من العدد والعدة والكراع^(١) وفي هذه الغزوة - والله أعلم - نزل قوله تعالى :

١- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٣٨) ﴿^(٢)

٢- ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٤٢) ﴿^(٣)

وقد اجمع الرواة والمفسرون على أن هذه الغزوة هي غزوة تبوك في مشارف الشام التي تبعد عن المدينة مسيرة خمسة عشرة ليلة وقد كانت هذه المشارف مجال قبائل عربية يدين كثير منها بالنصرانية وفيها إمارة : "دومة الجندل" التي كان ملكها الأكبر من بنى كلب يدين بالنصرانية مع قومه أيضا . وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم استجاشوا القبائل العربية النصرانية من نخم وجذام وعاملة وغسان وجمعوها في مشارف

(١) : الطبري «تاريخ» ج٣/١٠١

(٢) : سورة التوبة، الآية ٣٨ .

(٣) : سورة التوبة، الآية ٤٢ .

الشام لغزو المسلمين للبلقاء بقيادة زيد بن حارثة فخرج النبي على رأس جيش عظيم لمقابلة هذه الجموع حيث يمكن أن يقال أن الأمر بقتال أهل الكتاب المنحرفين في آية التوبة هو لأجل قتال القبائل النصرانية المحتشدة العازمة على غزو المدينة . وحيث ينطوي في ذلك تأييد آخر لانتشار النصرانية في عرب بلاد الشام البدر والحضر بمقياس واسع . ويرغم الصعاب انطلق جيش الإسلام بقيادة الرسول ﷺ قاصدا تبوك فبلغ الروم أمر هذا الجيش وكثرته وقوته فأثروا الانسحاب إلى داخل بلاد الشام ولم ير الرسول محلا لتبوعهم قبل أن يؤمن مشارف الشام فصالح أهل تبوك على الجزية ^(١) . وأقام الرسول بتبوك بضع عشرة ليلة ^(٢) .

واستمر هرقل في مناوراته ولعله هو الذي سمح لأسقف غزة الذي جاء للرسول ﷺ بتبوك وسلمه أموال هاشم وعبد شمس ^(٣) .

وأعجب عدد كبير من نصارى الشام بدعوة الإسلام فتقربوا إليها وأمن بعضهم ومن هؤلاء مالك بن أحمر ^(٤) - من نصارى الشام - وفد على الرسول ﷺ بتبوك فأسلم وسأله أن يكتب له كتابا يدعو إلى الإسلام فكتب له في رقعة ^(٥) .

وعامل ﷺ النصارى معاملة طيبة وخير ما يوضح هذه المعاملة عهده لأمير أيلة النصراني ، " يوحنة بن رؤبة " الذي أتاه وهو بتبوك فصالحه على الجزية وكتب لهم كتابا بأن يحفظوا ومنعوا ^(٦) ذكر ابن إسحق نصه ^(٧) :

(١) : فتوح البلدان ، ص ٧١ .

(٢) : الطبرى ج ٣ ، ص ١٠٩ .

(٣) : الطبقات ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٢ .

(٤) هو مالك بن أمر الجذامي قدم على النبي ﷺ وهو بتبوك وكتب له كتابا ولم أقف على ترجمة له، انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣/٤٠١ .

(٥) : فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٧١ .

(٦) : فتوح البلدان ص ٧١ ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

(٧) : السيرة ، ج ٤ ، ص ١٢٨ ، ابن عساکر ، ج ٧ ، ص ٤٢١ .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمانة من محمد النبي رسول الله ليوحى ابن رؤية وأهل إيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدث فإنه لا يحول ماله دون نفسه وأنه أطيب لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن يمنعوا ما يردونه ولا طريقا يردونه من بر أو بحر .

وكان على رؤية عند مقدمه لرسول الله عليه صليب من ذهب وقد عقد ناصيته^(١) .

ثالثا - غزوة مؤتة :

وهي بأدنى البلقاء من أرض الشام في جمادى الأولى سنة ثمان، وكان سببها أن رسول الله ﷺ، بعث الحارث بن عمير الأزدي، أحد بني لهب، بكتابه الى الشام، إلى ملك الروم، وقيل الى ملك بصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو القساني، فأوثقه رباطا، ثم قدم فضرب عنقه صبورا ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر عنه.

ثم بعث رسول الله ﷺ بعثه الى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، وأمر عليهم زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقال: إن أصيب فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة على الناس، فنجز الناس، ثم تهيؤوا للخروج، وهم ثلاثة الاف ، ثم مضوا حتى نزلوا معا من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل ثاب من أرض البلقاء في مائة الف منهم، عليهم رجل من بلي يقال له: مالك من رافلة ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء ، يقال لها مشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها: مؤتة فالتقى الناس حتى قتل من المسلمين القواد الثلاثة، ثم استلم الراية خالد بن الوليد رضي الله عنه فمازال يقاتل حتى دافع القوم وحاشي بهم، ثم انحاز، وانحيز عنه حتى انصرف بالناس^(٢) وقد حكى بعض المؤرخين أن الهزيمة كانت على المسلمين ، وحكوا

(١) : إمتاع الأسماع، ج ١، ص ٤٦٧ .

(٢) : انظر ابن حجر ، الفتح، ج٦٥٠/٧ وما بعدها. وابن سيد الناس، عيون الأثر ج٢٠٨/٢ وما بعدها.

أيضا أن الهزيمة كانت على الروم، والمختار من ذلك ما ذكره بعض المؤرخين من انحياز كل فئة عن الأخرى من غير هزيمة.^(١)

هذا وتذكر مصادر السيرة وكتب التاريخ أن الشام أصبحت متجه أنظار الرسول ﷺ بعد أن أمن الجنوب لعهد مع قريش وإذعان: " بإذان " عامل اليمن لدعوته فكانت غزوة مؤتة لتأديب القبائل الغادرة العميلة للروم، ولتكون في الوقت نفسه طبيعة لحملة أكبر للفتح، فهي مقدمة لغزوة تبوك التي كانت بدورها مقدمة لما كان بعد وفاته ﷺ من فتح الشام تحقيقا لطبيعة المد الإسلامي النابع من طبيعة الدعوة الإسلامية بصفتها العالمية.

وقد شجع اليهود الغزوة لإدراكهم مدى قدرة الروم والعرب المنتصرة على صد هجمات المسلمين ولأنهم أحبوا أن يضرب عدو بعدو^(٢).

أما العرب المنتصرة فقد شعرت بخطر الإسلام على كيانها فتجمعت جميعها: بهراء ووائل ونخم وجذام^(٣) وبيلى^(٤) بزعامة رجل من بلى هو مالك بن رافلة، وبالغ المؤرخون وأصحاب السير في عددهم فذكروا أن هرقل كان في مائة ألف من الروم ومائة ألف من العرب المنتصرة^(٥) وشجعها هرقل بالذات بقصد خبيث ليضرب العرب بعضهما ببعض بينما يبقى بعيدا يتدبر أمره ويرى رأيه في المناورة مع معرفته بأهمية الثأر الذي يلهب نفوس العرب ويشير بين أبنائها وقبائلها العداوة والبغضاء ولذلك فرجع عدم اشتراك الروم في المعركة وإنما جموع العرب المنتصرة الكثيرة العدد هي التي قابلت جموع الإسلام في صدامه الأول مع الروم.

(١) : انظر : صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ج٥/١٠٣ رقم ٤٢٦٢، وابن حجر، الفتح ج٧/٦٥٣-٦٥٤.

(٢) : انظر ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج٧، ص ٣٩٠.

(٣) : الطبقات ج٢، م١٠، ص ٩٣.

(٤) : عقد الجمان ج٤، م١٠، ص ٦٠، الطبري ج٣، ص ٣٧.

(٥) : الكامل ج٢، ص ١٥٩، السيرة ج٣، ص ٣٢٤، الطبري ج٣، ص ٣٧.

اجتمع من المسلمين ثلاثة الاف، أميرهم زيد بن حارثة، وكانت الخطة فإن أصيب
فجعفر ابن أبي طالب^(١) فإن أصيب فعبد الله بن رواحه.

وكما سبقت الإشارة سارت جموع المسلمين حتى نزلت معان من أرض الشام^(٢)
وهناك وصلتهم الأنبياء بكثرة الروم والعرب المنتصرة فاتحازوا جنوباً. قبل أن يصطدموا
أو يواجهوا ما انتهى اليهم من أن هرقل حين نزل أرض البلقاء نزل في مائة الف من
الروم^(٣)، ولما تيقن المسلمون من ذلك أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم،
وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا؛ فيما أن يُدنا بالرجال، وإما أن
يأمرنا بأمره فنمضي له، قال: فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال: يا قوم، والله إن
التي تكرهون لتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعددٍ ولا قوة ولا كثرة، ولا
نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي إحدى الحسينين إما ظهور
وإما شهادة قال، : فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس، فقال عبد الله
بن رواحة في محبتهم ذلك :

جلبنا الخيل من أجا وفرع تفر من الحشيش لها العكوم^(٤)
حذوناها من الصوان سبتنا أزل كأن صفحته أديم^(٥)

(١) هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب سيد شهيد، عظيم، كبير الشأن أبو عبد الله بن عم رسول الله ﷺ
آخر علي بن أبي طالب وهو أكبر منه بعشر سنين أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر الهجرتين وحين
عادوا في المسلمين وهم على خيبر ففرح النبي ﷺ لعودته كثيراً، ثم كان أحد القواد الشهداء في وقعة مؤتة
سنة ٥٨هـ، انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٤/٣٤-٤١ والذهبي سير اعلام النبلاء ج١/ص ٥-٢-٢١٨.

(٢) : الطبقات ج٢، ق١، ص ٩٣ .

(٣) : ابن هشام «السيرة» مرجع سابق ج٣/٤٤٣.

(٤) أجا - بفتح الهمزة والجيم، وآاره همزة - أحد جبلي طي، والآخر سلمى، وفرع: يروى بالعين المهملة وبالغين
المعجمة، وهو اسم مرضع، وتفر: أي تطعم شيئاً بعد شيء، تقول: غررت الطائر، إذا أطعمته والعكوم: الجنوب،
الشرتوني، أقرب الموارد ج٢/٧٣.

(٥) حذوناها: جعلنا لها حذاء، والحذاء: النعل، والصوان: حجارة ملس، واحذتها صوتانة، والسبت- بكسر السين-
النعال التي تصنع من الجلد المدهوغ، وأل: أجلس ظاهر الصفحة، والأديم: الجلد، المرجع السابق، نفس الموضع.

أقامت ليكتين على معانٍ فأعقب بعد فترتها جموم^(١)
يقول ابن اسحق: : ثم مضى الناس، فحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث عن
زيد بن أقرم؛ قال: كنتُ يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك
مردفي على حقيبة رحله^(٢) فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أديتني وحملت رحلي	مسيرة أربع بعد الحساء ^(٣)
فشأنك أنعم وخالاك ذم	ولا أرجع إلى أهلي ورائي ^(٤)
وجاء المسلمون وغادروني	بأرض الشام مشتهي الثواء ^(٥)
وردك كل ذي نسب قريب	إلي الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعسل	ولا نخل أسافلها رواء ^(٦)

فلما سمعتهن منه بكيت ، قال: فخفقتني^(٧) بالدرة وقال: ما عليك بالكع^(٨) أن
يرزقني الله شهادة وترجع بين شعبتي الرحل^(٩)؟

قال ابن إسحق: فمضى الناص حتى إذا كانوا يخوم البلقاء^(١٠) لقيتهم جموع هرقل
من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون

(١) معان: اسم موضع، والجموم: استراحة الفرس، وأراد منها هنا استعدادها ونشاطه.

انظر ابن هشام «السيرة» مرجع سابق ج٣/٤٣٠.

(٢) الحقيبة: ما يجعله الراكب وراءه إذا ركب ، مرجع سابق - نفس المصدر.

(٣) أصل الحساء جمع حسي، مثل دلو ودلاء وطبي وطباء ، والحسي: ماء يغور في الرمل فاذا بحثت عنه وجدته،
انظر الشرتوني، أقرب الموارد، ج٢/٧٥.

(٤) ولا أرجع: جزم هذا الفعل على الدعاء، يدعو على نفسه بأن يستشهد في هذه الرقعة ولا يرجع إلى أهله.

(٥) الثواء - يفتح الثاء المثناة - الإقامة، وتقول: ثوى في المكان يشوى - من باب ضرب - إذا أقام.

(٦) البعل: الذي يشرب بهروقه من الأرض، والعذى: الذي يشرب من ماء السماء، وقوله «أسافلها رواء» أظهر ما
فيه أنه مبتدأ وخبر، ففي هذا البيت الاتواء، وهو اختلاف حركة الروى.

(٧) خفقتني: ضربني، والدرة: العصا.

(٨) لكع - بضم اللام وفتح الكاف، وهذه صيغة مستعملة في سب الذكور، ولا تستعمل إلا في النداء، وهم اللثيم،
وقد وقع هنا منادى على الأصل.

(٩) شعبتا الرحل: طرفاء المقدم والمؤخر، انظر المصباح المنير مادة شعب.

(١٠) التخوم: حدود الأرضين التي تقع بين أرض وأرض، ويقال يفتح الثاء أو ضمها، المصدر السابق مادة: تخم.

إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها فتعباً لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة يقال له : قطبة ابن قتادة^(١) وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عباية بن مالك (قال ابن هشام : ويقال : عبادة بن مالك) قال ابن إسحق: ثم التقى الناس، واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتل؛ فكان جعفر أول رجل من المسلمين عُقر في الإسلام^(٢).

وفيما حدث به يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي، وكان أحد بني مرة بن عوف فكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة، قال: والله لكأنني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
على إذ لا قيتها ضرابها^(٣)

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر بي أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه^(٤) حتى قُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء، ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه^(٥) نصفين .

(١) : هو قطبة بن قتادة بن جرير السدسي الشيباني من بكر بن وائل أبو الحويصلة: شجاع من القادة من أبناء بادية الأهلة (بين الكويت والبصرة) أسلم بعد فتح مكة. ودخل الأهلة (سنة ١٢هـ) فاتحاً مع خالد بن الوليد، وعليها قائد من قبل الفرس وافتتح خالد الحربية (حيث بنيت البصرة بعد ذلك) واستخلف قطبة، وتابع خالد زحفه، انظر الزركلي، الاعلام ج٥/٢٠٠.

(٢) : ابن هشام «السيرة» ج٣/٤٣٣.

(٣) : ابن هشام «السيرة» ج٣/٤٣٤.

(٤) احتضنه: أخذه في حضنه، وحضن الرجل: ما تحت العضد إلى أسفل، أنظر الشرتوني «أقرب الموارد» ج٢/١٣٥.

(٥) فقطعه: يروى في مكانه فقط- بتشديد الطاء- وقطه وقطعه بمعنى- ابن هشام «السيرة» ج٣/٢٩.

رابعاً - غزوة ذات السلاسل :

لم تكن المعارك الاولى للمسلمين مع النصارى في العهد المدني حاسمة لصالح المسلمين كما أنها أبرزت قدرة تجمع القبائل المنتصرة، التي طمعت بعض القبائل المنتصرة في المسلمين فحاولت بلى وقضاة التجمع للذنو من أطراف رسول الله ﷺ فوجه غزوة ذات السلاسل بقيادة عمرو بن العاص^(١) إلى أرض بلى وعذرة مستنقرا الناس إلى الشام. واختار عمرو لأن أم العاص بن وائل كانت من بلى فبعثه الرسول ﷺ إليهم ليستألفهم بذلك^(٢).

ولما وصل عمرو أرض جذام في مكان يقال له : السلاسل ، خاف عمرو من تجمع القبائل المنتصرة وأن يكون مصيره مصير مؤتة وذلك بأن يجابه جيشا كبيرا فبعث إلى الرسول ﷺ يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ومنهم أبو بكر وعمر وصلى بهم عمرو.

فوطئ عمرو طيئ بلى ودخلها حتى انتهى إلى أقصى بلى وعذرة وبلقين فاستعاد هيبة المسلمين - وكانت هذه السرية أساس ذبوع اسم عمرو فيما بعد في ربوع الشام .

لكن اللاقت للنظر أن المسلمين تعاملوا في المواجهة العملية مع النصارى بنوع من الحرص والحذر والرفق ذلك أن عمرو احتاط بالفعل من القبائل المنتصرة، ولذلك ينتبه ابن كثير لهذه الاعتبارات ويقول: فلما صار إلى هناك خاف من كثرة عدوه فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين، وأمر عليهم رسول الله ﷺ أبا عبيدة

(١) : هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم أبو عبد الله ويقال أبو محمد السهمي، أسلم سنة ثمانية قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر. وقال الزبير أم عمرو سبية يقال لها النابغة من عنزة، ولاه النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل، وقال مجاهد عن الشعبي دهاة العرب أربعة، معاوية وعمرو والمغيرة وزياد. وقال أبو عمر كان عمرو بن العاص من أبطال قريش ومناقب عمرو كثيرة جداً، واختلف في السنة التي توفي فيها، والارجح سنة ٤٣هـ، انظر تهذيب التهذيب ط ٨/٨٤/ص ٤٩.

(٢) : ابن كثير «البداية والنهاية» ج ٤/٢٧٣.

بن الجراح^(١)، فلما قدموا على عمرو قال أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمده بكم، فقال المهاجرون بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو إنما أنتم مدد أمددته، فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجل حسن الخلق لين الشيمة - قال : تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ أن قال : « إذا قدمت على صاحبك فتطوعا » وإنك إن عصيتني لأطيعنك، فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص، وقال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام ويتألفهم حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل - وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل - قال فلما كان عليه وخاف بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح^(٢).

- (١) : أهر عبيد عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري صحابي جليل ولد قبل الهجرة ب ٤٠ سنة من السابقين الأولين أحد العشرة المبشرين بالجنة، أمير قائد لقبه رسول الله ﷺ بأمين الأمة وشهد المشاهد كلها وولاه عمر قيادة الجيش الزاحف على الشام خلفا لخالد بن الوليد كان رقيقا متواضعا، وقد مات في طاعون عمواس بين الرملة وبيت المقدس، سنة ١٨هـ وله ٥٨ سنة وأحاديثه في الصحيحين وغيرها معدودة، وروى له أحمد اثنا عشر حديثا في المسند انظر بن سعد الطبقات الكبرى ج٣/٤٠٩-٤١٥ والذهبي اعلام النبلاء ج١/٢٣٠.
- (٢) : ابن كثير « البداية والنهاية » ج٤/٢٧٣.

خامساً - فتح الشام :

اللافت لنظر الباحث أن مواجهة الدعوة العملية لأساليب النصارى العملية ظلت تشغل اهتمام الرسول ﷺ إلى آخر حياته^(١) ولذلك فإنه ﷺ في صفر من السنة العاشرة للهجرة، أمر الناس، بالتهيؤ لغزو الروم في بلاد الشام .^(٢) وأمرهم بالانكماش^(٣) في غزوهم بقيادة أسامة وقال له : "يا أسامة سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك فأوطنهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش فاغز صباحا فإن أظفرك الله فاقتل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم البعوث أمامك والطلائع"^(٤) .

وواضح من الوصية أن غاية بعث أسامة كان شن الغارة ، والغارة طليعة لفتح الشام لأنه أمره أن يقلل اللبث فيهم وودعه ﷺ بما يشبه وصية الأمراء (في مؤتة) وكان في جيشه جلة المهاجرين الأولين ، ولما تقول المنافقون رغم قتلهم على حادثة سن أسامة نقل عمر بن الخطاب ذلك إلى الرسول ﷺ فغضب رسول الله غضبا شديدا وقد عصب رأسه من الصداق وما قاله :

"والله لئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله وإن كان أبوه خليقا للإمارة وإنه لخليق لها فأنفذوا بعث أسامة"^(٥) .

بهذا الحزم أمر الرسول ﷺ بإنفاذ البعث ، ولكن الوجد اشتد برسول الله فأقام عسكره بالجرف على بعد فرسخ من المدينة ينظرون ما الله قاض برسول الله .

(١) : الطبقات، ج٢، م١٠، ص١٢٠، والتنبيه والإشراف، ص٢٣٦، المسعودي، ج٣، ص١٠٢٥، "إمتاع الأسماع"، ج١، ص٤٦٣، السيرة، ج٤، ص١٣٩.
(٢) : الطبقات، ج٢، م١٠، ص١٢٠، "إمتاع الأسماع"، ج١، ص٤٦٦، الكامل، ج٢، ص٢٨١، الطبري، ج٣، ص١٠٩.

(٣) : الواقدي، "الغزى" ج٣، ص١١١٨ .

(٤) : الواقدي، "الغزى" ج٣، ص١١١٨ .

(٥) : أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما في مرض النوي توفي فيه، ١٦٨/٥، رقم الحديث : ٤٤٦٩.

وشاء الله أن يلتحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى وأسامة لا يزال معسكرا بالجرف ،
فأنفذه أبو بكر بعد بيعته وتمكن المسلمون من قهر العدوان النصراني على
الإسلام والمسلمين عصر النبي ﷺ ثم عصر أصحابه رضوان عليهم ومن منطلق الدعوة
من المدينة .

سادساً- مواجهة التجمعات النصرانية :

طوال عصر النبي ﷺ ، ومواجهة الأساليب النصرانية لم تضعف ولم يقعد دونها
المسلمون حتى بعد التحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى، ومن ذلك مثلا المواجهة التي لاحق فيها
المسلمون النصارى في «حصن عبد القيس» في البحرين وفي معركة قرية «اليس» من
الأنبار، وكذلك يوم «الحرة» غرب الكوفة؛ وهذه المواجهات الثلاث تمت على الوجه التالي

كان يقيم في البحرين ^(١) قبائل من ربيعة من بكر وتغلب، وكانوا قد وفدوا على
رسول الله ﷺ : فأمر عليهم المنذر بن ساوى. ^(٢)

ثم حدث أن النبي ﷺ والمنذر بن ساوى اشتكيا في شهر واحد، ومات الرسول ﷺ؛
ثم مات المنذر بعده بقليل، فارتد أهل البحرين جميعاً عن الإسلام كما ارتد غيرهم من
سائر أنحاء شبه الجزيرة فأما بكر فإنها ثبتت على رديتها، وأما عبد قيس فإنهم رزقوا
الجارود بن المعلى، فثناهم عن رديتهم.

وكان الجارود قدم على النبي ﷺ مرتادا، فقال له: أسلم يا جارود، فقال: إن لي
ديناً، فقال له الرسول : إن دينك يا جارود ليس بشيء، وليس بدين. فقال له الجارود:

(١) بلاد البحرين: شقة ضيقة من الأرض على الخليج العربي، وتتصل باليمامة في جزئها الأعلى.

(٢) كان رسول الله ﷺ وجه العلاء الحضرمي إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية، وكتب معه إلى
المنذر بن ساوى وإلى سيخت، مرزبان هجر، يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية، فأسلما وأسلم معهما جميع العرب
هناك وبعض العجم، وأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء وكتبوا بينه وبينهم
كتابها.

انظر: الطبري «تاريخ» ج ٣/٣٥٤- ابن الأثير «الكامل» ١٧٨/٢، البلاذري «فتوح البلدان» ٨٩.

فإن أنا أسلمت. فما كان من تبعه الإسلام فعليك؟ فقال: نعم، فأسلم، ومكث بالمدينة حتى فقه، ثم عاد إلى قومه من عبد قيس، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا كلهم، ثم لم يلبث أن مات رسول الله، فقالت عبد قيس، لو كان محمد نبياً لما مات، وارتد.^(١)

فبعث إليهم الجارود، ثم قام فخطبهم؟ فقال: يا معشر عبد القيس، إني سائلكم من أمر، فأخبروني به إن علمتموه ولا تجيبوني إن لم تعلموا. قالوا له سل عما بدا لك، قال: تعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أو ترونه؟ قالوا: لا، بل نعلمه، قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فإن محمداً ﷺ مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنت سيدنا وأفضلنا. وثبتوا على إسلامهم.



(١) : الطبري، «تاريخ» ج ٣/٣٥٤.

الفصل الرابع مواجهة أساليب المنافقين

وفيه بحثان

المبحث الأول:

● مواجهة الأساليب القولية

المبحث الثاني:

● مواجهة الأساليب العملية

الفصل الرابع مواجهة أساليب المنافقين المبحث الأول مواجهة الأساليب القولية

الأسلوب الأول:

●● مواجهة الإرجاف بالمؤمنين:

لما انتهج المنافقون «الارجاف» وسيلة يحققون بها أهدافهم في افساد مجتمع المؤمنين وجعله جاهزا لتلقي الأراجيف، قابلا للإخافة والإرعاب بمجرد صدور هذه الأراجيف من المنافقين الذين يجتهدون في نشرها وترويجها بين الناس، واجهتهم الدعوة بذلك الإنذار القاطع: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠) ﴿١١﴾.

الأسلوب الثاني:

●● مواجهة أسلوب الكذب والخداع:

عندما مارس المنافقون أسلوب الكذب والخداع، وذلك باعلائهم الانتماء للدعوة والدولة التي أقامها النبي في المدينة كشف القرآن هذا النوع من الكذب والخداع. وجابهت الدعوة المنافقين بقرآن يتلى يكشفهم ويفضحهم وذلك في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

.. (١) : سورة الأحزاب ، الآية ٦٠ .

السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ السُّلَّةُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴿١١﴾

ولما أظهروا كذبا وخداعا المحبة للرسول عليه الصلاة والسلام، وقاموا يحدثونه بكلام يبدو من ظاهره الرفق والحب والاخلاص، ولكن كانت قلوبهم مليئة حقدا وبغضا وضعينة للرسول عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين^(١١). فضحهم الله تعالى وكشف كذبهم: قال تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾^(١٢). ثم توالى الآيات في فضحهم وفي ذلك يقول سبحانه:

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾^(١٣).

أي أن هذه الآيات الكريمة تكشف الأبعاد النفسية للمنافقين في تعاملهم مع النبي إذ كان المنافقون يظهرون الإسلام كذبا ويبطنون الكفر حقيقة لكي يخدعوا المؤمنين، وحتى يدبروا مؤامراتهم في الخفاء والسر، ونسوا أن الله مطلع كاشف لخداعهم وكذبهم.

(١) : سورة البقرة ، الآيات ٨ - ١٦ .

(٢) : انظر: عادل الشدي المصدر السابق صفحة ١٨٣ .

(٣) : سورة البقرة ، الآية ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٤) : سورة المنافقون ، الآية ١ - ٣ .

الاسلوب الثالث:

●● مواجهة اسلوب التشكيك والبلبلة:

لما كان المنافقون لم يتركوا فرصة سانحة تتيح لهم التعبير عن أحقادهم وخصومتهم للدعوة الا ويمارسوها، وقد استنفدوا وسائل وأساليب كثيرة قولية وعملية، على السواء، ومن ذلك حرصهم على التشكيك في كل موقف يقفه المسلمون، يتعلق بالدعوة فانهم يقومون بإثارة البلبلة مع كل ظرف أو مناسبة تكون في صالحهم ومن ذلك كما أشرنا إلى أساليبهم التشكيبية القائمة على البلبلة- مثلا عندما كان الرسول ﷺ ببعض الطريق الى تبوك في السنة التاسعة من الهجرة^(١) لغزو الروم ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه يقال له: عمارة بن حزم، وكان بدريا، وهو عم بني عمرو بن حزم وكان في رحله زيد اللصين القينقاعي، وكان منافقا.^(٢) وفي ضوء رواية ابن اسحق، أن زيد بن اللصيت هذا عندما كان في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله ﷺ قال: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: «إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم الا ما علمني الله، وقد دئني الله عليها، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونني بها»^(٣) فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم الى رحله فقال: والله لعجب من شيء: حدثنا رسول الله ﷺ أنفا عن مقالة قائل، أخبره الله عنه بكذا وكذا للذي قال زيد بن لصيت، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة، ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي. فأقبل عمارة على زيد يجافي عنقه، ويقول: الى عباد الله إن في رحلي لداهية وما أشعر: أخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبنى.^(٤)

(١) : انظر : ابن هشام «السيرة النبوية» ج٤/١٧٨

(٢) : انظر : الطبري «تاريخ» ج٣/٩٦

(٣) انظر: ابن سيد الناس «عيون الأثر» ج٢/٢٩٥.

(٤) : انظر : ابن هشام «السيرة» ج٤/١٧٨

الاسلوب الرابع:

●● مواجهة اسلوب التخذيل والتشبيط

أسلوب التخذيل والتشبيط الذي أشرنا إليه كواحد من أساليب المنافقين في خصومتهم للدعوة، والذي كانوا يستهدفون من ورائه أن يحطموا معنويات المسلمين ويوهنوا من عزائمهم، ويفرقوا صفوفهم، ولكن واجهتهم الدعوة بالتأكيد على أن إيمان المؤمنين بالدعوة كان قويا أقوى من مكاييد المنافقين، وقد بين لنا القرآن هذه المواقف التي يمكن للمؤمنين أن يقاوموا بها أسلوب التخذيل والتشبيط.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا... (١٥٤)﴾^(١). ويكشف القرآن مواقفهم أولا بأول.

لكن هذا التخذيل لم يحل دون نجاحات المسلمين ونشر دعوة الله فمثلا حين كان المسلمون بقيادة النبي ﷺ يزمعون التوجه إلى «تبوك» أن قال المنافقون للمؤمنين قال الحق عز وجل: ﴿... لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ... (٨١)﴾ [التوبة: ٨١]^(٢)، وذلك لأنه كان الخروج لغزوة تبوك في شدة الحر عند طيب الثمار والظل في المدينة فأخذ المنافقون يشنون المؤمنين عن الخروج بتخوينهم من الحر ويحببون إليهم الجلوس في المدينة حيث الراحة والثمار والظلال وهذا ليس رحمة وشفقة بالمؤمنين وإنما تخذيل وتشبيط وإحباط لهمهم لإبعادهم عن الرسول ﷺ^(٣).

ويقول ابن هشام: (أن ناسا من المنافقين كانوا يجتمعون في بيت سويلم اليهودي وكان بيته عند جاسوم يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فبعث إليهم

(١) - سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

(٢) - سورة التوبة، الآية ٨١.

(٣) - ابن هشام، «السيرة النبوية»، جزء ٢، ص ٥١٩، والبيهقي «دلائل النبوة» ج ٥/٢٦١.

الرسول عليه السلام طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت
سويلم ففعلوا) (١).

هذا وقد سبقت الإشارة إلى أن المنافقين في المدينة تحركوا ضد الاسلام عبر
أساليب عديدة ، عقب غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة لأن انتصار المسلمين في
هذه الغزوة بقيادة النبي ﷺ كان أشبه بالطعنة في صدر : عبد الله بن أبي ، وصدور
أتباعه كما كانت طعنة شديدة في صدور اليهود . (٢)

يقول الواقدي : "لما قدم الرسول ﷺ بالأسرى أذل الله بذلك رقاب المشركين
والمنافقين واليهود ، ولم يبق بالمدينة يهودى ولا منافق إلا خضد عنقه لغزوة بدر .

" وكان مشركو يثرب وبعض المنافقين قد منوا أنفسهم بهزيمة المسلمين ، فقال رجل
منهم وهو يري أسامة بن زيد قادما من ساحة القتال : "قتل صاحبكم ومن معه" ، وقال
آخر: "قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده وقتل محمد ، وهذه ناقته نعرفها ،
وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب " (٣) .

ولكن سرعان ما تبددت تلك الأراجيف ، وقتت مواجهتها بحسم حين علمت أنحاء
المدينة وما جاورها من البلاد حقيقة انتصار المسلمين ، فأسلم كثير ممن لم يسلم من أهل
المدينة (٤) ، وشعر المنافقون بإخراج شديد ، ووجدوا أن خير وسيلة للخروج من هذا المأزق
هو أن يعلنوا إسلامهم ويبقوا على اعتقاداتهم وعلاقاتهم ، وبهذا ينجون من شبح العقاب ،
فاضطر عبد الله بن أبي بن سلول أن يذهب إلى النبي ﷺ ويظهر إسلامه وقلده أتباعه (٥) .



-
- (١) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، جزء ٢ ، ص ٥١٧ .
(٢) : محمد عمر الواقدي "كتاب المغازي" ، طبع بيروت عام ١٩٦٦م ، ص ٢٢٦ .
(٣) : أحمد بن يحيى البلاذري ، "أنساب الأشراف" ، ج ١١ ، ص ٢٩٤ ، ط ١٩٥٧ ، تحقيق حميد الله .
(٤) : التناق والمنافقون ، مصدر سابق ج ٢ / ٥٠ .
(٥) : نفس المصدر ، ج ٢ ، ٣٢٠ .

المبحث الثاني مواجهة الأساليب العملية

الأسلوب الأول:

●● مواجهة أسلوب التفريق بين المؤمنين:

لما اتخذ المنافقون مسجد الضرار للتفريق بين المؤمنين وقالوا كذبا لإحداث فتنة بهدف التفريق بين المؤمنين : يارسول الله بنينا مسجدا لذي العلة واللبلة المطيرة والشاتية، ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا فيه بالبركة فقال عليه الصلاة والسلام: إني على جناح سفر، وإذا قدمنا صلينا إن شاء الله فيه،^(١) فلما رجع من تبوك سأله إتيانه فأخبره الله بكيدهم ونهاه عن الصلاة فيه حيث قال الله عز وجل : ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا...﴾^(٢).

فدعا الرسول عليه الصلاة والسلام بعض القوم وقال لهم : (انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأهدموه وخرّبوه) ففعلوا ذلك وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتخذ مكانه كناسة يلقي فيها الجيف والقمامة^(٣).

وقصة مسجد الضرار قصة بالغة الأهمية، حدثت في وقت كان المسلمون يتجهزون فيه لغزوة تبوك: قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلُقَنَّ إِنَّ أَرْضَنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ١٠٨﴾^(٤).

وقصة مسجد الضرار شاهد على المنهج الرباني العظيم الذي عمد إلى تبصير

(١) : انظر البخاري «الفتح» ج٦/١٦٨ حديث رقم ١٢٦٩، ومسلم ج٤ ٢١٤١، حديث رقم ٢٧٧٤.

(٢) : سورة التوبة : الآية ١٠٨ .

(٣) : الرازي ، (تفسير) جزء ١٦ / ١٩٣-١٩٥ .

(٤) : سورة التوبة ، الآيات ١٠٧ ، ١٠٨ .

المجتمع المدني بما ينتظره من مكائد، وما يخبأ له من مؤامرات ليأخذ حذره في تطويره وتنظيمه وترسيخ قواعده وتطهيره من دسائس أعدائه وتحقيق مواجعتهم ، لكن اللاقت للنظر أن مواجهة الدعوة للمنافقين في سعيهم للتفريق بين المؤمنين، خاصة إبان الدعوة إلى غزو الروم عندما قام المنافقون يشبطون هم الناس، ويجتمعون في بيت سويلم عند جاسوم يقولون بعضهم لبعض: « لا تنفروا في الحر»، كان حاسما وقويا ولبليغا.

وفي ذلك يقول ابن هشام إن هذا التباطؤ والتراجع عن الخروج إلى الروم كان «شكاً في الحق وإرجافاً برسول الله ﷺ وتفريقاً بين المؤمنين^(١)»، ولكن لأن الظروف قد تغيرت، ولم يعد بإمكان أحد أن يتناول مرة أخرى على الرسول، فقد أخذوا بالاجتماع سراً لبحث شؤونهم، فكان أن أرسل النبي ﷺ إليهم طلحة بن عبد الله في نفر من أصحابه، فحرق عليهم البيت وهم فيه^(٢)، ثم جاء الوحي يقول: ﴿... وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُونُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)﴾^(٣). أما النبي ففي ضوء رواية البيهقي فقد كان يحدث أصحابه بينما البيت يحرق على المجتمعين فيه: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط.^(٤)»

وأحياناً ما كان المسلمون يأتون النبي يستأذنونه في عدم الخروج إلى وقعة، لظروف خاصة ببعضهم فيأذن لهم، فلما جاء المنافقون هذه المرة، لم يقبل الله عذرهم بل وجد لهم اتهامات مباشرة بالكذب، ثم نصح رسوله ألا يعذرهم ولا يقبلهم في جيشه حتى لا يؤثروا في جنده الذين يميلون إليهم ويستمعون لرأيهم، فقال تعالى عز من قائل:

(١) : ابن هشام «في الروض الأنف» للسهيلى.. سبق ذكره، ج ٤، ص ١٧٣.

(٢) : المصدر نفسه : ص ١٧٤.

(٣) : سورة التوبة ، الآيات ٨١ . ٨٢.

(٤) البيهقي : دلائل .. سبق ذكره، ج ٥، ص ٢٦١.

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ
وَسَيَّحَلْفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
(٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) لَا
يَسْتَنْذُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَنْذُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ
قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ
اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَخَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا
خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَغْفِرْكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ
(٤٧) ﴿ [التوبة: ٤٢ - ٤٧] ﴾^(١).

وهكذا، وبينما ينفق أصحاب اليقين أموالهم لتأمين ميرة المجاهدين لذلك الطريق
الطويل ، مثل عثمان بن عفان الذي تبرع بألف دينار^(٢) كان هناك آخرون يشكون في
جدوى تلك الغزوة، ويشكون في نصر المسلمين على جيوش قيصر، فشكوا في الحق
بتعبير ابن هشام، ويشرح ابن إسحاق الآيات السوالم فيقول:

لكن الوحي في تتابع أشبه بالمطاردة استمر شارحاً لموقف هؤلاء فاضحاً لهم، حيث
أبان بصدق الله تعالى أنهم ما تراجعوا إلا نعمة لأنهم لم يحصلوا على أموال وعطايا
كالتي أعطها النبي للمؤلفة قلوبهم، حيث يقول:^(٣)
﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) ﴾^(٤).

وقد وضع موقف هؤلاء المنافقين، فيما ورد عنهم من أخبار تشير إلى جبنهم عن
ملاقاة الروم بني الأصفر وتخوفهم ذلك، عندما رأوا النبي يقوده جنده ميمماً شطر الروم

(١) : ابن هشام: في الروض الأنف للسهيلى... سبق ذكره، ج ٤، ص ١٧٤.

(٢) نفسه: ص ١٨٩، ١٩٠.

(٣) البيهقي: ودلائل النبوة ج ٥/ ٢٦٢.

(٤) : سورة التوبة ، الآية ٥٨.

فوقفوا يقولون لبعضهم: أتحسبون جلاد بين الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فلما علموا أن قالتهم قد بلغت النبي هرع وديعة بن ثابت بهم يمسك بناقة الرسول يعتذر قائلاً: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥] ^(١). وهو الأمر الذي يشير إلى تضاؤل شأنهم إلى حد الرهبة والرعب والاعتذار بما لا يليق برجال الحرب وأسنان الشرف.

وخرجت جحافل المسلمين في ثلاثين ألف مقاتل وعشرة آلاف فرس حتى وصلت مشارف بادية الشام لتحاصر تبوك، فيخرج يوحنا بن روية المنوب على أيله من القيصر ليصالح الرسول على دفع الجزية، ويتبعه أهل جرباء وأذرح، ويكتب لهم النبي كتاباً بذلك ^(٢).

وفي ضوء تلك المواجهة التي أفسدت على المنافقين سعيهم للتفريق بين المؤمنين، واحداث فتن بين الصفوف يمكن فهم الحقيقة التي كانت وراء مسجد الضرار الذي أقامه المنافقون وجاءوا النبي عندما كان يتجهز لغزو الروم كما سلف، فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، وكان جواب النبي وعداً جميلاً يقول: «إني على جناح سفر وحال شغل. ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه» ^(٣).

لكن مع تواتر التناق في هذه المرحلة جاء النبي الخبير أن أصحاب ذلك المسجد هم من المنافقين، ونفهم من الروايات أنهم من الأوس محديداً، حيث يفيدنا الشعبي النيسابوري أنهم بنوه ليستقبلوا فيه أخطر زعمائهم الذي غادر المدينة مخاصماً للرسول

(١) : البيهقي «دلائل النبوة» ج٥/٢٦٣.

(٢) : أنظر ابن سيد الناس، عيون الأثر.. سبق ذكره، ج٢، ص ٢٧٧، والبيهقي: دلائل.. سبق ذكره، ج٥، ص ٢٤٥.

(٣) ابن هشام: في الروض الأنف للسهيلى.. سبق ذكره، ج٤، ص ١٨٠.

(أبو عامر بن النعمان بن صيفي) المعروف باسم الراهب، لكن النبي أسماه بالفاسق، حيث كان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح واعتنق الحنيفية، ولما التقى بالنبي اختلف معه حول صحيح الحنيفية، فغادر المدينة مغاضباً له^(١)، ثم تفيدنا المصادر أنه قبل غزو النبي للروم بتقليل أرسل أبو عامر لأهله وهو أوسي، وقال لهم : أعدوا العدة والسلاح وابنوا لي مسجداً، فإني ذاهب إلى قيصر وأتي بجند لنخرج محمداً وأصحابه من المدينة، ويزعم الثعلبي^(٢) أنه كانت قد نزلت فيه آيات تقول: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا...﴾ [الأعراف : ١٧٥] .

ويحكي لنا البيهقي ما حدث بشأن ذلك المسجد الذي وعد النبي أصحابه بافتتاحه لايواء المحتاجين كما يزعمون ، فيقول: «إن النبي ﷺ أقبل من تبوك حتى نزل (بذي أوان) بينه وبين المدينة ساعة من نهار. فدعا مالك^(٣) بن الدخشم ومعن بن عدي^(٤) .. فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه، واحرقاه، فخرجا سريعا حتى دخلاه وفيه أهله فأحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه.^(٥) لقد باتت المواجهة إزاء المنافقين قد أخذت شكلها العنيف الرادع كما هو واضح.



(١) : ابن هشام في الروض الأنف، للسهيلي، سبق ذكره ج٤/ ١٨٠.

(٢) : الثعلبي : (عرائس المجالس) صفحة ٤٠.

(٣) هو مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف شهد العقبة. وقيل لم يشهدا ، الله أعلم، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها هو الذي أسر يوم بدر سهيل بن عمرو، انظر الاستيعاب لأبي عمر ج٤/ ٣٠٥.

(٤) هو معن بن عدي بن الجذ بن العجلان الأنصاري العجلاني العقبي البديري، من حلفاء بني مالك بن عوف من سادة الأنصار، كان يكتب العربية قبل الإسلام، معن أحد الرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر، وهما يريدان سقيفة بني ساعدة، فقال لأبي بكر وعمر: لا عليكم أن تقرههم واقضوا أمركم، وكان معن بن عدي ممن استشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة، انظر الذهبي سير اعلام النبلاء ١/ ٣٢٠.

(٥) البيهقي: دلائل، ج ٥، ٢٦٠.

الاستلوه الثاني:

●● مواجهة استلوه الفتنة بين المسلمين:

سبق لنا القول عند أساليب المنافقين إلى أنه في سبيل إفساد المجتمع المسلم من داخله سعى المنافقون إلى إثارة الفتنة بين أفراد المجتمع الواحد الذين يدينون بدين واحد، ويعبدون ربا واحدا، ويتبعون رسولا واحدا، لكن أهل النفاق هذه المرة أرادوا أن يثيروا العصبية القبلية والنعرات الجاهلية بين أهل الإسلام، وهي العصبية التي لا تتمكن في مجتمع متماسك إلا فككته، ولا تدخل بيتا عامرا إلا دمرته^(١)، فهذا هو قائدهم عبد الله بن أبي سلول يستغل حادثا عارضا بين رجلين من المسلمين اختصما على ماء المريسع حين عودة النبي ﷺ، من غزوة بنى المصطلق، فأسال أحدهما دم الآخر .

فلما وقع هذا الحادث العارض بين أنصاري ومهاجري قال عبد الله بن أبي في رهط من قومه من الخزرج من المنافقين : "والله ما رأيت كاليوم مذلة أو قد فعلوها ؟ نافرونا وكاثرونا في بلادنا ! والله ما أعدنا وجلابيب قريش هؤلاء إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك، والله لقد ظننت أنني سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما سمعت"^(٢)، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"^(٣)،، يعني بالأعز نفسه، والأذل، رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨) ﴿^(٤) .

ثم أقبل على من حضر من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم، ثم لم ترضوا حتى جعلتم أنفسكم غرضا للمنايا فقتلتم دونهم، فأيتتمتم أولادكم، وقللتم وكثروا، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد^(٥) .

(١) : عمرو النامي "ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية"، ٤٩ .

(٢) : يقصد قول المهاجري : يا للمهاجرين .

(٣) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، (٤٠٢/٣) و " السيرة الحلبية " (٢٨٧/٢) .

(٤) : سورة المنافقون ، الآية ٨ .

(٥) : السيرة الحلبية (٥٩٦/٢) .

وهذا الكلام الذي صدر عن عبد الله بن أبي لا يمكن أن يكون وليد اللحظة وعفو الخاطر، بل إنه كلام قد أعدّه بعناية، صور فيه الموقف كاملاً من وجهة نظر المنافقين، ووضع فيه أبرز اقتراحاته لإذلال المسلمين وتحويلهم عن المدينة .

لكن رسول الله ﷺ أحسن التصرف يومذاك، وأفسد عليهم محاولتهم إثارة الفتنة بين المؤمنين حين أمر من يكلم المضروب فتنازل عن حقه، ثم أذن بالرحيل في ساعة لم يكن يرمحل فيها، وذلك لما شاع الخبر في الناس و لم يكن لهم من حديث غيره، فسار النبي ﷺ يومه ذلك وليلته وصدر اليوم التالي حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا إن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث ابن سلول^(١) .

الانسلوب الثالث:

●● مواجهة محاولة تشويه سمعة الرسول ﷺ :

سبق لنا القول عند تناول أهم أساليب المنافقين ضد الدعوة في المدينة أن المنافقين حاولوا النيل من عرض النبي ﷺ ومن سمعته بل ومن حماية الرسالة الالهية له حين قام "أبن أبي" بتلفيق حادثة الإفك، وجمع لها "عصابة" تروج لها لكن الله سبحانه كأنما أراد أن يذكر في النفوس اليقظة والحذر ليكون البناء صلباً متيناً وليمحص معدنهم ويعمل على تقويته بهذا الابتلاء فلا تتزعزع أركانه لفتنة طارئة أو حدث غير متوقع من المسلمين وتتجلى حكمة الله سبحانه وتعالى في تهيئة المواقف التي يمكن من خلالها سير الأغوار والتعرف على معادن الرجال وكشف مواطن الشر . وفي ذلك ترسيخ لجذور البنية الجديدة وإرساء لقواعد البناء .

وفي دحض هذه الفرية نزل قوله تعالى :

(١) : ابن هشام ، " السيرة النبوية " ، (٤٠٤/٣) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٢) ﴿ (١)

وقد أفرد مؤرخوا السير والتواريخ لهذه القرية الأخبار الطوال يفندون زينها
ويكشفون عن خبث ونفاق الذين روجوا لها. (٢)

واللائت للنظر، أن المنافقين لم يتورعوا عن استعمال كافة الأساليب فهذه الإثارة
التي حاولوا بها إيذاء النبي ﷺ في أهله، هي من قبيل جهودهم في نشر الرذائل في
المجتمع وبلبلته في جو من الإشاعات التي كان يمكن أن تدمره ذلك أنهم يدركون جيدا
أن المجتمع المؤمن مجتمع قوي يتمسكه بأمر ربه، وانشغاله بمعالى الأمور وانصرافه عن
سفاسفها، وما دام على ذلك فإنه سيظل قويا مرهوب الجانب، لا يستطيع المنافقون ولا
غيرهم من أعدائه أن ينالوا منه .

ولذلك فقد أخبر الله بعظم العذاب الذي أعده لأولئك المحبين لنشر الرذيلة وإشاعة
الفاحشة في المؤمنين فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ
آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ... ﴾ (١٩) ﴿ (٣)

ولمحة شيوع الفاحشة في مجتمع ما صور كثيرة ليس هذا مجال ذكرها، لكن
المقصود هو التأكيد على مدى تغلغل هذه الوسيلة في قلوب المنافقين ومخططاتهم، حتى
إنهم يحبون شيوع الفاحشة في المجتمع لتحقيق شهواتهم ومآربهم من ذلك، وإضعاف
المجتمع وإفساده تمهيدا للقضاء عليه ، لكن اللاقت للنظر أن الرسول ﷺ وقد رماه
المنافقون في عرضه، واقتروا على أم المؤمنين عائشة بنت الصديق، وهي الحصان الرزان
في حادثة الإفك المشهورة (٤)، حتى أظهر الله براءتها، وأكذب أهل الإفك والبهتان قال

(١) سورة النور الآية ٢٣

(٢) : انظر تفصيل ذلك عند ابن كثير «البدء والنهاية» ج٤/ ١٦٠ وما بعدها، وابن هشام «السيرة النبوية»

ج٣/ ٣٤١-٣٤٥

(٣) : سورة النور ، الآية : ١٩ .

(٤) : انظر القصة بتفاصيلها في زاد المعاد ، لابن القيم (١١٣/٢).

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١) لم يسكت على هذا العدوان الذي انخلع له قلوب المؤمنين.

وقد كان عبد الله بن أبي هو الذي تولى كبر هذا الإفك^(٢) فوجه ونشره كما قال ابن القيم عنه أنه كان "يستحكي الإفك، ويستوشيه، ويشيعه وبذيعه، ويجمعه، ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه"^(٣).

ولفداحة المحاولة الآثمة وهي أن يقوموا بتشويه سمعة النبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُوذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(٤) وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٥).

وعلى طريق المواجهة أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة - رضى الله عنها - في سياق روايتها لحادثة الإفك - قالت: "فقام رسول الله، ﷺ، فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله ﷺ، وهو على المنبر: يامعشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغنى أذاه في أهل بيتي. فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي.."^(٦) الحديث. والمتأمل لهذا الموقف النبوي يلحظ أن النبي، ﷺ، قد تأذى بشكل عظيم من هذه الشائعات التي تناولت أهله، وروج لها كبار المنافقين، ولم يؤثر عن النبي، ﷺ، أنه

١- : سورة النور ، الآية : ١١ .

٢- : انظر : فتح الباري (٤٣٧/٧) .

٣- : زاد المعاد (١١٣/٢) .

٤- : سورة الأحزاب ، الآية : ٥٨ .

٥- : سورة النور ، الآية : ٢٣ .

٦- أخرجه صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٦٦/٥، رقم الحديث: ٤١٤١ صحيح مسلم، كتاب

التوبة، باب في حديث الإفك، ٢١٢٩/٤ رقم الحديث: ٥٦ (٢٧٧٠) الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن

سورة النور، رقم الحديث: ٣١٨٠.

استعذر^(١)، وطلب الإنصاف من أحد إلا في هذه الحادثة، ومن رجل واحد هو عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين، وقد فعل ذلك على رؤوس الأشهاد حين صعد المنبر أمام الناس، مما يعني أن هذه الشائعات قد شغلت تفكيره، ﷺ وأذته في نفسه، لكنه ﷺ وفي ضوء عون ربه ورعايته أفسد على المنافقين أسلوبهم هذا كما دحض غيره^(٢). وكان من نتيجة هذه المواجهة أن رأس النفاق قد أصبح بعدها ساقط الاعتبار حتى بين جماعته^(٣).

الأسلوب الرابع:

●● مواجهة استغلال المواقف في الأضرار بالمسلمين:

من نافلة القول أن نكرر هنا القول بأن المنافقين كانوا في المدينة مختلطين مع المسلمين اختلاطاً كبيراً في شتى القبائل والبطون، ولهذا كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحق به الكافرين.

وكان من رأي رسول الله ﷺ أن يقيم المسلمون بالمدينة، فإن دخل المشركون عليهم قاتلوهم فيها، وكان رأي عبد الله بن أبي ما رأى رسول الله ﷺ، فقال رجال من المسلمين ممن فاتتهم غزوة بدر: يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جبننا عنهم وضعفنا، فلم يزالوا برسول الله ﷺ حتى دخل بيته ولبس ﷺ لامته، ثم ندم الذين اقترحوا الخروج، فقالوا: استكرهناك يا رسول الله ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك، قال رسول الله ﷺ: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل»^(٤).

(١) : قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩٧/٣) : «أعذار الرجل إذا بلغ أقصى الغاية من العذر» ا . ه . والمعنى : من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه ، فلا يلومني .

(٢) : الطبري، " تاريخ الأمم والملوك"، ج ٢ / ٦١٥ - ٦١٦ .

(٣) : انظر: ابن الأثير «النهاية في غريب الحديث والأثر» ج ٣/١٩٨ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ٤٣٩/٧، وصحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول اله تعالى «وأمرهم شورى بينهم» ٢٠٥/٨ .

فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه، حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد
انخذل عنه (عبد الله بن أبي بن سلول) بثلاث الناس، وقال : أطاعهم وعصاني، ما ندرى
علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس.^(١)

وقد عز ذلك على أحد الصحابة الأجلاء وهو عبد الله بن عمرو بن حرام^(٢) والد
جابر رضي الله عنهما، وكان من علماء الخزرج، فتبعهم يقول: "يا قوم أذكركم الله ألا
تخذلوا قومكم ونبئكم عندما حضر من عدوهم، وقاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، ولكن
عبد الله بن أبي اعتذر بأعذار واهية، إذ قال: "ما أرى أن يكون قتال ، ولو علمنا أن
يكون قتال لكننا معكم."^(٣)

وقد سجل القرآن ملابسات هذا القصة، وما دار بخلد المنافقين وكشف خلجات
نفوسهم وخبايا نواياهم قال تعالى :

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا
لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلُوبًا
فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ (١٦٨) ﴾^(٤)

الآيات تشير إلى موقف عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه، وتسميهم "الذين
نافقوا"، وقد كشفهم الله تعالى في هذه الموقعة، وقرر حقيقة موقفهم يومذاك: "هم
للكفر أقرب منهم للإيمان" هم غير صادقين في انتحالهم الأعذار بأنهم لا يعلمون أن
هناك قتالا سيكون بين المسلمين والمشركين: " يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم"،

(١) : إبراهيم علي سالم، "النفاق والمنافقون"، ص ٦٧.

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة، أبو جابر، الأنصاري الخزرجي السلمي، صحابي، من أجلائهم. كان أحد
النقباء الأحد عشر، وشهد العقبة مع السبعين من الانتصار وبدرا وقتل يوم أحد، انظر الزركلي ج٤/ص ١١١.

(٣) : إبراهيم علي سالم، "النفاق والمنافقون" صفحة ٦٧.

(٤) : سورة آل عمران، الآيات ١٦٦-١٦٨.

وهذا عين النفاق لغة وشرعا، ثم تضي الآيات تبين استغلالهم لمجريات الأحداث لإثارة الخلل في المجتمع، فتقول: "الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا"، فهم يجعلون من تخلفهم سياسة ومصلحة، ويجعلون من طاعة الرسول ﷺ مفرما ومضرة، وهذه محاولة أخرى لإثارة البلبلة في العقيدة، وإثارة الشك في حقيقة الموت والحياة وتعلقهما بقدر الله وحده، ومن ثم يبادرهم الله تعالى بالرد الحاسم القاطع: "قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين".

ولقد كانت الهزيمة في غزوة أحد مجالا لدسائس الكفار والمنافقين واليهود في المدينة، وكان المجتمع المدني مازال يتطور ويتهدب ومازالت بعض الفئات فيها غضة طرية لم تنضج بعد، فلما كانت الهزيمة في أحد سنحت الفرصة للأعداء المتربصين أن يظهروا أحقادهم وبيشوا سمومهم، وأن يجدوا في جو الفجائع التي دخلت كل بيت من بيوت المسلمين وخاصة بيوت الشهداء ومن أصابتهم الجراح الملحة ما يساعد على ترويح الكيد والدس والبلبلة في المجتمع.

ومن هنا نرى القرآن الكريم في مجريات ومنحنيات الطريق يوجه المسلمين ويرشدهم ويحذرهم من طاعة الذين كفروا، ويعددهم النصر على عدوهم والقاء الرعب في قلوبهم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١)﴾.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ

(١) : سورة آل عمران، الآيات ١٤٩-١٥١.

الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ .^(١)

فهذا قدر قدره الله عز وجل ، وحكم لا محيد عنه ولا مناص ، والله يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب ، ويظهر أمر الزمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال .
ولما انتهز المنافقون واليهود والكفار في المدينة ما أصاب المسلمين من الهزيمة ليثبطوا عزائمهم ويصوروا لهم مخاطر القتال وعواقب الاشتباك مع الأقوياء .

تابع الذكر الحكيم هذه التحركات والمؤامرات وكان يوجه المسلمين أولا بأول ، فقال تعالى : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١٥٧) وَلَئِن مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ [آل عمران : ١٥٧ ، ١٥٨] .

تضمن هذا أن القتل في سبيل الله والموت أيضا وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه ، وذلك خير من البقاء في الدنيا وجمع حطامها الفاني ، ثم إن كل من مات أو قتل فمصيره إلى الله عز وجل فيجزيه بعمله ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.^(٢)

هكذا كان القرآن يصحح المفاهيم ، ويرد على مزاعم المنافقين في حينها ، ولقد ظهر خلال غزوة أحد أن التعاطف بين اليهود والمنافقين كان يشكل جبهة قوية ضد المجتمع المدني وعقبة في سبيل تنظيمه ، وكانوا يتربصون لاستغلال مجريات الأحداث وكأنها مواسم لهم حتى تكون المجريات حيث الناس في المجال والمنتديات ، ومن ذلك مثلا أنه حين كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من الهجرة في فصل الصيف ، ووسط أشعة الشمس المحرقة ، والناس يعانون عسرة من العيش ، أمر النبي ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم .
يقول ابن إسحاق : إنه حدث هذا "حين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أن يريد غير الوجه

(١) : سورة آل عمران ، الآية ١٥٤ .

(٢) : تفسير ابن كثير ، ١م ، ص ٦٢٧ .

الذي يعمد له ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس ، لبعد شقته وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يعمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبطه ، فأمر الناس بالجهاد^(١) .

وذلك تنفيذا لقوله تعالى :

﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤١) ﴿^(٢) .

"أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب ، وحتم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر"^(٣) .

لكن المنافقين في غزوة تبوك أبوا إلا انتحال الأعذار وتشبيط همة المسلمين ، وتخوينهم من الانطلاق نحو المعركة ، وتلك سنتهم في كل مجتمع وحال^(٤) .

لكن الذكر الحكيم يوالي فضحهم وكشف مخازيهم : " فرح المخلفون بمقعدتهم خلف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون"^(٥) .

وتستمر الآيات في فضح المنافقين وأفعالهم في المجتمع ، ووصف أحوالهم النفسية والعملية ، ومواقفهم في غزوة تبوك ، وكشف نواياهم وحيلهم في التخلف عن الجهاد وإيذاء رسول الله ﷺ والتخلص من المؤمنين^(٦) ، وتحديد العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء ، لأن المجتمع المدني بدأ يتضح ويستكمل أنظمتة ودساتيره ، ويكاد يستكمل كل مقوماته ومميزاته ، فلا بد أن تكون هناك مفاضلة بين الفريقين وتمييز كل صنف بصفاته وأعماله.

١- (١) : السهيلي " الروض الأنف " ، ج ٤ ، ص ١٧٣ .

٢- (٢) : سورة التوبة ، الآية ٤١ .

٣- (٣) : تفسير ابن كثير م ٢ ، ص ٥٦٠ .

٤- (٤) : الواقدي (المغازي) ج ٣/٩٨٩-٩٩٠ بروايته عن مجموعة شبوخه.

٥- (٥) : سورة التوبة ، الآية ٨١ .

٦- (٦) : ابن سعد «الطبقات» ج ٢/١٦٦ من رواية الواقدي.

قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٤٧) .^(١)

هذا وقد كان من بين أساليب مواجهة خصوم الدعوة من المنافقين تلك المواجهة البارة التي خطط لها النبي ﷺ حين علم أنهم خططوا لاغتيااله وكان هدف خصوم الدعوة من المنافقين أن لا يتمكن المسلمون من نشر الاسلام ولا من بسط سيادتهم في ظل التوحيد على الأرض ، وكان ذلك التدبير الخبيث ، أثناء رجوعه ﷺ من غزوة تبوك .

ولما أحس الرسول بذلك أمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها وأمر حذيفة بن اليمان^(٢) يسوق خلفه ، ولما سمع حس القوم أمر حذيفة أن يردهم فرجع إليهم فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن في يده فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس وأتى حذيفة فساق به فسأله الرسول ﷺ : هل عرفت أحدا من الركب (الذين رددتهم؟) قال : يارسول الله ما عرفت إلا راحلة فلان وفلان وكان القوم متلثمين فلم أعرفهم من ظلمة الليل .

وهكذا جابهت الدعوة أساليب خصوم الدعوة وفشل المنافقون كغيرهم في خصومتهم للدعوة وباءت أساليبهم القولية والعملية بالفشل، وحفظ الله دعوته ودينه وانتصر رسوله ﷺ عليهم جميعا^(٣) .

(١) : سورة التوبة ، الآيات ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) هو حذيفة بن اليمان، يكنى أبا عبد الله، واليمان لقب، وهو حذيفة بن اليمان (حسييل) بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عيس، شهد حذيفة وأبو حسييل أحداً وقتل أباه يومئذ بعض المسلمين وهو يحسبه من المشركين، كان حذيفة من كبار الصحابة وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ يوم الخندق ينظر إلى قريش فجاءه خبر رحيلهم. كان عمر بن الخطاب يسأله عن المنافقين ، هو معروف في الصحابة بصاحب رسول الله ﷺ فخبره رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاختر حذيفة النصره، هو حليف للاتصار لبني عبد الأسهل، وشهد حذيفة نهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن أخذ الراية، وكان فتح همدان والرّي والدينوار على يد حذيفة سنة ٢٢هـ، ومات حذيفة سنة ٣٦هـ بعد قتل عثمان في أول خلافة علي ، انظر أبا عمر الاستيعاب في معرفة الاصحاب ج١/ص٣٩٣ .

(٣) : انظر الراقي ، المغازي ج٣/١٠٤٣ ، و امتاع الأسماع ج٤/٤٧٨ .

الأسلوب الخامس :

مواجهة أسلوب التحالف مع أعداء المسلمين :

كما سبقت الإشارة ، تحالف المنافقون مع كل خصوم الدعوة في العهد المدني سواء اليهود والنصارى أو حتى المشركين وهذا التحالف من جانب المنافقين من الظواهر التي تستحق الدراسة والبحث ، والقرآن يشير إلى هذه الظاهرة، ونبه المسلمين نحوها بصيغة استفهامية بليغة فيقول تعالى عن رأس المنافقين عبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم بالنصر^(١) قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأُذُنُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ (١٢) ﴾^(٢) .

الآيات تصور تكتل المنافقين مع اليهود، وتلفت النظر بأسلوب استفهامي إنكارى إنها ظاهرة تتطلب الوقوف والتبيين، واتخذ القرآن هذا الحدث لتربية النفوس وربطها بالحقائق الواقعة أمام الناس، فقد انكشف المنافقون في غزوة بني النضير وهم يتحركون لمساندة اليهود، فعندما ضيق المسلمون عليهم الخناق بسبب خياناتهم، قال المنافقون لليهود : "لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتن لنصرنكم" أي لئن أخرجتم من دياركم ومنازلكم لنخرجن معكم ولا نطيع أحدا سألنا خذلانكم وترك نصركم، وإن قاتلكم المسلمون فنحن معكم نناصركم ونعينكم عليهم، فلا تهتموا - أيها اليهود - بل اجتهدوا في قتالهم . لكن الله عز وجل الخبير بحقيقتهم رد عليهم زعمهم هذا بقوله : "والله يشهد إنهم لكاذبون"^(٣) ، وإن في : "لئن أخرجتم" ، واللام ونون التوكيد

(١) : ابن كثير «تفسير» ج٤/ ٣٤٠ .

(٢) : سورة الحشر، الآيات ١١ ، ١٢ .

(٣) : محمد السيد طنطاوى، "بنو إسرائيل في الكتاب والسنة"، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

في : لنخرجن"، وادعاء النفي، والتأييد في قولهم : "أبدا" واللام ونون التوكيد في : "لننصرنكم" (١).

كل هذه الظواهر الأسلوبية تكشف عن عمق ما تغفل فيهم من كذب أخذ بخناقهم، فأدركوا أن مواقفهم بحاجة إلى تأكيد فأغدقوا هذه المؤكدات حتى ينتزعوا بها ما أفعم قلوب أصحابهم اليهود من عدم اطمئنان إلى ما حولهم .
وقد أكد الله صراحة الحكم عليهم بالكذب بقوله : "والله يشهد إنهم لكاذبون" ، فقدم اسمه الجليل وبنى عليه الفعل "يشهد" ، وذلك مما يعده البلاغيون سبيلا من سبل الإبلاغ في تقرير المعنى، وكذلك التأكيد بإن وباللام في "إنهم لكاذبون" ، فقابل مؤكداتهم الفاجرة الكاذبة بمؤكدات من معين الحق، اجتث بها شجرة الكذب والإفك التي أراد المنافقون غرسها ورعايتها (٢).

وفي وسط الأحداث يتحدث القرآن عنهم ، قال تعالى : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (٥٢) ﴿ (٣)

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى مجتمعت الأسيال من رومة، بين الجرف وزعابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، (٤).

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل الظنون قال تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ (١٠) ﴿ [الأحزاب : ١٠]

(١) : المصدر السابق صفحة ٣٠٦

(٢) : سورة المائدة ، الآية ٥٢ .

(٣) : المصدر السابق، نفس المرجع .

(٤) : الروض الأنف ومعها السيرة النبوية ج٣، ص ٢٦١ .

ليحققوا أغراضهم وليتحركوا في مثل هذه الأجواء تحرك الحائق المستغل لمجريات الأحداث، لكن الله تعالى كان يعين نبيه ﷺ على مواجهتهم أولاً بأول يقول تعالى:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣)﴾ (١١)

فقد وجد هؤلاء في الكرب المزلزل والشدة الآخذة بالحناق فرصة للكشف عن خبيثة نفوسهم، وهم آمنون من أن يلومهم أحد، وفرصة للتوهين والتحذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله وفي مثل هذه الظروف "قالت طائفة من أهل يثرب لا مقام لكم أي هاهنا يعنون النبي ﷺ مقام المرابطة "فارجعوا" أي إلى بيوتكم " ويستأذن فريق منهم النبي " قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما : هم بنو حارثة، قالوا : بيوتنا نخاف عليها السراق، واعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة، ورد الله عليهم : "وما هي بعورة" أي ليست كما يزعمون "إن يريدون إلا فرارا" أي هربا من الزحف". وهي دعوة خبيثة تأتي النفوس من الشجرة الضعيفة فيها، ثغرة الخوف على النساء والذراري، لكن الوحي يفضحهم ويكشف أمرهم : «إن يريدون إلا فرارا». وهكذا نجحت الدعوة في مواجهة كل القوى التي خاصمتها في العهد المدني، وامتدت هداية الإسلام على أرض واسعة وبشر كثيرين .



(١) : سورة الأحزاب ، الآيات ١٢ ، ١٣ .

(٢) : تفسير ابن كثير : م ٣ ، ص ٧٥٤ .

الباب الثالث

مظاهر أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني في العصر الحاضر وكيفية مواجهتهما

الفصل الأول:

●● مظاهر أساليب خصوم الدعوة

الفصل الثاني:

●● كيفية مواجهة الدعوة لاساليب الخصوم في العصر الحاضر

الباب الثالث

مظاهر أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني في العصر

الحاضر وكيفية مواجهتهما

الفصل الأول

مظاهر أساليب الخصومة

المبحث الأول

مظاهر أساليب الخصوم القولية

تمهيد:

واجهت الدعوة في هذا العصر من أعدائها خصومة شبيهة بخصومها في العهد المدني، وقد كان من أبرز أساليب المعاصرين التي تعد مظهراً من أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني ما يلي:

الأسلوب الأول:

●● التحريف اللغوي وإثارة الشبهات:

ويتمثل ذلك الأسلوب في جملة مفتريات وأكاذيب مثل القول بأن المسلم معناه في الأصل: الخائن ، ومثل الادعاء بأن النبي ﷺ كانت تنتابه النوبة العصبية والصرع، ودليل ذلك بزعمهم ما كان يصيبه من الجهد في خلال نزول الوحي ، مع أنه ﷺ لم يعرف في تاريخه كله أنه كان يصاب بمثل هذه النوبات العصبية قبل زمن البعثة ومقدماتها . والزمع بأن الرسول ﷺ عاشر بعض النصارى واليهود فاستفاد منهم كثيراً من القصص ، واقتبس بعض أساليب التعبير ، التي لم تكن معروفة للعرب، مثل : ذاق الموت، ونفخ في الصور ، وفي آذانهم وقر هو ادعاء مسبق رده مشركو مكة ، الذين قالوا قال تعالى: "إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ" (١) . وقد بكتهم القرآن الكريم ، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠٣) ﴿١٠٣﴾ .

(١) : سورة النحل ، الآية ١٠٣ .

(٢) : سورة النحل ، الآية ١٠٣ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٤٨) ﴿^(١) .

وكذلك مثل ادعاء بعضهم بأن محمدا ﷺ ما كان رسولا ، ولا نبيا ، بل تزعم العرب بتجسس الأخبار ، والإسراع بنقلها بطرق لم يوفق أحد من المتحضرين حتى اليوم إلى كشف سرها .

ومثل قولهم أن محمدا ﷺ كان صادق الفراسة نفاذا للرجال إذا لقي أحدهم ، انكشف له سره ، وافتضحت أمامه خفايا صدره وعرف كيف يستميله ، ويجذبه إليه . وكذلك يقول بعضهم إن ما كان من بلاغ النبي ﷺ ورسالته ، لم يكن وحيا يوحى ، وإنما هي أنباء وروايات يجند لها جواسيسه ورجاله ، أو حقائق يبلغها بحذقه وفراسته . وقول البعض الآخر منهم : ان محمدا صلى الله عليه وسلم تزوج - بخديجة - رضی الله عنها - طمعا في ثروتها . وهى أكذوبة لا تتفق مع ما عرف عن رسول الله ﷺ - من زهد في الدنيا ، وأنه لم يورث أعقابه الزهيد مما خلفه ، بل جعله لعامة المسلمين ، لقوله ﷺ " لانورث ، ماتركنا فهو صدقة " ^(٢) .

وقد زعم بعضهم أنه ﷺ أنشأ جمعية سرية ، واختار أبو بكر الصديق - رضی الله عنه - رئيسا لها ، فجعل يروج لها ، ويتفانى في نشرها ، فكانوا يجتمعون في بيت الأرقم ، وأنهم كانوا يجتمعون سرا للصلاة . وقد حاول المستشرق :

١- (١) : سورة العنكبوت ، الآية ٤٨ .

٢- (٢) : أخرجه صحيح البخاري ، كتاب الفرائض ، باب قول النبي ﷺ (لا نورث ما تركنا صدقة) ٤/٨ ، رقم الحديث : ٦٧٢٥ .

وأخرجه صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب قول النبي ﷺ (لا نورث ما تركنا فهو صدقة) ١٣٧٩/٣ ، رقم الحديث : ٥١ (١٧٥٨) .

مرجليوث^(١) . تشبيهم بالماسون ، وأن هذا الجمع قد اتخذ له رموزا ، منها : السلام عليكم ، وكذلك زعم هذا المستشرق بأن النبي ﷺ نظر في تعاليم النصراني واليهود ، فأخرج منها مالا يقبله العقل ، وأنه وحد بين إله اليهود والنصارى ، وجعلهما واحدا ولا ريب أن هذا القول باطل من أساسه ، والحقيقة : أن التوحيد هو : دين جميع رسل الله سبحانه وتعالى - وأنبيائه - عليهم أفضل الصلاة والسلام - ، وأن النصرانية واليهودية حرفتا هذه العقيدة^(٢) .

على هذا النحو : حاول الاستشراق اليهودي تصوير الإسلام ونبيه ﷺ ، وهو ما أورده "مرجليوث" في كتابه "محمد وظهور الإسلام"^(٣) .

وقد تابع "مرجليوث" على نفس الطريق في الاستشراق اليهودي أجناس جولد زيهير الذي سبقت الإشارة إليه^(٤) .

ويعد جولد زيهير من أكبر الناقمين والحاقدين على الإسلام ، كما يعد كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" مثالا لهذا التشويه الذي حاول به تمزيق الحقائق الإسلامية ، والذي يمثل تزويرا فادحا ، وتحريفًا خطيرا لسمعة الإسلام^(٥) . وقد تناول

(١) : هو دافيد صمويل مرجليوث ، مستشرق إنجليزي ، برتستاني ، متعصب ، حاقد على الإسلام والمسلمين ولد بلندن ، سنة : ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م درس اللغات الشرقية في جامعة أكسفورد ، وأتقن العربية ، وعمل أستاذا في جامعة أكسفورد ، منذ سنة : ١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م ، فكان من أشهر أساتذتها ، تردد على الشرق الأوسط ، ونشر كثيرا من الأبحاث في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ، التي رأس تحريرها . انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، والجمعية الشرقية الألمانية ، وغيرها . له كثير من الدراسات والمباحث ، والتحقيقات ، والترجمات ، واشترك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية من كتبه : "محمد وظهور الإسلام" ، و "الجامعة الإسلامية" ، و "التطورات المبكرة في الإسلام" ، وغيرها . ويعد من أكبر الناقمين والحاقدين على الدين الإسلامي . مات سنة ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م . نجيب العتيبي ، "المستشرقون" ، ج ١ ، ص ٥١٨ .

(٢) : أنور الجندي ، "الإسلام في وجه التفريب" ، ص ٣١١ ، ٣١٢ ، ط . دار الاعتصام ، بالقاهرة .

(٣) : المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

(٤) : هو مستشرق مجري يهودي . ولد سنة : ١٢٦٦هـ - ١٨٥٠م . درس في بودابست ، وعمل أستاذا بجامعة تنقل دارسا وباحثا بين بلاد كثيرة ، صحب في سورية الشيخ طاهر الجزائري . أقام بالقاهرة فترة له : بحوث ومؤلفات كثيرة ، منها : "كتابه عن الظاهرية ومذهبهم" ، و "كتابه" دراسات إسلامية ، و "كتابه" العقيدة والشريعة في الإسلام" ، و "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي" ، عرف بعنائه وتعصبه ، وحققه ضد الإسلام مات سنة ١٣٣٩هـ - ١٩٢١م نجيب العتيبي ، "المستشرقون" ، ج ٣ ، ص ٩٠٦ .

(٥) : أنور الجندي ، "الإسلام في وجه التفريب" ، ص ١٣٤ .

الشيخ محمد الغزالي رحمه الله كتاب جولد زهر : (العقيدة والشريعة في الاسلام) بالرد والنقض الجيدين ^(١) ، هذا وقد سار على درب الإنجليزى : جولد زهر الألماني في التحريف والتشهير : (شاخت) ^(٢) . الذى طور الأساليب القولية عند جولد زهر حين أضاف اليها مفتربات عديدة منها قوله ببشرية القرآن الكريم ، أي أنه ليس وحيا ، وأن القرآن الكريم لم يأخذ خطأ واحدا في التعبير عن مدلول القضايا التي ساقها ، وأن أسلوبه متباين بين البيئتين المكية والمدنية . ومنها زعمه أن الإسلام كان مزيجا منتخبا من الفكر اليهودي والنصراني ، ويقول أيضا بغير عقل وبغير فهم إن استقبال الرسول ﷺ لبيت المقدس في الصلاة كان استرضاء لليهود لأنه هادئهم ووادعهم كما يرى أن قصة إبراهيم - عليه السلام - في القرآن الكريم مفتعلة ، وأنها نزلت في المدينة إرضاء لليهود . ولم تكن هذه الفرية سوى دليل على جهله بعلوم القرآن الكريم فإن معظم حديث القرآن الكريم ، جاء في أكثر من موضع في القرآن الكريم إبان الفترة المكية حتى إن سورة إبراهيم عليه السلام من القرآن الذى نزل بمكة ، كما يزعم هذا الألماني - شاخت أن الفقه الإسلامى مأخوذ من القانون الرومانى ^(٣) .

وإن الإسلام قام وانتشر بالسيف وأن الحديث النبوي من صناعة الصحابة والتابعين وأن الجيوش العربية الإسلامية أخرجها القحط والجوع ، كما ينكر عالمية الدعوة الإسلامية وعمومها للناس جميعا ^(٤) .

(١) : كتاب الشيخ محمد الغزالي "دفاع عن العقيدة والشريعة في الاسلام" ، طبع في دار الكتب الحديثة بالقاهرة عام ١٩٥٦ .

(٢) : هو جوزيف شاخت ، مستشرق ألماني . ولد سنة : ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م تخرج من جامعتي : برسلا ، وليبزج ، وعمل في الجامعة المصرية ، سنة : ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م ، وأستاذا في جامعة الجزائر ، سنة : ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ، وانتخب عضوا في مجامع وجمعيات عديدة ، منها : المجمع العلمي العربي بدمشق . مات سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، نجيب العتيقى ، "المستشرقون" ، ج ٢ ، ص ٤٦٩ .

(٣) : انظر د . صوفي أبو طالب ، بين الشريعة والقانون الرومانى ، ص : ٤ ، ط : مكتبة كلية الحقوق ، بالقاهرة ، سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م . د . فتحي المرصافى ، دراسة تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر ، ص : ٣٦ ، ط : دار الفكر العربى ، بالقاهرة ، سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م . عبد الحميد متولى ، الشريعة الإسلامية كمصدر أساسى للدستور ، ص : ٢٧ - ٢٥٦ ، ط : الثانية ، الناشر : منشأة المعارف ، د . عبد الله بن على الركبان ، دعوى تأثر الفقه الإسلامى بالقانون الرومانى ، ص ٦٧ - ٨٨ . بحث في مجلة (أضواء الشريعة) ، العدد الرابع عشر ، كلية الشريعة ، بالرياض ، سنة ١٤٠٣هـ .

(٤) : أنظر أنور الجندي ، "الإسلام في وجه التغريب" ، ص ٣١٤ ، الأستاذ عمر عودة الخطيب ، "لمعات في الثقافة الإسلامية" ، ص ٢٠٠ - ٢٠٥ .

ولا ريب أن هذه الشبهات وإثارتها بين المسلمين : أسلوب بلبلة وإثارة وفتنة بين المسلمين وتشويهها لعقيدة الاسلام أمام غير المسلمين وهذه الشبهات ليست جديدة ، فقد كشف الكتاب المسلمون ، والعلماء المخلصون ، فسادها ، وزيفها ، وفندوها وأبانوا زيف ماذهب اليه هؤلاء وأباؤهم من قبل .

الانسلوب الثاني :

●● التشكيك في عدالة التشريع الإسلامي :

وكما فعل خصوم الدعوة الاسلامية سواء في العهد المكي ، أو العهد المدني عصر النبي ﷺ وهو موضوع بحثنا ، فعل أحفادهم من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين ويتمثل التشكيك في عدالة الاسلام والطعن فيه كواحد من أبرز أساليب المستشرقين فيما كتبه المستشرق السويسرى : "ماكس برشم" من بحوث حاقدة على الاسلام وأهله تجافى العلم والواقع ، ولقد انتهى فيه الى أن نظام الجزية في الاسلام اضطر الكثير الى الدخول في الإسلام تخلصا من الضرائب الثقيلة التي فرضت عليهم، وأعفى منها المسلمون ، وأيضا لتكون لهم المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها المسلمون دونهم " وامتلات كتبه بالتناقض والإضطراب " (١) .

وهناك أيضا فيليب فونداس الذى هاجم فريضة الزكاة في الاسلام إذ ، يقول "إن الأموال المادية في نظر الاسلام هي من أصل نجس شيطاني ويحل للمسلم أن يتمتع بهذه الأموال الى الله " وفهم ببلادة ذهن حاقد من قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ... ﴾ (١٠٣) (٢) . أن الأموال نجسة في أصلها ، وإذن فالزكاة وسيلة لتطهيرها ، وبذلك فهم التطهير فهما حرفيا أو حسيا (٣) .

(١) : عبد الجليل شليى، "الاسلام والمستشرقون"، ص ٩٧ .

(٢) : سورة التوبة، الآية ١٠٣ .

(٣) : محمد البهى، "الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار"، ص ٥٢ .

والمعروف أن الجزية وجبت على أهل الذمة ، كما وجبت الزكاة على المسلمين ، حتى يتكافأ في التمتع بالحقوق ويتساوى في الانتفاع بالمرافق العامة للدولة ، فليست الجزية ديناً على الذمي يستوفى منه بالوسائل التي تستوفى بها الديون ، فمن وجبت عليه الجزية ومات أو أسلم قبل دفعها لم تؤخذ من تركته ، ولم يطالب بها ورثته^(١) .
وإنما تجب الجزية على الرجال الأحرار العقلاء الأصحاء القادرين على الدفع ، ولا تؤخذ جزية من مسكين يتصدق عليه ، ولا ممن لا قدرة له على العمل ، ولا من الأعمى أو المقعد أو المجنون وغيرهم من ذوي العاهات ولا من أحد من المترهبين في الأديرة وأهل الصوامع إلا إن كان غنياً .

ويلاحظ أن الشرع لم يفرض الجزية إلا على الأشخاص الذين يجب عليهم الجهاد لو كانوا مسلمين ، وأنه أعفى منها الأشخاص الذين يعفيهم من القتال .
وباستقراء هذه النظم نجد أنها نظماً عادلة راعت حالة الشعب الاقتصادية ، ولو قارنا ذلك بأحوال هذه البلاد في العهدين الروماني والبيزنطي ، فقد كانت هناك نظم جائرة ، فقد كان الروم يجبون منها عشرين ألف دينار وإن الفراعنة كانوا يجبون تسعين ألف ألف^(٢) .

(١) : أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ١٣٢ .

(٢) : انظر: الماردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٦٣ .

وأبو يوسف، «كتاب الخراج»، ص ١٣٣ .

الاسلوب الثالث :

●● بث الاساطير والمفتريات والتشكيك بالسنة :

عدد غير قليل من المستشرقين الذين غلبتهم السفاهة، وتبلد عندهم الاحساس بالذوق العلمي، وافتقدوا المنهج الصحيح فتصدوا للقرآن الكريم بالنقد والتطاول لكنهم متحدون متفقون على أن ينالوا من الإسلام من خلال السنة النبوية بأسلوب يعتمد الخبث والمكر والتحريف إذ يعمدون إلى خلط السنة النبوية الصافية التي لم يشبهها كذب ولا تدليس وبين التراث الصوفي الذي ظهر بعد تدوين السنة النبوية متعمدين إهمال الدور العظيم الذي قام به العلماء في عصر الصحابة رضوان الله عليهم حين وقفوا بأقوم الطرق العلمية الدقيقة للنقد والتمحيص ضد تسرب الأحاديث الموضوعية بحيث لم يعد ثمة مجال للخلط بين صحيح الأحاديث وزائفها ومع ذلك فإن المستشرقين اتخذوا من حركة الوضع ذريعة للتشكيك في السنة برمتها، مستعينين في ذلك بما وعوا من اللغة العربية وآدابها فبرزت طائفة منهم نالت ثقة أقرانهم وإعجاب بعض الباحثين المسلمين. وعلى رأس هؤلاء المستشرقين اليهودي المجري تسهير (١٨٥٠-١٩٢١م)^(١) ومن بعده جوزيف شاخت (١٩٠٢-١٩٦٩م).

تناول جولد تسهير في الفصل الأول من الجزء الأول في كتابه "دراسات إسلامية" موضوع الحديث والسنة وظل كتابه وقتاً طويلاً - في نظر المستشرقين - مصدراً يعتد به، هذا وتجد الإشارة إلى أن الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله يأخذ على المستشرقين الذي خاضوا في دراسة الإسلام وشريعته بوجه خاص أنهم يخضعون النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث ومن كتاب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ويصححون (أي صح عندهم) ما ينقله "الدميري" في كتاب "الحيوان"

(١) : درس اللغات السامية في بودابست-وليزيج وبرلين ولايدن، وحاضر في كلية العلوم بجامعة بودابست وزار سوريا وفلسطين ومصر بين عام ١٨٧٣-١٨٧٤م ودرس العربية في الأزهر وليس الزي الأزهرى. انظر: نجيب العتيقي، "المستشرقون"، دار المعارف بمصر ١٩٨١، الجزء ٣، ص ٤٠-٤٢.

ويكذبون ما يرويه : "مالك" في "الموطأ"^(١)، وذلك إلى جانب سوء فهم بعض النصوص إلى الحد الذي ينتقل فيه المعنى المقصود إلى نقيضه.

ويلغ إعجاب الجيل الجديد من هؤلاء المستشرقين بابحاث جولد تسهير في السنة حدا جعلهم يتخذون من مقولاته قضايا مسلما بصحتها ويرددونها في مؤلفاتهم فالسنة عند برنارد لويس- مثلا - لا قيمة لها لأنها لا تعدو أن تكون - في نظره- أقوالا أي أحاديث كاذبة (يعني الأحاديث الموضوعة) نسبت إلى النبي ﷺ بعد أجيال من ظهور الإسلام وأنها أثر لتطور المجتمع الإسلامي وما واجهه من مشاكل اجتماعية وسياسية ودينية وتشريعية ثم هي إفرار للخلافات الداخلية ونزاع الأفراد والأحزاب التي ظهرت في المجتمع الإسلامي وغذتها أفكار الأمم التي خضعت لسلطان المسلمين في عهد الفتوح: ومن ثم استغلت الأحاديث الموضوعة لتبرير مزاعم كل طرف من الأطراف المتنازعة في مواجهة الطرف الآخر.^(٢)

وفون جرونباوم لا يرى في السنة سوى امتداد لما كان معروفا للعربي الوثني الجاهلي في الاقتداء بأسلافه فحل الاقتداء وافعال النبي ﷺ محل اقتداء عرب الجاهلية بآبائهم^(٣)!! ثم خاض جرونباوم في الأحاديث الموضوعة وصلتها بالصراع السياسي في العصور الأموي على نحو ما فعل برنارد لويس وخلاصة ما ذهبوا إليه أن السنة كلها موضوع شك.^(٤)

وتلك هي أفكار جولد تسهير بعينها التي تصدى لتفنيدها نخبة كريمة من علماء المسلمين وبينوا ما اشتملت عليه من افتراضات خاطئة وسوء فهم للنصوص العربية الواضحة ومجاهل للحقائق الثابتة ولكن مازال بعض الكتاب المسلمين المعاصرين يرددون

(١) : مصطفى السباعي، "السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي"، المكتب الاسلامي، دمشق، ط. ٢.

١٣٩٨هـ-١٩٧٨، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) : روى الدكتور السباعي أن أحد الملاحدة في مصر، وهو الدكتور اسماعيل أدهم نشر رسالة في عام ١٣٥٣هـ عن تاريخ السنة أعلن فيها ان الثروة الغالية من الحديث الموجودة بين أيدينا والتي تضمنتها كتب الصحاح ليست ثابتة الاصول بل هي مشكوك فيها ويقلب عليها صفة الوضع انظر : "السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي"، ص ٢٣٧.

(٣) : المصدر السابق ، ص ٢٣٨.

(٤) : المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

مزايم جولد تسهير حتى اليوم كأنها فتح جديد في دراسة السنة النبوية المطهرة. وتدور الشبهات التي أثارها المستشرقون حول تاريخ تدوين الحديث ، والاسناد والاحاديث الموضوعية ولكن جولد تسهير لم يقف عند هذا الحد وإنما ذهب إلى اتهام إمام من أئمة المسلمين، وهو الإمام الزهري، بالمشاركة في وضع الأحاديث الكاذبة إرضاء للحكام في العصر الأموي فقال بالحرف ما ترجمته " كان الامويون يروجون الأحاديث التي تحقق مصلحتهم واتخذوا من الإمام الزهري المعروف بالتقوى أداة لتنفيذ مآربهم." (١) ، مشيراً إلى رواية نسبها إلى الخطيب البغدادي فحواها أن "إبراهيم بن الوليد جاء إلى الزهري بكراسة كتبها بنفسه واستأذن الزهري أن يذيع ما ورد فيها من أحاديث وصفها بأنها أحاديث رويت عن الزهري فوافق الزهري على ذلك بسهولة ثم يضيف هذا المستشرق قائلاً: " وتؤكد هذه الحادثة رغبة الزهري في تحقيق مآرب الأسرة الأموية بوسائل دينية. ومن المحتمل أن يكون ضميره قد أنبه على ذلك في بعض الأحيان بالنظر إلى تقواه ولكنه لم يستطع ان يقاوم ضغط الحكام." (٢)

ثم أورد جولد تسهير ما نسبه - كذباً - إلى الزهري زاعماً أنه "أي الزهري" قال: " أن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة حديث". (٣)

يعلق الدكتور مصطفى السباعي على هذه القرية " بأن هذا النص الني نقله جولد تسهير فيه تحريف يقلب المعنى رأساً على عقب، وأصله أن الزهري كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس... فلما طلب منه هشام أصر عليه أن يملئ على ولده ليمتحن حفظه كما تقدم، وأملئ عليه أربعمائة حديث، خرج من عند هشام وقال بأعلى صوته: " يا أيها الناس إنا كنا منعناكم أمراً قد بذلناه الآن لهؤلاء وإن هؤلاء الامراء أكرهونا على كتابة الأحاديث فتعالوا حتى أحدثكم بها" فحدثهم بهذه الأربعمائة حديث، هذا هو النص التاريخي لقول الزهري وقد رواه الطيب بلفظ آخر وهو : كلنا كتاب

-
- (١) : محمد الحخير عبدالستار، "الاسلام والغرب"، دار الجليل ببيروت، ص ١٦٣، وما بعدها .
(٢) : انظر هذه القرية في كتاب، " السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي"، ص ٢٢٠، تحت عنوان " قصة ابراهيم بن الوليد الاموي".
(٣) : محمد الحخير عبد القادر، مصدر سابق، ص ٦٤.

العلم - اي كتبتة - حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا أن لا نمنعه احدا من المسلمين.^(١)

ثم يقول السباعي " فانظر الفرق بين ان يكون قول الزهري كما روي جولد تسهير" اكرهونا على كتابة حديث " وبين أن يكون قوله كما رواه المؤرخون" أكرهونا على كتابة الاحاديث.^(٢) ويروي الدكتور السباعي أن حذف "ال" من الأحاديث قلبت الفضيلة رذيلة ، لأن النص الاصيل يدل على أمانة الزهري واخلاصه في نشر العلم فلم يرض أن يبذل للأمراء ما منعه عن عامة الناس.^(٣)

ولم يقنع جولد تسهير بالافتراء على الإمام الزهري وإنما تقول ايضا على الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، فقال عنه:

"أنه لم يكن موضع ثقة تذكر، وأن المستشرق شبرنجبر كان يصفه " بالمسرف في الكذب ورعا"^(٤) وقد خصص الدكتور السباعي جزءا كبيرا في الرد على هذا المستشرق.

لقد كشفت بحوث المحققين في تاريخ الحديث النبوي وتدوينه أخطاء خطيرة في منهج جولد تسهير وفهمه المعكوس لبعض الاخبار التي وردت في كتب الحديث يقول العلامة فؤاد سزكين " أن جولد تسهير وهو العالم الكبير باللغة العربية قد فهم بعض الاخبار الواردة في كتب الحديث فهما معكوسا وهكذا فقد شق منذ البداية اتجاهها خاطئا وكشف الدكتور سزكين أن جولد تسهير رفض صحة الاخبار بمواصلة تطور علم الحديث بجعل بداية جمع الحديث أواخر القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث الهجري.^(٥)

(١) : مصطفى السباعي، مصدر سابق، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) : المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

(٣) : المصدر نفسه.

(٤) : قال جولد تسهير بالحرف عن أبي هريرة ما ترجمته دار المتطرف في الاختلاق ورعاه، ترجمة الدكتور مصطفى السباعي، "السنه"، مصدر سابق، ص ٣٧٧ .

(٥) : فؤاد سزكين ، "تاريخ التراث العربي"، م. ١ ج. ١ ، في علوم القرآن والحديث، نقله الي العربية الدكتور محمد فهمي حجازي، "ادارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية"، الرياض ١٤٠٣-١٩٨٣م، ص ١١٨ .

ومما أخذ على جولد تسهير " أنه لم يستخدم كتب مصطلح الحديث التي كانت معروفة ولم ينظر - على الرغم من كثرة مصادره - إلى بعض الاخبار في ترابطها بالأخبار الأخرى وأنه لم يتعمق في دراسة القضية ولم ينتبه بصفة خاصة إلى الفرق بين تدوين الحديث وتصنيفه ولذا اختلطت عليه، الروايات الخاصة بهما اختلاطاً.^(١)

ويذكر سزكين أن (جولد تسهير وشبرنجرفون وفون كرير) كانوا إلى حد ما على معرفة بالأخبار الخاصة بالمرحلة المبكرة التي دونت فيها الأحاديث ولم يخامرهم الشك في صحتها ومع ذلك حاول جولد تسهير أن ينقض الروايات الخاصة ببداية التدوين والتصنيف مشغلاً نفسه بالمراحل التالية على أساس تصورات الخاطئة.^(٢)

ثم أوضح الدكتور سزكين ؛ أن الاحاديث سجلت في عصر الصحابة وأوائل التابعين في كراريس صغيرة أطلق على الواحد منها اسم "صحيفة" او "جزء" وأن الكتابات المتفرقة جمعت في الربع الأخير من القرن الهجري الاول والربع الأول من القرن الثاني الهجري ... ثم رتب الأحاديث وفق مضمونها في ابواب منذ سنة ١٢٥هـ تقريباً وأنه ظهرت طريقة أخرى لترتيب الأحاديث وفق أسماء صحابة الرسول ﷺ في كتب المسانيد وفي القرن الثالث الهجري نقحت الكتب المنهجية المبكرة وأعدت كتب جامعية سميت عند الباحثين المحدثين باسم "المجموعات الصحيحة"^(٣)

ويقول سزكين " إن هذه التسمية قد لا تكن دقيقة الا أن جولد تسهير اعتبرها اول كتاب للحديث يقوم على أساس منهجي.. وحتى الأحاديث التي كانت تنتقل إنما كانت تستند إلى نصوص مدونه".^(٤)

ويؤكد الدكتور سزكين أن جولد تسهيل افتري على الإمام الزهري لأنه (أى جولد تسهير) لم يستطع أن يفهم المعنى الدقيق لمصطلح كتاب أو كتابة وفي ذلك يقول " بدون أن يفهم جولد تسهير المعنى الدقيق لمصطلح كتاب أو كتابة فقد أخطأ في تفسيره لعبارة

(١) : المصدر نفسه، نفس الموضع.

(٢) : المصدر نفسه، ص ١١٩ . ١٢٠.

(٣) : المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٤) : المصدر نفسه، ص ١٢٠.

الزهري " كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحدا من المسلمين " وقد فهم جولد تسهير من هذا النص أن الزهري اعترف بأنه قد مكن للأمويين من الحصول على ذرائع دينية تخدم مصالح أسرتهن الحاكمة.^(١)

وهذا القول يؤيد ما ذهب إليه الدكتور مصطفى السباعي من أن جولد تسهير كان يحرف النصوص ويبني عليها أحكاما خاطئة وأنه - على أفضل وجه - لم يستطع فهم النص العربي فهما صحيحا.

ثم جاء جوزيف شاخت (١٩٠٢ - ١٩٦٩) بعد جولد تسهير ليكمل ما بدأه سلفه من تشويه لتاريخ السنة واقتراء على الشريعة الإسلامية.

ولد شاخت عام ١٩٠٢ أى قبل موت جولد تسهير بنحو تسع سنوات وتلقى دراسته في جامعتي " برسلو " و " ليبزغ " في ألمانيا وفي الثانية والثلاثين من عمره (١٩٣٤) كان يحاضر في الجامعة المصرية ثم في عدد من الجامعات الغربية والوطن العربي فعمل محاضرا للدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد (١٩٤٨) وفي جامعة الجزائر (١٩٥٢) وجامعة لندن (١٩٥٤) وزائراً في جامعة كولومبيا (١٩٥٧-١٩٥٨) ثم عضواً في المجمع العربي بدمشق (٩٥٥) فأصبح بذلك شيخ المستشرقين الأخصائيين في دراسة الشريعة الإسلامية .^(٢) فماذا قال هذا المستشرق عن السنة والشريعة الإسلامية والزكاة؟ قال : إن الشريعة ليست قانونا بالمعنى الحديث لهذه الكلمة وإنما هي مذهب أخلاقي يتناول كل ما يتعلق بحياة المسلم الدينية والسياسية والاجتماعية وأحواله الشخصية.. ولم يكن ثمة إجماع بين المسلمين حول الواجبات الأساسية للمسلم، وإن كان النبي ﷺ أعطى الصلاة والزكاة والصوم وزناً خاصاً، أ رأيت كيف يتخبط هذا الرجل في فهم الإسلام وهو الحجة في نظر الغرب؟ ثم يستطرد قائلاً: لم يكن القرآن مصدراً للتشريع بصفة مباشرة، وإنما تطور ذلك التشريع من خلال الممارسات الإدارية والشعبية

(١) : المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

(٢) : نجيب المقيتي، "المستشرقون"، دار المعارف، ط. ٤، القاهرة ١٩٨٠، ج ٢، ص (٤٦٩-٤٧١) ومحمد أنسي الزرقاء، "بحث الزكاة عند شاخت والقراض عند بودفيتش ودراسة التقييم مناهج المستشرقين"، ج ٢، ص ٢٠٥ .

في العصر الأموي وهي تشريعات ذات طابع أخلاقي أكثر منها تشريعات ملزمة... واما النظرية التقليدية الإسلامية - الحديث مازال لكبير المستشرقين - التي ترد مصادر التشريع الإسلامي إلى القرآن والسنة والإجماع والقياس فيه " من اختراع الامام الشافعي"!!

ولعل افضل تلخيص لافتراءات شاخت والرد عليها جاء على لسان الدكتور محمد أنس الزرقا حين قال - في بحثه القيم عن الزكاة عند شاخت - وخلاصة ادعاءات هذا المستشرق أن الزكاة لا يكاد يكون لها في القرآن في العهد المكي سوى معنى التقوى وهو معنى مأخوذ عن اليهودية وأن معنى الطهارة والصلاح يتضائل في العهد المدني ليحل محله معنى العطاء وتغدو كلمة الصدقة مرادفة لكلمة الزكاة وان الزكاة كانت في عهد النبي ﷺ لا تزال غامضة ولم تكن ضريبة يقتضيها الدين ولذلك امتنع عن أدائها كثير من قبائل الأعراب (أي المرتدين) بعد وفاة النبي ﷺ. (١)

فالحقيقة الكبرى التي تجاهلها شاخت أن الزكاة (في الإسلام) هي أساسا نقل للدخل والثروة من الأغنياء إلى الفقراء بينما الواجبات المالية في الديانات الأخرى هي اساس لتمويل وظيفة الوساطة الدينية وإعاشة رجال الدين وتشغيل وإنشاء المعابد ومن ثم قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه : "إن الزكاة حق المال" والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة" (٢).

ويقول الدكتور محمد مصطفى الأعظمي عن كتاب شاخت " أصول الشريعة المحمدية" على كل فإن كتاب شاخت يحاول أن يقلع جذور الشريعة الاسلامية ويقضي على التشريع الإسلامي قضاء تاما. ويصف ذلك الكتاب علماء المسلمين كافة - لحقب عديدة - بأنهم كانوا كذابين وملففين غير أمناء وذلك على وجه الاختصار (٣) ويواصل الدكتور الأعظمي نقده قائلا :

(١) : محمد أنسى الزرقا ، " الزكاة عند شاخت " مناهج المستشرقين ، ج ٢ ، ص ١٢٩ - ٢٢٠ .

(٢) : المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ . عن ابن كثير .

(٣) : محمد مصطفى الاعظمي ، المستشرق شاخت ، " السنه النبوية مناهج المستشرقين " ، ج ١ ، ص ٦٨ .

" وعلى الرغم من خطورة كلامه (أى شاخت) الذي يسعى لهدم القرون الذهبية للأمة الإسلامية من حيث العلم والنزاهة، لم يسمح لطالب في جامعة لندن وجامعة كمبردج - اللتين ترفعان علم الحرية والتجرد في البحث العلمي - أن يسجل موضوع أطروحته : دراسة نقدية لكتاب شاخت (أصول الشريعة المحمدية) هذا هو " الأستاذ الكبير" الذي أصبح فوق النقد ومن مسه من بعيد كان نصيبه الإبعاد والطرده كما حدث لأحد أساتذه جامعة اكسفورد^(١) انتهى حديث الدكتور الأعظمى جزاءه الله خيرا.

ان الدكتور محمد الخير عبدالقادر في كتابه المنهجي " الإسلام والغرب" يقول إن الاستعانة بما كتبه ثقات العلماء المعاصرين^(٢) فى تفنيد أراجيف أساطين الاستشراق من أمثال جولد تسيهر وشاخت مطلب شرعي وليس اجترارا لأفكارهم - وهى أفكار جديدة بالبحث لانها تكتشف عن المنبع الحقيقي للحملة الضارية التي يشنها دعاة العلمانية المعاصرين ضد الشريعة الإسلامية وافترائهم على السنة النبوية المطهرة زاعمين أنهم يتحدثون بلغة العصر^(٣) .

فإذا جاء بعد هذا كله، من يسخر من الزكاة وتحريم الربا، أو من يفترى على صحابة رسول الله ﷺ ويشك في الأحاديث النبوية ويتهم المسلمين " باختلاق الأحاديث"^(٤) فإن مقولاتهم لا يمكن ان توصف الا بأنها محاولة ساذجة لبعث الأساطير من مكنها وهى أساطير قضى عليها علماء المسلمين منذ أمد طويل وجاءت بحوث علماء المسلمين المعاصرين فأجهزت على ما تبقى منها.

(١) : المصدر السابق، نفس الموضوع.

(٢) : نذكر من هؤلاء الي جانب الدكتور مصطفى السباعى وفؤاد سزكين :

- الدكتور التهامى نقرة في بحثه " القرآن والمستشرقون" .

- الدكتور محمد مصطفى الأعظمى : " السنة النبوية وروايتها - المستشرقون - شاخت والسنة النبوية" .

- الدكتور محمد سليم العوا : " النظام القانونى الإسلامى في الدراسات الاستشراقية المعاصرة"، دراسة لمنهج

المستشرق نويل ج كولسون (مناهج المستشرقين ، ج ١) .

- الدكتور محمد أنس الزرقا : " الزكاة عند شاخت" منتهج المستشرقين ج ٢ .

(٣) : قال احد هؤلاء الساخرين " فان الحديث إزاء هذا الواقع (أى المعاصر) عن اقتصاد اسلامى جوهره الزكوات

والربا وبضعة شعارات عن التكافل والتراجم ووحدة الأمة الإسلامية حديث يعكس جهلا فاضحا بمقومات

الاقتصاد الوطنى" منصور خالد في كتابه الفجر الكاذب، ص ٣٥٥ .

(٤) : حسين أحمد أمين، " دليل المسلم"، ص ٥٩ .

الاسلوب الرابع:

●● (نشر المزاعم وبث الاتهام):

هذا الأسلوب قام به التيار العدواني في الغرب والذي يقف بالدعم والمساندة وراء قوى التنصير الصليبي. وقد ارتكزت هذه الأساليب في طرح خصومتها للإسلام على ما أثاره المستشرقون من شبهات وتحريف لما اطلعوا عليه من تراث المسلمين.

ومن هذه الأساليب مثلا :

- إثارة الشبهات حول القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة وأحكام الإسلام ، وتشريعاته ومبادئه وقد أشرنا إلى نماذج منها .

- دس الأفكار الفاسدة ، وإغراء بعض ضعفاء النفوس أو ضعفاء العقول من المسلمين باعتناقها على أنها تعاليم الإسلام ومفاهيمه ثم محاربة الإسلام بها لإعاقة انتشاره .

- اختلاق الأكاذيب والإفتراءات على الإسلام وتاريخ المسلمين ، وتشويه غاية الفتوحات الإسلامية .

- مقابلة بعض أحكام الإسلام وأركانه وتشريعاته بالاستهزاء والسخرية والازدراء.

- احتقار العلماء بالوسائل العديدة التي تحول دون تأثيرهم الفعال^(١) .

فالتنصير من أخطر الحروب والمعوقات التي تواجه الأمة المسلمة ومسار الإسلام، كانت بدايته مع نهاية الحروب الصليبية ، وقد بقيت حتى اليوم "تكتيكها" أو وسائلها ، وبقيت لها "إيدلوجيتها" أو فكرتها ولكن جاء التنصير بديلا عن الحروب الصليبية ، بصفة عامة ، لكن الحروب الصليبية لم تنته تماما^(٢) . وخلاصة مايمكن أن نقرره من هذا العرض أن نقول :

- إن الهدف من التنصير هو : إبعاد المسلمين عن الإسلام باعتبار أن الإسلام يزعمهم هو الخطر على الغرب .

(١) : المصدر السابق ، ص ٥٠٧ .

(٢) : دصاير طعيمة: «أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي» مصدر سابق، صفحة ٣٣٧.

- أن أعمال المنصرين ووسائلهم تعد أخطر معوق لانتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاريها .
- إن التنصير يركز على إفراغ أفكار المترددين عليهم والمحتكين بهم من المحتويات الأصيلة ، والجذور العميقة .
- نجح التنصير من خلال الجامعات الغربية في اختيار طلبته من ذوي الطباع الضعيفة ، ليمنحهم المنح الدراسية ، فيبيعوا لهم الشهادات بأى ثمن ، ليكونوا بين المسلمين .
- إن الدعوة التنصيرية كانت تتخذ من مظاهر النشاط المختلفة وسيلة للتخفي بالتدريس والتطبيب والأعمال الاجتماعية ، وغيرها .
- إن التنصير يعد خطوة مضادة لانتشار الإسلام في المجتمعات المختلفة .
- إن التنصير أو مايسمونه بالتبشير بماله من وسائل وأساليب وإمكانات ، يعد أكبر معوق لانتشار الإسلام ، ويعمل ليل نهار على عرقلة تقدم المسلمين.
- إن المنصرين لم يكتفوا باستغلال حاجات الناس وآلامهم ، بل أخذوا يعلنون صراحة تجريحهم للإسلام ، وتراث المسلمين ، وأفضلية كل ما هو غربي فكرا وسلوكا ، من أجل إضعاف المسلمين ، وإعاقة انتشار الإسلام^(١).
- إن مواجهة هذه المعوقات تحتاج إلى تخطيط دقيق ومساندة إسلامية واعية .
- إن المنصرين لم يكن اختبارهم عفويا، وإنما كان نتيجة درس ودراسة ، وإعداد للاضطلاع بهذه المهمة الخطيرة ، فكان لا يقوم بهذا العمل إلا رجالاً نالوا قدرا كافيا من التمرين على مناهج معدة بإحكام لتناسب بينات معينة، في ظروف معينة ، وهذا بحد ذاته يمثل معوقا كبيرا وخطيرا أمام انتشار الإسلام .

(١) : انظر، د. صابر طعيمة، "أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي" عالم الكتب، بيروت، عام ١٩٨٤ ص

- المدارس التنصيرية من أخطر الأساليب التنصيرية فتكا بالأمة المسلمة ، وأكثر إبعادا للناس عن الإسلام لما لها من تأثير في طريق الدعوة إلى نشر الإسلام ، وقد عانت الأمة المسلمة من هذه المدارس ومن تخرجوا فيها ، ولا زالت تعاني من شدة التأثير ، إذ أصبح هؤلاء الخريجون يمثلون معوقا خطيرا أمام انتشار الدين الإسلامى .

- أن المنصرين يعملون ويحكمون العمل والتدبير ، فإذا رغب المسلمون ، أن يتخطوا هذه العقبة ، فعليهم العمل وتدبر الأمر وزيادة الإحكام والتدبير .

- من أغراض التنصير : هدم الإسلام في قلوب المسلمين ، وإطفاء جذوة الإيمان في قلوبهم ، وقطع صلتهم بالله - سبحانه وتعالى - وجعلهم مسخا لاتعرف عوامل الحياة القوية ، التي لاتقوم إلا على العقيدة النقية القوية ، والأخلاق الفاضلة ، وهذا يوهن الهمم ، ويضعف روح الدعاة إلى الله ويعوقهم عن نشر الإسلام .

- عمل التنصير على خلق تخاذل روحي ، ومعنوي ، وبث الروح الانهزامية عند المسلمين ، وعمل على إيجاد شعور بالنقص في نفوس المسلمين بعامته ، والعرب منهم خاصة ، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع والخنوع للمدينة المادية الغربية ، كل ذلك لإيقاف المد الإسلامى .

- دأب المنصرون على إضعاف العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين ، والمؤمنين بها ، على أساس أن الشعوب التي تنحل عقائدها القوية ، وتضعف ، تغدو فريسة سهلة للغزو الفكري وإذا انطفأ نور العقيدة الرضاء من القلب ، ضعفت الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

- استحدث التنصير وسائل تنصيرية جديدة ، وذلك عن طريق الخدمات الاجتماعية والصحية وغيرها أدت نتائج أسرع وأفضل من عمل القس المبشر (المنصر) في إبعاد المسلمين عن دينهم وعدم تمكينهم من نشره .

- الوسائل والأساليب التي مارسها المنصرون عملت كلها على تشويه سمعة الإسلام والمسلمين إذ سخرت العلم والسلاح والتكنولوجيا من أجل تحريف التاريخ والأحداث ، وتشويه العلاقات التاريخية والإنسانية ونشر المفاهيم الغربية لإبعاد المسلم عن دينه ، أو تشكيكه فيه .

هذا ويمارس التنصير منهج المغالطة وتشويه الحقائق ، وتقديم المفتربات خاصة في مجالات عمله لتشويه الدعوة الإسلامية بالإعلان عما يسمى ملكوت الرب، والتنصير في ذلك خاضع للمخططات اللاهوتية الجديدة التي طرحها دعاة تنصير المسلمين ، وفي التدليل على ذلك يطالعنا المنصر ، بروس ج . نيكولز ، بأطروحاته التي بدأها بتمهيد واسع يقول فيه بتعصب وعنصرية بغيضين فضلا عن تشويه وتحريف لعقيدة الإسلام شديدين ^(١) إذا كان جوهر الإيمان في الإسلام هو التوحيد فإنه صحيح أيضا أن مركز الإبداع في الإنجيل هو الثالوث الأقدس (وهذا هو جوهر التشويه مساواة التوحيد بالثالوث) إن مفهومي "الرب محبة" و "يسوع المسيح هو المحبة المجسدة" ، هما مفهومان للرب كشخص يتجاوز مفهوم الوحدانية الحسابية للرب ، وإذا كان الرب شخصا في الأساس فهو كذلك سرمدى، ثم يقول إن المسيح لم يصبح ابن الرب بمرور الزمن بل تلك حقيقة منذ الأزل ، وفهم رجال الكنيسة الأوائل المعنى الإغريقي واللاتيني لمفهوم "شخص" أو "ذات" كعلاقة متناقضة مع مفهوم الإنسان الحديث الذي قلل مفهوم الشخص الى إنسان مستقل وهذا مايفهمه المسلمون بالثالوث هنا . وإذا كان الرب هو المحبة فهو إذا محبة بشكل أزلي وسر هذه العلاقة الداخلية قد تم ادراكه في التجسيد، إن كل مقاييس الطبيعة غير مناسبة كلية لتعريف مفهوم المحبة الإلهية على الطريقة النصرانية التي تجعل من الانسان إلها وابنا للإله في آن واحد ، إن جوهر هذا المفهوم لايمكن إدراكه الا من خلال دائرة الايمان، وعليه فإن المنصر يجب ان يدخل في علاقة عميقة مع المسلم تؤدي إلى الايمان قبل أن يكون ممكنا إدراك هذا المبدأ ، إن المنصرين قد

(١) - في بحثه المعنون "منطلقات لاهوتية جديدة في عملية تنصير المسلمين" نقلا عن دكتور صابر طعيمة الإستشراق والتنصير في مواجهة الإسلام ، دار الجليل بيروت عام ١٩٩٥ ج ٢/٣٤٥ - ٣٤٨ بتصرف .

قبلوا عامة بالمنهج الذي يقول به كل من أوكاستين وإنسلم : "إني أو من حتى أتمكن أن أفهم" وإذا كان ملكوت الرب هو ذلك المجتمع الذي تتجسد فيه المحبة فمن واجب الكنيسة أن ترتفع عن مفهوم المجتمع بوصفه جماعة من الإخوة تسلم أمرها للرب، ثم يسترسل نيكولز ويقول: واحسرتاه كم من النصارى مقصرين ، هذا يعنى أن نقطة البداية لفهمنا اللاهوتى للتنصير ستكون الكنيسة وليس الفرد^(١).

الاسلوب الخامس:

●● اسلوب الالحاد الفلسفي:

من أساليب وممارسات الخصومات العصرية للدعوة الإسلامية ما طرحته القوى المعادية للإسلام في ثوب زعمته المواجهة الحقيقية للدعوة الإسلامية وكل ما تمثله، على وهم أنه أسلوب يرتكز الى مقولات وتفسيرات فلسفية عن الكون، والتعبير عن مصلحة الغالبية من الناس وأعني به الماركسية في خصومتها للإسلام لكنه لا بد ومن الضرورة أن ننبه إلى أنه إذا كانت النظرية الماركسية ترى أن " الدين أفيون الشعوب" ومخدر للفقراء وأنه انعكاس لشقاء فعلي واحتجاج على هذا الشقاء^(٢) فإن الدين المسيحي المحرف يجب أن يكون هو المعنى بهذا في نظر الماركسية آنذاك يقول أحد المفكرين^(٣) ولئن كانت الأوضاع الدينية في أوروبا آنذاك قد تسوغ لماركس وأتباعه هذا الموقف من الدين فمن تزيف للعقيدة المسيحية إلى صكوك الغفران إلى محاكم التفتيش إلى اضطهاد للعلماء والمفكرين إلى تضخم الثروات في أيدي كبار رجال الدين المسيحي وتأبيدهم لطغيان الملوك والحكام ووقوفهم إلى جانب المترفين وتجردهم من كل شعور بالعطف على البؤساء والمحرومين كل هذه المهازل قد تبرر - بل تمهد - لماركس موقفه العدائي من الدين السائد في مجتمعه ولكنه بدلا من أن يدعو إلى إصلاح ديني يرد الناس جميعا

(١) : انظر تفصيل ذلك عند د. صابر طعيمة والاستشراق والتنصير في مواجهة الإسلام، مرجع سابق، ج٢/٤٣٥.

(٢) : انظر، د. روجية جارودي " ماركسية القرن العشرين" ، ص ١٤٥-١٥٣ .

(٣) : د. صفوت حامد ، " الفكر الماركسي" ، ص ٩٣ .

إلى طريق الحق والعدل والحرية نجاهه يصم الدين كله بهذه الوصمة " أفيون الشعوب" ويستهدف أتباعه بعد ذلك الإسلام لأنه المنافس الحقيقي لنظريته .

ولقد أخطأ " ماركس" والماركسيون بقولهم : إن الدين أفيون الشعوب وأنه فن إسكار الناس بالحماسة لئنعهم من الاهتمام بالمصائب التي ينزلها بهم أولئك الذين يحكمونهم^(١) وقد انتقد " العقاد" هذه التهمة على الدين بقوله^(٢) : " أما الدين فلو كان لـ " كارل ماركس" نصيب من خيال التشبيه لما خطر له أن يشبهه بشيء من المخدرات أو المسكرات إذ كانت الأديان الحقبة جميعا تقوم على الإيمان بالجزاء والثواب والعقاب وتعلم المتدين أن يحاسب نفسه على تبعات أعماله لأنه محاسب عليها في السر وفي العلانية وتفرض في نفسه عادة الاحترام والتقديس وتحذره القحة وسوء الأدب وهذه العقائد كلها هي وحالة السكر نقيضان لا يجتمعان وأول ما يسقطه السكر عن المخمور أو المخدر شعوره بالتبعية وشعوره بالاحترام فلا يبالي عاقبة عمله .. ومن عجز الخيال أن يختار" ماركس" للدين تشبيها لا يصدق على عقيدة قط كما يصدق على عقيدة الشيوعية فهي في الحقيقة والواقع أفيون الشعوب - لأن الشيوعية تروج بين الذين يسقطون التبعية على أنفسهم ويلقون أوزار الجرائم والردائل على المجتمع وتصدر العذر للسراق والجناة والمنافقين بما تتهم به المجتمع من الحريات والظلم وسوء التصريف والتدبير وتعطي كل ما يشتهي المتطاول حجة للتطاول على المحسودين أو التطاول على ما يشاء من المحرمات إلا ما كان من المغريات بالشيوعية على حد سواء فحيث توجد الأسباب للإقبال على السكر توجد الأسباب للإيمان بالشيوعية على السواء ..^(٣) .

- (١) : انظر: روجيه جاروديه ، " مرجع سابق " ، ص ١٤٣ .

- (٢) : عباس محمود العقاد، " الشيوعية والإنسانية" ، ص ٢٦٢ ، وانظر : الأستاذ عمر عودة الخطيب، " المسألة الاجتماعية " ، ص ١٧٢ .

- (٣) : أنظر ، ميرزا حسين ، " الإسلام والاشتراكية" ، ترجمة عبدالرحمن أيوب، مراجعة على أدهم، ط/٦٥، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة .

كذلك قول لينين جاء ليؤكد ما قاله سلفه إن الدين نوع من أنواع العبودية التي تبتلى بها الجماعات الفقيرة في كل زمان ومكان ولقد تولد عن ضعف الطبقات المستبدة إيمان بحياة أخرى من هذه الحياة في هذه الدنيا ويعلم الدين هؤلاء الناس الذين يعلمون ويقاسمون الفقر والصبر والعبودية وذلك لما يمنحهم من جزاء سنمار .. ويكذب " العقاد " هذه الفرية الأخرى على الدين بقوله :

" .. وأجهل من ذلك أن يقال إن الإنسان يتدين لأنه ضعيف بين نواميس الكون، وقوى الوجود... فهذا كلام من باب تحصيل الحاصل، لأنه يمنع تفسير الدين على وضع من الأوضاع فلن يكون الإنسان على حال من الأحوال إلا ضعيفا بين نواميس الكون وقوى الوجود فكيف يدرك الحقيقة إذن في حقيقة الدين؟ هل نرجعها إلى اليوم الذي تنتقل فيه الآية فيصبح الكون أضعف من الإنسان أو يصبح الكون مهملا في نظره لا ينطوي على سر من الأسرار " (١) .

على أن الضعف الإنساني لا يصلح للإحاطة بتفسير الدين إلا إذا كان الضعف أغلب الصفات على أصحاب الضمائر الدينية وليس هذا من الحقائق التي تؤيدها المشاهدة والتجربة لأنه يناقض المشاهدة والتجربة في كثير من الأحوال فلا يكون الدعاة الدينيون -وبخاصة المسلمون حقا- لأن الدين عند الله الإسلام إلامن أقوى الأقوياء وأعظمهم نفوسا وأقدرهم على الإرادة والمضاء .

ولذلك كان موقف الإلحاد الشيوعي من الدين الإسلامي هو موقف المتخوف والمتهيب لشعوره بعلم، أو بدون علم أن الإسلام أقوى وأعظم من أن يواجهه ومن هنا فلم يعامل الإلحاد الشيوعي المسيحية معاملة الإسلام لأن المسيحية فقدت قوتها المعنوية بانحرافها وتشوهها وطغيانها (٢) ولم يبق منها ما يؤهلها لتكون " عقيدة وشريعة " لهداية الإنسان فاستحقت بضياعها وانحرافها أن تكون " أفيون الشعوب " .

(١) : العقاد، " الشيوعية والإنسانية "، ص ٢٦٥ .

(٢) : انظر د. محمد عثمان " الفكر المادي الحديث"، ص ٢٧٩ .

أما الإسلام، فقد صار جباية الأرض وطغيانها منذ عصر الرسالة وإلى الآن^(١). وما دام الإسلام تلك سمته، فقد بقي عدا الماركسية له متخفيا حينما لمصلحة رأوها، وأعلنت العدا أحيانا أخرى حينما تنتفي المصلحة .

فقد اتخذت الماركسية موقف المهادن للدين المبطن العدا حينما قامت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ وأصدر مجلس " كومبسيرو الشعب البلشفي " نداء إلى شعوب روسيا من المسلمين وكان بين من وقعه لينين وستالين جاء فيه :

" .. إن إمبراطورية السلب والعنف الرأسالية توشك أن تنهار .. وفي وجه هذه الأحداث الجسم نتجه بأنظارنا إليكم - استغائة - أنتم يا مسلمي روسيا والشرق أنتم يا من تشقون وتكدحون، وعلى الرغم من ذلك محرمون من كل حق أنتم له أهل ! أنتم يا من انتهكت حرماكم ومساجدكم، وقبوركم، واعتدي على عقائدكم وعاداتكم وداس القياصرة والطفاة على مقدساتكم ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم وحرية نظمكم القومية.. لا يظفي عليها ولا يعتدي عليها معتد ! .

هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم، فأنتم أحرار، لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل .. أيها الرفاق .. أيها الإخوة لتتقدم سويا في عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطي ... إن رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة في أرجاء العالم.. إننا ونحن نسير في الطريق الذي يؤدي إلى بعث جديد نتطلع إليكم لنلتمس عندكم العطف والعون..^(٢) ."

لذلك نرى أن الثورة البلشفية في فترتها العصبية وهي تطلب العون والنجدة من المخدر والمخدرين في نظرها .. وتناست فترة محدودة أن " الدين أفيون الشعوب" فماذا كان موقف مسلمي روسيا والشرق من بيان استغائة الشيوعية بهم ؟ استجابوا ..

(١) : من الدلائل المعاصرة ، صمود المسلمين بقوة الإسلام، داخل روسيا في البلاد الإسلامية التي اجتاحتها الشيوعيون .. وكذا الجهاد الإسلامي العظيم لشعب أفغانستان المسلم، الذي عرف الروس من خلاله أن قوة الإسلام لا تقهر ناهيك عن صور مشرقة من الجهاد المعاصر لمسلمي البوسنة والهرسك والشيشان .

(٢) : انظر د. عبدالعطي محمد بيومي " الماركسية في مواجهة الدين حقائق ووثائق " دار الأنصاري، مصر ، ص ١٣٠-١٣٢ .

وأعلنت البلاد الإسلامية في روسيا استقلالها عن الحكم الروسي القديم فهل تركها الحكم - الجديد - الذي يحمل الحرية للشعوب المظلومة في أرجاء العالم" ؟ .. كلا بل كان الجزاء على ذلك العون وتلك النجدة .. أنه في أبريل سنة ١٩١٨ أى بعد أربعة شهور من البيان السابق أصدر لينين أمرا بالزحف على البلاد الإسلامية وسارت الجيوش الروسية تدمر وتحصد ما في طريقها " من طلبوا منهم العطف والعون" واحتلت كل البلاد الإسلامية الواحدة تلو الأخرى بقوة النار والحديد حتى أبيد من المسلمين الملايين ^(١) .

فصدق لذلك عداؤهم للدين، والإسلام على وجه الخصوص وخيب ظن المسلمين الذين انخدعوا بالشعارات .. وجنوا نتائج ظنهم الدمار والحراب لأوطان المسلمين، وعقول أبنائهم بالرغم من أن نصوص الدستور السوفيتي كانت صريحة في عداوته للدين ^(٢) . أما موقفها من الدين الإسلامي فقد كان أشد عداً وأكثر حذراً " لأن الشيوعية قد تطبق صبرا على المسيحية" ... لأن المسيحية .. تدع شئون الدولة للدولة، ولا تتعرض للنظم الاجتماعية ^(٣) .

أما الإسلام فهو نظام اجتماعي - شامل ومتكامل - له منهجه في علاج المسائل التي تتصدى لها الشيوعية .. ولا يصدق عليه قولهم إنه "أفيون الشعوب" لأنه يأمر المسلم ألا ينسى نصيبه من الدنيا ويحثه على دفع المظالم ومنع الشرور ويعلم المسلم أن يثور على المذلة والاستعباد .

ومن نافلة القول التذكير بأن الشيوعية وليدة الصهيونية وغالب فلسفتها قائم على التعاليم اليهودية فإذا كان اليهود يؤمنون بمبدأ العنف الدموي لتحقيق أهدافهم فكذا الشيوعية تسير في هذا الاتجاه .

(١) : انظر د. طارق حجي " الشيوعية والأديان"، ط. الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ، ط٣ ١٤٠٠هـ / ٨٠م، ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) : د. سعاد الشرقاوى، " النظم السياسية في العالم المعاصر " ، ط. ١، ص ٧٤ و٧٥، دار النهضة العربية، مصر.

(٣) : د/ طارق حجي، " الشيوعية والأديان"، ص ١٩-٢٠ .

جاء في البرتوكول الصهيوني الأول : " يجب أن يكون شعارنا " كل وسائل العنف والحديعة " إن القسوة المحصنة هي المنتصرة في السياسة وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة يجب أن يكون العنف هو الأساس ^(١)، لذا قال لينين موضحا ديكتاتورية العمال الشيوعية : التصور العلمي للديكتاتورية لا يعني شيئا أكثر من القوة غير المحددة ، القوة التي لا يصادها أى نوع من أنواع القوانين أو الاجراءات، وإنما تعتمد مباشرة على العنف وحده ^(٢).

ولا عجب في ذلك فالشيوعية هي يهودية التفكير والتمويه والتنفيذ ^(٣). يقول كاتب يهودى ^(٤) : إن اليهود هم الذين دبروا الصورة البلشفية في روسيا بدسائسهم، وبذلوا الملايين في سبيلها انتقاما من الشعب الروسي، وفي سنة ١٩١٦م. عرف للمرة الأولى أن ثورة تهيأت في روسيا تغذيها المصارف اليهودية، والبيوتات المالية اليهودية :

ثم يقول : أعلن المليونير اليهودى الصهيونى يعقوب شيف سنة ١٩١٧م. على رؤوس الأشهاد أن الثورة الشيوعية في روسيا قد نجحت بفضل مساعدتهم المالية .. وفى سنة ١٩٤٩ نشر اعتراف أدلى به بون شيف وهو حفيد يعقوب شيف جاء فيه أن ما قدره الخبراء من أن ما دفعه جدهم لتغذية الثورة الشيوعية بلغ عشرين مليون دولار غير صحيح .. والصحيح أن جده قد دفع أضعاف أضعاف هذا المبلغ ^(٥).

.. (١) : محمد خليفة التونسي، "برتوكولات حكماء صهيون" ، ط/٣، ص ١٢٦.

.. (٢) : أمين شاكرو وآخرون، حقيقة الشيوعية " سلسلة اخترنا لك المصرية" ص ٩٥-٩٦، وانظر ، الياس مرتس، " تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي " ، ط/١، سنة ١٩٦٤ دار الطليعة، بيروت، ص ١٧٩-١٨٠.

.. (٣) : د. محمد رواس قلجى، " بحث أكاديمى حول الشيوعية وعلاقتها باليهودية " ، منشور في مجلة المجتمع الكويتية، عدد ٦٢٩، تاريخ ١٤٠٣/١٠/٩ هـ ، ١٩٨٣/٧/١٩م، ص ٢٦-٢٧ .

.. (٤) : د. إبراهيم الحلو، " الشيوعية والصهيونية توأمان " ، منشورات مكتبة حسين النورى، دمشق، ص ٣٠ .

.. (٥) : د. ابراهيم الحلو، " مرجع سابق "، ص ٢٩ .

الأسلوب السادس:

أسلوب الصهيونية ومركزاتها العقدية:

في مسلسل الخصومات العصرية التي حاولت تشويه عقائد الاسلام وتحريف شرعه ناهيك عن التخطيط لاغتصاب أرضه : الصهيونية العالمية، وهي كما تعرف بين المذاهب والحركات. حركة سياسية تهدف الى جمع اليهود، ولم شملهم وتهجيرهم إلى فلسطين لتأسيس دولة يهودية فيها، تدين بالدين اليهودي، وتتميز بالعنصر اليهودي ، والثقافة اليهودية، وإرادة بعث مملكة داود^(١). وهذه الإرادة العدوانية هي التي تراجعت عصر النبوة بتأثير الدعوة الإسلامية في مواجهتها لبني قريظة وبني النضير وبني المصطلق وفي خيبر أي يمكن ان توصف في ضوء هذا التعريف بأنها أيضا حركة دينية فكرية، تهدف إلى تمكين العنصر اليهودي من العمل لتحقيق أطماع يهودية فيما يسمى أرض الميعاد وتركيز لسلطة العالم وقهر لأهلها وسط سلطانهم عليها ، مع العمل على بسط سلطانهم الروحي اليهودي في أرض صهيون^(٢).

والصهيونية اشتقت من اسم جبل^(٣) "صهيون" في القدس إذ تطمع الصهيونية أن تشيد فيها هيكل سليمان^(٤)، وتقيم مملكة لها تكون القدس عاصمتها .

.. (١) : د. إسماعيل راجي الفاروقى، "أصول الصهيونية في الدين اليهودي"، ص ٧، ط. مكتبة وهبة، بالقاهرة، سنة ١٩٧٨م.

.. (٢) : د. صابر طعيمة، "الصهيونية في التاريخ"، مكتبة القاهرة الحديثة، عام ١٩٦٦، صفح ١٠ .

.. (٣) : هو جبل يقع في جنوب غرب القدس، وفي التوراة : أن النبي داود - عليه السلام - انتزعه من البيوسيين الذين كانوا يسكنون فلسطين قبل مجئ العبرانيين إليها، يحج اليه اليهود، ويقال : إن الملك داود قد دفن فيه. عبدالوهاب المسيري : "موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية"، ص ٢٤٤.

.. (٤) : هو المعبد الذي بناه سليمان بن داود - عليهما السلام - على تل موريا بأورشليم حوالي سنة : ٩٦٤ ق.م. وبعد تشييد الهيكل أصبح هو المكان الوحيد الذي تقدم فيه القرابين والدخول فيه مقصور على الكهنة هدمه البابليون، سنة ٥٨٦ ق.م. ثم أعيد بناؤه سنة : ٢٥١ ق.م. ثم حطمه الرومان مرة أخرى، سنة ٧٠م. وحانط المبكى هو : ما تبقى من السور الذي بنى حول الهيكل ومن الهيكل نفسه. محمد علي الزغبى، الماسونية في العراق، ص ٦٧، ط. دار الجليل، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. د. حسن ظاظا : "الفكر الصهيوني أطواره ومذاهبه" مركز الدراسات العربية - جامعة الدول العربية ص ٩٢ .

وإذا كانت الصهيونية تنسب إلى جبل صهيون، فقد أضفى العهد القديم، هالة من القداسة على جبل صهيون بخاصة، ففيه يقيم "يهوه"^(١) إله اليهود - فيما يزعمون وفي رحابه يظهر المسيح المخلص، الذي ينتظره اليهود، بشيرا بغفران الله - سبحانه وتعالى - وتوبته عليهم، وخلصهم وقد ورد ذكر صهيون في التوراة - العهد القديم - في مواقع كثيرة منها؛ "وذهب الملك ورجاله إلى اورشليم إلى اليبوسيين"^(٢) سكان الأرض وأخذ داود حصن صهيون"^(٣) .

"أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي"^(٤) .

"رغموا للرب الساكن في صهيون ، لأنه يطالب بالدعاء"^(٥) .

"إذا بنى الرب صهيون يرى بمجده ، لكي يحدث في صهيون اسم الرب ، ويتسبيحه في اورشليم"^(٦) .

"لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكنا له"^(٧) .

"لأنه من صهيون تخرج الشريعة ، ومن اورشليم كلمة (الرب)"^(٨) .

"طوبى لجميع منتظره ، لأن الشعب في صهيون يسكن في اورشليم"^(٩) .

(١) : يطلق اليهود على الله أسماء عدة، بعضها ذو دلالة فكرية، وبعضها الآخر : أسماء أعلام، ولكن أكثر الأسماء شيوعا وقداسة - حسب التصور اليهودي - هو : اسم "يهوه"، ولا يعرف اشتقاق هذا الاسم وكان لا ينطق به الا كبير الكهنة يوم عيد الغفران في قدس الأقداس. عبدالوهاب المسيري، "موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية"، ص ١٧٦ .

(٢) : هم فرع من الكنعانية ، الذين كانت عاصمتهم القدس القديمة ، المعروفة باسم "اورشليم" . مدينة السلام التي استولى عليها داود عليه السلام .

محمد أبو المحاسن عصفور ، "معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم" ، ص ٢٧٨ ، ط. دار النهضة المصرية ، سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

(٣) : صموئيل الثاني ، إصحاح (٥) .

(٤) : مزامير ، إصحاح (٢) .

(٥) : مزامير ، إصحاح (٩) ، فقرة (١١) .

(٦) : مزامير ، إصحاح (١٠٢) .

(٧) : مزامير ، إصحاح (١٣٢) .

(٨) : أشعيا ، إصحاح (٢) .

(٩) : أشعيا ، إصحاح (٣٠) .

وإذا كانت الصهيونية منسوبة إلى "صهيون" في بيت المقدس ، فإن من المؤسف والمؤلم أن تكون هذه النسبة مقترنة بالخلق الذميمة الذي تأصل في طائفة من العبريين^(١) منذ أقدم العصور .
والصهيونيون موجودون في أوطان متعددة - ولهم ما يسمى بلغة العصر في الاصطلاح السياسي طابور خامس في كل دولة ، ولهم وسائلهم وأساليبهم التي لا تتورع عن ممارسة كل ضروب الرشوة ، وإرضاء الأهواء والشهوات ، وهم متعصبون مخربون في كل مكان لا يجمعهم حب بعضهم لبعض ، ولكن تجمعهم كراهيتهم للآخرين ، كما يجمعهم الحقد على العالم الإسلامي خاصة^(٢) .

وقد اختلف المؤرخون في نشأة الحركة الصهيونية اختلافا واضحا :

١- فمن هؤلاء من يرى : أن الفكرة الصهيونية قديمة قدم الدين اليهودي^(٣) ، إذ إن اليهودية دين عرف منذ نيف وثلاثين قرنا من الزمان أيام إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود ، غير أن اليهودية ليست كسائر الأديان ، التي طرأ عليها التحريف فهي لاتعبر عن طائفة دينية فحسب ، وإنما تعبر - أيضا - عن حركة سياسية ، امتدت أصولها منذ أن أزال الرومان مملكة "يهودا"^(٤) من خريطة الوجود ، ومن ثم كان ارتباط

(١) : هذه الكلمة تستخدم في العهد القديم بشكل عام للإشارة إلى اليهود الذين يطلق عليهم - أيضا - اصطلاح "بنى إسرائيل" أو "الإسرائيليين" يقال : إنها تعنى : سليل عابر حفيد سام ، ويقال : إنها نسبة إلى عبور اليهود النهر ، فكانوا يعرفون بأنهم الذين جاؤا من الجانب الآخر من نهر الأردن ، يقال : إنها مشتقة من كلمة "خابيرو" الفرعونية ، وهي تعنى : العابد ، المتجول ، والبدوي ، ومن معانيها أيضا : الجندي المرتزق . والعبرانيون القدامى لم يكونوا من الشعوب المهمة ، أو المهابة في المنطقة ، فقد كانت المملكة اليهودية خاضعة لسلطان الإمبراطوريات المجاورة ، وفي المجال الحضاري ليس لهم إنجاز يذكر . ويفضل بعض الصهاينة أن يستخدموا كلمة "عبرا" أو "عبراني" .

عبد الوهاب المسيري ، "موسوعة المفاهيم" ، ص : ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٢) : عباس محمود العقاد ، "المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد" ، م . ١٤ ، ص ٩٨ ، ط . دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

(٣) : المصدر السابق ، المجلد نفسه ، ص ٩٦ .

(٤) : بعد موت سليمان - عليه السلام - انقسم اليهود : إلى أسباط الشمال بقيادة رحبعام ، وكونوا مملكة إسرائيل ، وأسباط الجنوب تحت قيادة ابن سليمان ، وكونوا مملكة يهوذا ، وسميت بيهودا ، لأنها كانت تضم سبط بنيامين ، وكانت مملكة يهوذا أكثر استقراراً من مملكة إسرائيل ، لصغر حجمها . هاجمها بختنصر - ملك بابل - سنة ٥٨٦ ق . م ، ونفى كثيرا من سكانها إلى بابل ، وهدم هيكل سليمان . سمح لهم قورش بالعودة ، سنة ٥١٦ ق . م ، وأعادوا الهيكل ، ثم استولى الرومان على بلادهم ، وهدموا أورشليم ، سنة : ٧٠ م .

عبد الوهاب الكيالي ، "موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية" ، ص ٤٥٠ .

محمد شفيق غربال ، "الموسوعة العربية الميسرة" ، ج ٢ ، ص ١٩٨٥ .

اليهود بالصهيونية منذ ذلك التاريخ بمعنى : أن أحدهما لا يفترق عن الآخر ، وأصبحتا تمثلان وجهين لعملة واحدة ، وقد حرص اليهود منذ البداية ألا يكشفوا عن نواياهم الحقيقية ، بل حاولوا أن يخلعوا على إعلان الحركة الصهيونية وأهدافها ثوبا سياسيا عاما^(١) .

وزعماء الصهاينة يقولون : "مادامت التوراة أم الكتب موجودة ، ومادام للتوراة شعب موجود ، فينبغي أن يكون للتوراة بلاد "أيضا"^(٢) . وحاولت الصهيونية . بعملية تزوير - أن تثبت تاريخ ميلادها ، وأن تعدده قديما قدم العالم ، ويقترح "نورمان بتفتشى" تاريخا لولادة الصهيونية ، فيجعله من تاريخ سبي اليهود وأسره في القرن السادس قبل الميلاد ، وعلى هذا الأساس فالصهيونية واليهودية شئ واحد ، وليس من فرق بين دين وحركة^(٣) .

٢- ومن الكتاب من يرى : أن الفكرة الصهيونية بدأت أعمالها المنظمة في العصر الحديث ، عندما بدأت تضغط على الدول الغربية ، وقد قامت بنشاط واسع بين الساسة في بريطانيا وفرنسا^(٤) .

ويشير بعض الباحثين : إلى أن الصهيونية الحديثة تنسب إلى "تيودور هرتزل"^(٥) الصحفي اليهودي النمساوي ، وهدفها الأساسي الواضح : قيادة اليهود ، وقد أقام

(١) عمر رشدي ، "الصهيونية وريبتها إسرائيل" ، ص ١٩ .

(٢) : عبد الرازق محمد أسود ، "الموسوعة الفلسطينية" ، ص ١٠٩ ، ط. منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

(٣) : المصدر السابق ، الصفحة نفسها ، بتصريف .

(٤) : محمد مصباح حمدان ، "الإستعمار والصهيونية" ، ص ١١٥ ، ط. الهيئة القومية ، بصر ، سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

(٥) : هو صحفي يهودي ، ولد في مدينة "بودابست" في المجر ، سنة : ١٢٧٦ هـ - ١٨٦٠ م ، وتلقى تعليمه الإبتدائي والثانوي في مدارس يهودية ، ودرس القانون بجامعة فيينا ، بعد إنتقال أسرته إليها ، اشتغل بعض الوقت بالمحاماة ، ثم الصحافة ، وكتب عدة قصص ، كان ظهوره في الميدان الصهيوني ونشاطه في سبيل تحقيق أمل اليهود بمشاة نقطة البدء نحو تطور الحركة الصهيونية من مجرد حركة دينية تعيش على التبرعات إلى حركة سياسية منظمة وهو الذي وجه الدعوة إلى عقد المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ م ، الذي انبثقت عنه المنظمة الصهيونية العالمية ، وكان بمشاة حجر الأساس في بناء هذه الحركة على

"هرتزل" أول مؤتمر^(١) صهيوني عالمي ، سنة : ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧ م . ونجح في تجميع يهود العالم حوله ، كما نجح في جمع دهاة وعلماء وأغنياء اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم ، وهي : بروتوكولات حكماء صهيون والمستمدة من تعاليم كتب اليهود المحرفة التي يقدسونها ومن ذلك الوقت أحكم اليهود تنظيماتهم ، وأصبحوا يتحركون بدقة ودهاء وخفاء وخبث ، لتحقيق أهدافهم التدميرية^(٢) .

== أسس سياسية تستهدف إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، يكفله القانون الدولي ، وقد نشر هرتزل كتابه "الدولة اليهودية" سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م ، وكان هذا الكتاب فاتحة عهد جديد للصهيونية ، إذ أصبحت الأمانى القومية اليهودية حقيقة ماثلة ، بعد أن كانت مجرد خواطر . وقد اعترف "هرتزل" في كتابه : بأن الهدف هو الاستيلاء على أي مكان ، ليكون وطنًا يهوديًا مات سنة ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م . عبد الوهاب المسيري ، "موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية" ، ص ٤١٥ - ٤١٧ . عمر رشدي ، "الصهيونية وربيتها إسرائيل" ، ص ٧٠ ، ٧١ .

..(١) : عقد أول مؤتمر صهيوني بمدينة "بازل" بسويسرا في شهر ربيع الثاني ، سنة ١٣١٥ هـ - أغسطس ١٨٩٧ م ، برئاسة "هرتزل" الذي حدد في خطاب الافتتاح هدف المؤتمر في وضع حجر الأساس لوطن قومي لليهود ، وشهدت ست وتسعون ومائة يهودي يمثلون عددا كبيرا من الهيئات هدفهم في تمثيل بناء دولتهم التي دالت على أيدي الرومان ، وتتلخص قرارات المؤتمر فيما يأتي :

- ١- وضع المؤتمر برنامج الحركة الصهيونية ، التي تتمثل في استعادة أرض مملكة إسرائيل بحدودها التاريخية - على حد زعمهم - وإعادة تكوين الشعب اليهودي في وطنه القديم .
- ٢- وضع أسس المنظمة الصهيونية العالمية .
- ٣- أوصى المؤتمر بالتدابير التالية لتحقيق الأهداف الصهيونية "
 - أ - تنمية حركة استيطان فلسطين بالعمال الزراعيين
 - ب - تقوية وتنمية الوعي القومي اليهودي والثقافة اليهودية .
 - ج - السعي لدى الحكومات للحصول على الموافقة الدولية على تنفيذ المشروع الصهيوني .
 - د - تنظيم العناصر اليهودية ، وتوثيق الروابط بينها بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية وفقا للقوانين المرعية في الدول المتقدمة .

وفي هذا المؤتمر : وضع شعار العلم اليهودي ، والنشيد القومي لليهود ، وتأسست الهيئات الصهيونية العالمية .

: انظر فتحى الإبياري ، الصهيونية ، ص ٢٧ .

عبد الوهاب المسيري ، موسوعة المفاهيم ، ص ٣٧٨ .

عمر رشدي ، الصهيونية وربيتها إسرائيل . ص ٧١ ، ٧٢ .

..(٢) : الندوة العالمية ، "الموسوعة الميسرة" ، ص ٣٣٢ .

هذا وقد نشأت الحركة الصهيونية في بولونيا^(١) التي أصبحت مع انتهاء الحرب العالمية واحدة من أهم المراكز الصهيونية العالمية^(٢) ، إذ نشأت الصهيونية ونمت بين يهود روسيا وبولونيا ، وباقي دول أوروبا الشرقية خلال القرن التاسع عشر، حيث تعيش آنذاك أكثرية اليهود في العالم ، وتعود أسباب نشوتها إلى عوامل عديدة ، سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وثقافية ، ودينية ، منها : مايتعلق بأوضاع اليهود واليهودية في خلال تلك الفترة التي كانت بحد ذاتها تنتمه لماسبقها ، ومايتعلق بالأوضاع العامة بالبلدان التي كان اليهود يعيشون فيها، والتغيرات التي حدثت في أوروبا وروسيا، وبخاصة في خلال القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر الميلاديين^(٣) .

وجملة مايقال ، إنه لم تكن الصهيونية من حيث الأسباب أمام تاريخ الظهور، إلا إحدى مشتقات المسألة اليهودية ، التي أوجدها حكام وشعوب قسم من الدول المذكورة، بينما ساهم القسم الآخر بمساعدة بعض الفئات اليهودية - أحيانا - في بقائها حية ، أو دعمها^(٤) .

والصهيونية باعتبارها الواجهة السياسية لليهودية العالمية ، تسعى لعرقلة الإسلام أو تقويضه ، وهى كما وصفها اليهود أنفسهم ، مثل : الإله الهندى "فشنو" الذي له مائة يد - كما يزعمون - فهي لها في معظم الأجهزة الحكومية في العالم يد مسيطرة موجهة تعمل لمصلحتها^(٥) .

١- (١) : هي مدينة إيطالية يرجع تاريخها إلى ما قبل عهد الرومان ، وتنقلت في القرن الثامن إلى حكم البابا ، وفي القرن الثاني عشر الميلادى صار لها نظام حكم مستقل ، وأعيد الحكم البابوى ، في سنة : ٩١١ هـ - ١٥٠٦ م ، وحتى تم توحيد إيطاليا ، سنة : ١٢٧٦ هـ - ١٨٦٠ م . أسست بها جامعة بولونيا الشهيرة في القرن الحادى عشر ، وبسببها كانت المدينة أهم مراكز العلم الرئيسية فى العصور الوسطى ، أصيبت بخسائر شديدة في الحرب العالمية الثانية .

محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ص ٤٤٣ .

٢- (٢) : محمد موسى البر ، "نشأة الصهيونية العالمية" ، مجلة (الجندي المسلم) السنة العاشرة ، العدد ، ٢٧ ، ص ٢٨ .

٣- (٣) : المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

٤- (٤) : صبرى جرجس ، "تاريخ الصهيونية" ، ص ٣٢ ، ط. دار الفكر العربى ، بيروت ، سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

٥- (٥) : الندوة العالمية للشباب الإسلامى ، "الموسوعة العربية الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة" ، ص ٣٣٧ .

وللصهيونية مئات الجمعيات في أوروبا وأمريكا ، وفي مختلف المجالات التي تبدو متناقضة في الظاهر ، ولكنها كلها تعمل في الواقع لمصلحة اليهودية العالمية^(١) . والصهيونية مذهب ديني احتلالى مستبد متطرف حاقد ، يتمذهب به غلاة اليهود ، فحواها : السيطرة السياسية الجائحة ، والغرور العنصري الغشوم ، والتعصب الديني الجامح الممقوت . قد شط بها التعصب ، حتى جاوزت كل خيال في الجموح والغلو ، فهي ترمي إلى تفويض النظم السياسية للمجتمع الدولي ، وإخضاعه لنير اليهود ، وحكم آل داود وأصطناع شعوره رقيقا منكر الإنسانية ، منموط الحقائق ، ثم بسط السلطان الروحي للدين اليهودي على شعوب الأرض طرا من ذوي سائر الأديان ، سماوية كانت أو وضعية ، وسبيلها إلى أهدافها : البطش الدموي ، والإرهاب الفكري والاجتماعي ، وإهدار القيم الإنسانية جميعا^(٢) .

ومبنى النظرية الصهيونية : الإيمان بما تردد التوراة المحرفة من أن الله قد استخلف اليهود في الأرض ، وأورثهم أقطارها وشعوبها حقا مقدسا مقضيا ، وأن الدول والحكومات كافة دعية مغتصبة وأن على اليهود المجاهدة لاقتضاء حقهم الهضم في فلسطين - كما يتوهمون - أرض الميعاد تحت إمرة حاكم من نسل داود^(٣) . وإذا تتبع الباحث تطور التاريخ وألقى الضوء على مخططات الصهيونية منذ القدم، حتى الآن ، لوجد أن الصهيونية تحاول أن تقضي على الأديان الأخرى بكل الوسائل ، وهناك عداوة قديمة متأصلة بين اليهود والنصارى تتبنى على : اعتقادهم بأن المسيح - عليه السلام - سيأتى وأنه سيكون يهوديا منهم ، ولما جاء عيسى -

(١) : المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) : عبد السمیع الهراوی ، " الصهيونية بين الدين والسياسة " ، ص ٢٥ .

(٣) : المصدر السابق ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، بتصرف .

عليه السلام - ولم يكن يهوديا منهم ، بدأت حربهم ضده ، وضد ديانته ^(١) ، وما عداوة الصهاينة للنصرانية إلا جزءا من عداوتهم للأديان جميعا بما فيها الإسلام ، والتلمود ^(٢) ، وبروتوكولات حكماء صهيون يزخران بآلاف من الأمثلة ، وكلها تحض اليهود على كراهية ومقت غير اليهود ، وتغريهم بقتلهم وغشهم وخذاعهم ^(٣) .

وقد أكدت بروتوكولات حكماء صهيون نظرية التفوق العنصري لليهودي وأن هذا العالم لم يخلق إلا لليهود وإن ما سواهم مخلوقات نجسة بغيضة لا مكان لها في مملكة يهودية تحكم العالم ^(٤) .

والصهيونية تعتمد - بجانب ما لليهود من كتب مقدسة "محرفة" - على بروتوكولات ^(٥) حكماء صهيون . وقد كانت هذه البروتوكولات مودعة في مخابئ سرية ، ولا يعرف محتوياتها إلا الخاصة من اليهود الذين يعملون على تنفيذ ما جاء فيها بهدوء وحسب تخطيط منظم وقد حدث ذات يوم اجتماع بين أميرة نصرانية فرنسية ، وبين زعيم صهيوني كبير في وكر للجاسوسية في باريس ، ورأت هذه المرأة - بطريق الصدفة ^(٦) - هذه القرارات فعرفت محتوياتها ، وأخذت بعضها ، وفرت بها ، وكان هذا في سنة : ١٣١٢هـ - ١٩٠١م ^(٧) ، ثم ظهرت هذه الوثائق في روسيا ، إذ نشرها سرجين

١- (١) : فتحى الإبيارى ، "الصهيونية" ، ص ٤٨ .

٢- (٢) : كلمة "تلمود" معناها بالعبرية : "تعليم" ، وهي : مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلت شفويا مقرونة بتفسير رجال الدين - كما يزعمون - وهو أحد كتب اليهود الدينية ، وهو عبارة عن موسوعة تتضمن : الدين والشريعة والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعية ، وقد بدأ تدوين التلمود في القرن الخامس الميلادى ، ويوجد تلمودان ، هما التلمود البابلي ، والتلمود الأورشليمي ، التلمود هو : أول محاولة من جانب حاخامات اليهود لتفسير العهد القديم بما يتناسب مع وضع اليهود الجديد .

عمر رشدي ، "الصهيونية وريبتها إسرائيل" ، ص ٢٤ (الهامش) .

عبد الوهاب المسيرى ، "موسوعة المفاهيم والإصطلاحات الصهيونية" ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

٣- (٣) : فتحى الإبيارى ، الصهيونية ، ص ٥٠ .

٤- (٤) : المصدر السابق ، ص ٥١ .

٥- (٥) : معنى "بروتوكولات" : قرارات ، ومحاضر جلسات ، ويغلب الظن أنها : القرارات السرية لمؤتمر اليهود في بازل بسويسرا ، سنة ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م .

أحمد بشير ، "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام" ، ص ٤٨٨ .

٦- (٦) : يشيع التعبير بالصدفة ، والصواب أن يقال ، بالقدر .

٧- (٧) : أحمد بشير ، "الغزو الفكري" ، ص ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

نيلوس^(١) ، باللغة الروسية ، وبعد اكتشاف سرقة هذه الوثائق أعلن الكاهن اليهودي المغتصب "تيودور هرتزل" أنها قد سرقت من قدس الأقداس بعض الوثائق السرية ، التي قصد أخفاؤها على غير أصحابها .

وقد أعاد "نيلوس" نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة : ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م ، ونفذت هذه الطبعة بسرعة غريبة ، وبوسائل خفية ، لأن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها . ثم طبعت سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م ، على هذا النحو ، ولما طبعت سنة : ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م صادرها الشيوعيون . وكان معظمهم من اليهود الصرخاء ، أو المستورين ، أو من صنائعهم^(٢) .

وتسابت الأهم إلى ترجمة البروتوكولات ، فترجمت إلى الفرنسية والبولونية والإيطالية والسويسرية و غيرها من اللغات ، كما ترجمت إلى الإنجليزية في أمريكا .. أما اليابان والبلدان الأخرى في آسيا فقد ترجمت إلى لغاتها .. أما بلدان العالم الإسلامي والعالم العربي وأفريقيا ، فلم يطلع عليها من أبنائها إلا قليل من التجمعات التي صدرت بلغاتها ، وذلك لشيوع الأمية والجهل ، وسطوة الاحتلال الوثني اللثيم^(٣) . وأخيرا ترجمت البروتوكولات ، إلى اللغة العربية ، وتوالت الطبعات ، ويقال : إن أول ترجمة عربية ظهرت سنة : ١٣٧٠هـ . ١٩٥١م^(٤) . وقد طبعت مؤخرا في لبنان في رأس المتن في مجلدين واسعين ، جمعها ورتبها : عجاج نويهض^(٥) .

(١) : هو كاتب روسي ، وهو أول كاتب ينشر بروتوكولات حكماء صهيون في سنة ١٣١٩هـ ، ١٩٠١م ، ملحقة بكتاب ألفه ، ثم انتشرت تراجمها في سائر الأقطار الأوروبية ، وغيرها بلغات مختلفة .

عبد الوهاب المسيري ، موسوعة المفاهيم ، ص ١٠١ .
عمر رشدي ، الصهيونية وريبتها إسرائيل ، ص ٤٣ .

(٢) : خليفة التونسي ، "خطر اليهودي" ، (بروتوكولات حكماء صهيون) ص ٤١ - ٤٨ ، ط. المكتب العربي ، بيروت .

(٣) : أحمد عبد الغفور عطار ، "مؤامرة الصهيونية على العالم" ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، ط. دار العلم للملايين ، بيروت .

(٤) : عبد الله التل ، "خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية" ، ص ١٦٦ ، ط. المكتب الاسلامي ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٥) : د. صابر طعيمة ، "الصهيونية في التاريخ" ، مكتبة القاهرة الحديثة ، عام ١٩٦٦ ، ص ١٩٣ .

المبحث الثاني مظاهر الانسلايب العملية

الانسلوب الاول:

●● المؤلفات والمؤتمرات:

سبقت الاشارة الى أن الغرب أدرك مبكرا أن هزيمة المسلمين أيسر لهم بكثير عبر وسائل التسلل الفكري والعمل التأمري كبديل للمواجهة المسلحة خاصة في العصور الوسطى ، لأن مرارة المواجهة بأسلوب الحروب الوسطى عميقة في قلوبهم^(١) ، ولذلك عمل المستشرقون على تفويض عقيدة الاسلام ، حين خططوا وأعدوا العدة بكل الوسائل لكي يتسلل عدد من المستشرقين إلى الجامعات العلمية ، وعين عدد من المستشرقين أعضاء في هذه الجامعات ، كما اتجه المستشرقون إلى مجال التربية والتعليم : إذ مكن لهم المحتلون ، فأفسدوا عقول الناشئة وغرسوا فيها مبادئ التربية الغربية الشيء الكثير فشب كثير من المسلمين مستغربين في حياتهم وعقائدهم^(٢) .

هذا وقد استخدم الاستشراق : الكتاب ، والمقال في المجالات العلمية ،. التدريس في الجامعة ، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة . وقام بتغذية روافد كثيرة تصب عداءها في وجه الاسلام والمسلمين ، مثل التنصير الذي سلك طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال ، والمراحل الابتدائية ، والثانوية للذكور والإناث على السواء ، كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات ، ودور الضيافة للكبار، ودور اليتامى، واللقطاء، واستخدم كذلك دور النشر والطباعة، والصحافة^(٣) .

وإذا كان الأمر - كما ذكرنا - : فإنه ولاشك كان للاستشراق صلة بحركة الاحتلال الأوربي ، وبحركة التنصير النصراني في العصر الحديث .

(١) : دكتور أحمد سمايلوفتش، " فلسفة الاستشراق " ، ص ٤٩ .

(٢) : أحمد بشير، " الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام " ، ص ٤٧٢ .

(٣) : د . محمد البهي ، " المبشرون والمستشرقون " ، ص ٣٦١ .

ولذا فقد حاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل : ألفوا الكتب وألقوا المحاضرات والدروس ، وشرخوا بالنصرانية بين المسلمين ، وأنفقوا الأموال ، وأنشأوا الجمعيات ، وعقدوا الندوات والمؤتمرات ، وأصدروا الصحف وسلكوا كل مسلك ظنوه محققا لأهدافهم ^(١) .

وفي سنة : ١٢٠١هـ - ١٧٨٧م : أنشأ الفرنسيون جمعية المستشرقين ، ثم الحقوها بأخرى في سنة : ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م ، وأصدروا "المجلة الآسيوية" ^(٢) .

وفي لندن : تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في سنة : ١٨٢٣م ، وقبل الملك أن يكون ولي أمرها . وأصدرت مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ^(٣) .

وفي سنة : ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م : أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم "الجمعية الشرقية الأمريكية" . وفي العام نفسه : أصدر المستشرقون الألمان مجلة مخصوصة بهم وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا ^(٤) .

ويصدر الأمريكيون في الوقت الحاضر مجلة "شؤون الشرق الأوسط" ، وقد حلت محل "جمعية الدراسات الشرقية" ، التي كانوا يصدرونها في أوائل هذا القرن . وأخطر

(١) : د . عمر فروخ ، "الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة" ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) : هي مجلة تصدرها الجمعية الآسيوية الفرنسية في باريس ، تحت رعاية دوق أورليان ، وبرتاسة دي ساسي سنة ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م كل ثلاثة أشهر ، تعني بالعرب تاريخيا وجغرافيا ، وثقافة وحضارة ، وفنوننا . عدت من أوسع وأهم مصادر الاستشراق في الغرب وأوثقها ، وكانت الجمعية الآسيوية تهتم بالتراث العربي الإسلامي ، وترجمه وتصنفه ، نجيب العتيقي ، المستشرقون ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(٣) : هي مجلة تصدرها الجمعية الملكية الآسيوية في لندن ، كل ثلاثة شهور ، وتعنى بالعلوم والآداب والفنون الشرقية . انظر نجيب العتيقي ، المستشرقون ، ج ١ ، ص ٤٦١ .

(٤) : د . محمد البهي ، "المبشرون والمستشرقون" ، ص ٣٧٧ .

المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون ، هي مجلة العالم الإسلامي ^(١) .
 التي أنشأها صموئيل زويمر ^(٢) ، سنة : ١٣٢٩هـ - ١٩١١م .
 وتصدر من " هارتفورد " ^(٣) بأمريكا ، وطابعها تنصيري سافر
 وللفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة العالم الإسلامي في روحها واتجاهها العدائي
 التنصيري ، وفي اسمها أيضا ^(٤) .
 ولعل أخطر ما قام به المستشرقون - حتى الآن - هو : إصدار دائرة المعارف
 الإسلامية ^(٥) . بعدة لغات وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها

(١) : هي مجلة صدرت سنة : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ، وحلت محل "عالم الإسلام" التي أنشأها : ماكدونالد ، وزويمر
 في هارتفورد ، سنة : ١٣٢٩هـ - ١٩١١م نجيب العقبى ، المستشرقون ج ٣ ، ص ٩٩١ .

(٢) : هو صموئيل مارينوس زويمر . منصر نصراني أمريكي ولد بولاية متشيجان الأمريكية ، سنة ١٢٨٤هـ -
 ١٨٦٧م ، حصل على درجة البكالوريوس في الآداب من كلية هوب ، سنة ١٣٠٤هـ - ١٨٨٧م ، وعلى
 درجة في الإلهيات من معهد نيوزويك الدين ، ورسم قسيسا في سنة ١٣٠٦هـ - ١٨٩٠م بدأ حياته
 التنصيرية ، سنة ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م ، وكانت منطقة الخليج ميدان نشاطه فقضى فيها إحدى وعشرون سنة
 وأصبح رئيس المنصرين في منطقة الشرق الأوسط ، سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م وقاصدر عدة نشرات
 ومطبوعات ومؤلفات في العلاقة بين الإسلام والنصرانية ، تفيض بالتعصب والتهمج والعداء ضد الإسلام
 والمسلمين ، ومنها : "بلاد العرب منذ الإسلام" ، و " داخل عالم الإسلام " أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي
 ، ج ٣ ، ص ١٢٨ نجيب العقبى ، المستشرقون ، ج ٣ ، ص ١٠٠٥ .

(٣) : هي مدينة أمريكية بوسط ولاية كونكتيكت . تشتهر بكثرة مانيها من مؤسسات ثقافية فيها الكثير من دور
 العلم والمتاحف والمناطق العامة .

(٤) : د . محمد البهى ، "التبشير والاستشراق" ، ص ٣٧٨ .

(٥) : هي موسوعة عامة في الدراسات الإسلامية تحتوي على كثير من الأخطاء والتحريفات ومع ذلك فهي مرجع
 لبعض الباحثين المسلمين ، توافر على تأليفها جماعة من المستشرقين ، بناء على اقتراح من المستشرق : "جولد
 تسبهر" تقدم به إلى مؤتمر المستشرقين بباريس ، سنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٧م ، الذي عهد إلى المستشرق
 الهولندي "هوتسمابيجنة" وصدر الدائرة باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، ونشرت تحت رعاية الجمعية
 الدولية للأكاديميات ، وعينت بنشرها : دار "بريل" بليسدن بهولندا ، ودار "لوزاك" بلندن . ومنذ سنة :
 ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م : بدأت هيئة تحرير جديدة لإصدار طبعة معادة من الدائرة بإشراف المستشرق "هنري جب"
 تكونت في القاهرة في سنة : ١٩٣٢م لجنة لترجمة هذه الدائرة إلى اللغة العربية ، وصدرت الترجمة معتمده
 على الأصل الإنجليزي والفرنسي ، مع تعقيبات لعدد من المختصين المصريين ، وبلغت الترجمة : حرف العين
 أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ نجيب العقبى ، المستشرقون ، ج ٣ ،
 ص ١١٠٦ .

الدائرة ومصدر الخطورة في هذا العمل هو : أن المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة ، وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراستهم ، على ما فيها من تحريف ، وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين^(١) .

ويعتمد المستشرقون - فيما يعتمدون - : على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر ، لتنظيم نشاطهم ، وأول مؤتمر عقده كان في سنة : ١٧٨٣م وما زالت مؤتمراتهم تتكرر حتى اليوم .

وفي العصر الحديث : تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب ، بما كان يقوم به الملوك والأمراء في الماضي ، من الإغداق على المستشرقين والمنصرين ، وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق والتنصير^(٢) .

- (١) : د . محمد البهي ، " التبشير والاستشراق " ، ص ٣٧٨ .

- (٢) : المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

الاسلوب الثاني:

●● اسلوب التنصير العملي:

ارتكزت عملية التنصير العملي الى مخطط فكري وعملي يستهدف اقتلاع كل ما يمكن أن يبينه المسلمون لأنفسهم اجتماعيا ونظاما وأخلاقا وعلميا . وطبقا لهذا المخطط ، وحتى يؤتي ثماره ، كان عليهم أن لايفصلوا بين مايعتقدونه ومايعملونه ، ولذا فإن أسلوب التنصير العملي تحرك أول ماتحرك في البلاد الاسلامية في ظل إنشاء معاهد ومدارس أجنبية ، واستمر التنصير تحت لوائها لكي يتحقق له إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامي ، وإبعاد العناصر التي تمثل الإسلام عن مراكز التوعية. فإذا لم تنجح الدعوة إلى الخروج من الإسلام إلى دين آخر ، جرى تشكيكهم في الدين المطلق . لقد استهدف التنصير نقل المسلمين من الإسلام وخطا في سبيل ذلك خطوات واسعة^(١) .

على المنصرين ألا يقنطوا إذا رأوا تنصيرهم للمسلمين ضعيفا .

على المنصرات أن يزرن منازل المسلمين ، ويجتمعن بسيداتهن .

استعانة المنصرين في سبيل إنفاذ دعايتهم بالمستشفيات والمدارس والملاجئ .

على طبيب الإرسالية ألا ينسى ولا لحظة واحدة أنه منصر قبل كل شيء ، وطبيب

بعد ذلك .

استغلال فرصة المرض ، وبخاصة في البلدان المسلمة الفقيرة التي تنتشر فيها الأمراض ، كمرض الجذام^(٢) وغيره ، والسيطرة على المريض ، وانتهاز فرصة الضعف والحاجة ، وعدم القدرة على التفهم ، والاقتناع ، والدرس للعقل الباطن بالإيحاء^(٣) .

١- : أنور الجندي ، " الإسلام في مواجهة التفريب " ، ص ٨٢ .

٢- : هو مرض معدى مزمن ، وهو نوعان : دونى وعصبي ، يميز الأول بظهور درنات على الجسم ، وبخاصة على الوجه . ويميز الثاني بظهور بقع على الجلد لونها أفتح من لون بشرة الجلد المريض . محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ص ٦٦٦ .

٣- : أنور الجندي ، " مقدمات العلوم العربية الميسرة " ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

يقول المنصر : "تسالز واطسون" على المنصرين أن يتلونوا لتحقيق هدفهم التنصيري . يجب أن يظلوا براء كالحمام ، ولكن هذا لا يمنعهم - أيضا - أن يكونوا حكما كالحيات حتى يمكنهم ^(١) .

تجنيد جيوش كثيفة من المنصرين ، يدفع بها إلى أوطان المسلمين ^(٢) .
وذلك العمل على تفریق المجتمعات المسلمة ، وتقسيما ، وقزيقها .

ومخطط التنصير يرمي في مجال التعليم والثقافة إلى إنشاء رياض الأطفال والمدارس العامة والفنية المتخصصة ، وإنشاء الجامعات والكليات ، لإنشاء كوادر موهلة علميا ، لتولي أخطر المناصب في البلاد ^(٣) .

والتعليم في مدارس الإرساليات النصرانية وساطة إلى غاية بإبعاد المسلمين عن الإسلام ولقد برهن التعليم التنصيري على أنه من أعظم الوسائل التي استطاع المنصرون اللجوء إليها .

ومما يجدر ذكره : أن المنصرين يهتمون بالمدارس ذات القسم الداخلي ، وبخاصة للبنات كما يهتمون بإنشاء دور لإيواء الطالبات المغتربات ، إذ يؤدي ذلك إلى انتزاعهن من بيئتهن المسلمة ووقوعهن تحت سيطرة التنصير مباشرة ^(٤) .

والأسلوب العملي الذي تمارسه المدارس التنصيرية من أخطر الأساليب التنصيرية فتكا بالمجتمع المسلم ، وأكثر إبعادا للإسلام من نفوس المتعلمين ، لما لها من تأثير، وقد عانت بعض المجتمعات المسلمة من هذه المدارس، ومن تخرجوا فيها، ولا زالت تعاني من شدة التأثير، إذ تخرجت منها أجيال تنسب للإسلام بالاسم .

(١) : د . مصطفى الخالدي ، د . عمر فروخ ، " التبشير والاستعمار " ، ص ٥٢ .

(٢) : عبد الكريم يونس الخطيب ، " الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام " ، ص ٤٣٥ .

(٣) : أنور الجندي ، " تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة " ، ص ٢٧ .

(٤) : أحمد عبد الرهاب ، " حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر " ، ص ١٦٦ .

الانسلوب الثالث:

●● اسلوب التطبيب ومراكز البحث:

من البدهة أن التطبيب عمل إنساني كان يمكن أن يكون بمنأى عن الأغراض، ولكن النصرانية تستغل مثل هذه الأمور ضد الإسلام، فتدخل على الناس من أبوابها. من أجل ذلك عني المنصرون أول ماعتوا بالتطبيب ، على أنه وساطة إلى غاية . إن اليسوعيين^(١) مثلا قد أسسوا أكثر أعمالهم التنصيرية إلى جانب مراكز التطبيب ، بل إن مراكز التنصير قد بدأت أول ما بدأت مراكز للتطبيب في أول الأمر ، وفي هذه المراكز وجهوا عنايتهم الأولى إلى كبار الموظفين ، وإلى الأعيان ، وكانوا يستغلونهم من هذه الطريق لمصالح تنصيرية بحتة . ومع الأيام أخذت عناية اليسوعيين بالتطبيب تقل، وقيامهم بالتنصير يزيد ، حتى حل التنصير المحض محل التطبيب الذي كان رجاء الناس^(٢) .

وكان المنصرون يعلنون ذلك ولا يكتُمونه . فقد قال "رشرت" : عن هذه المناسبات إن التطبيب في مستوصف أو مستشفى يمكن للطبيب أن يخاطب المسلمين بكلام كثير لو سمعوا بعضه في مكان غير المستشفى ، ومن شخص غير الطبيب لامتلاؤا غيظا وغضبا^(٣) .

أما حين تمتزج الصفاقة بالتدجيل ، ويمتزج الجهل بموت الضمير ، فإنك ترى ذلك واضحا فيما قالته المنصرة "ابراهاميس" تنصح الطبيب الذاهب بمهة تنصيرية : "يجب أن

(١) : هم جماعة تأسست سنة : ٩٤٠ هـ - ١٥٣٤م برئاسة الفارس الأسباني اجناسيوس لويولا ، بعد جرحه في إحدى المعارك . كانت غاية الجمعية التنصير بالنصرانية ، وتأييد الكنيسة الكاثوليكية . كثر أعضاء هذه الجمعية بعد أن اعترف بها البابا ، سنة ٩٤٦ هـ - ١٥٤٠م . اعتمد اليسوعيون على التربية والتعليم لتحقيق أهدافهم ، وقاموا بتأسيس المعاهد العلمية ، التي أحكموا إدارتها ومراقبتها ، واعتنوا باختيار مدرسيها ، فاشتهرت مدارسهم ، وازداد عددها في كل أنحاء العالم . انظر محمد شفيق غزال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، ص ١٩٨٢ .

(٢) : د . مصطفى الخالدي ، " التبشير والاستعمار " ، ص ٦١ .

(٣) : المصدر السابق ، ص ٦٢ .

تتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم ، فتركز^(١) لهم بالإنجيل . إياك أن تضع الطبيب في المستوصفات والمستشفيات ، فإنه أئمن تلك الفرصة على الإطلاق ، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن واجبك الطبيب فقط لا التبشير ، فلا تسمع منه"^(٢) .

فالعلاج الطبي يعد واحدا من أخطر وسائل التنصير ، لذا تحرص مؤتمرات التنصير على أن تكون توصياتها وقراراتها مؤكدة لخطورة استخدام العلاج الطبي في التنصير ، ومن تلك التوصيات والقرارات : "يجب الإكثار من الإرساليات الطبية ، لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ، ويكون لهم تأثير على المسلمين"^(٣) .

ومما يلحظ أن المستوصفات الطبية ، والمستشفيات من أكثر المنشآت اهتماما من جانب المنصرين ، والمنصرون لا يرحبون بإنشاء مستشفيات وطنية في مناطق عملهم ، لأن ذلك يقلل من احتكاكهم بالمسلمين ، واحتكارهم لهذه المهنة ، وللمنصرين أساليب مختلفة في مستشفيات المدن ، وفي الأدغال ، والفيافي ، وفي البيوت والقرى .

ومما تأكد لدى الدارسين : أن مستشفيات التنصير كانت تقام فيها الصلوات النصرانية في كافة عنابر المرضى في الصباح والمساء ، وتلقى المحاضرات بالفانوس السحري . ويقوم موظفون مختصون في التنصير بزيارة كل مريض في مكانه ، وتتوالى الزيارات بعد الشفاء في المنازل"^(٤) .

ولم ينس المنصرون مقام المرأة في الأسرة ، فوجهوا اهتمامهم الى التأثير عليها ، وصاروا ينصرون في مستشفيات النساء ، وفي المستوصفات ولذلك أرسلوا الطبيبات المنصرات إلى البيوت والقرى ، للاتصال مباشرة بالنساء ، ويرى المنصرون: أن الممرضة

.. (١) : فتكرز مأخوذة من الكرازة ، وهو : تعبیر نصرانی ، معناه : إلقاء النصائح على الآتين إلى الكنيسة د .

مصطفى الخالدي ، التبشير والاستعمار ، ص ٦١ ، الهامش .

.. (٢) : د . مصطفى الخالدي ، " التبشير والاستعمار " ، ص ٦٢-٦٣ .

.. (٣) : أحمد عبد الرهاب ، " حقيقة التبشير " ، ص ١٨٠ .

.. (٤) : أنور الجندي ، " مقدمات العلوم والمناهج " ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

لاتعمل على تخفيف الأكم عن المرضى فقط ، بل تحمل إليهم - أيضا - رسالة المسيح^(١) .

وقد فطن المنصرون إلى أهمية الأعمال الاجتماعية ، فاستغلوا أسلوبا من أساليب التنصير . جاء في كتاب اسمه (مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين)^(٢) : نحن نعنى بالعمل الاجتماعي المسيحي لتطبيق مبادئ يسوع^(٣) المسيح في جميع الصلات الإنسانية. إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر ، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينيا بالأسلحة الروحية . فالنشاط الاجتماعي يجب أن يوافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه ، فلنبدا بالصلوات اليومية تلك التي تتصل بالطفل والمرأة ، ثم نتوسع في تلك الصلات^(٤) .

وكان المنصرون يوجهون نصائحهم للقائمين بالعمل التنصيري بالسير في الأعمال الاجتماعية على الأسس الآتية :

- إيجاد بيوت للرجال والنساء ، وخصوصا الطلبة منهم ومنهن .
- إيجاد أندية للاعتناء بالتعليم الرياضي ، وأعمال الترفيه .
- حشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال .
- التعرف على أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية .

.. (١) : د . مصطفى الخالدي ، " التبشير والاستعمار " ، ص ٦٤ .

.. (٢) : نقلا عن : صابر طعيبة في ، " الاستشراق والتنصير في مواجهة الإسلام " ، مرجع سابق ، ج ٢ / ٤١٥ .

.. (٣) : هو اسم من أسماء المسيح - عليه السلام - والكلمتان من أصل عبري ، الأولى : بمعنى المخلص ، إشارة إلى أنه سبب لتخليص كثير من آثامهم وضلالهم . والثانية : تفيد كما ورد في التوراة ما يمسخ بقصد التقديس . جاء ذكره في القرآن الكريم تارة باسم المسيح ، وهو لقب له ، وتارة باسم عيسى ، وهو اسمه ، يذكر عادة في الكتب النصرانية العربية باسم يسوع المسيح معا . وهو في الإسلام نبي من عند الله ، وآخر الأنبياء من بني إسرائيل بشر بقدم النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - من بعده ، وإليه ينسب الدين النصراني وهو : عيسى بن مريم ابنة عمران ، من أشرف بني إسرائيل ، من معجزاته : أنه يكلم الناس في المهد . بشر بدعوته واستجاب لها الحواريون ، الذين بشتم في القرى والأمصار ، فلما أراد اليهود به الشر ، رقع الله إليه انظر : محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، ص ١٩٨٢ . أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص ٣٦٧ ، ٦٣٤ .

.. (٤) : نقلا من كتاب " التبشير والاستعمار " ، ص ١٩١ ، ١٩٢ وانظر كذلك : أحمد عبد الوهاب ، " حقيقة التبشير " ، ص ١٨٢ .

- إصلاح الأحداث .

- الحيلولة دون زواج المسلمين المبكر ^(١) .

وهكذا يحاول المنصرون بكل أسلوب ووسيلة انتهاز كل مناسبة اجتماعية ، ليدخلوا فيها ، أو يظهروا فيها ، وكل ذلك له أثر في الحد من انتشار الإسلام ^(٢) .

الاسلوب الرابع:

●● «علمانية التعليم والإعلام»:

لقد كان من تمام النعمة على الناس ومن مظاهر حكمة الله تعالى في خلقه، أن يكون الإسلام هو الدين الذي يتعهد الله به بني الإنسان والشريعة التي يختتم بها شرائعه السابقة فلا غرو أن كان تشريعاً محكم الأساس وطيد البناء كامل النظام، سامي الأغراض واقفاً بحاجات الأفراد والجماعات أبدياً صالحاً لكل زمان ومكان، محبباً للنفوس كاشفاً للناس عن نواحي الخير وداعياً إلى السعادة ، والمتتبع لأساليب العلمانيين يطالعه تنسيق عجيب ملفت للنظر بين القوى المعادية التي تختصم الإسلام، فالتنصير والاستشراق تتعانق أهدافه وغاياته مع الأطروحات العلمانية والتطبيقات العملية لها . كل ذلك بهدف إبعاد المسلمين عن الإسلام أو إبعاد الإسلام عن المسلمين وللأسف فقد تحقق لدعاة العلمانية الكثير من أهدافهم في بعض بلاد المسلمين في الأساليب والممارسات الآتية:

- بعث الحركات الهدامة والطوائف الضالة وتضخيم أدوارها .

- نبش الحضارات القديمة وإحياء معارفها .

- وضع منهاج لا ديني للبحث العلمي .

كما أنه تحقق للعلمانية في ممارستها العملية ضد الإسلام الكثير من تحقيق أهدافها بحيث أصبحت السياسة العامة في بعض بلاد المسلمين تخضع لمؤثرات الممارسات العلمانية فكراً وتطبيقاً.

١- (١) : أحمد عبد الوهاب ، " حقيقة التبشير " ، ص ١٨٣ .

٢- (٢) : أنور الجندي ، " مقدمات العلوم والمناهج " ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

وإذا كان الإسلام بشموله وصلاحيته لكل الناس في كل العصور .. فقد حاول الغرب فرض العلمانية على المسلمين بكل الطرق والأساليب المتوفرة لديه^(١) لحقده على الإسلام، وهذا الحقد قد تأصل منذ بعثة النبي ﷺ فقد حارب بكل الوسائل من قبل اليهود منذ عصر النبوة وبرز العداة تدريجيا من قبل الدولتين العظميين آنذاك الفرس والروم في عهد الصحابة والتابعين وكان العداة يتمثل في صور عدة كالحروب ومقاومة انتشار الإسلام إلى تلك البلاد خوفا من سيادته عليهم وظهر العداة من خلال الترجمات للفلسفة والعلوم اليونانية والإغريقية آنذاك. حتى وضعت لها مواطئ قدم في الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية (في الفلسفة وعلم الكلام)^(٢) والدعوة للاختلاط والسفور وغير ذلك.

وإذا كان الاختلاط قد تحقق فعلا في جامعات كثيرة في بلاد الإسلام ويزيد الطين بلة حين يدرس للطلاب مدرسة ويدرس للطالبات مدرس بغير حجاب^(٣) فإن ذلك مروق عن الفطرة .

وإذا كان التعليم تبرز خطورته من ناحية تكوين وتشكيل أفراد أي أمة وصبغ اتجاهاتهم على حسب الغاية والهدف .

فإن الإعلام - وهو وسيلة معاصرة - ومؤثرة جاءت متأخرة عن دور التعليم فإن أثر الإعلام أبلغ وأشمل لأن مناهج الإعلام لا تصوغ جيلا بعينه في المدارس والجامعات ولكن تغزو كل مكان وكل بيت حتى مخدع النوم، وتصوغ الأمة بأكملها صياغة تحقق أهداف الدولة التي تنضوي تحت لواء العلمانية .

(١) : انظر، د. نعمان السامرائي، "مباحث في الثقافة الإسلامية"، ط. مكتبة المعارف الرياض، سنة ١٤٠٤هـ - ص ١٦٥ .

(٢) : انظر، د. محمد علي مضاري، "الطريق إلى حكم إسلامي"، ط. ١، سنة ١٣٩٠هـ - ٧٠م، ص ١٨٢، ١٨٣ .

(٣) : انظر، د. عثمان محمد عثمان، "اختلاط الجنسين في مدارسنا"، سلسلة مشكلاتنا التعليمية والتربوية في ضوء الإسلام، ط. الاعتصام، ص ٣٠ . وما بعدها .

وخلاصة الأمر في خصومة العلمانية للإسلام أنها صورة العصر التي تزخرت بدهاء الإلحاد وإنما أيضا عباءة الفساد، ونظريته الفكرية المطروحة أمام دعوة الإسلام. أي أن العلمانية تدعونا إلى استبعاد الدين من مجال الفكر والعلم والسياسة والتشريع والاقتصاد والتربية^(١).

الأسلوب الخامس:

●● التسلل العقدي:

واللافت لنظر الباحث أن التسلل العقدي اليوم والذي مورس ضد الدعوة من قبل في شكل مساومات يتسرب اليوم عبر أصوات غريبة الولاء غريبة الانتماء بفعل التهجين العقلي الذي تعرضوا له إبان احتكاكهم بالثقافة الغربية، وقد استهدفت هذه العمليات التأثير على العقيدة الدينية وقد تمثل ذلك التوجه بوضوح منذ مطلع القرن العشرين وخاصة في المناهج الدراسية !! فعلى سبيل المثال لو وقفنا أمام كتابي : (الفلسفة) و (المنطق) المقررين في فترة ماضية على طلبة الشهادة الثانوية في مصر، وكذلك في بعض البلاد العربية لوجدنا أن المؤلفين ومنهم أحد رموز الحركة العلمانية ورائد من رواد التبشير بالفكر الغربي في العالم العربي، وهو الدكتور (زكي نجيب محمود) أخذ في تشويه عقيدة المسلمين ، وبخاصة ما كان عليه السلف الصالح، ثم قام يعرض البدائل من عقائد أهل الزيغ والضلال، في الكتاب من بدايته حتى نهايته^(٢) ومن أمثلة العقائد التي عرضها المؤلف على الأجيال المؤمنة مستهدفا عقيدتها وإيمانها بالله «الفلسفة البراجماتية الوضعية» وهي عقيدة الفلسفة الأمريكية، حيث عدد المؤلف مميزات، وزينها للعقول، ولم يذكر لها سيئة واحدة ونقل عنها في ص ١٠٨ قوله: (إن وظيفة العقل في الفلسفة البراجماتية هي البحث عن حل لمشكلات الحياة اليومية، وليس الانشغال بالمشكلات النظرية الميتافيزيقية (أي الغيبية).

(١) : محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، " الغارة على العالم الإسلامي " ، ص ٨٢ .

(٢) تواترت أخبار عن رجوع الدكتور زكي نجيب محمود عن كثير من آرائه وقد أعلن التزامه بالإسلام إلى مؤتمر الفلاسفة العرب بالقاهرة كما أنه ظهر غير معادي للإسلام في كتابه (رؤية اسلامية).

وهكذا تجعل هذه الفلسفة الانسان كالبهيمة ليس لعقله من وظيفة سوى البحث عن أمور معاشه اليومية المادية الحيوانية. أما أمور دينه وربه ومستقبله في آخرته فانها في هذه الفلسفة أمور خرافية، في حين أن الاسلام يرتفع بغاياتنا العملية المحسوسة الى طلب الاخرة ومرضاة الله تعالى أي اننا كما نؤمن بأهمية العقل في عمارة الأرض. نؤمن كذلك بالغيب وأهمية طلب العون من الله تعالى. ذلك العون الذي يأتي مؤيذا للمؤمن الأخذ بأسباب العمران، والمتوكل على الله في آن واحد.

ان نظرة على أساليب التسلل الغربي في خصومته للإسلام تكشف عن أن أساليب خصوم الدعوة منذ نشأتها وفي عصر النبي باقية في صدور الخصوم وان تطورت الممارسات . إن زكي نجيب محمود^(١) يمثل الفلسفة الوضعية في العالم العربي. تلك الفلسفة التي تبشر بالاحاد العلمي المعاصر أو الاحاد القائم على العلم التجريبي كما يزعم أصحاب تلك الفلسفة! وجدت قبولا لدى عدد غير قليل ممن يحسبون على الإسلام، خاصة أصحاب الولاء للقومية، والعلمانية، والحداثة وغيرها.^(٢)

والمؤلم حقا في منهج زكي نجيب محمود أنه ترجمة شبه حرفية لاستاذه «أوجست كونت» زعيم الفلسفة الوضعية الملحدة في العالم ومؤسسها الاول حيث يدعى أن قوانين العلم التجريبي تغني عن الايمان بالله ويزعم ان هذه القوانين تدل على ان الطبيعة لها وجود مكتف بذاته.^(٣)

ونص كلام (كونت) في هذا قوله « ان الاعتقاد في ذوات عاقلة أو إرادات عليا لم يكن الا تصوراً يخفي وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية وان العالم الطبيعي لا يبقى فراغا يسده الاعتقاد بوجود اله. ويبقى سببا يدفعنا الى الايمان به».

ويدعي: كونت بأن التفكير البشري مر بثلاث مراحل سماها «قانون الأحوال الثلاثة» وهي على التوالي:

(١) (د. يحي هاشم): «الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة» صفحة ٥ طبعة دار المعارف ١٩٨٤.

(٢) : د. صابر طعيمة «الاستشراق والتنصير في مواجهة الإسلام»، دار الجيل ، بيروت، عام ١٩٩٥ ج١/٣٩٨.

(٣) : المصدر السابق، نفس الموضوع.

(١) الحالة الدينية.

(٢) الحالة الميتافيزيقية

(٣) الحالة العلمية أي الوضعية كما يسميها.

ثم يزعم بأنه بمنطق التطور التاريخي الحاسم يصبح الدين والميتافيزيقا ليسا سوى خرافات ورثناها من القرون السابقة، وقضت عليها حاليا سيادة العلم الحتمية ويدعى بأن أي محاولة لحياتها أو الدفاع عنها تعتبر عملا من الأعمال المضادة لطباع الأشياء.^(١)

وهذا القانون خاطيء من أساسه بدليل أن «كونت» نفسه اعترف بوجود التعاصر بين هذه الحالات الثلاث في الفكر السائد حينذاك. وإن كان «كونت» قد فسر ذلك التعاصر الى وقتنا الحاضر. أي بعد مضي ١٥٠ سنة حيث يوجد حاليا التنجيم وقراءة الطالع وغيرها من الخرافات المنتشرة شرقا وغربا.

كما أن «كونت» نفسه انتهى بوضع دين جديد سماه «دين الانسانية» وبذلك نقض ما سبق أن قرره في «قانون الأحوال الثلاثة».

ومن المعروف أنه في الغرب كان الدين مصانا عن النقد فترة طويلة حتى جاء عصر «كونت» حيث ظهرت رغبتهم في مقاومة نفوذ الكنيسة الكاثولوليكية وتصحيح مسارها وليس مقاومة الايمان في ذاته.^(٢)

أي أنهم في الغرب لم ينتقدوا الدين لتنقيته من العقائد غير المعقولة التي ظهرت فيه مثل عقيدة التثليث. وعقيدة ألوهية عيسى، والاعتقاد بعصمة البابا وغيرها. بل نقدوا مالا يستقيم مع العقل الانساني الواضح. بدليل أن المذهب الوضعي نفسه في الوقت الذي ينكر فيه دين الكنيسة يضع ديننا جديدا بدلاً منه هو ما يسمى «دين الانسانية الكبرى».

(١) المصدر السابق صفحة ١١.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي ص ٢٤١، مكتبة وهبه بالقاهرة.

بل والاكثر من ذلك أن كونت نفسه انتهى الى تفضيل الاسلام على ما سواه في قوله:
(إنه لا يمكن لدين أن يتمشى مع الحالة الوضعية الا الاسلام، لانه دين عار من الحماقات
ويتميز وعقلنته وقدرته على إشباع رغبة البحث عن الإله.^(١))

ولكن زكي نجيب محمود - في معظم مراحل عمره - ارتضى لنفسه أن يكون مرددا
لمفكري الغرب في الهجوم على دين ليس ثمة داع لمهاجمته. وهو الاسلام، لمجرد أنه قرأ
ما يشبه الهجوم على المسيحية باسم النقد العلمي أو العقلي.^(٢)

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وخصوم الإسلام الجدد من ملاحدة ويهود
ونصارى وعلمانيين^(٣) وهم جادون في التسلل والعمل على أن ينفذوا إلى جوهر الدعوة
لإفساده وتشويه خصائصه أمام الأجيال المؤمنة^(٤) وقد بدأت عمليات التسلسل بإقصاء
المنهاج الإسلامى في الشريعة . والتعليم ، وإحلال منهاج علماني بديلا عنه وقد بدأ هذا
واضحاً في محاولات فرض القانون الوضعى بديلا للشريعة الإسلامية ، وظهرت هذه
المؤامرة في إلغاء المحاكم الشرعية في بعض الدول المسلمة ، كذلك ظهرت بوادر
التسلل في ثوب علماني في العالم الإسلامى بإنشاء الإرساليات التنصيرية ، والسيطرة
على مناهج المدارس الوطنية ، وتغيير مناهجها من دراسة القرآن الكريم وعلوم العقيدة ،
إلى دراسة اللغات الأجنبية بطريقة تحجب العربى والمسلم فيها ، وتنفره من اللغة العربية
وعلوم الشريعة الإسلامية^(٥) .

(١) د. محمد البهي، الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، ص ٢٤٨.

(٢) د. محمد البهي، الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، ص ٢٤٨.

(٣) : محمد مهدي شمس الدين، "حول العلمانية"، ص ٨١

(٤) : د. يحيى هاشم فرغل، "حقيقة العلمانية"، ص ٨.

(٥) انظر : د . سامى عزيز ، " الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي " ، ص ٢٢٤ ، ط . دار الكتاب
العربى ، بالقاهرة ، سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م - أنور الجندي ، " أصالة الفكر العربى الإسلامى " ، ص ٢٥ ،
ط . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، بالقاهرة - صبحى وحيدة ، " فى أصول المسألة المصرية " ،
ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ط . مصر ، سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - محمد صفوت ، " الاحتلال الإنجليزي
لمصر " ، ص ٢٣٧ ، ط . دار الكتاب العربى ، بالقاهرة ، سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

- وإن الباحث في مؤامرات العلمانيين يجد أنها تتلخص في هذه النقاط :
- الطعن في حقيقة الإسلام ، وحقيقة القرآن الكريم والنبوة .
 - القول بأن الإسلام استنفذ أغراضه .
 - القول بأن الإسلام طقوس وشعائر روحية ، أو على أحسن الأحوال دين بالمفهوم الغربي الضيق . وهي في جملتها الصدى التاريخي لما قاله خصوم الدعوة في العهد النبوي من المشركين واليهود والنصارى والمنافقين.

الأسلوب الخامس:

●● أسلوب الماسونية في الهيمنة الاجتماعية:

خصوم الدعوة الإسلامية سواء في عهدها المدني أو في عصرنا الحاضر وسواء أكانوا جماعات كالمشركين واليهود والنصارى والمنافقين في عهد الدعوة المدني عصر النبي محمد ﷺ ومن بعده أو مذاهب ومعتقدات وجماعات ومجتمعات كما هو في واقعنا المعاصر كان لهم في خصومتهم مع الإسلام أساليب وممارسات قولية وعملية، وفي الأغلب والأعم أن الخصومة القولية كانت تعلن عن نفسها قبل الخصومة العملية، أي أن الباحث يمكنه أن يقف على الأساليب القولية ثم يرصد الأساليب العملية . أما في الماسونية وهي تنظيم يهودي سرى يعمل في الخفاء فإن ميادين ومجالات العمل الماسوني تكون عادة في الميدان الاجتماعي وهي سرية، ما تنهى الينا منها سواء بردة بعضهم عنها وتويتهم أو مايسريونه لغيرهم بهدف إيهامهم، يختلط فيه الأسلوب القولى بالعملية، ومن هنا إذا ذهبنا نتعرف على أسلوبها في خصومتها وحررها للإسلام، فإننا سنلاحظ تداخلا بين الأسلوبين شديدا، لكن الذي لاجدال حوله أن للماسونية محافل ومراكز في معظم بلاد العالم تقريبا، إذ تستقطب هذه المحافل الشخصيات في كل بلد، لضمان سيطرتها وهيمنتها عليه .

كما تسيطر على كل الجمعيات والمنظمات الدولية، ومنظمات الشباب لتضمن سير العالم كما تريد، ولتضمن أن يكون القرار دائما بيدها وكذلك تسيطر على معظم وسائل

الإعلام ودور النشر، والصحافة في العالم . ولهم عصابات إرهابية، لتنفيذ العمليات الإجرامية، للتخلص من كل من يقف في طريقهم عن قصد أو عن غير قصد^(١) .
والواقع أن أعداء الإسلام منذ القدم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أدركوا حقيقة: أنه من العسير جدا أن يرتد المسلم عن دينه إلى دين آخر سواه، وأن محاولة ارتداده عن دينه يتطلب جهدا كبيرا وأموالا طائلة، طويلا دون أمل في النتيجة، ومن ثم اكتفت جمعيات أعداء الإسلام بتضليل المسلمين، ودفعهم إلى الإنحراف، والبعد عن الإسلام الصحيح^(٢) .

- (١) : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة " ، ص ٤٥٣ .

- (٢) : د . مبارك حسن حسين ، " التيارات الفكرية " ، ص ١٥٢ .

الاسلوب السادس:

●● اسلوب الصهيونية العالمية العملي،

الأساليب العملية التي تمارسها الصهيونية في تحقيق مخططاتها بعامة وفي خصوصتها للإسلام بخاصة كثيرة ومتنوعة منها مثلا :

القيام بمحاولات متكررة لتحريف الكتب الدينية والتاريخية، بالإضافة أو الحذف، أو التعديل، أو التغيير، وقد كشف الله أمرهم حينما حاولوا تحريف القرآن الكريم بطبع نسخ منه وتوزيعها في أفريقيا وأوروبا وأمريكا . واللافت للنظر أن مؤسسات مالية كبرى تعينهم في ذلك^(١) .

دراسة الإسلام واللغة العربية وكتبهما، بالاشتراك مع هيئات الإستشراق والتأليف العلمي، متعاونين على أمل التمكن من تحريف الإسلام في المؤلفات، وفي نفوس أبنائنا الذين يتعاملون معهم بعد فترة من الزمن .

تلقف أبنائنا الذين نرسلهم إلى جامعات الغرب أو الشرق، ليوجهوهم بأساليبهم المختلفة وأفكارهم المسمومة إلى مايصرف شبابنا عن بناء مستقبله، ولينأوا به عن دينه . مداومة تنمية الفرقة بين المسلمين بما يضمن نموها لتفريق الشمل وتفتيت الجمع وذلك بدعم الفرق الباطنية وعونها بالمساعدات العينية والمادية وبالخبرات .

العمل على التحالف بين اليهودية والنصرانية ضد الإسلام، وأول من قام بهذه الفكرة قبل ظهور الاستشراق بوسائله التنصيرية، هو : دافيد ريويني^(٢) . فقد تقدم

(١) : د. صابر طعيمة ، "الإستشراق والتنصير في مواجهة الإسلام" ، مرجع سابق ، ج ٢٣١/١ .

(٢) : هو دجال يهودي ، يدعى أنه ولد في خيبر ، بالقرب من المدينة ، وبدأ دعوته : بأن ركب فرسه الأبيض ، وذهب إلى البها "كلمينت السابع" وأخبره أنه أخ ورسول لملك يهودي ، لا يزال يحكم بعض أسباط إسرائيل العشرة المفقودة ، الموجودة في بلاد العرب ، وأن أخاه عنده ثلاثمائة ألف جندي مدربين على الحرب ، ولكن ينقصهم السلاح ، وطلب من البها تزويدهم بالسلاح ، حتى يمكنهم طرد المسلمين من فلسطين ، وقد استقبله البها استقبالاً حسناً ، دعاه ملك البرتغال للزيارة ، فذهب ونجح في التأثير ، حتى إنه أوقف محاكمة المارانوس (اليهود المتخفين في أسبانيا) . وقد تبع ريويني يهودي متنصر اسمه : سلومون مولوخو ، وقد طلب الاثنان من البها تسليم المارانوس ، ليحاربوا ضد المسلمين ، ولكن قبض عليهما ، وأحرق أحدهما ، وأخرجه على النصرانية ، وأودع الآخر السجن حتى مات. انظر: عبد الوهاب المسيري ، "موسوعة المفاهيم" ، ص ٢٠١ .

للبابا في روما بمشروع مخالفة ضد الإسلام، للقضاء عليه^(١). ونشأ عن هذا الاتفاق ما يسمى الآن "بالصهيونية المسيحية"، وعلى رأس هذه النصرانية الكنيسة البروتستانتية، ويرى هؤلاء أن مصلحة النصرانية التعاون مع اليهود للوقية بينهم وبين المسلمين، وهذا هو ما قامت به الكنيسة حينما تقدم في عام ١٩٦١ الكردينال "بيا" بمشروع : تبرئة اليهود من دم المسيح، على الرغم من أن هذا المشروع يعتبر مخالفا للأساس العقدي الذي تقوم عليه الكنيسة والذي تقول به الأناجيل^(٢).

وفي هذا المقام يهم الباحث أن يشير الى أنه في ذروة ما اصطلح عليه بالصراع العربي الاسلامي رغب بعض العلمانيين والقوميين وغيرهم في أن تتربى الأجيال المسلمة على تصور أن الصهيونية غير اليهودية وكتبت في ذلك بحوث وأعدت دراسات بهدف التعامل مع الصهيونية كحركة سياسية، وإهمال ما ترتكز عليه من دين وتاريخ حتى تمر الأطماع اليهودية من جانب، ويهمل المحضور الاسلامي أو الدعوة للإسلام في قضية خصومة الصهيونية للدعوة الاسلامية فكرا ومعتقدا وممارسة من جانب آخر .

والواقع الذي يراه الباحث هو أن الصهيونية، العالمية هي اليهودية العالمية حتى ولو ضمت بين عناصرها غير اليهود ذلك أن كل ماتقول به الصهيونية وتعمل من أجله ميثوث في مصادر اليهود الدينية، فدعوى العنصرية التي تسعى الصهيونية لإصباغها على اليهود. وأساسها تعاليم التوراة المحرفة التي تنص في زعمهم على أن الله - سبحانه وتعالى قد وعد اليهود بملك عالمي أبدي، واستخلفهم من الأرض خالصة لهم من دون الناس^(٣). ولتأكيد ذلك الزعم وتبريره فقد زعموا أن إسرائيل سألت إلهه : ولماذا خلقت خلقا سوى شعبك المختار ١١٢٢، فقال له : "لتركبوا ظهورهم، وقاتلوا دماءهم، وتحرقوا أخضرهم، وتلوثوا طاهرهم، وتهدموا عامرهم"^(٤).

(١) : انظر عبد الله التل، "خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية"، دار القلم، بيروت عام ١٩٦٤، ص ٧١.

(٢) : د. صابر طعيمة، "الصهيونية في التاريخ" مكتبة القاهرة الحديثة، عام ١٩٦٦، ص ١٢٠.

(٣) : د. محمد علي جريشة، "أساليب الفوز الفكري"، ص ١٤٩.

(٤) : سفر المكابيين الثاني، فقرة ١٥ - ٣٤.

فحين نقرأ هذه الفقرة أو النص : نشعر على الفور أننا أمام تركيبة بشرية متعصبة حاقدة، مزعجة غاية الإزعاج، بالغة منتهى الوحشية والشراسة، فائقة القدرة على الالتواء والتحرير والافتراء الفاحش على كل شيء، حتى على الله - سبحانه وتعالى - وملائكته ورسله ، بل والناس أجمعين ^(١) .

وهذا هو ما تقوله وتفعله الصهيونية العالمية وسبيلهم إلى تحقيق هذه الموعدة، هي: تقويض أركان المجتمع العالمي، وبث عناصر الانحلال، لتنهش في بنائه، وإشاعة الفوضى الاجتماعية والفكرية الغامرة، فإذا ماتهاوى خائرا، انبعث اليهود من غمار تلك الفوضى، ليمسكوا بزمامه، ويقوموا على أنقاضه دولة عالمية تحكم أطراف الدنيا . ومن أجل هذا الهدف اليهودي الصهيوني، اغتتموا في عصرنا الحاضر الفرصة في عام ١٨٩٧ حين دعا : تيودر هرتزل إلى عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول بمدينة بازل بسويسرا . وكانت مقرراته هي الدستور العملي لهذه المرحلة من الآمال اليهودية التي حددها هرتزل في كتابه "الدولة اليهودية فلسطين" ^(٢) . باعتبارها أرض الميعاد، وتضم إقليم الوجه البحرى من مصر، وسيناء ، وفلسطين، وشرق العراق الغربى، وسوريا ولبنان، وبادية الشام، والأردن، وشمال الحجاز، حتى المدينة ^(٣) .

وقد حاول اليهود، عام : ١٩٠١م إغراء الخليفة العثمانى السلطان عبد الحميد ببيع فلسطين لليهود مقابل مبالغ ضخمة، لكنه رفض ذلك، وأمر بطردهم شر طردة ^(٤) .

١- (١) : د. عبد الستار فتح الله السعيد ، "معركة الوجود بين القرآن والتلمود"، ص ٢٨ .

٢- (٢) : نشر هرتزل كتابه "الدولة اليهودية" ، سنة : ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م انتهى فيه إلى أن معاداة السامية خصيصة حتمية لكل المجتمعات المعاصرة ، على اختلاف نظمها ، وذكر أن قيام دولة يهودية من شأنه أن يقلل من حدة اللاسامية ، إذ ستمتص هذه الدولة عددا كبيرا من اليهود في الدول التي يكثرون فيها وقد اعترف هرتزل في كتابه هذا بأن الهدف هو : الاستيلاء على أي مكان ليكون وطنًا يهوديا . وقد أثار هذا الكتاب من الحماسة والاهتمام ماشجع اليهود على عقد أول مؤتمر عام لهم فى ١ من شهر ربيع الثانى ، سنة : ١٣١٥هـ - ٢٩ أغسطس ، سنة ١٨٩٧م عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ٤١٦ ، عمر رشدى ، الصهيونية وروبيتها إسرائيل ، ص ٧١ .

٣- (٣) : محمد جمعة ، "أساليب الغزو الفكرى" ، دار التراث، عام ١٩٦٠، القاهرة، ص ١٤٩ .

٤- (٤) : د. محيى الدين القضانى ، "قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى"، ص ٧٩ .

ثم قام اليهود وأعدائهم في سبيل حرب الإسلام وشرعه، بحركات تدميرية تزعمها أقطاب اليهودية في العالم، كـ " وايزمان " ^(١) . وروتشيلد وبلفور وغيرهم.

وبعد سنوات قليلة قام أعوان اليهود من ضباط حزب الاتحاد والترقي بالإنقلاب على السلطان عبد الحميد، وجاء بعده خلفاء معظمهم من أعضاء المحفل الماسوني. أو الدوغة ^(٢) .، ففتحوا باب الهجرة أمام اليهود إلى فلسطين ^(٣) وفي سنة : ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م : أعلن اليهود بالتواطؤ مع الدول الكبرى، قيام دولة إسرائيل قال ابن غوريون. ^(٤) حين ذاك : إن الصهيونية قد حققت هدفها في بناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقاً عليه،

١- : هو حاييم وايزمان ، عالم كيميائي ، وزعيم صهيوني ، ولد في بولندا وتلقى دروسه العالية في برلين ، وفرابيرغ ، شغل منصب "أستاذ" في كل من جامعتي جنيف ومانشستر ، ثم عين مديراً لمختبرات سلاح البحرية البريطانية في الفترة من سنة : ١٣٣٤هـ - ١٩١٦م ، حتى سنة : ١٣٣٧هـ - ١٩١٩م كانت مكشفتاته في إنتاج الأوتون ذات فائدة كبيرة للحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى ، وأسفرت مفاوضات "وايزمان" في إنجلترا عن إعلان "وعد بلفور" الذي يقضي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين كما أنه ترأس الوفد الصهيوني إلى محادثات السلام في "قرسي" ، وكان يرأس المنظمة الصهيونية العالمية ، والوكالة اليهودية لفلسطين ، كما كان رئيس معهد البحوث الكيماوية في فلسطين ، ورئيس معهد وايزمان للعلوم ، وكان له دور كبير في إقامة إسرائيل ، وانتخب أول رئيس لإسرائيل ، وبقي في منصبه إلى أن توفي سنة : ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ص ٥٧٣ ، ٥٧٤ عبد الوهاب المسيري ، "موسوعة المفاهيم" ، ص ١٧١٩ .

٢- : الدوغة : كلمة تركية ، تعنى : المرتدون ، وهم : طائفة يهودية طردت من أسبانيا ، فنزلوا سلاتيك في اليونان ، واستقروا بها ، إبان الحكم العثماني ، وقد اعتنقت هذه الطائفة الدين الإسلامي ، واحتفظت ببعض العادات والطقوس الدينية اليهودية ، وكان لكل واحد منهم اسم تركي مسلم يستعمله علانية ، وآخر عربي يعرف به بين أفراد مجتمعه السري وقد شاركت هذه الطائفة في كثير من الحركات الرامية إلى إلغاء الخلافة الإسلامية ، وإعلان تركيا جمهورية علمانية ، لا دينية ، كما أنها قامت بدور بارز في انقلاب سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م الذي قاده أتانوروك العلماني انظر عبد الوهاب الكيالي ، "الموسوعة السياسية" ، ص ٢٧١ عبد الوهاب المسيري ، "موسوعة المفاهيم" ، ص ١٩٠ - ١٩١ أحمد عطية ، "القاموس السياسي" ، ص ٦٧٠ .

٣- : د. علي محمد جريشة ، "أساليب الغزو الفكري" ، ص ١٦٢ .

٤- : هو دافيد بن غوريون ، زعيم صهيوني عالمي ، متعصب حائد ، وسياسي إسرائيلي . ولد في بلونسك في بولندا ، سنة : ١٣٠٣هـ - ١٨٨٦م . تعلم في مدرسة دينية ، ثم في جامعة استانبول ، شارك في الحركة العملية الصهيونية منذ شبابه المبكر . سافر إلى فلسطين سنة : ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م ، وطرد منها بواسطة الإدارة التركية . سافر إلى أمريكا سنة : ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م ، وساعد في إنشاء الفرقة اليهودية ، إذ عمل تحت إمرة الجنرال اللنبي . كان ابن غوريون أحد منظمي حزب العمال اليهودي والهستدروت ، وكان سكرتيره =

وليست هذه نهاية كفاحنا، بل إننا اليوم قد بدأنا، وعلينا أن نمضي لتحقيق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات^(١).
ولم يفصح اليهود عن نواياهم الاحتلالية إفساحاً واضحاً، لأن مقوماتها دينية محضة، ومبناها على نصوص التوراة، وتعاليم التلمود^(٢).
واليهودية العالمية بعامة مع كل حركة ضد الإسلام، حتى يحققوا لأنفسهم ما يريدون من النيل من هذا الدين الحنيف.

من سنة : ١٣٣٩هـ - ١٩٢١م ، حتى سنة : ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م ، ثم رئيساً للوكالة اليهودية ، من سنة : ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م ، حتى سنة : ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م أعلن قيام دولة إسرائيل في ٦ رجب ، سنة : ١٣٦٧هـ - ١٤مايو ، سنة ١٩٤٨م وعين رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع ، وساهم في صياغة سياسة إسرائيل الخارجية ، وقضى أيام حياته الأخيرة يكتب تاريخاً لليهود في العصر الحديث ، وشرحا للتوراة ، شهد الهزة السياسية والعسكرية التي منبت بها إسرائيل في شهر رمضان ، سنة : ١٣٩٣هـ - أكتوبر ، سنة : ١٩٧٣م توفى سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م . عبد الوهاب المسيري ، "موسوعة المفاهيم" ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، عيد الوهاب الكيالي ، "الموسوعة السياسية" ، ص ١٢٥ .
..(١) : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، "الأقليات المسلمة في العالم" ، ص ٣٩٢ .
..(٢) : وزارة الأوقاف المصرية ، "الإسلام والشيوعية" ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ط القاهرة ، سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

الاسلوب السابع:

●● اسلوب الإلحاد الشيوعي العملي:

يتمثل أسلوب الإلحاد الشيوعي في بلاد المسلمين عبر الأحزاب والعقائد التي أنشأها في بلاد المسلمين وهي تمثل العمود الفقري والقاسم المشترك بين كل منظمات الإلحاد التي تقارن خصومتها للدعوة الإسلامية وللمسلمين ، والتي تحتوي على مجمل فكرهم ومنهاج العمل في خصومتهم للإسلام^(١) ومن بين أهم ما جاء في وثيقة عمل الإلحاد الشيوعي في بلاد المسلمين^(٢) الأتي:

١- مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه ، والمهادنة لأجل حتى نضمن أيضا السيطرة ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية .

٢- تشويه سمعة رجال الدين والحكام المتدينين ، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية .

٣- تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل ومزاحمة الإسلام ومحاصرته ، حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية^(٣) .
وتقول الوثيقة .

علينا الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفا ، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني والضرب بعنف وبلا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين ، ولوأدى إلى الموت .

- يجب أن لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات ولذا يجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان ، والصاق التهم به ، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة الإسلام .

(١) : انظر دائرة المعارف السوفيتية ط . ١٧٢ / ٥١٦ - ٥١٩ نقل عن د. محمود عثمان ، " الفكر المادي " ، ص ٢٨٠ وما بعدها .

(٢) : انظر د. مصطفي محمود ، "أكثوية اليسار الاسلامي" ، ط/٢ ، دار المعارف ، مصر ص ٩ .

(٣) : انظر : مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية عدد ٥٢ سنة ١٤٠٨ هـ ، ٨٧ م ، ص ٢٣٧ .

- تشجيع الكتاب الملحدين ، وإعطاؤهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني والضمير الديني ، والعبقرية الدينية والتركيز في الأذهان على أن الإسلام انتهى عصره ^(١) ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم ، والصلاة والحج وعقود الزواج والطلاق وستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية .

- أما الصوم والصلاة فلا أثر لهما في الحياة الواقعية ولا خطر منهما ، وأما الحج فمقيّد بظروف الدولة ، ويمكن استخدام الحج في نشر الدعوة الاشتراكية بين الحجاج القادمين من جميع الأقطار الإسلامية ، والحصول على معلومات دقيقة عن تحركات الإسلام لنستعد للقضاء عليها .

- قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيّتنا العلمية .

- إن قسم روابط الدين ومحوه لا يتمن بهدم المساجد والكنائس لأن الدين يكمن في الضمير ، والمعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجية ، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ، ولم يعد صعباً هدم الضمير الديني في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية ، ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات ، والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات التي تروج للإلحاد ، وتدعو إليه وتهزأ بالدين ورجاله وتدعو للعلم وحده وجعله الإله المسيطر .

- مزاحمة الوعي الديني بالوعي العلمي ، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي .

- خداع الجماهير بأن يزعم لهم أن المسيح اشتراكي وإمام الاشتراكية فهو فقير ومن أسرة فقيرة وأتباعه فقراء كادحون ودعا إلى محاربة الأغنياء وهذا يمكننا من استخدام المسيحية لتثبيت الاشتراكية لدى المسيحيين . ونقول عن محمد ﷺ إنه إمام

(١) : مثل د. صادق جلال العظم وكتابه "نقد الفكر الديني" وقد رد عليه مجموعة من مفكري الإسلام مثل : عبد الرحمن حبنكة الميداني في كتابه "صراع مع الملاحدة حتى العظم" ٢/١ ، ط. دار العلم بيروت ط. سنة ١٤٠٠هـ .

الاشتراكيين فهو فقير وتبعه فقراء ، وحارب الأغنياء المحتكرين ، والإقطاعيين والمرابنين والرأسماليين وثار عليهم ، وعلى هذا النحو يجب أن نتصور الأنبياء والرسل، ونبعد القداسات الروحية والوحي والمعجزات عنهم بقدر الإمكان لنجعلهم بشرا عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم ، وأوجدوها لهم أتباعهم المهوسون .

- في القرآن والتوراة والأنجيل قصص ، ولثلا نصطدم بشعور الجماهير الديني ونشيرهم على الاشتراكية يجب أن نفسر تلك القصص تفسيرا ماديا اشتراكيا ، قصة يوسف - على سبيل المثال - يمكن تفسيرها تفسيرا ماديا تاريخيا ، ومافيها من جزئيات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين والإقطاعيين والنساء الشريفات والحكام الرجعيين .

- إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي ، وتجريد هذه القوى تدريجيا .
- إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية ، وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية ، والأغاني الوطنية ، والشؤون العسكرية والتنظيمات الحزبية ، والمحاضرات المذهبية والوعود المستمرة برفع مستوى الإنتاج ومستوى المعيشة ، وإلقاء مسؤولية التأخر والانهباء الاقتصادي والجوع والفقر ، والمرض، على الرجعية والاستعمار والصهيونية والإقطاع ورجال الدين.
- تحطيم القيم الدينية الروحية وإظهار ما فيها من خلل وعيوب وتخدير للقوى الناهضة .

- الهتاف الدائم ليل نهار ومساء بالثورة ، وأن الثورة هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حكامها الرجعيين ، والهتاف للاشتراكية بأنها هي اللجنة الموعودة بها جماهير الشعوب الكادحة .

الاسلوب الثامن:

●● اسلوب العمل التغريبي في بلاد المسلمين:

يلفت الباحث النظر الى أن التغريب لقي أتباعه دعما شديدا ومتواصلا من قبل خصوم الدعوة لكي تتلاقى المحاور على حرب الاسلام ومقاومة دعوته، ولذا حفلت خطط التغريب في بلاد المسلمين بأساليب عديدة، روعى فيها عامل الزمن، والجغرافيا، وقيم المجتمع ووسائله، كل ذلك في ظل ممارسة تعتمد التخفي والتستر منهجا لها^(١) حتى لا تنتبه الأمة المسلمة إلى هذه المخططات الغادرة، بل تظل غافلة عنها، حتى تستحكم، ويصعب التخلص منها^(٢).

ومن أكثر الأساليب المتخذة، وأشدّها خطرا : استخدام أبواق من أبناء الأمة الإسلامية تنفخ فيها ماتريد . هذا ولا ريب أسلوب شديد التأثير، قوي الفاعلية، فالأمة الإسلامية ستنكر أي صوت من غير دينها وجنسها، وتبقى أمامه مسددة الأذان، غير آبهة بما يقول .. أما إذا كان صاحب الصوت من جنسها ومن دينها - كما يزعم - فسيكون له نصيب من القبول^(٣). لهذا زرعت حركة التغريب بين المسلمين، نبات سوء ودعاة شر ظلت تسقيهم من مائها، وتسكب في عقولهم من لوثتها، حتى صاروا تلاميذ نجباء لها، وأبواقا تحسن الصفير بما يلى عليها .

ومن الأساليب الخبيثة التي استخدمها التغريب : أسلوب الإقناع القائم على التشكيك إذ يقومون بتشكيك أبناء هذه الأمة في تعاليم ومبادئ دينها ومدى توافقها مع متغيرات هذا العصر، حتى إذا تم ذلك استعمل أسلوب الإقناع بأخذ البديل من الحضارة الغربية .

ورأى قادة حركة التغريب : أن التغريب لن يكون ذا ثمرة، إلا إذا تناول مجالات معينة تتسم بالحساسية الشديدة، والأهمية العظمى، كالتعليم مثلا الذي يعد من أكبر

١- (١) : د . حسان محمد حسان ، "وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي" ، ص ٦٤ .

٢- (٢) : محمد محمود الصواف ، "المخططات الاستعمارية لمكانة الإسلام" ، ص ١٧ .

٣- (٣) : جلال يحيى ، "المجمل في تاريخ مصر الحديثة" ، ص ١٨٧ .

المجالات التي نالت نصيباً كبيراً من حركة التغريب، ولذا استهدف تغريب التعليم عدداً من الأهداف، من أهمها محاولاته :

القضاء على الذاتية الإسلامية المتسمة بأخلاقها ومبادئها وتعاليمها السماوية، المرتبطة بالقرآن الكريم، وبالسنة المطهرة وكذلك خططه الخبيثة للقضاء على الفصاحة العربية، التي أوجدتها منابع البلاغة العربية، المتمثلة في القرآن الكريم، إذ استطاعت وسائل التعليم الحديثة ومناهجه : أن تبتز الصلة بين الشباب المسلم وتراثه العريق، وكذلك العمل على إماتة الإحساس بعظمة العطاء الذي قدمته الأمة المسلمة للبشرية، إذ قدمت لها : منهاج الحضارة الذي حرر الإنسان من عبودية الإنسان، وحرر العقل البشري من عبودية الوثنية والخرافة^(١) .

ويذكر رجال التربية : أن من أبرز ثمرات تغريب التعليم وأكثرها إفساداً : الاختلاط بين البنات والبنين، الذي يعد خروجاً عن منهاج الإسلام^(٢) .

ومن ثمراته كذلك : تحول ولاء معظم المتعلمين والمتعلمات إلى الثقافة الغربية، فأخذوا بها، وهي : تنادى بهدم الإسلام، دينهم ومعتقدهم^(٣) .

كما أن من ثمراته عدم الاهتمام بمواد الشريعة الإسلامية، وإعلاء شأن المواد المدنية الأخرى، فينشأ المتعلم غير مهتم ولا عالم بدينه^(٤) .

وقد لقي تغريب المرأة المسلمة عناية شديدة وأهمية كبيرة باعتبار أن إفسادها إفساداً للمجتمع كله^(٥) .

وتجدر الإشارة إلى أنه من أبرز الداعين إلى تغريب العقل الإسلامي وإفساد الرؤية الإسلامية في معالجات شؤون الحياة الاجتماعية والثقافية والأخلاقية وإفساد حياة المرأة

١- : أنور الجندي ، "عقبات في طريق النهضة" ، ص ١٢٠ .

٢- : المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

٣- : د. علي عبد الحليم محمود ، "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام" ، ص ١١٩ .

٤- : أنور الجندي ، "عقبات في طريق النهضة" ، ص ٩٣ .

٥- : د. عبد الحليم محمود ، "الغزو الفكري" ، ص ١٢٢ .

المسلمة على وجه الخصوص : رافع رفاعه الطهطاوي^(١)، الذي ذهب إلى فرنسا مسلحا بثقافة إسلامية، ثم مال إلى أن قرأ لمشاهير الغرب حتى اتسعت ثقافته الغربية، وألف كتابه المشهور "تخليص الإبريز" ط بولاق سنة ١٢٥٠هـ . وكانت بداية التفكير في تأليف هذا الكتاب بعد أن سافر إلى فرنسا^(٢) ورأى المعالم الحضارية في باريس، فأعجب بمظاهر الحرية والمساواة، وتفاعل مع أحداث فرنسا وقوانينها، وأعجب بدستورها وشعبها، وتحدث عن ذلك مادحا، ثم بين أن هذه المساواة هي السبب في شيوع العدل وتقدم الحضارة في فرنسا^(٣) . ومع أن رفاعه الطهطاوي كان يفتقد كل هذه المعاني في مصر في ذلك الوقت، بل كان يرى ويلمس آثار الحكم المطلق والقهر، والتعسف، وضياع الحقوق في الشرق الإسلامي، إلا أنه لم ينس أن يبين أن هذه الحرية وهذه المساواة ليستا غريبتين عن الإسلام . فذهب الطهطاوي إلى معالجة إنبهاره برؤية توفيقية بين ما شاهده في الحضارة الغربية والإسلام مؤكدا أن الإسلام يدعو إلى المساواة، والعدل، والحرية، مثل تلك القوانين التي بهر بها، ورغب الطهطاوي أن يوضح حكمة الله تعالى في تفاوت أقدار وقدرة بعض الناس دون بعض خاصة في ضوء ما شاع يومه من ظلم الولاة للرعية بزيادة الضرائب والجباية وغيرهما فقال في (تخليص الإبريز) ومع أن الله تعالى فضل بعضهم على بعض في الرزق، فقد جعلهم في الأحكام متساوين، لافرق بين الشريف والمشروف والرئيس والمرؤوس، كما أمرت به ودلت عليه سائر الكتب المنزلة على أنبيائه^(٤) .

لكن الطهطاوي كانت له تجاوزات حسبت عليه، وأفكار وضع فيها رائحة الغزو الفكري على عقله بل وقد تأثر فعلا بالحضارة الغربية في كثير من معالجاته.

(١) : هو رافع رفاعه الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) ، ولد بطنطا من قرى صعيد مصر ، تعلم بالأزهر ، ثم أوفد إلى باريس سنة ١٨٢٦ ، مرافقا لبعثة علمية ليكون مرشدها الروحي ، فدرس الفرنسية ، وتثقف هناك ، وعاد إلى مصر فتولى رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية ، وتدرج في غيرها من المناصب ، له من الكتب : تخليص الإبريز ، والمرشد الأمين وغيرها .

(٢) : الدكتور توفيق يوسف الواعي ، " الحضارة الإسلامية بالمقارنة بالحضارة الغربية " ، ص ٦٨٧ .

(٣) : انظر تخليص الإبريز، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٤) : تخليص الإبريز ، ص ٧٣ ، وانظر المرشد الأمين للبنات والبنين، ص ١٣٠ ، ط المدارس الملكية ، ١٢٩٢هـ .

وإذا كان التأثير الثقافي بالتغريب قد ظهرت بعض ملامحه على رفاة مع أنه من المسلمين فإنه قد وضع وارتفعت له راية عند جورجى زيدان، ويطرس البستاني، وسليم تقلا، وفرنسيس فتح الله، وغيرهم . ثم خلف من بعد هؤلاء خلف خلصوا لهذا الفن، وانقطعوا له، وكشفوا عن وجوههم بغير حياء ولا خجل، نأخذ مثلاً من هؤلاء (قاسم أمين) الذي تجلّى عليه أثر الثقافة الغربية كأوضح ما يكون حين دعا الى نبذ كل العادات السابقة والانتماء صراحة الى الثقافة الاوربية . وتجلّى ذلك بوضوح في كتابه "تحرير المرأة" سنة ١٨٩٩، وكتابة الثاني "المرأة الجديدة" سنة ١٩٠٠، وأما الكتاب الأول، فقد دعا فيه الى سفور المرأة، معللاً ذلك بأنها تعاليم بالية، وأن السفور ليس فيه خروج عن الدين، ثم قرر أن الشريعة الاسلامية انما هي كليات عامة لم تعرض على أن تكون شرعا عاما، يمكن أن يجدد في كل زمان وكل أمة وما يوافق مصالحها أما الأحكام المبنية على ما يجرى من العادات والمعاملات فهي قابلة للتغيير على حسب الأحوال والأزمان، وكل ما تطلبه الشريعة من الناس هي أن لا يخل هذا التغيير بأصل من أصولها العامة." (١)

ثم تبنى الفكر الغربي في كتابه هذا في السفور، وفي اشتغال المرأة وخروجها الى الأعمال العامة، وتعدد الزوجات، والطلاق (٢)، تبنى مذهب الغربيين في كل هذه القضايا زاعماً بغير حياء أن هذا هو مذهب الاسلام، وهو فهم الاسلام . وفي كتابه الثاني "المرأة الجديدة" رفض كل المسلمات والأعراف السابقة، سواء جاءت من طريق الدين أم من غير طريقه، وأوحى الى الناس أنه لا يقبل الا ما يأتي عن طريق التجربة ويوافق العصر وبغير حياء ولا عقل سمي أسلوبه هذا "الاسلوب العلمى" ثم دعا في كتابه صراحة الى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية، ثم يهاجم المعجبين والمتمسكين بالاسلام وتعاليمه، فيقول : "هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر الى علاجه، وليس له دواء الا أننا نرى أولادنا على أن يتعرفوا شؤون المدنية الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها، اذا أتى ذلك الحين - ونرجوا أن لا يكون بعيدا - فقد انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع

(١) : انظر قاسم أمين ، "تحرير المرأة" ، يتصرف ، ص ٧٠ .

(٢) : صابر طعيمة ، "أخطار الغزو الفكرى على العالم الاسلامى" ، عالم الكتب ، عام ١٩٨٣ ، ص ٤٣ .

الشمس، وعرفنا قيمة التمدن الغربي، وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم اصلاح ما في أحوالنا الى أن يقول : هذا هو الذي جعلنا نضرب الأمثال بالأوروبيين ونشيد بتقاليدهم وحملنا على أن نستلقت الأنظار الى المرأة الاوربية " (١) .

وكان لقول هذا المستغرب أثر في نساء مصر، فقامت بعض النساء في مصر، وتزعمت هذه الحركة النسوية، هدى شعراوي، حرم علي باشا شعراوي ومجبرات هذه المتزعمة على ما لم تتجرأ عليه امرأة في مصر من قبل، فسافرت الى باريس والى امريكا لتدرس شؤون المرأة وأخذت تلقي بالتصريحات والأحاديث لمدوبي الصحف " (٢) .

(١) : قاسم أمين ، "المرأة الجديدة " ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) : محمد محمد حسين ، "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" ، ج٢/٢٣٥ .

الفصل الثاني

كيفية مواجهة الدعوة الإسلامية لأسياب الخصوم في العصر الحاضر

المطلب الأول - نظرة على الواقع الإسلامي :

لا يخفى على العلماء والباحثين، أن العالم الإسلامي قد تعرض عقب موجات الغزو الغربي الذي انقض على معظم ديار المسلمين في موجات متتابة من التتر والمغول والصليبيين إلى عمليات تراجع اجتماعي وأخلاقي، فضلا عن اضطراب عقدي دار حول فهم وفقه كثير مما يتصل بأمر الإسلام ديننا وشرعنا، وبأمر المسلمين نظاما وسلوكا، بحيث يستطيع الباحث أن يرى بوضوح حجم هذا التراجع العقدي الذي حل بممارسات المسلمين ممثلا في انتشار أمراض وعقائد وتوجهات تتنافى وعقيدة التوحيد، إذ أصبح من الشائع في معظم ديار المسلمين بعض السلوكيات الوثنية، كتلك التي تقع من بعض المسلمين، حين يشبهون الرسل بالأصنام .

وحيث يتم وقوف بعض المسلمين أمام تلك الأصنام بالخشوع والإجلال والبكاء والنحيب، وطلب البركة، وطرح المشكلات بين أيديهم، ليس ذلك فحسب، بل يتمسحون بهم، ويتباركون بها، ونسوا أنه لا حجاب بين الله - سبحانه وتعالى - وبين عبده، وما هي إلا الخرافة التي أعمت أبصار عدد من المسلمين^(١) . وفي مجال التراجع عن الالتزام بجوهر العقيدة الإسلامية ظهر بين المسلمين بدعة القول بالحلول، أي : القول بحلول الله - سبحانه وتعالى - في أحد المخلوقات، وهذا أثر من آثار الوثنية التي نشرتها في العالم الإسلامي مجموعة من خصوم الدعوة الإسلامية من القدماء والمعاصرين وقد نقل هذا التوقير الوثني قديما إلى الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه - وذريته

..(١) : دكتور عرفان عبد الحميد «دراسات في الفرق والمقائد» صفحة ٧٦.

من بعده من قبل بعض أصحاب التحريفات الباطنية^(١) . كما كان من الأساليب القديمة التي تسرب تأثيرها إلى العالم الإسلامي وحتى اليوم قول بعض الفرق المارقة، إن للخلق ربين وذلك بزعمهم أن الأول منهما: قديم، وهو الله -تعالى عما يقولون - والآخر : مخلوق، وهو عيسى عليه السلام^(٢) وقد وصلت الوثنية الباطنية في العالم الاسلامي عندما قالت بعض الفرق : بأنه لا يجوز أن نقول : إن الله هو خالق الكافر، وإنما هناك إلهان : إله خالق للمؤمن، وإله خالق للكافر، وهذا من تأثير عقيدة المجوس الذين قالوا بأن للكون إلهين : إله للشر، وإله للخير^(٣) .

وقد ظهرت بدعة تقول وتنكر ختم النبوة، فهي تزعم أن النبوة مستمرة لأن النبوة فيض دائم لا ينقطع^(٤) . كما هو الحال عند الاسماعيلية والبابية والبهائية، والقاديانية . وهذه الأطروحات والأساليب مخالفة لعقيدة الاسلام التي تقوم على ختم النبوة بالنبى محمد ﷺ^(٥) . كما ظهرت بدعة القول : بالتناسخ، والقائلون بها هم : الرافضة، والباطنية، والخوارج وغيرهم، وهذا القول مأخوذ من معتقدي المجوس الذين ينكرون اليوم الآخر^(٦) . وهذه المعتقدات والأساليب التي طرحها خصوم الدعوة الاسلامية في القديم طفحت على سطح الحوادث في العالم الاسلامي في شكل أساليب وممارسات عصرية يحاولون بها تأكيد هزيمة المسلمين وتراجعهم . ونظرة على ماتمارسه القوى المعادية للإسلام ضد المسلمين، أقلبيات كانوا أم أكثرية تكشف عن الضرورة التي تفرض وجودها على المسلمين وذلك بالعودة إلى عقيدة الإسلام .

(١) : د . عرفان عبد الحميد ، "دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية" ، ص ٧٨ ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م . د . صابر طعيمة ، "العقائد الباطنية وحكم الاسلام فيها" المكتبة الثقافية ، بيروت ، ط . ٢ ، عام ١٩٩٠م ، ص ١١٣ .

(٢) : البغدادي ، "الفرق بين الفرق" ، ص ٢٦١ .

(٣) : المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) : الشهرستاني ، "الملل والنحل" ، ص ٧٢ .

(٥) : محمد بن أحمد البيروني ، "الأنار الباقية عن القرون الخالية" ، ص ٢٢ ، تحقيق : إدوارد سغار ، ط . سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م .

(٦) : المصدر السابق نفس الموضع .

وتجدر الإشارة الى أنه مع تراجع المسلمين وجدت في العالم المعاصر أقليات مسلمة في دول تغلب عليها العقائد الوثنية، وبخاصة في أفريقيا، وفي شرق آسيا، وجنوب شرقها . تلك الأقليات تعاني من اضطهاد الأغلبية الوثنية^(١) .

وأصبح المسلم في هذه الأقليات الذي يريد المحافظة على دينه، مخيراً بين البقاء في الجهل، أو المسيرة لتلك النظريات المفسدة . واللافت للنظر أن الوثنية والخرافة لهما تاريخ طويل لدى الكفار وقد أثرت في الأديان والمذاهب التي حرقت، وأنها لا زالت باقية حتى زماننا هذا ولها أتباع لا يستهان بعددهم. وقد كان للوثنية دور كبير في ظهور بعض الفرق الإسلامية قديماً وحديثاً وبخاصة الغلاة، وكذلك في ظهور بعض المذاهب المعاصرة وتعصيدها . كما أن الوثنية والقبورية والخرافة من الممارسات والأساليب التي يمارسها خصوم الدعوة الإسلامية في الخارج والداخل لا تزال شوكة دامية في قلب العالم الإسلامي، سواء من هو باق على وثنيته، أم من هو مستتر بأسماء أخرى كما أن للوثنية دوراً كبيراً في ظهور عدد كبير من البدع العقديّة وبدع العبادات، وهذه البدع قد حرقت معالم الإسلام المشرقة .

وما يزعج ويدعو للحذر أن كثرة الوثنيين في العالم المعاصر جعلت الأقليات المسلمة في حالة ضعف ووهن، وقام الكفرة بمؤازرة بعضهم لبعض، في سبيل إخراج المسلمين من دينهم ونشر الوثنية في ديارهم . كما أن هناك محاولات لنشر الوثنية في ديار المسلمين وذلك بسبب تأصل الوثنية لدى الكفار ومحاولة نشرها في ديار الإسلام، عن طريق ضعاف النفوس من المسلمين والطامعين في الدنيا وكذلك مدعى الإسلام، لعدم إيمانهم بالإسلام . ولحقدهم وغبظهم على هذا الدين وأهله، وعصبيتهم لدينهم وقومهم التي أعمت قلوبهم، وجعلتهم يقولون ويعتقدون أي فكرة تخالف الإسلام، وقد أتوا بها من معتقداتهم وعباداتهم، ونشروها في ديار الإسلام، فكانت معوقاً من معوقات انتشار الإسلام^(٢) .

(١) : د . محيي الدين القضاة ، "قضايا هامة في حاضر العالم الإسلامي" ، ص ٨٠ - ١٥١ ، أجناس جولد ، تسيهر العقيدة والشريعة ، ص ٢٤٩ ، ترجمة محمد يوسف موسى ، ط . دار الكتاب المصري ، بالقاهرة ، سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .

(٢) : انظر: د. محمد محمد حسين وحصوننا مهددة من داخلها ، دار الكتاب اللبناني ، طبعة رابعة عام ١٩٨٧ ، صفحة ١٠٤-١٠٦ .

المطلب الثاني :

رد الفعل الإسلامي :

دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

كان ظهور الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١) عام ١١١٥ هـ الموافق ١٧٠٣م إلى ١٧٩٢م في قلب الجزيرة العربية وجهه بالدعوة إلى التوحيد علامة على فجر اليقظة الإسلامية في المنطقة العربية ثم في العالم الإسلامي وكانت دعوة الشيخ إيذانا بنهاية مد الجبرية الذي فرض على العالم الإسلامي مرحلة الضعف وختاما لمد التقليد الذي فرض مرحلة الجمود التي أصابت المسلمين وخفت فيها صوت التوحيد في قلوب المسلمين بعد عصر ابن تيمية وبالرغم من أنه حدث قبل دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب بقليل ظهور الشيخ عثمان النجدي وظهور الشيخ إسماعيل الصنعاني مؤلف كتاب "تطهير الاعتقاد"، لكن صوت الدعوة لم يصل إلى مكان التأثير والتغيير بعد أن كان قد اجتاح العالم الإسلامي طابع الإنحراف عن الإسلام الأصيل وكان مفهوم القوى الفكرية في عصر الدولة العثمانية مرتبطا إلى حد كبير بسيطرة مفاهيم الدين والدنيا العقل والقلب الروح والمادة الجبر والاختيار الجمود والحركة التقليد والحرية وشاع أن لاتكامل في العقل الإسلامي بين هذه المفاهيم، ومن هنا كان أسلوب الدعوة للتوحيد الذي مارسه الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب (في شكل حرب على الاستبداد والجمود والتقاليد في مختلف الميادين التي أفسدتها السياسة) والعقائد الدخيلة على الإسلام وكان أهم ماوجهت إليه الدعوة في ظل عقيدة التوحيد طرحا صحيح المنطلق والغاية مرتكزا على

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التيمي، النجدي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب ولد في العيينة (بنجد) سنة ١١١٥ هـ ورحل مرتين إلى الحجاز فمكث في المدينة وقرأ على بعض أعلامها، ودخل البصرة فأوذي فيها، وعاد إلى نجد فسكن «حريملاء» ثم انتقل إلى العيينة ناهجا منهج السلف الصالح، داعيا إلى التوحيد الخالص، ونهذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، ثم قصد الدرعية (بنجد) سنة ١١٥٧ هـ فلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام وقبل دعوته وأزوه كما أزوه من بعده ابنه عبد العزيز ثم سعود بن عبد العزيز، وتوفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدرعية سنة ١٢٠٦ هـ .
انظر مجلة الزهراء، ج (٣) ص ٤١٧ .
ابن غنام ج (٢) ص ١٢٤ .

الكتاب والسنة متمثلاً في أنه لا بد من ^(١) تنقية مفهوم عقيدة الإسلام بماعلق بها من مفاهيم الجبرية والاتحاد والحلول ووحدرة الوجود كما حررت الفكر الإسلامي من مفاهيم التقليد والتبعية في مجال الفقه والشرعة وكانت أهم خصائص وركائز الدعوة أن حملت إعلاتا صريحا واضحا جوهره معارضة الإسلام لكل هذه المفاهيم المنحرفة والتأكيد على أنها ليست تعبيراً صحيحاً عن الإسلام . هذا ويمكن التعرف على معالم مواجهة الدعوة الإسلامية لأسلوب وتحريفات خصومها في القديم والحديث في العناصر التي طرحتها دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

أولاً: رفض الجبرية وتأكيد مسؤولية الإنسان عن أعماله وتصرفاته فقد هاجم رحمه الله الرأي القائل بأن هناك أناساً تميزوا عن غيرهم قد وصلوا إلى درجة معينة صنعوها هم لأنفسهم ترفع عنهم التكليف وتسقط عنهم أداء العبادة أو حق الشرعة .

ثانياً: إعلان وحدانية الألوهية بمعنى أن المؤمن حقاً لا يكون موحداً إلا إذا قصر عبادته على الله وحده .

ثالثاً: إعلان أن التوسل والاستغاثة والاستعانة والشفاعة لا تكون لغير الله تعالى .
رابعاً: رفض الجدل وإثارة قضايا الذات والصفات والجبر والاختيار وخاصة بعد أن حسم للمسلمين هذه القضايا "في كتابه" التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" .

خامساً : فتح باب الاجتهاد والتماس الحلول لمختلف قضايا المجتمع من المصادر الأصلية رأساً وهي القرآن والسنة وإجماع المسلمين على حكم معين إلى آخر القرن الثالث الهجري، ودعا إلى عدم التقييد بمذهب من المذاهب الأربعة

(١) : انظر: الدكتور عبد الله الصالح العثيمين والشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره، مطبعة المتوسط، بدون تاريخ نشر، دار العلوم، الرياض، ص ١٩، ٢٠، ٢١.

وأعلن أن من حق كل قاضٍ أن يأخذ من أي مذهب بما يرى أنه أقرب إلى القرآن والسنة^(١).

الكشف عن ضرورة استئناف المسلمين لدورهم في حمل لواء الدعوة إلى الإسلام وقيادة حركة تصحيح المفاهيم وبذلك فقد واجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - الانحراف الذي سري في قلوب المسلمين وعقولهم طوال القرون الثلاثة الأخيرة التي سبقت، هذا الانحراف الذي يتمثل في القبوريين والشركيين والاهتمام بثقافة القلب والإيغال فيها على نحو حمل طابع الجمود والتخلف والاستسلام وهذه الانحرافات هي التي أدت إلى أن يكون الطابع العام للمسلمين متسماً بالظلم والذل وتقبل أساليب خصوم الدعوة في عملهم على إبعاد المسلمين عن شرع الله والاعتكاف في الخوانق والتكايا على نحو قريب من الرهبانية ثم الاتصال بقبور الأولياء على نحو قريب من الوثنية^(٢).

وقد حرص الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في دعوته على تجديد أمر هذا الدين بمنهج يلح على توثيق عرى المؤمنين بمصدره الخالدين : كتاب الله وسنة رسوله .. بحيث لا توهن هذه العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، مما قد يتصوره البعض من لفظ (تجديد) وبخاصة أتباع الديانات الأخرى والذين ألفوا الإصلاح والتجديد على نهج مالدي هؤلاء الأتباع، ذلك أن في العبودية الخالصة لله وحده، والرجوع إلى الكتاب والسنة وحدهما لمعرفة ما أمر به الله وما نهى عنه، تحرير للعقل والنفس، للفرد والجماعة :

﴿ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ إِنَّنَا قُلٌّ

(١) : انظر: «مؤلفات الشيخ»، القسم الثالث، الفتاوى، رقم ١٤، ص ٦٨-٦٩.

(٢) : انظر البحوث المقدمة لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنعقد في الفترة من ١٤٠٠/٤/٢١هـ إلى نهاية ١٤٠٠/٤/٢٧هـ مجلد: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية، بحث الشيخ إسماعيل الأنصاري

وبحث الشيخ يوسف جاسم الحجي.

إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ [الأنعام: ٧١] ^(١) .

فالعقيدة السلفية الصحيحة التي دعا إلى إحيائها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كما تنفى الاستسلام والانتقياد والخضوع بغير حق، تنفى السلبية والتواكل وهجر الدنيا واعتزال الخلق .. فالتوكل المشروع غير التواكل المذموم، وإنما يعبد المؤمن ربه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومخالطة الناس وتحمل أذاهم، ويتقى الله في التعامل مع خلقه، وابتغي الآخرة في السعي والعمل بهذه الدنيا "ومن عبادته سبحانه وطاعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الإمكان والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق، فيجتهدون في إقامة دينه مستعينين به رافعين مزيلين ماقدراً من السيئات دافعين بذلك ماقد يخاف من آثار ذلك .

المطلب الثالث :

التأثير المتجدد للدعوة السلفية على يد الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى :

لقد كانت دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى العقيدة السلفية، تؤكد كل مافهمه السلف الصالح من عقيدة التوحيد كما جاءت في الكتاب والسنة، وتشهد بأن الشيخ كان متبعاً وليس مبتدعاً في موضوع الدعوة ومضمونها. وقد توفي الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م ^(٢)، وقد توفي قبله الإمام محمد بن سعود رحمه الله تعالى سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م وخلفه ابنه الإمام عبد العزيز بن محمد الذي استشهد سنة

(١) : سورة الأنعام، الآية ٧١ .

(٢) : انظر الشيخ حسين بن غنام : «روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام ج٢/١٥٤ الطبعة الأولى عام ١٣٦٨هـ، مطبعة الحلبي بمصر، وابن بشر المتوفى ١٢٨٨ في كتابه: عنوان المجد في تاريخ نجد طبع المطبعة السلفية بمكة المكرمة عام ١٣٤٩هـ، ج١/٩٥ .
وأيضاً: لوثرروب ستودارد الأمريكي ، «حاضر العالم الإسلامي» ، ترجمة عجاج قريهص، دار الفكر بيروت، ج٤/١٦٢ .

١٢١٨هـ/١٨٠٣م بعد أن شهد انتشار الدعوة السلفية الإصلاحية وامتداد الدولة السعودية في شبه الجزيرة العربية التي قامت على قواعد الإسلام الصحيح كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله الذي بعثه الله رحمة للعالمين . لكن تعرضت الدولة الوليدة لتأليب العثمانيين ومكائدهم خلال عهدي سعود (الكبير) بن عبد العزيز الـسـدي توفي سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٣م، وعبد الله بن سعود من بعده وقد توفي سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م، وتلقى والى مصر محمد علي (١٢٢٠-١٢٢٦هـ/١٨٠٥-١٨٤٩م) تكليفا من السلطان العثماني بمهاجمة الدولة السعودية، وقد استطاعت الدولة الناشئة أن تواجه حملتي محمد علي الأوليين بقيادة طوسون ومحمد علي نفسه سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م، ١٢٢٨هـ/١٨١٣م حتى فاوض طوسون بن محمد علي الصلح، وعقدت هدنة استفاد منها محمد علي وجيشه، فواصل الهجوم في حملته الثالثة بقيادة إبراهيم بن محمد علي سنة ١٢٣١هـ/١٨١٥م، وثبت المجاهدون أمام المهاجمين في ١٢٣٣هـ/١٨١٧م على الرغم من تفوق الأخيرين عددا وعدة، إلى أن غدا استمرار المقاومة في تلك الظروف فوق طاقة البشر^(١) .

ولئن كانت (الدولة) قد عرض لها ماعرض، فقد بقيت (الدعوة) شعلة مضيئة ينتشر نورها الهادي داخل شبه الجزيرة على الرغم من اشتداد حلقة الظلام، بل تجاوز شبه الجزيرة إلى خارجها من أرض الإسلام على مر الزمان حتى أيامنا الراهنة، يقول لوثرروب ستودارد : "إن خاتمة هذا الدور السياسي كانت فاتحة الدورالديني، فقد ظلت نجد بؤرة تشتعل فيها نار الغيرة الدينية ومنبثق نور تنبعث منه الأشعة الوهاجة إلى كل ناحية من نواحي الأرض"^(٢)، ومافتئ (الروهابيون) كذا عنده منذ قضى على قوتهم السياسية يبثون روح الحركة ويعملون بالسنة التي جاء بها نبيهم، كما قال الزهري : (كان من مضى من سلفنا يقول : الاعتصام بالسنة نجاة)، وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه

١- (١) : لوثرروب ستودارد. حاضر العالم الإسلامي، مرجع سابق ج٤/١٦٦.

وانظر : سنت جون فيلبي "تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية" ترجمة عمر الديسراوى ،

مكتبة مدهولى القاهرة ، عام ١٩٩٤ ، ص ١٨٧ .

٢- (٢) : حاضر العالم الإسلامي، مرجع سابق، ج٤/١٦٣ .

الله : مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في السنة، فإنها - وإن قالها وعمل بها من عمل - ليست مشروعة، فإن الله لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا العمل الصالح^(١).

هذه عقيدة السلف في حقيقتها الصافية وآثارها النافعة في صلاح النفس وإصلاح الخلق تطلق طاقات العقل والنفس والبدن وفقا لأمر الله وابتغاء لمرضاته ورجاء مشورته، ولا تقطع الإنسان من الدنيا ولا تعزله عن الناس، وإنما تقيم التوازن الرشيد بإقامة القسط بين الغاية والوسيلة كما يقول تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَو لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)﴾^(٢). يقول ابن خلدون : "واعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع مطية للآخرة ومن فقد المطية فقد الوصول، وليس مراده فيما ينهي عنه أو يذمه من أفعال البشر ويندب إلى تركه وإهماله بالكلية أو اقتلعه من أصله وتعطيل القوى التي ينشأ عنها بالكلية، إنما قصده تصريفها في أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتتحد الوجهة كما قال رسول الله ﷺ (من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه)^(٣). فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الإنسان فإنه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد وإعلاء كلمة الله، وإنما يذم الغضب للشيطان وللأغراض الذميمة، فإذا كان الغضب لذلك كان مذموما وإذا كان الغضب في الله ولله كان ممدوحا - وهو من شمائله ﷺ وكذا ذم الشهوات أيضا ليس المراد إبطالها

(١) : ابن تيمية ، " العبودية " ، ص ٦١ - ٧٥ .

(٢) : سورة القصص، الآية ٧٦ - ٧٨ .

(٣) : انظر صحيح البخاري المطبوع بهامش فتح الباري، ج١٠٩/٧ .

بالكلية وإنما المراد تصرفها فيما أبيح له باشماله على المصالح ليكون الإنسان عبدا متصرفا طوع الأوامر الإلهية " (١)

١- تأثير الدعوة في المسلم المعاصر :

كلما ازاد المسلمون تعلماً وثقافة، كلما ازداد تفهماً لعقيدة السلف واقبالاً عليها وهكذا فإن الإسلام الصحيح وعقيدته وأحكامه الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة تحيا وتزدهر حيث يسود النور والمعرفة والإسلام الصحيح المستمد من ينبوعه الصافي الفياض دائما، فان كتاب الله " لاتنفد عجائبه . ولا يخلق من كثرة الرد " كما وصفه رسول الله الذي بعثه الله بهذا الدين وأنزل عليه الكتاب صلوات الله عليه والذين زعموا أن الدين إنما عاش ويعيش في ظلمات العصور الوسطى فحسب أو يعيش في ظلمات كظلماتها، وأنه في العصور الحديثة مخدر أو معوق للفرد والمجتمع، لم يعرفوا الإسلام الصحيح النقي، ولم يعرفوا حضارته الزاهرة المتألقة في العصور الوسطى التي اقترنت بالظلمات عند غير المسلمين ومن ثم لم يتبينوا قدرة الاسلام المتجددة على الهداية والتقويم وإطلاق الطاقات وبعث النهضات في كل زمان ومكان .

إن المسلم في عصرنا يجب أن يكون "سلفيا" في عقيدته وعباداته، لأن السلفية هي القربة الى عقله المعاصر، كما كانت قربة لكل عقل مسلم في أي زمان وقد أثرت السلفية في مجتمعات المسلمين الحديثة والمعاصرة بما تناقله الحجيج عما ساد أرض الحرمين - المملكة العربية السعودية من أمن تحت الحكم السعودي وبلغت الدعوة السلفية أنحاء بعيدة من العالم الإسلامي .

وكان لهذه الجهود أثرها بين مسلمي العرب في نشر الاتجاه الذي يدعو إلى العودة إلى الكتاب والسنة في تفهم العقيدة والتعرف على أحكام الشريعة . كما أعان انتشار التعليم والثقافة على النفور من الخرافة والحرص على تصفية ماعلق بالعقيدة والعبادة من أكدار وأوهام .

(١) : ابن خلدون ، " المقدمة ، وهي الجزء الأول من تاريخه " ، ط ٣ بيروت ١٩٦٧م ، ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

وهكذا لم تعد " السلفية " ترادف الكفر كما شنع المبطلون وأرجف أصحاب الأهواء والمطامع، بل عرف مسلمو العصر أنها تعني العقيدة الصحيحة الخالصة الصافية وتعني العبادة الشرعية البريئة من البدع والمحدثات ..

ب - تأثير الدعوة السلفية على الفكر الإسلامي المعاصر :

قد برز تأثير الدعوة السلفية على علماء الدين المتخصصين وعلى المفكرين المسلمين في المجتمعات الإسلامية المعاصرة على الرغم من عدم التقائهم بالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لكن بلغتهم دعوته، تلمح ذلك جلياً في القاضي محمد بن علي الشوكاني^(١) باليمن المتوفى سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م وهو صاحب الكتاب المعروف بقيمته ونفعه " نيل الأوطار " الذي شرح فيه "منتقى الأخبار" وهو كتاب جامع لكثير من أحاديث الأحكام التي انتقاها مجد الدين عبد السلام بن تيمية^(٢) (المتوفى سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م) جد الأمام المشهور تقي الدين أحمد بن تيمية وللشوكاني في أصول الفقه مؤلف قيم هو "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول" وله كتاب صغير الحجم جليل الفائدة هو "القول المفيد في حكم التقليد" وظهر تأثير الدعوة السلفية بمصر في فكر محمد رشيد رضا^(٣) (ت ١٣٥٤/١٩٣٥م) وهو من طرابلس الشام في الأصل واتخذ مصر مقاماً، ويقول الشيخ رشيد رضا عن محمد عبده نفسه إن أول ما عني به

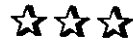
(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن. من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان باليمن) ونشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكماً بها، له ١١٤ مؤلفاً منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، انظر الزركلي ج٦/٢٩٨.

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحضرمي الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية. الامام شيخ الاسلام، ولد في حران سنة ٦٦١هـ ونحوه به أبوه إلى دمشق فتنبغ واشتهر. مات معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨، فخرجت دمشق كلها في جنازته، آية في التفسير والأصول فصيح اللسان أفتى ودرس وهو دون العشرين تصانيفه ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة- رحمه الله- انظر الزركلي، الاعلام ١/١٤٤.

(٣) هو محمد سيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة القلموني، البغدادي الأصلي الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الاسلامي من الكتاب العلماء بالحديث والادب، ولد ونشأ في القلموني (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها، ثم رحل الى مصر ١٣١٥هـ ولازم الشيخ محمد عبده، وأصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة وعاش (١٢٨٢-١٣٥٤هـ) انظر الزركلي في الاعلام ج٦/ص١٢٦.

ودعا إليه هو "تحرير الفكر من التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعه الأولى" (١) .
وكتب علامة الشام محمد كرد علي المتوفى ١٣٧٢هـ بحثا عن أصل الوهابية في مجلة المقتطف المصرية ١٣١٨هـ يبين حقيقتها ويكشف أصالتها ويفضح المفتربات المصطنعة ضدها .

كذلك تجلت النزعة السلفية في العالم المغربي محمد بن الحسن الحجوي (١٣٧٦هـ) صاحب الكتاب المعروف (الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي) .
وكان للدعوة السلفية أثرها بين علماء الهند ومفكره، تلمح روحها في فكر : ولي الله شاه ابن عبد الرحمن الدهلوي (المتوفى ١١٧٧هـ/١٧٦٣) وإن كان له نزعاته وآراؤه الخاصة التي لا تتوافق مع المنهج السلفي، وهو صاحب كتاب "حجة الله البالغة" وكتابه "الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف" و "وعقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد" .



(١) : رشيد رضا، "تاريخ الامام" ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) هو محمد بن الحسن بن العمري بن محمد الحجوي الثعلبي الجعفري الفلالي، من رجال العلم والحكم. من المالكية السلفية في المغرب من أهل فاس سكن مكناسة وجدده والرباط، ودرس ودرّس في القروين واستندت اليه سفارة المغرب في الجزائر (١٣٢١- ١٣٢٣) وولي وزارة العدل، فوزارة المعارف، توفي بالرباط ودفن بفاس عاش من (١٢٩١-١٣٧٦هـ) انظر الزركلي في الاعلام ج٦/ص٩٦.

الخاتمة

أود أن أشير إلى أن القضايا التي عاجلها البحث تمثل حلقة في مسلسل الجهد العلمي الذي بذله من قبلي جيل من العلماء الدارسين والباحثين، قبيضهم الله تعالى لدراسة العوائق والعراقيل والتحديات والخصومات التي اعترضت على مدى التاريخ حركة المد الإسلامي، وإعاقة مسيرة انطلاقه وانتشاره، وبحثي هذا "أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني، ومظاهرها في العصر الحاضر" حاولت به الإسهام بقدر الإمكان في إلقاء الضوء أمام الأجيال المؤمنة، كي تعرف أن حبل الخصومة المعادية للإسلام متصل الحلقات متشابك الأطراف، فأعداء الأمس من المشركين واليهود والنصارى والمنافقين، والذين كلفوا المؤمنين بالإسلام الكثير من الجهد بل وبذلوا الكثير من الدماء، هم اليوم كما عرض البحث وبرهن رصيد لخصوم الدين، وإن اختلفت الوسائل وتغيرت الأساليب، لكن الخصومة مستمرة، والعداء للإسلام قائم، لكنه وبالرغم من ذلك لا بد من الحكمة والمهارة في إدارة هذه الخصومة، خاصة إذا كانت عبر المنبر، والمؤتمر، والندوة، والكتاب، وغير ذلك من الوسائل، حتى لا تتطور الخصومة بين المسلمين وأعدائهم في وقت لا تسعف الإمكانيات ولا تتاح الوسائل للمسلمين، كما أود أن أنبه إلى أنه لا بد لقادة الدعوة، وأهل الرأي في بلاد المسلمين، أن يتأملوا جيدا وبشكل دقيق الأبعاد الأخلاقية والإنسانية في منهج معاملة الرسول ﷺ للقوى الأربعة التي اقتصت الدعوة في المدينة، وهو ﷺ بين ظهرائي المسلمين، والوحي ينزل، وعون الله لنبيه ﷺ يتتابع، ومع ذلك فإنه ﷺ لم يكن يتعجل الانتقال من رد الفعل المناسب للفعل الذي قاموا به ضد الدعوة وصاحبها عليه الصلاة والسلام، فمع عمليات التحريف، والتحريض والإدارة، والتخويف، والإرجاف والمكابرة والخداع والكذب، ونقض العهود، وتآليب القوى المعادية، وعون بعضها لبعض، ما كان ﷺ يتجاوز المعقول والمقبول، حتى في

الحرب ، ما كان كما رأينا يسعى للتصفية الجسدية وتدمير المقومات وقتل الذرية وإبذاء النساء. إنما كان ﷺ كما عرض البحث حكيمًا ورفيقًا ودقيقًا في كل ردود أفعاله، بما لا يقطع الأمل في الإصلاح أو ما يحول دون تقبل الدعوة على المدى البعيد، ولذا فإن منهجه ﷺ في مواجهة أساليب خصومه يتعين أن يكون النموذج والقدوة في عمل الدعوة إلى الله، وإذا كان لابد من الإشارة إلى ما انتهى إليه البحث فإني أقرر وبكل تواضع أن البحث وقف على أهم أوجه التماثل والتشابه بين طبيعة قوى العداة الرئيسية للإسلام بالامس البعيد وخاصة في العهد المدني وبين مواكب الخصومة التي لم تتوقف عبر كل عصر، ومن خلال كل وسيلة، ولذا فإن التعامل مع خصوم الدعوة في العصر الحاضر يحتاج من الدعوة إلى مقومات العهد المدني في مواجهة الدعوة لأساليب خصومها ومنهج العصر الذي لا يهمل الوسائل، ولا يشذ أو يخرج على الثوابت والمرتكزات، وما الدليل الذي انتهى إليه البحث كنموذج ومثال من دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله وتأثيره المتجدد في الدعوات، والزعامات التي تهدف إلى أن تكون الدعوة، دينًا وعقيدة وعبادة قبل أن يكون أصحابها زعماء أو قادة، إلا خير دليل وأعظم مثال .

.. هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

توصيات

في ضوء ما عرضنا له من "أساليب خصوم الدعوة في العهد الحاضر، ومظاهرها في العصر الحاضر" من أن أساليب القوى الرئيسية التي اقتصت الدعوة الإسلامية في العهد المدني واحتفظت في عقلها التاريخي بميراث وتراث خصومتها للدعوة الإسلامية بحيث ورثت الأبناء والأحفاد هذه الأحقاد حتى ظهرت الخصومات المعادية للإسلام في عصرنا الحاضر، عبر محاور قولية وفعلية، وبأدوات مكشوفة أحيانا ووسائل وممارسات مستورة في أعظم الأحياء، كانت تعتمد على قدرتها في الحوار، والمراء، والكذب، والخداع، والمكابرة، والوضع والدس، والتحريف، وكتمان الكفر، وإظهار الإيمان، وأحيانا، على التحالفات والقيام بالعدوان، قد اعتمدت في كل ذلك على إحاكة المؤامرات وطرح السفاهات من الأفكار والمعتقدات، لكن ضخامة حجم الخصومة وتنوع وسائلها وأساليبها في العهد المدني تبده وتلاشي في ضوء حكمة النبي ﷺ وقيادته الدعوة في مواجهة خصومها، وكذلك فعل أصحابه رضوان الله عليهم من بعده، لكنه مع الإبتعاد عن المنهج الذي رسمه الكتاب والسنة في مواجهة خصوم الدعوة، وتنوع وتعدد أساليب الخصوم، يحتاج الأمر الى تدبير جملة مطالب، أرى أنه لا بد منها لكي تكون مرتكزا، لأية قوة أدبية أو فكرية، أو عقدية، أو غيرها يمكن أن تكون أداة لأية جسور يمكن أن تقوم بين الدعوة وخصومها، قبل أن تنشب الصراعات، ويشد الوغى ذات يوم بين الدعوة وخصومها، بسبب حدة الخصوم وتصاعد العدا من قبل الخصوم أحيانا وافتقاد المنهج الرشيد في احتواء الخصومة من جانب أهل الدعوة، أو من يقوم بمواجهة خصوم الدعوة أحيانا أخرى.

ومن هذه المطالب التي أوصي بها في ضوء ما تعرضنا له من التعريف بعقائد وتاريخ ومقولات القوى الرئيسية التي تختصم الإسلام وكذلك ما تناولناه من طبيعة الصراع أو الممارسات والأساليب العملية التي اقترفتتها قوى الخصوم ضد الدعوة منذ العهد المدني وحتى عصرنا الحاضر، أن يهتم المعنيون من أهل الدعوة، وأهل الرأي، وأصحاب العلم، والحلم، والحكمة بما يلي :

- ١- إنشاء مراكز عملية في بلاد المسلمين، وفي بلاد غير المسلمين إذا سمحت الأنظمة أو العلاقات بين بلاد المسلمين وهذه البلاد تكون مهمتها رصد ودراسة وتحليل، كل ما يصدر عن قوى الخصوم الخارجية أو الداخلية من نشاط وما تخطط له من أساليب لتسريبها أو تصديرها الى مجتمعات المسلمين، كنوع من الحرب أو الخصومة القولية، وهي التي تستهدف دائماً أبداً في القديم والحديث التشهير والتحريف والدس، صدا عن سبيل الله وتنفير الأجيال من التعرف على الإسلام.
- ٢- إنشاء معاهد عليا أو كليات جامعية يختار لها خيرة الدعاة من رجال الفكر والعلم والإدارة، وذلك لدراسة الإنتاج الأدبي والثقافي الذي يتصل بعلوم الإسلام، ويتناولها بالسلب والنقد والتحريف وذلك للرد عليها ومجابتها وكشف عدم علميتها واعتمادها على الكذب والوهم والخذاع.
- ٣- إنشاء أقسام علمية في جامعات بلاد المسلمين، وذلك لدراسة الاستشراق بكل ألوانه وكشف توجهاته أولاً بأول، وتجد الإشارة إلى أن جامعة الإمام محمد بن سعود بالملكة العربية السعودية قد أخذت بتوجيه من حكومة خادم الحرمين الشريفين زمام المبادرة في هذا الميدان وعينت به عناية خاصة، وأنشأت قسماً علمياً لهذا الغرض، وكذلك في ظل تميز مركزها الدولي أقامت بعض المعاهد والكليات والمراكز ذات الصبغة العلمية الإسلامية والأكاديمية، في بعض عواصم غير المسلمين، لكن الأمل والمطلوب التوسع في هذا المجال، لأنه سيعين على تزويد رجال الدعوة بالمعلومات التي تعينهم على مواجهة ومجابة خصوم الدعوة إذا ما احتاج الأمر.
- ٤- أرى ضرورة إنشاء أقسام أو شعب علمية للتعريف بالإسلام بلغات غير المسلمين وذلك لعرض مقومات العقيدة الإسلامية وبيان طبيعة التوحيد في الإسلام، وكيفية تربيته بالإنسان من خلال هذه العقيدة، مع إبراز جوانب النظام والأخلاق والتربية والأسرة، وبيان تميز هذه العقيدة وما يتعلق بها في مقابل وثنيات وتحريفات سائدة في العالم.

- ٥- أرى أنه لا بد من إعداد مستوى من الدعاة المسلمين تزود بوسائل العصر، من علوم في النفس والتربية، والحوار والمناظرة يتكلم بلغات غير المسلمين، قادر على الاحتكاك بميادين ومجالات الخصوم مستعد للحوار إذا ما دعت الضرورة لذلك.
- ٦- أرى أن تتعاون بلاد المسلمين فيما بينها على إقامة وإنشاء المرافق التعليمية، والصحية، والثقافية، والاجتماعية، التي يتسلل من خلالها الخصوم لتسريب خصومتهم بإفساد حياة المسلمين، بحيث يسهم القادر منها في دعم غير القادر حتى يغلق الباب أمام خصوم الإسلام الوافدين عبر هذه الوسائل الى الداخل. ولنا فيما تفعله حكومة المملكة العربية السعودية في هذا المجال، حيث إقامة المساجد، والمدارس والمستشفيات والمراكز الثقافية والاجتماعية في غير بلاد المسلمين خير مثال، والمطلوب في ظل ضراوة الخصومة المعاصرة من قبل خصوم الدعوة التوسع من جانب حكومات المسلمين في هذا المجال.
- ٧- العمل على اذكاء ، ونشر دعوة الشيخ الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وإحيائها لأنها تنفي الانقياد ، والاستسلام لغير الله ، إضافة إلى نبذها الاتكالية، والقضاء على البدع والخرافات ؛ لأنها تستقي من كتاب الله ، وسنة رسوله منهجاً ، حتى نستطيع مجابهة خصوم الدعوة الاسلامية في وقتنا الحالي .
- ٨- نشر التراث العلمي للامام المجدد وأحفاده وتلاميذه من أجل نشر الدعوة ، وصد هجوم أعدائها ، وتمكين الدعاة وطلاب العلم من الوقوف على حقيقة الدعوة ومعرفة نقائنها وصفائنها من شوائب الشرك والضلال، وحتى يدفروا بذلك جهل من يعادي دعوة الامام بدون علم. وأخيراً أرجو من الله تعالى أن يعين ولاية الأمر في بلاد المسلمين أن تحذو حذو حكومة المملكة العربية السعودية، في تشجيع طلب العلوم الإسلامية، واحترام وتقدير العلماء ، بما يعينهم على الدعوة إلى الله بصدق وتجرد، بحيث لا يبتغون فيما يقومون به زعامة، أو وجاهة غير وجه الله ، حتى تصدق النيات ويخلص العمل لله تعالى.

والحمد لله أولاً وآخراً

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة في الرسالة
١- اهدنا الصراط المستقيم	الفاتحة	٧، ٦	٢٩٧، ٤١
١- ومن الناس من يقول آمنا بالله...	البقرة	١٦، ٨	٣٨٢
٢- يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي...	البقرة	٤٢، ٤٠	٣٢٢
٣- وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم	البقرة	٥٤	٣٢٦
٤- وإذ قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة	البقرة	٥٥	٣٠٠
٥- وضربت عليهم الذلة والمسكنة....	البقرة	٦١	٣٢٤
٦- إن الذين آمنوا والذين هادوا والنجارى والصابئين	البقرة	٦٢	٤٠
٧- وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة....	البقرة	٨٢، ٨٠	١٧٧
٨- وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل	البقرة	٨٣	٣٢٠
٩- وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم...	البقرة	٨٤	٤٩
١٠- ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم...	البقرة	٨٥	٣٢٣ - ٤٩
١١- ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيناً من بعده...	البقرة	٨٧-٨٩	١٧٥-٤٧
١٢- ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم...	البقرة	٩٠-٨٩	٣٢٣-١٧٩
١٣- وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم...	البقرة	٩٣	٣٢٦
١٤- قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله...	البقرة	٩٤	٢١٦
١٥- ولقد أنزلنا إليك آيات بينات...	البقرة	٩٩	٣٠٢
١٦- ولما جاءهم رسول من عند الله....	البقرة	١٠١	٣٢٣
١٧- ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب....	البقرة	١٠٥	٣٥٧
١٨- أم تريدون أن تسألوا رسولكم....	البقرة	١٠٨	٣٨٦
١٩- ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم....	البقرة	١٠٩	٣٥٢-٣٥١

رقم الآية	السورة	الآية
رقم الصفحة في الرسالة		
٦٨-٤٠	البقرة	٢٠- وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً.....
٣٥٣-٢١٦		
٣٥٩		
٣٥٩	البقرة	٢١- بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن...
٣٥٩	البقرة	٢٢- وقالت اليهود ليست النصرى على شيء وقالت...
٣٢٧-١٨١	البقرة	٢٣- وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله...
٣٥٣	البقرة	٢٤- ولن ترضى عنك اليهود والنصرى حتى....
٢١٦-٤٠	البقرة	٢٥- وقالوا كونوا هوداً أو نصرى تهتدوا...
٤٠	البقرة	٢٦- أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل...
١٨٣-١٨٢	البقرة	٢٧- سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم...
٣٠٩		
١٨٤ ، ١٤٩	البقرة	٢٨- قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك...
٤٠٦	البقرة	٢٩- إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا...
٤٠٦	البقرة	٣٠- وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا...
٣٧	البقرة	٣١- ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس
٣٨٢	البقرة	٣٢- ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا...
٢٧٧	البقرة	٣٣- فلما فصل طالوت الجنود قال إن الله مبتليكم...
٢٢	البقرة	٣٤- ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن.....
٣٠٩	البقرة	٣٥- ما ننسخ من آية أو ننسها.....
٢٦٦	البقرة	٣٦- إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار

الآية	السورة رقم الآية	رقم الصفحة	في الرسالة
١- إن الدين عند الله الاسلام...	آل عمران ١٩	٣١٩	
٢- فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله..	آل عمران ٢٠	٣١٨-٢١	
٣- ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب...	آل عمران ٢٣	٧٤	
٤- ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياماً..	آل عمران ٢٤/٢٣	١٧٨	
٥- ذلك نتلوه عليك من الآيات...	آل عمران ٥٨-٥٩	١٧٥-٥٦-٤٤	
		٣٤٧	
		٣٥٣-٢١٤	
٦- فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم...	آل عمران ٦١	١٧٥	
٧- قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا...	آل عمران ٦٤	٣٤٥-٣١٦	
٨- يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم...	آل عمران ٦٥	٣٢٨-١٨٦	
٩- ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً...	آل عمران ٦٧	٤٠	
١٠- يا أهل الكتاب لما تلبسون الحق بالباطل...	آل عمران ٧١	٣٥١-٧٤	
١١- وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا...	آل عمران ٧٢	١٩٩	
١٢- ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار...	آل عمران ٧٥	٧٤	
١٣- ما كان لبشر أن يؤتبه الله الكتاب...	آل عمران ٧٩، ٨٠	٢١٤	
١٤- إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة.	آل عمران ٩٦، ٩٧	١٨٤	
١٥- قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله	آل عمران ٩٨	٧٤	
١٦- قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله	آل عمران ٩٩	٣٥١	
١٧- كنتم خير أمة أخرجت للناس..	آل عمران ١٠٩-١١٠	٣٢٧-٣٢٢	
		٣٥٧	
١٨- ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا...	آل عمران ١١٣-١١٥	٣٢٠	
١٩- يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة...	آل عمران ١١٨-١١٩	٣٩١	

السورة رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
في الرسالة		
آل عمران ١٢٦-١٢١	١١٥-٢٦٥	٢٠- وإذا غدوت من أهلك تبوء المؤمنون... ..
آل عمران ١١٨-١١٩	٣٩١	٢١- ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم... ..
آل عمران ١٤١	١	٢٢- ولیمحص الله الذين آمنوا ويحق الكافرين... ..
آل عمران ١٤٩، ١٥١	٢٥٥-٣٩٧	٢٣- يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا... ..
آل عمران ١٥١	٢٦٤	٢٤- سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب... ..
آل عمران ١٥٤	١٣٩-٢٥٥	٢٥- ثم أنزل عليكم عليكم من بعد الغم أمنة.. ..
٣٩٨-٣٨٤		
آل عمران ١٥٧-١٥٨	٢١٩-٣٩٦	٢٦- ولئن قتلتهم في سبيل الله أومتهم... ..
آل عمران ١٦٦، ١٦٨	٢٥٤-٣٩٦	٢٧- وما أصابكم يوم التقى الجمعان... ..
آل عمران ١٦٨	٢٣٩-٢٥٤	٢٨- الذين قالوا لأخوانهم وقعدوا... ..
آل عمران ١٨١	٣٢٤	٢٩- لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله... ..
آل عمران ١٨٣	١٨١	٣٠- الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا تؤمنوا... ..
آل عمران ١٨٦	٣٠٨	٣١- لتبلون في أموالكم وأنفسكم... ..
آل عمران ١٩٩	٣٦٣	٣٢- وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله... ..
النساء ١	٢٤	١- يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم... ..
النساء ٣٦	٤٠٥	٢- واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً... ..
النساء ٤٤، ٤٦	١٧٨	٣- ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب... ..
النساء ٤٧، ٤٨	٣١١-٣١٧	٤- يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا... ..
النساء ٥١، ٥٥	١٤٣ - ١٧٦	٥- ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب... ..
١٧٨-١٩٥		
النساء ٨٨، ٨٩	٨٣	٦- فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم... ..
النساء ١٤٠	٨٥	٧- وقد نزل عليكم الكتاب أن إذا سمعتم... ..
النساء ١٥٣	١٨١-٣٢٨	٨- يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم... ..

الآية	السورة رقم الآية	رقم الصفحة	في الرسالة
٩- ويكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً...	النساء ١٥٦ ، ١٥٨	٦١	
١٠- فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم...	النساء ١٦٠	٢٤	
١١- يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم...	النساء ١٧١ ، ١٧٢	٧٤-٢٥	
١٢- فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات...	النساء ١٧٣	١٤	
١- حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير...	المائدة ٣	٣٢	
٢- يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله...	المائدة ١١	١٣٥	
٣- ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل...	المائدة ١٢	٣١١-٤٦	
٤- ومن الذين قالوا إنا نصارى...	المائدة ١٤	٦٦	
٥- يهدي به الله من اتبع رضوانه...	المائدة ١٥	٣١٥	
٦- لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح...	المائدة ١٧	٣٥٤-٢١٨	
٧- وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله...	المائدة ١٨	٣٠٧-٢١٦	
٨- يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم...	المائدة ١٩	٣٠٧	
٩- وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا...	المائدة ٢٠ ، ٢٤	٣٢٥	
١٠- يا أيها الرسول لا يحزنك الذين...	المائدة ٤١ ، ٤٤	٩٩ ، ٧٧ ، ٢٤	
١١- وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله...	المائدة ٤٧	٧٠	
١٢- يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود...	المائدة ٥١	٦٦ ، ٤٨ ، ٢٤	
١٣- فترى الذين في قلوبهم مرض...	المائدة ٥٢ ، ٥٤	٤٠٢	
١٤- قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا...	المائدة ٥٩	٣٥١ ، ٢١٦	
		٣٥٧	
١٥- قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوية...	المائدة ٦٠	٣٢٤	
١٦- وإذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا...	المائدة ٦١ ، ٦٢	٣٩١	
١٧- وقالت اليهود يد الله مغلولة...	المائدة ٦٤	٣٢١ ، ٣٠٩	
		٣٢٤	

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨- يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك...	المائدة	٦٧	١٠٠، ٩٩
١٩- لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح...	المائدة	٧٥، ٧٢	٢١٨، ٧٢
٢٠- قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك...	المائدة	٧٧، ٧٦	٣٦٣
٢١- ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا...	المائدة	٨٠	٣٢١
٢٢- لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا...	المائدة	٨٥، ٨٢	٦٩، ٥٨
٢٣- ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة...	المائدة	١٠٣	٣٣
٢٤- وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت...	المائدة	١١٦، ١١٧	٣٥٥
١- ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس...	الأنعام	٧	٤٩٨، ٤٠٦
٢- ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم...	الأنعام	٢٥	١٠٣
٣- قل أئذعوا من دون الله ما لا ينفعنا...	الأنعام	٧١	٥٥٢
٤- وجعلوا الله شركاء الجن وخلقهم...	الأنعام	١٠٠	٢٥
٥- ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه...	الأنعام	١٢١	١٨
٦- وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام...	الأنعام	١٣٦	٣٢
٧- وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها...	الأنعام	١٣٨، ١٣٩	٣٢
١- وجاوزنا ببني إسرائيل البحر...	الأعراف	١٣٩، ١٣٨	٣٢٥
٢- واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم...	الأعراف	١٤٨	٣٢٥
٣- وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة...	الأعراف	١٧١	٣٢٦
٤- واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا...	الأعراف	١٧٥، ١٧٦	٣٨٨، ٥٨
٥- ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس...	الأعراف	١٧٩	٤٠٥
٦- ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها...	الأعراف	١٨٠	٤٠٣

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٧- يسألونك عن الساعة أيان مرساها...	الأعراف	١٨٧	١٨٩
١- يسألونك عن الأنفال قل الانفال..	الأنفال	١	١٤٨
٢- كما أخرجك ربك من بيتك بالحق..	الأنفال	٦.٥	١١٠
٣- إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم...	الأنفال	٩	١٤٣
٤- وما جعله الله الا بشرى، ولتطمئن..	الأنفال	١٠	١٤٣
٥- إذ يغشيبكم النعاس أمنة منه...	الأنفال	١١	١٣٨
٦- إن الذين كفروا ينفقون أموالهم...	الأنفال	٣٦	١٠٦. ٢٩٠
٧- واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن الله..	الأنفال	٤١	٢٦٠
٨- إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم...	الأنفال	٤٢	٣٣٩. ٢٥٢
٩- إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم...	الأنفال	٤٩	٢٣٠
١٠- ماكان لنبي أن يكون له أسرى..	الأنفال	٦٨. ٦٧	٢٦٨
١١- ليهلك من هلك عن بينة...	الأنفال	٤١	٣٥٣
١- فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا...	التوبة	٦.٥	٢٦٩
٢- وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى...	التوبة	٣٠	٣٥٧. ٢١٨
٣- اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً...	التوبة	٣١	٣٦٣
٤- يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم...	التوبة	٣٣. ٣٢	٣٥٨-٣٥٧
٥- إن عدة الشهر عند الله اثنا عشر شهراً...	التوبة	٣٦	٣٦٣
٦- ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم...	التوبة	٣٨	٣٦٧. ٢٢٥
٧- انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا...	التوبة	٤١	٣٩٩
٨- لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً...	التوبة	٤٢	٣٤٧. ٢٢٥
			٣٦٧

رقم الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٤٠٠ ، ٢٥٩	التوبة	٤٦	٤٠٠ ، ٢٥٩	٩- ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة...
٤٠٠ ، ٢٥٩	التوبة	٤٧	٤٠٠ ، ٢٥٩	١٠- لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً...
٩٩	التوبة	٥٠	٩٩	١١- ان تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك...
٣٩٩ ، ٣٩١	التوبة	٥٧ ، ٥٦	٣٩٩ ، ٣٩١	١٢- ويحلفون بالله أنهم لمنكم وما هم منكم...
٣٨٨		٥٨	٣٨٨	
٣٩٤	التوبة	٦٥	٣٩٤	١٣- ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض...
٣٨٤ ، ٢٥٩	التوبة	٨١	٣٨٤ ، ٢٥٩	١٤- فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله...
٣٨٧			٣٨٧	
٣٩٩	التوبة	٨٢	٣٩٩	١٥- فليضحكوا قليلاً وليبكيوا كثيراً...
٨٥	التوبة	٨٤	٨٥	١٦- ولا تصل على أحد منهم مات أبداً...
٢٥٨	التوبة	٩٢	٢٥٨	١٧- ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم...
٤٠٩	التوبة	١٠٣	٤٠٩	١٨- خذ من أموالهم صدقة تطهرهم...
٣٨٦ ، ٢٤٠	التوبة	١٠٧	٣٨٦ ، ٢٤٠	١٩- والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً..
٢٤١	التوبة	١٠٨	٢٤١	٢٠- لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى..
٢٤٢	التوبة	١١٠	٢٤٢	٢١- لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة...
٤٩٨	يونس	٢	٤٩٨	١- قال الكافرون إن هذا لساحر مبين..
٤٩٨	يونس	٩٦	٤٩٨	٢- إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون...
٢٦٦	الرعد	٤ ، ٣	٢٦٦	١- وفي الأرض قطع متجاورات وجنات...
٣١٠	إبراهيم	٣٤	٣١٠	١- وأتاكم من كل ما سألتموه

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة في الرسالة
١- وقالوا يا أيها الذين نزل عليه الذكر انك لمجنون	الحجر	٦	٤١٩
٢- ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون	الحجر	١٤	٤٢٠
١- وما ذراً لكم في الأرض مختلفاً ألوانه...	النحل	١٣، ١٤	٩٧
٢- وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم	النحل	١٠١، ١٠٢	٣٥١
٣- ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر	النحل	١٠٣	٤٠٥
٤- من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره	النحل	١٠٦، ١٠٧	٢٩
٥- ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة...	النحل	١٢٥	٢٦٣
١- ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي...	الاسراء	٨٥	١٨٧، ١٥٣
٢- قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن شريكاً	الاسراء	١١١	٢٥
١- قال كذلك قال ربك هو عليّ عين...	مريم	٢١	٥٣
٢- قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً	مريم	٣٠، ٣٥	٧١
٣- وقالوا اتخذ الرحمن ولداً، لقد جئتم شيئاً إداً	مريم	٨٨، ٨٩	٥٩
٤- تكاد السموات والأرض يتفطرن منه وتنشق الأرض	مريم	٩٠	٢٦
٥- إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً	مريم	٩٣	٤٤
١- اذهبوا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له...	طه	٤٣، ٤٤	٢٦٣
٢- ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم	طه	٩٠، ٩١	٣٢٦
١- وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون	الأنبياء	٢٦	٢٥

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة في الرسالة
١- إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى	الحج	١٧	٢٢
٢- إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام	الحج	٢٥	٤٢-١٧
٣- أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها	الحج	٤٦	٢٦٦
١- ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم... ٢- ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بإياتنا... ٣- أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق...	المؤمنون	٢٣	١٠٤
	المؤمنون	٤٥، ٤٧	١٢١
	المؤمنون	٧٠	٤٢٣
١- إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم..	النور	١١	٣٥١، ٢٤٩
			٣٩٤
٢- إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا..	النور	١٩	٣٩٣، ٢٤٩
٣- إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات...	النور	٢٣، ٢٤	٣٩٣، ٢٥٢
٤- ولا تکرهوا فتياتکم على البغاء إن أردن تحصناً..	النور	٣٣	٢٥٠
٥- إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله..	النور	٦٢	١٣٤
١- تبارك الذي نزل الفرقان على عبده...	الفرقان	١	٢٥
٢- وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه...	الفرقان	٤، ٥	٤١٥، ١٠٣
			٤١٨
٣- وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة	الفرقان	٣٢، ٣٣	٣٥٠

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	في الرسالة
٤- وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً..	الفرقان	٥٤	٢٥	
٥- ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا...	الفرقان	٥٥	١٩	
١- ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون	الشعراء	٢٢٥، ٢٢٧	١٢٣	
٢- انؤمن لك واتبعك الأردلون	الشعراء	١١١	١٢٢	
١- فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين	النمل	١٣، ١٤	١٢١	
١- إن قارون كان من قوم موسى...	القصص	٧٦، ٧٨	٤٥٥	
١- ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا...	العنكبوت	١٠	٦٧	
٢- ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن..	العنكبوت	٤٦	١٧٦	
٣- وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه	العنكبوت	٤٨	٤٠٦	
٤- ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض	العنكبوت	٦١	٣٠٥	
١- وإذ قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع	لقمان	٢١	٤٠٦	
١- يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم...	الأحزاب	٩	٣٨٩	
٢- إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم...	الاحزاب	١٠	٣٠١	
٣- هناك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً	الاحزاب	١١، ١٣	٤٠٣، ٢٤٧	
٤- وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله	الاحزاب	٣٦، ٣٧	١١٠	

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	في الرسالة
٥-	الاحزاب	٥٨	٢٥٢، ٤٠٥	
٦-	الاحزاب	٦٠	٢٣١-٣٨١	
٧-	الاحزاب	٦٩	٣٢٦	
١-	فاطر	٨	٢٩	
١-	الصافات	٣٦	١٠٤، ٤٢٠	
١-	ص	٤	٤١٨، ٤٢٢	
٢-	ص	٥	٩٨	
٣-	ص	٧	٤١٨	
١-	الزمر	٣	٣٥	
٢-	الزمر	٥٥، ٥٣	١٣٨	
١-	الشورى	١٤	٣١٩	
٢-	الشورى	٢٤	١٢٢	
١-	الزخرف	٢٣، ٢٤	٤٠٦	
٢-	الزخرف	٦٣، ٦٤	٣٦٤	
١-	الدخان	١٣، ١٤	١٠٤، ١٢٣	
٢-	الدخان	١٤	٨٠	

فهرس الحديث والآثار

رقم الصفحة

في الرسالة

حرف الالف

- ١٩٨ - أبداعوني الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟
- ٣١٤ - ابسط رجلك فبسطت رجلى ، فمسحها ، فكانها لم اشتكها قط
- ١٤٤ - ابشر يا ابا بكر هذا جبريل متعجر بعمامة صفراء اخذ بعنان فرسه
- ٢٦٤ - اتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة في ظل الكعبة
- اتى جبريل رسول الله ﷺ فقال : اوقد وضعت السلام يا رسول الله قال : نعم
- قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلام
- ١٥٢ - احمو ظهورنا فان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا
- ٢٥٠ - اذهبى فابتغينا شيئا
- ١٤١ - ... اذا اكثبوكم فارموهم بالسهام واستبقوا نبلكم
- اذهب فخذ جارية فكان في السبى صفية ، فصارت إلى دحية ، ثم صارت إلى
- رسول الله ﷺ
- ٩٦ - اربع من كن فيه منافقا خالصا
- ١٦١ - اشتد غضب الله على قوم دموا وجه نبيهم
- ١٦٠ - أفرد يوم أحد في سبعة من الانصار ورجلين من قريش ...
- ١٢٢ - الكبرياء ردائي والعظمة ازارى ...
- ١٤٠ - اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ...
- ١٤٠ - اللهم انى انشدك عهدك ووعدك ...
- ١٤٠ - اللهم ان تشأ لا تعبد بعد اليوم ...

- ١٦١ - اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
- ٢٧١ - اللهم اهد دوسا وآت لهم
- ٢٥٧ - اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض
- ٦٠ - اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه
- ٣٢٣ - اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال
- ١٨٨ - اليهود سألوا محمدا عن الروح
- امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله
- ٣١ - ان الرقى والتمايم و التولة شرك
- ٣٤ - ان هذه الاصنام كانت لطواغيتهم
- ١٤٣ - ان هذه والله ما اسرني لقد اسرني رجل أجلح من احسن الناس وجها
- ١٥٢ - ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم
- ١٣٨ - ان يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر
- ان دوسا قد عصت وأبت فدع الله عليها
- ٣٧٧ - ان طعنوا في امارته فقد كانوا يظنون في اماره أبيه
- ٣٨٦ - ان رجلا قال هذا محمد يخبركم أنه نبي
- انا ندخل على سلطاننا فنقول لهم بخلاف نتكلم به
- ٢٤١ - فقال : " إني على جناح سفر ، واذا قدمنا صلينا ان شاء الله فيه "
- ٢٠٠ - اني سائلكم عن شيء فهل صادقي عنه ؟
- ١٥٢ - أنضح الخيل بالنبل عنا لا يأتون من خلفنا

حرف الباء

- بات ليلته تلك يتضرع
- بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين

٣٤٣

حرف التاء

- تعس عبد الدينار وعبد الدهم ، تعس عبد القطيفة
- تحته قطيفة فذكيه

٢٦٢

٨٩

حرف الجيم

- جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : نعم الحديث

حرف الراء

- ركب النبي ﷺ حماراً عليه ا كان تحته قطيفة فذكيه
- رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون

١٦١

حرف الفاء

- فنمنا نومة ، فاذا رسول الله ﷺ يدعونا بالمشلل
- فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتدون في الجبل

١٣٥

١٥٧

حرف القاف

- " قضيت فيهم بحكم الله تعالى "

٢٠٣

حرف الكاف

- ١٦٣ - كان ابو طلحة يتترس مع النبي ﷺ بفرس واحد ، وكان حسن الرمي
- كسرت رباعيته وشج في رأسه فجعل يسלט الدم عنه

حرف اللام

- ١٤٠ - لقد رأيتنا يوم بدر ، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ
٣٣١ - لما فتحت خيبرة ، اهديت الرسول ﷺ شاة فيها سم
٣٤٦ - لما توفي النجاشي صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب
١٢٤ - ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة

حرف الميم

- ١٥٠ - ما ينبغي لنبى اذا لبس لامته ان يضعها
٢٠١ - ما كان الله ليسلطك علي
٢٧١ - ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما
٢٧٢ - ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئا قط ولا امرأة ولا خادما
٢٧٥ - ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون ان تكيدوا به أنفسكم
٢٧٨ - مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا
٣٦٠ - من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى
١٣٥ - من يمنعك منى اليوم ... الحديث
- من كعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله
٢٥٧ - من جهز جيش المعصرة فله الجنة
١٦٠ - من يردهم عنا فله الجنة

حرف النون

- ٩٤ - نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ وما ذاك ؟ الحديث

حرف الهاء

- ١٣٦ - هذه عير قريش فيها اموالهم ، فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها
١٣٧ - هذه مكة ألقى اليكم أفلاذ اكبادها
١٣٦ - هذه عير قريش فيها اموالكم فاخرجوا اليها
٢٠٠ - هل جعلتم في هذه الشاة سما

حرف اللام

- ٣١ - لا تبقيين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة الا قطعت
٤٠٦ - لا نورث ما تركنا فهو صدقة

حرف الواو

- ٣٧٧ - والله لئن طعنتم في امارتي اسامة لقد كعنتم في امارتي اباه من قبله
٢٩٤ - والله لقد رأيت النساء يتشددن على الجبل قد بدت خلاخيلهن
- ولم يبق مع النبي ﷺ غير ابي طلحة بن عبيد الله وسعد بن ابي وقاص

حرف الياء

- ٣٩٤ - ٢٥٣ يا معشر المسلمين من يمنعني من رجل قد بلغني اذاه في اهل بيتي
- يمنعكم من الاسلام ثلاثة عبادتكم الصليب -- واكلكم لحم الخنزير وزعمكم
٣٧٠ - ان الله ولد

فهرس الاعلام

رقم الصفحة

في الرسالة

(1)

١٢٦	- ابان بن سعيد بن العاص الأموي
١٢٥	- أبي بن كعب
٨٩	- أبي بن مالك بن الحارث
٤٠٧	- أجناس جولد تسهير (مستشرق)
٩٢	- أحمد بن حنبل
٩٥	- أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام (ابن تيمية)
٩٢	- أحمد بن علي بن محمد (ابن حجر)
٩٧	- أحمد بن الحسين بن علي (البيهقي)
١٧٤	- اسامة بن زيد (صحابي)
٧١	- اسماعيل بن كثير القرشي
٢٠١	- اسماعيل بن عبد الرحمن بن عوف بن الحارث
٢٨٢	- اسيد بن خضر
١٧٤	- أمية بن خلف
١٦٠	- أنس بن مالك
١٥٧	- البراء بن عازب (صحابي)
١١٣	- الحجاج بن العلاط السلمي

٢٧	الحسين بن عبد الله بن سينا	-
١٤٦	الزبير بن العوام	-
٩٥	السائب بن أبي حبيش	-
١٤٦	النعمان بن الحارث النسائي	-
٢٧١	الطفيل بن عمرو (صحابي)	-
١٥٤	المغيرة بن الحارث (صحابي)	-
١٥٤	المقداد بن عمرو	-
١٤٥	المنذر بن عمرو بن خنيش	-
٣٤٩	المنذر بن ساوي	-
١٧٢	الوليد بن الوليد بن المغيرة	-
	(ب)	
١٨٣	يسبس بن عمرو (صحابي)	-
١٧٤	بشر بن البراء (صحابي)	-
	(ت)	
٤٣٢	تيودور هرتزل (سياسي)	-
	(ج)	
١٥٣	جبير بن مطعم بن عدي	-
٣٧١	جعفر بن أبي طالب	-
٤٠٨	جوزيف شاخت (مستشرق)	-

(ج)

١٦٣	حاطب بن أبي بلتعة	-
٤٥٨	حاييم وايزمان (عالم كيميائي)	-
٤٠٠	حذيفة بن اليمان	-
٢٠٩	حرام بن ملحان (صحابي)	-
٦٢	حسان بن ثابت	-
١٥٢	حمزة بن عبد المطلب	-
٩٤	حنظلة بن الربيع	-

(خ)

٢٠٧	خالد بن بكير بن عبد باليل	-
١٥٥	خالد بن الوليد	-
٢٧٨	خالد بن زيد (صحابي)	-
٢٠٨	خبيب بن عدي (صحابي)	-
١٢٥	خديجة بنت خويلد	-
١٦٨	خوات بن جبير (صحابي)	-

(د)

٤٠٧	د . دافيد مرجليوت (مستشرق)	-
٤٥٥	دافيد ريويني (يهودي)	-
٤٥٨	دافيد جوريون (سياسي)	-

(ر)

٤٦٥ - رافع رفاعه الطهطاوي

(ز)

١١٠ - زيد بن ثابت (صحابي)

١٢٧ - زيد بن حارثه

١٦٣ - زيد بن سهل بن الأسود

١١١ - زينب بنت جحش (أم المؤمنين)

١٢٦ - زينب بنت رسول الله ﷺ

(س)

١٢٤ - سعد بن أبي وقاص

١٦٨ - سعد بن عبادة (صحابي)

١٦٧ - سعيد بن معاذ (صحابي)

٤٣٧ - سرجين نيلوس (مفكر روسي)

٣٠٠ - سلمان الفارسي (صحابي)

١٣٣ - سلمة بن أسلم (صحابي)

١٦٢ - سماك بن حرسة بن عبدود (أبو دجاجة)

١٦٢ - سهل بن حنيف (صحابي)

(ش)

٢١٧ - شجاع بن ربيعة بن أسد بن مالك (صحابي)

(هـ)

- ١٠٥ - صخر بن أمية القرشي المكي (أبو سفيان)
١٣١ - صفوان بن أمية
٢٥١ - صفوان بن المعطل

(ط)

- ١٦٠ - طلحة بن عبيد الله (صحابي)

(ع)

- ٢٠٧ - عاصم بن ثابت بن قيس
٣٧٦ - عامر بن الجراح (أبو عبيدة)
١٢٧ - عائشة بنت أبي بكر
١٤٢ - عباس بن عبد المطلب (عم النبي)
٩٢ - عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة
٩٤ - عبد الله بن أبي قحافة (أبو بكر)
١٦٨ - عبد الله بن رواحة
١٨٨ - عبد الله بن مسعود (صحابي)
٢٩١ - عبد الله بن أبي بكر الصديق
٣٣٨ - عبد الله بن سلام (صحابي)
٤٠٧ - عبد الله بن عمرو بن حرام
٢٣٩ - عبد الله بن أبي بن مالك (ابن سلول)
١٩٢ - عبد الرحمن بن صخر بن الدوس (أبو هريرة)

٣٣	عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري	-
١٦٤	عبد الرحمن بن عوف	-
٢٠١	عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري	-
٦٠	عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد الحضيرى السيوطى	-
١٤٢	عتبة بن ربيعة بن عبد شمس (أبو حذيفة)	-
١٢٦	عثمان بن عفان	-
٦٠	عدي بن حاتم الطائي	-
٦٥	عدي بن زيد الجزامى	-
٢٨٣	عدي بن الزغباء	-
١١٢	عروة بن سعود الثقفى	-
٩٤	عروة بن الزبير	-
٢٨٣	عقبة بن أبي معيط	-
١٠٦	عكرمة بن ابي جهل	-
١٥٩	علي بن ابي طالب	-
٢٦٠	عمار بن ياسر	-
٢٣٧	عمارة بن حزم بن ميمون	-
١١٦	عمر بن الخطاب	-
١٣٣	عمرو بن امية الضيرى	-
١٣١	عمير بن وهب الحجى	-
١٦٧	عمرو بن قيس بن زائد بن الأصم (ابن أم كلثوم)	-

١١١	- عمرو بن هشام بن المغيرة (أبو جهل)
٣٧٥	- عمرو بن العاص
	(ق)
١٦٢	- قتادة بن النعمان (صحابي)
٢٧٣	- قطبة بن قتادة (صحابي)
٦٤	- قيس بن الحارث بن عدي بن النجار
	(م)
٩٨	- مالك بن عبد الرحمن بن فرج بن أزرق (ابن الرجل)
١٦٢	- مالك بن سنان
٣٠٩	- مالك بن الدخشم (صحابي)
٣٦٨	- مالك بن أحمد الجذامي
٧٢	- مجاهد بن جبر
٢٧	- محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد
٣٢	- محمد بن اسحاق بن يسار المطلبى المدني
٥٧	- محمد بن أحمد القرطبي
٧٧	- محمد عبد الباقي بن يوسف الزرقاني
٩٨	- محمد بن عبد الله المعافى الاشبيلي (ابن العربي)
٩٨	- محمد بن ابي بكر بن سعد الدمشقي (ابن القيم)
١٠٣	- محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري (الرازي)
١٠٣	- محمد بن جرير بن بزاز الطبري

- ١٠٣ - محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل (ابن منظور)
- ٤٧١ - محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (الامام)
- ٤٧٨ - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (الشوكاني)
- ٤٧٨ - محمد سيد بن علي رضا القلموني
- ١٩٠ - محمد بن كعب بن سليم (أبو حمزة)
- ٣٩٠ - معن بن عدي العملاق (صحابي)
- ١٧٤ - معاذ بن جبل
- ١٥٠ - مصعب بن عمير
- ٢٩٨ - معبد بن ابي معبد (أبو حمزة)
- (ن)
- ١٦٢ - نسبية بنت كعب (أم عمارة - صحابية)
- (هـ)
- ١٤٥ - هانيء بن نيار بن عمرو بن عبيد (أبو بردة)
- ١٧١ - هشام بن العاصي (صحابي)
- (ي)
- ٩٤ - يحيى بن شرف بن مري الخزامي (النووي)

مصادر البحث

- ١- د . ابراهيم عبد المجيد " المستشرقون والاسلام " هدية مجلة الازهر ، شهر صفر عام ١٣٩٠.
- ٢- ابن تيمية ، الاحتجاج بالقدر ط : ٢ المكتب الاسلامي ، بيروت ١٣٩٨.
- ٣- ابن تيمية ، الفتاوي ، جمع وتقديم عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، ط : المكتب التعليمي السعودي بالمغرب ، مكتبة المعارف ، الرباط.
- ٤- ابن تيمية ، النبوات ، تحقيق : محمد عوض ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٥.
- ٥- ابن تيمية ، " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " تحقيق وتعليق د. علي بن حسن بن نصر و د . عبد العزيز العسكر و د. حمدان الحمدان ، دار العاصمة - الرياض عام ١٤١٤.
- ٦- ابن القيم ، " هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى " المكتبة العلمية" بيروت ١٩٨٤.
- ٧- أتين دينية محمد رسول الله ، ترجمة عبد الحليم محمود ط : المعارف مصر ١٩٧٣م.
- ٨- أحمد بن فارس بن زكريا ، " معجم مقاييس اللغة " طبعة بيروت، عام ١٩٦١م.
- ٩- أحمد الزواوي - ترتيب القاموس المحيط ، ط: بيروت عام ١٩٦٤م.
- ١٠- أحمد بن محمد بن حنبل - المسند تحقيق العلامة أحمد محمد شاکر ، طبع المكتب الاسلامي، دمشق ١٩٩٣م.
- ١١- أحمد بن شعيب النسائي ، السنن ، تحقيق : عبد الفتاح ابو غدة، ط : ٤ دار البشائر الاسلامية ، بيروت ١٤١٤-١٩٩٤م.

- ١٢- أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة اقتضاء الصراط المستقیم لمخالفة اصحاب الجحیم ، تحقیق : د . ناصر العقل ط: ١ مطبعة العبیکان - الرياض ١٤٠٤هـ .
- ١٣- أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة ، الاحتجاج بالقدر ، ط: ٢ المكتب الاسلامی ، بیروت ١٣٩٨هـ .
- ١٤- أحمد عبد الحلیم غراب ، رؤية اسلامية للاستشراق ط: ٢ المنتدى الاسلامی ١٤١١هـ .
- ١٥- أحمد بن علي بن حجر العسقلانی ، فتح الباری بشرح صحیح البخاری ، دار الكتب العلمیة، بیروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ١٦- أحمد بن علي بن حجر العسقلانی ، المطالب العالیة بزوائد المساند الثمانیة ، تحقیق : حبيب الرحمن الاعظمی ، ط: ١ ، دار الباز للنشر والتوزیع ، مكة المكرمة ١٣٩٣ .
- ١٧- أحمد بن علي بن حجر العسقلانی، الإصابة فی تمیز الصحابة، ط: ١ مكتبة الكليات الأزهریة، مصر ١٣٩٦هـ .
- ١٨- أحمد بن علي بن عبد القادر المقریزی ، امتاع الاسماع بما للنبي ﷺ من الانباء والاموال والحفدة والمتاع ، تحقیق : محمد النمبسی وزمیله ، ط: ١ دار الانصار ، القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ١٩- أحمد بن يحيى البلاذري ، أنساب الاشراف ، تحقیق محمد حمید الله ، دار المعارف القاهرة ١٩٥٩م .
- ٢٠- أحمد سمايلوفيتش " فلسفة الاستشراق " دار المعارف ، مصر ١٩٧٨ طبعة ثانية .
- ٢١- أحمد الشريف " مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، مصر .
- ٢٢- أحمد أمين " فجر الاسلام " ، دار الكتاب العربي ، بیروت ١٩٦٤م .

- ٢٣- أحمد حسن الزيات ، "تاريخ الادب الاسلامي " دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة.
- ٢٤- اسحق موسى الحسيني " مجموعة حقوق الانسان " مجمع البحوث الاسلامي بالأزهر ١٣٩١هـ.
- ٢٥- اسماعيل بن عمر (ابن كثير) ، البداية والنهاية ، تحقيق : أحمد أبو ملحوم وزملاؤه ، ط: ١ دار أم القرى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٢٦- اسحاق ساكا (معنى التسميات للشعوب السامية) مترجم - لجنة الالف كتاب ، القاهرة ١٩٦١م.
- ٢٧- أرنست جب ، التأثير المضاد الذي تلقاه الثقافة الغربية في الشرق الادنى - محاضرة في معهد الدراسات الاسلامية ، باريس ١٩٥١/٤/٢٤م ، ترجمة أ . عادل العوا .
- ٢٨- اسماعيل بن عمر (ابن كثير) تفسير القرآن العظيم ، أشرف على تصحيحه : علي شبري ط: دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ٢٩- التهامي نقرة وآخرون ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، طبعة عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٣٠- التنصير خطة لغزو العالم الاسلامي ، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٩٧٨م ونشرته دار MARC للنشر .
- ٣١- الزبير بن بكار " جهرة نسب قريش واخبارها " تحقيق وشرح محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة، القاهرة عام ١٣٨١هـ .
- ٣٢- الراغب الاصفهاني - مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : صفوان داوودي ، دار القلم، دمشق ١٩٩٢م .

- ٣٣- الشرتوني - (أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد) مكتبة المثنى - بغداد عام ١٩٤٨م.
- ٣٤- العهد القديم - سفر صموئيل الاول من " الكتاب المقدس " دار الكتاب المقدس ، القاهرة عام ١٩٦٠م .
- ٣٥- الندوة العالمية للشباب الاسلامي الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة.
- ٣٦- أنور الجندي، مقدمات في العلوم والمناهج ط: الانصار، القاهرة.
- ٣٧- د. جلال يحيى، المجتمع العربي من الحرب العالمية الاولى الى العصر الحاضر، القاهرة عام ١٩٨٦م .
- ٣٨- جميل بن عبد الله المصري ، حاضر العالم الاسلامي وقضايا المعاصرة ط: ١ ، المدينة المنورة ، ١٤٠٧هـ .
- ٣٩- جورج انطونيوس، " يقظة العرب " ترجمة د . ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط: ٥ ، عام ١٩٧٨م .
- ٤٠- جورج طرابيش ، الدولة القطرية ، بيروت : دن، ١٩٨٢م .
- ٤١- جولد تسهير ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ترجمة : محمد يوسف موسى وزملاؤه ط: دار الرائد العربي ، بيروت .
- ٤٢- حسن ضياء الدين عتر، " وحي الله وخصائصه في الكتاب والسنة ، نقض مزاعم المستشرقين " ط: عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٤٣- حسن بن محمد الحسين النيسابوري ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، تحقيق ابراهيم عطوة ، ط: ١ شركة : مكتبة ومطبعة البابلي الحلبي ، مصر ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- ٤٤- حسين الهراوي ، المستشرقون والاسلام ، ط: ١ دار المنار ، مصر ١٣٥٥هـ .

- ٤٥- خير الدين الزركلي ، " معجم البلدان " دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٠ م .
- ٤٦- رشيد رضا ، " تفسير المنار " مطبعة المنار ، القاهرة ١٩٣٩ م .
- ٤٧- روجيه جارودي، ماركسية القرن العشرين " ترجمة نزيه الحكيم ، منشورات دار الآداب .
- ٤٨- روجيه جارودي، " النظرية المادية في المعرفة " ترجمة ابراهيم قريط، دار دمشق للطباعة والنشر.
- ٤٩- رحمت الله بن خليل الهندي " اظهر الحق " طبع الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض ١٤٠٠ هـ .
- ٥٠- د. رؤوف شلبي " التضليل الماركسي " القاهرة ، ط: ١ ، ١٩٦٨ م .
- ٥١- الشيخ / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب " الدلائل في حكم موالاتة أهل الاشراك " مراجعة : الوليد بن عبد الرحمن الفرعان ، نشر وتوزيع مكتبة دار الهداية ، بلا تاريخ .
- ٥٢- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الارناؤوط وصالح السمر ، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الاولى عام ١٤٠٥ هـ .
- ٥٣- د. صابر طعيمة، بنو إسرائيل بين القرآن الكريم وخير العهد القديم " ط: ٣ عالم الكتاب، بيروت ، عام ١٩٧٦ م .
- ٥٤- د. صابر طعيمة، الاستشراق والتنصير في مواجهة الاسلام، دار الجيل، بيروت طبعة ١٩٩٣ م.
- ٥٥- د. صابر طعيمة ، التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- ٥٦- د. صابر طعيمة ، قراءة في هزيمة الفكر الشيوعي ، دار الجيل بيروت ١٩٩٣ م .

- ٥٧- د. صابر طعيمة ، الاسلام وغالنا المعاصر ، مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٠هـ .
- ٥٨- د. صابر طعيمة ، قراءة حول اشهر العقائد الوضعية في العالم القديم ، دار الجيل، بيروت ١٩٩٥م .
- ٥٩- د. صابر طعيمة ، الاسفار المقدسة قبل الاسلام ، ط: ٤ ، ١٩٨٣م .
- ٦٠- د. صابر طعيمة ، العقائد الباطنية وحكم الاسلام فيها ، المكتبة الشقافية ، ط: ٢، ١٩٨٤م .
- ٦١- د. صابر طعيمة ، الماسونية والصهيونية والشيوعية غاية وهدفا القاهرة ١٩٧٠م .
- ٦٢- د. صابر طعيمة ، الصهيونية في التاريخ مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٦م .
- ٦٣- صبري جرجس ، تاريخ الصهيونية ، ط: الفكر العربي ، بيروت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- ٦٤- صفي الرحمن المبار كفوري ، الرحيق المختوم ، طبعة دار الكتاب الاسلامي، القاهرة .
- ٦٥- د. صلاح الدين المنجد ، بلشفة الاسلام والتضليل الاشتراكي ، ط: ٣ دار الكتاب الجديد .
- ٦٦- د. صوفي أبو طالب ، بين الشريعة والقانون الروماني ، ط: مكتبة كلية الحقوق القاهرة، ١٩٥٦م .
- ٦٧- ضابط تركي سابق ، الرجل الصنم كمال اتاتورك ، ترجمة : عبد الله عبد الرحمن ط: ٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢ - ١٩٩٢م .
- ٦٨- عائشة عبد الرحمن " تراثنا بين ماضي وحاضر " بيروت مكتبة صادر ١٩٨٠م .
- ٦٩- عباس محمود العقاد " أثر الغرب في الحضارة الاوربية " ط: ١ دار المعارف ، القاهرة .
- ٧٠- عباس محمود العقاد " الشيوعية والانسانية في شريعة الاسلام " القاهرة ، عام ١٩٨٥م .

- ٧١- عباس محمود العقاد " أفیون الشعوب والمذاهب الهدامة " منشورات المكتبة العصرية، بيروت .
- ٧٢- عباس محمود العقاد ، عقائد المفكرين في القرن العشرين ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت.
- ٧٣- عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي " الاتقان في علوم القرآن " ط: ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٧٤- عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي " الدر المنثور في التفسير المأثور ، ط: ١ دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٧٥- عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي " اسباب النزول " ط: ١ دار الهجرة دمشق ، بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- ٧٦- عبد الرحمن بن عبد الله السهلي " الروض الأنف " مطبعة الجمالية ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.
- ٧٧- عبد الرحمن بن علي (ابن الجوزي) " زاد المسير في علم التفسير " ط: ٤، المكتب الاسلامي بيروت ، دمشق ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٧٨- عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء بالرياض ١٤١٠هـ .
- ٧٩- عبد الرحمن الوكيل " البهائية تاريخها وصلتها بالباطنية والصهبونية " تحقيق أحمد حمدي امام ، ط: ٢ ، ١٩٨٦م .
- ٨٠- عبد الرحمن بن قاسم العاصي القحطاني النجدي " الدرر السنية في الاجوبة النجدية " مطبوعات دار الافتاء بالملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية .

- ٨١- عبد الله العلمي " سلاسل المناظرة الاسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس " ط: ١ ، دمشق ١٩٧٠م .
- ٨٢- عبد الله التل " الافعى اليهودية في معاقل الاسلام " دار القلم ، بيروت ١٩٥٩م .
- ٨٣- عبد الحليم خفاجي " حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون " دار القلم، الكويت ١٣٩٤م.
- ٨٤- عبد الجليل شلبي " الاسلام والمستشرقون " مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٦٨م طبعة أولى.
- ٨٥- عبد الخالق سيد " جولة مع المستشرقين " سلسلة دراسات في الاسلام ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٣٩٦هـ .
- ٨٦- عبد الرزاق محمد اسود " الموسوعة الفلسطينية " ط: منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٠م .
- ٨٧- عبد العزيز القاري " المستشرقون في الميزان " المدينة المنورة ١٩٨٢م .
- ٨٨- د. عبد الستار فتح الله سعيد " معركة الوجود بين القرآن والتلمود " مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٨٧م .
- ٨٩- د. عبد العظيم الديب " المستشرقون والتاريخ " دراسة بمجلة البعث الاسلامي عدد ٣٢- اغسطس ١٩٨٢م.
- ٩٠- عبد القادر السندي " الذهب المسبوك في تاريخ تبوك " ط: بيروت عام ١٩٨٣م .
- ٩١- د. عبد المقصود عبد الغني " اصالة التفكير الفلسفي في الاسلام " القاهرة ١٩٨٥م .
- ٩٢- عبد الوهاب المسيري " موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية " عبد السميع الهواري الصهيونية بين الدين والسياسة .

- ٩٣- عبد الملك بن هشام " السيرة النبوية " تحقيق عمر عبد السلام تدمري ط: ٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ٩٤- عرفان عبد الحميد " دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية " مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٩٥- د. علي حسن عبد القادر " تاريخ التشريع الاسلامي " القاهرة ، م: المعارف ، ١٩٦٢م .
- ٩٦- علي بن محمد جريشة وزميله " أساليب الغزو الفكري " القاهرة ١٩٨٧م .
- ٩٧- علي الندوي أبو الحسن " النبوة والانبياء في ضوء القرآن " ط: ٥ ، دار القلم ، دمشق ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ٩٨- علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد، ط: ٣، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ٩٩- علي بن محمد (ابن الاثير) أسد الغابة في معرفة أحوال الصابة، دار احياء التراث، بيروت.
- ١٠٠- عمر بن ابراهيم رضوان " آراء المستشرقين حول القرآن الكريم " دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ١ ، الرياض ١٤١٣هـ .
- ١٠١- عمر فروخ وزميله " التبشير والاستعمار في البلاد العربية " منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٢م .
- ١٠٢- عمر فروخ " الاستشراق في نظام العلم ، وفي نطاق السياسة " دار علم الكتب ، بيروت ١٩٦٥م .
- ١٠٣- عمر رشدي " الصهيونية ورببتها اسرائيل " مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٦٥م .
- ١٠٤- عوض سمعان " المدخل الى الكتاب المقدس " دار الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٦٣م .

- ١٠٥- فاروق يوسف أحمد " قواعد المنهج العلمي " ط: ١ مكتبة عين شمس القاهرة ١٩٨٥م.
- ١٠٦- فتحي يكن " حركات ومذاهب في ميزان الاسلام " ط: دار الحلبي ، بيروت.
- ١٠٧- فضل حسن عباس " قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية " دار البشير ، عمان.
- ١٠٨- د. فهمي جدعان " نظرية التراث " دار الشروق ، الاردن ١٩٨٥م .
- ١٠٩- فلاديمير بارتولد " تاريخ الحضارة الاسلامية " ترجمة : حمزة طاهر ، ط ٥ ، دار المعارف.
- ١١٠- فؤاد حسنين علي " اليهودية واليهودية المسيحية " معهد الدراسات العربية العالي، جامعة الدول العربية .
- ١١١- فؤاد سزكين " تاريخ الادب العربي " م ١ ، ج ١ ، ترجمة محمد فهمي ، جامعة الامام، الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١١٢- قاسم السمارائي " الطائفية في العراق " بيروت ، بدون تاريخ.
- ١١٣- كارل بروكلمان " تاريخ الشعوب الاسلامية " ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط: ٨ دار العلم للملايين ، بيروت .
- ١١٤- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحلیم النجار وآخرون، ط: دار المعارف.
- ١١٥- لويس شيخو " النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية " منشورات دار الشروق، بيروت، ط: ٢ عام ١٩٨٩م.
- ١١٦- لوثر ب ستوارد الامريكى " حاضر العالم الاسلامي " ترجمة حجاج نويهض ، دار الفكر، بيروت .
- ١١٧- لويس شيخو " السر المصون في شيعة الفرسون " بيروت ١٩١٠م.

- ١١٨- لاين دينيه ، محمد رسول الله ، ترجمة عبد الحلیم محمود ، ط: دار المعارف.
- ١١٩- محمد بن ابي بكر بن القيم الجوزية " زاد المعاد في هدي خير العباد " تحقيق شعيب الارناؤوط، الكويت، طبعة ثامنة، ١٤٠٨.
- ١٢٠- محمد بن ابي بكر الزرعي (ابن القيم الجوزية)، مدارج السالكين بين " اياك نعبد و اياك نستعين" تحقيق محمد حامد الفقي، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ١٢١- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الامم والملوك، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ١٢٢- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ، ط: ١، دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٢٣- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٢٤- محمد بن عيسى الترمذي " سنن الترمذي " وهو جامع الصحيح، تحقيق د. عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر ، بيروت، طبعة ثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ١٢٥- محمد بن حبان بن أحمد، الثقات، ط: ١، مؤسسة الكتب الثقافية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ١٢٦- محمد بن حسين البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق : عبد المعطي قلعجي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٢٧- محمد الطاهر (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، ط: الدار التونسية للنشر والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ليبيا.

١٢٨- محمد بن عبد الباقي الزرقاني، شرح المواهب اللدنية، ط: ٢ ، دار المعرفة بيروت
١٣٩٣هـ.

١٢٩- محمد بن عزت الطهطاوي، التبشير والاستشراق، احقاد وحملات، مجمع البحوث
الاسلامية ١٣٩٣هـ.

١٣٠- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ط: دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٣١- محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط ط: ٩، مؤسسة
الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٣٢- محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ط٤، دار ابن كثير والبيامة للطباعة
والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٣٣- محمد بن ناصر الدين الالباني، صحيح سنن الترمذي، ط١، مكتب التربية العربي لدول
الخليج، الرياض، المكتب الاسلامي، بيروت .

١٣٤- محمد ناصر الدين الالباني، صحيح سنن ابن ماجه، ط٣، مكتب التربية العربي لدول
الخليج، الرياض ٤٠٨١هـ - ١٩٨٨م .

١٣٥- محمد ناصر الدين الالباني، صحيح سنن النسائي، ط١، مكتب التربية العربي لدول
الخليج، الرياض، والمكتب الاسلامي، بيروت .

١٣٦- محمد أمين حسن، خصائص الدعوة الاسلامية، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، الاردن
١٤٠٣هـ.

١٣٧- محمد بن ابي بكر الزرعي (ابن القيم الجوزية)، الروح، تحقيق ودراسة: السيد الجميلي،
ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

- ١٣٨- محمد بن عمر الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط٣، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٣٩- محمد بن عمر الواقدي، المغازي النبوية، ط٣، عالم الكتب، ١٤٠٤هـ .
- ١٤٠- محمد الغزالي، فقه السيرة، ط٢، دار القلم دمشق ١٤٠٥هـ .
- ١٤١- محمد الفتح البيانوني، المدخل الى علم الدعوة، ط١، مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ .
- ١٤٢- محمد بن محمد ابن سيد الناس ، عيون الاثر، تحقيق : د. محمد الخطراوي ومحي الدين متولي، ط١، مكتبة دار التراث المدينة المنورة، ودار ابن كثير، دمشق ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ١٤٣- محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ١٤٤- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط: دار الحديث ، القاهرة .
- ١٤٥- محمد بن يوسف الدمشقي، سبل الهدى والرشاد، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- ١٤٦- محمد بن عبد الرحمن سالم ، أهل الكتاب عصر ظهور الاسلام، رسالة دكتوراه بجامعة الاسكندرية كلية الآداب ، قسم اللغة العربية عام ١٩٨٦م ، آلة كاتبة .
- ١٤٧- محمد محمود الصواف، المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام، القاهرة ، دار الاعتصام ١٩٨٣م .
- ١٤٨- محمد الراوي، الدعوة الاسلامية دعوة عالمية، ط٣، مكتبة الرشد ، الرياض ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

- ١٤٩- محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم الجوزية) زاد المعاد في هدي خير العباد، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ١٥٠- محمد بن احمد الذهبي، تاريخ الإلام " السيرة النبوية " تحقيق: عمر تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- ١٥١- محمد بن فتح الله بدران، "الفلسفة الحديثة في الميزان وتأسيس القواعد من القرآن" مكتبة القاهرة الحديثة، ط: ٣ عام ١٩٦٩ م .
- ١٥٢- محمد كمال وصفي " الوحدة العقدية بين الانبياء والرسل "، دار الكتاب العربي القاهرة عام ١٩٥٧ م، ط ١ .
- ١٥٣- محمد حسني عبد الحميد، "أبو الانبياء ابراهيم الخليل" القاهرة، بدون تاريخ .
- ١٥٤- محمد عبد الهادي أبو ريدة " الايمان بالله في عصر العلم " عام الفكر، القاهرة ، بلا تاريخ.
- ١٥٥- د. محمد البهي، تهاقت الفكر المادي والتاريخي " در الفكر ، بيروت ١٩٨١ م .
- ١٥٦- محمد عبد الرزاق أسود " المدخل الى دراسة الأديان والمذاهب " الدار العربية للموسوعات، بيروت عام ١٩٨١ م .
- ١٥٧- محمد بن عبد الله بن العربي المالكي ، أحكام القرآن ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ١٥٨- محمد عزت الطهطاوي، التبشير والاستشراق ، أحقاد وحملات، مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٣ هـ .
- ١٥٩- محمد بن علي الشوكان ، فتح القدير، ط: احياء التراث العربي ، بيروت .

- ١٦٠- محمد سيد طنطاوي " بنو اسرائيل في الكتاب والسنة " القاهرة ط٢، عام ١٩٧٦ م .
- ١٦١- د. محمد البهي " العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق " ط: مجلة الفكر الاسلامي، بيروت، ص٣، ٢٧ مايو ١٩٧١ م .
- ١٦٢- د. محمد البهي " المجتمع الاسلامي والتيارات المعاصرة " القاهرة ، مكتبة وهبة القاهرة، ط٣ عام ١٩٥٩ م .
- ١٦٣- د. محمد البهي "الاسلام في الواقع الايديولوجي المعاصر" مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٢ م .
- ١٦٤- محمد عمران " تجرّتي مع الثورة " بيروت ، عام ١٩٧٠ م .
- ١٦٥- د. محمد البهي، المبشرون والمستشرقون: مقال بمجلة الازهر، العدد ٨٣، كلية الدعوة ١٩٨٦ م.
- ١٦٦- محمد الخير عبد الستار " الاسلام والغرب " دار الجليل ، بيروت عام ١٩٨٧ م .
- ١٦٧- محمد فريد وجدي " دائرة معارف القرن العشرين " ط: ٤ ، دار المعارف ، بيروت ، بلا تاريخ.
- ١٦٨- محمد أبو المحاسن عصفور " معالم تاريخ الشرق الادنى القديم " ط: دار النهضة المصرية، بيروت، سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ١٦٩- محمد بن عمر الواقدي ، المغازي النبوية ، ط: ٣ عالم الكتب ١٤٠٤ هـ .
- ١٧٠- محمد الغزالي " فقه السيرة " ط: ٢ ، دار القلم، دمشق ١٤٠٥ هـ .
- ١٧١- محمد بن محمد ابن سيد الناس ، عيون الأثر " تحقيق : د. محمد الخطراوي ومحي الدين متولي ، ط١، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، ودار ابن كثير ، دمشق ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

- ١٧٢- محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ١٧٣- محمد بن يوسف الدمشقي، سبيل الهدى والرشاد ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ١٧٤- محمود الالوسي ، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " ط: ادارة الطبعة المصطفائية، ديوبند الهند .
- ١٧٥- محمود حمدي زقزوق، الاسلام في تصورات الغرب ، ط١: مكتبة وهبة، مصر ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.
- ١٧٦- مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣ هـ.
- ١٧٧- د. مصطفى غزال، دعوة جمال الدين الافغاني ، ط١، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٣ هـ .
- ١٧٨- د. مصطفى محمود " اكدوية اليسار الاسلامي " ط٢، دار المعارف بمصر .
- ١٧٩- د. مصطفى السباعي " الاستشراق والمستشرقون " ط: المكتب الاسلامي، بيروت ١٩٨٥ م.
- ١٨٠- د. مصطفى السباعي " السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي " ، المكتب الاسلامي، دمشق ط٢، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ١٨١- مكسيم ردونسون " الماركسية والعالم الاسلامي " ترجمة كميل داعز، دار الحقيقة، بيروت.

- ١٨٢- مكسيم ردونسون " الماركسية والعالم الاسلامي " ترجمة كميل داعز، دار الحقيقة، بيروت.
- ١٨٣- منير محمد نجيب " الحركات القومية في ميزان الاسلام " مكتبة الحرمين ، ط١، عام ١٩٨١م.
- ١٨٤- منير محمد عضبان ، فقه السيرة النبوية، ط:١ ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
- ١٨٥- " مزامير داوود " .
- ١٨٦- المصعب الزبيري "نسب قريش " تحقيق : ليفي بروفنسال ط:٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٦م .
- ١٨٧- مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية ، ط: ١ ، مركز الملك فيصل للبحوث العلمية، الرياض، ١٤١٢هـ .
- ١٨٨- مونتجيري وات، محمد في المدينة ، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت ١٩٧٣م .
- ١٨٩- محمود شيت خطاب / اللواء الركن / " قادة فتح المغرب العربي " دار الفكر - بيروت .
- ١٩٠- نجيب العقيقي، المستشرقون، ط: ٤ ، دار المعارف، القاهرة .
- ١٩١- هنري ماسيه، الاسلام، ترجمة : بهيج شعبان، ط:٢ ، منشورات عويدات ١٩٧٧ بيروت، باريس .
- ١٩٢- يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم ، ط: دار الريان للتراث، مصر ١٤٠٧هـ.

١٩٢- يوسف بن عبد الله بن البر، الاستيعاب في أسماء الاصحاب ، المطبوع بهامش الاصابة

لابن حجر، ط: ١، القاهرة، ١٣٢٨ هـ .

محتويات الرسالة

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٢	أهمية الموضوع وسبب اختياره
٤	تعريف الأسلوب لغة وأصطلاحاً
٤	الأسلوب أصطلاحاً
٥	الدراسات السابقة
١٢	تقسيم البحث
١٥	المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة:
١٦	حدود البحث الزمنية
١٦	نوع الدراسة ومنهج البحث والباحث وطريقته فيه
١٨	منهج الباحث في بحثه وطريقته فيه
١٨	الصعوبات التي واجهت الباحث
١٨	شكر وتقدير
	فصل تهيدي
	التعريف بخصوم الدعوة في عهدنا المدني
٢٠	المبحث الأول المشتركون
٢٠	تعريف الشرك
٢٢	المطلب الأول: الشرك اصطلاحاً ودلالة
٣٠	المطلب الثاني: جذور الشرك في بلاد العرب
٣٧	المطلب الثالث: الشركون في المدينة

	المبحث الثاني (اليهود)
٤٠	توطئة
٤٢	المطلب الأول: أصل اليهود
٤٣	المطلب الثاني: أسباب سكن اليهود في جزيرة العرب
٤٤	المطلب الثاني: اليهود عند ظهور الإسلام
٤٥	المطلب الثالث: حديث اليهود عن البعثة النبوية
٤٦	المطلب الرابع: اليهود في المدينة قبيل هجرة النبي ﷺ
٥٠	المطلب الخامس: اليهود بعد الهجرة النبوية
	المبحث الثالث (النصارى)
٥٦	المطلب الأول: النصارى تاريخاً ومعتقداً
٦٢	المطلب الثاني: علاقة النصارى التاريخية بالمدينة في عصر النبي ﷺ
٧٠	المطلب الثالث: حقيقة النصارى كما يسجلها القرآن الكريم
	المبحث الرابع (المنافقون)
٧٦	المطلب الأول: تعريف النفاق
٧٩	المطلب الثاني: ظهور النفاق في المدينة
٨٧	المطلب الثالث: علامات النفاق وأنواعه
	الباب الأول
	أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني
	الفصل الأول
	أساليب المشركين في العهد المدني
	المبحث الأول
	أساليب المشركين القولية في العهد المدني
١٠٢	تمهيد

١٠٥	الأسلوب الأول: أسلوب الترهيب
١٠٨	الأسلوب الثاني: أسلوب الوقعة بين المؤمنين
١٠٩	الأسلوب الثالث: أسلوب بث الأشاعات
١١١	الأسلوب الرابع: أسلوب التهديد باستعمال القوة
١١٢	الأسلوب الخامس: أسلوب الشماتة
١١٥	الأسلوب السادس: أسلوب رباطة الجأش
	المبحث الثاني
	أساليب المشركين في العهد المدني
١١٩	تمهيد
١٢١	الأساليب العملية
١٢١	الأسلوب الأول: أسلوب الكبر والاستعلاء
١٢٣	الأسلوب الثاني: أسلوب الصد
١٢٥	الأسلوب الثالث: أسلوب إيذاء النبي في أهله
١٢٩	الأسلوب الرابع: كتمان الأثم وإخفاء الغيظ
١٣١	الأسلوب الخامس: أسلوب الاغتيالات
١٣٤	الأسلوب السادس: أسلوب القوة
١٣٦	النموذج الأول من أسلوب القوة: غزوة بدر
١٤٩	النموذج الثاني من أسلوب القوة: غزوة أحد
١٦٥	الأسلوب السابع: (أسلوب التحالف والتحزب)
١٧٠	الأسلوب الثامن: (أسلوب فتنة المؤمنين)

الفصل الثاني

أساليب اليهود في العهد المدني

المبحث الأول

أساليب اليهود القولية في العهد المدني

- ١٧٤ تمهيد
- ١٧٥ الأسلوب الأول (أسلوب المجاهرة بالعداوة للدين وأهله)
- ١٧٩ الأسلوب الثاني (أسلوب الطعن في نبوة النبي ﷺ)
- ١٨٢ الأسلوب الثالث (أسلوب التشكيك)
- ١٨٥ الأسلوب الرابع (الادعاء بأن النبي إبراهيم لهم دون غيرهم):
- ١٨٧ الأسلوب الخامس (أسلوب محاولات إخراج النبي ﷺ)
- ١٨٩ السؤال عن الساعة
- ١٩٠ الأسلوب السادس (أسلوب التعنت)
- ١٩٢ الأسلوب السابع (أسلوب الحسد وجحود الحق)
- ١٩٤ الأسلوب الثامن (أسلوب التعريض بنساء المسلمين)

المبحث الثاني

أساليب اليهود العملية

- ١٩٦ تمهيد:
- ١٩٨ الأسلوب الأول (إسلوب إثارة الفتنة بين المؤمنين)
- ١٩٩ الأسلوب الثاني (أسلوب الدخول في الإسلام ثم الارتداد عنه):
- ٢٠٠ الأسلوب الثالث (أسلوب محاولة قتل النبي ﷺ):
- ٢٠٢ الأسلوب الرابع (أسلوب الغدر ونكث العهود):
- ٢٠٦ الأسلوب الخامس (أسلوب استغلال مصائب المسلمين):

٢١٠	الأسلوب السادس (أسلوب التحالف)
	الفصل الثالث
	أساليب النصارى في العهد المدني
	أساليب النصارى القولية في العهد المدني
٢١٣	تمهيد:
٢١٣	الأسلوب الأول (أسلوب المجادلة)
٢١٥	الأسلوب الثاني (أسلوب التعالي على الناس وادعاء الخصوصية)
٢١٧	الأسلوب الثالث (أسلوب التهديد):
٢١٨	الأسلوب الرابع (أسلوب طرح النصارى لعقائدهم):
	المبحث الثاني
	أساليب النصارى العملية في العهد المدني
٢٢٠	تمهيد:
٢٢١	الأسلوب الأول (أسلوب محاولة قتل رسل رسول الله ﷺ)
٢٢١	الأسلوب الثاني (أسلوب التحالف والتآمر)
٢٢٢	الأسلوب الثالث (أسلوب التحرش بالمسلمين)
	الفصل الرابع
	أساليب المنافقين في العهد المدني
	المبحث الأول
	الأساليب القولية
٢٢٩	تمهيد:
٢٣٠	الأسلوب الأول: أسلوب الأرجاف بالمؤمنين:
٢٣٤	الأسلوب الثاني: أسلوب الخداع والكذب:

٢٣٧	الأسلوب الثالث : أسلوب التشكيك والبلبلة:
٢٣٨	الأسلوب الرابع: أسلوب التثبيط والتخذيل:
	المبحث الثاني
	أساليب المنافقين العملية في العهد المدني
٢٤٠	الأسلوب الأول : أسلوب التفريق بين المؤمنين:
٢٤٢	الأسلوب الثاني : إثارة الفتنة بين المسلمين:
٢٤٤	الأسلوب الثالث : أسلوب التحالف مع أعداء المسلمين
٢٤٨	الأسلوب الرابع: أسلوب محاولة تشويه سمعة الرسول ﷺ:
٢٥٣	الأسلوب الخامس: أسلوب استغلال المواقف في الاضرار بالمؤمنين
٢٥٦	الأسلوب السادس: أسلوب تخذيل المسلمين
٢٦٠	الأسلوب السابع: أسلوب الاغتيالات
	الباب الثاني
	مواجهة أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني
	الفصل الأول
	مواجهة أساليب المشركين
	المبحث الأول
	مواجهة أساليب المشركين القولية
٢٦٢	تمهيد:
٢٦٤	منهج المواجهة:
٢٦٦	الأسلوب الأول (أسلوب المواجهة بالبرهان الكوني والنظر العقلي):
٢٦٧	الأسلوب الثاني (المواجهة بالرفق والحلم واللطف):
٢٦٨	الأسلوب الثالث (أسلوب العفو عند المقدرة)

- ٢٧١ الأسلوب الرابع: أسلوب الدعاء بهداية المشركين
- ٢٧٣ الأسلوب الخامس : أسلوب التخذيل
- المبحث الثاني**
- مواجهة أساليب المشركين العملية**
- ٢٧٦ الأسلوب الأول: أسلوب الإعلان عن القوة:
- ٢٧٧ الأسلوب الثاني: أسلوب المواجهة العسكرية في غزوة بدر
- ٢٨٨ الأسلوب الثالث : أسلوب تأديب القبائل العربية المشركة الاخرى
- ٢٩٠ الأسلوب الرابع: أسلوب مواجهة الدعوة لخصومها في أحد
- ٣٠٠ الأسلوب الخامس : مواجهة أساليب المشركين في يوم الأحزاب
- الفصل الثاني**
- مواجهة أساليب اليهود**
- المبحث الأول**
- مواجهة أساليب اليهود القولية**
- ٣٠٧ الأسلوب الأول: أسلوب دعوتهم للإسلام
- ٣٠٨ الأسلوب الثاني: أسلوب الصبر وضبط النفس
- ٣٠٨ الأسلوب الثالث: أسلوب رد الشبهات التي يثيرونها
- ٣١٠ الأسلوب الرابع: أسلوب قص أخبار من سلف من أجدادهم وما فعل الله بهم
- ٣١٢ الأسلوب الخامس: أسلوب مواجهة الأفراد الذين تصدروا في عداوة الدعوة
- ٣١٥ الأسلوب السادس: أسلوب مواجهة الأخطاء العقدية
- ٣١٧ الأسلوب السابع: أسلوب مواجهتهم بالتهديد
- ٣١٨ الأسلوب الثامن: أسلوب مواجهة الإعراض عن الدعوة

المبحث الثاني

مواجهة أساليب اليهود العملية

- ٣٢٩ الأسلوب الأول: أسلوب تقوية الصف الإسلامي، والتحذير ممن يرد تفرقتهم
- ٣٣٠ الأسلوب الثاني: أسلوب العفو والصلح واللين
- الأسلوب الثالث:
- ٣٣١ أسلوب استخدام القوة
- ٣٣١ أ- أسلوب القتل
- ٣٣٢ ب- أسلوب الإجلاء

الفصل الثالث

مواجهة أساليب النصارى

المبحث الأول

مواجهة أساليب النصارى القولية

- ٣٤٥ الأسلوب الأول: المواجهة بالرفق واللين
- ٣٤٧ الأسلوب الثاني: المواجهة بالحوار
- ٣٥٠ الأسلوب الثالث: مواجهة شبهات النصارى
- ٣٥٢ الأسلوب الرابع: المواجهة بالاعراض عنهم
- ٣٥٤ الأسلوب الخامس: أسلوب المحاجة وتفنيذ المزاعم
- ٣٥٦ الأسلوب السادس: أسلوب الوعيد

المبحث الثاني

مواجهة اساليب النصارى العملية

- ٣٦٠ الأسلوب الأول: مراسلة كبار النصارى
- ٣٦٢ الأسلوب الثاني: الثناء على من آمن من النصارى
- ٣٦٤ الأسلوب الثالث: استخدام القوة
- ٣٦٤ أولا: دومة الجندل
- ٣٦٦ ثانيا: غزوة تبوك
- ٣٦٩ ثالثا: غزوة مؤتة
- ٣٧٥ رابعا: غزوة ذات السلاسل
- ٣٧٧ خامسا: فتح الشام
- ٣٧٨ سادسا: مواجهة التجمعات النصرانية

الفصل الرابع

مواجهة اساليب المنافقين

المبحث الاول

مواجهة الاساليب القولية

- ٣٨١ الأسلوب الأول: مواجهة الإرجاف بالمؤمنين
- ٣٨١ الأسلوب الثاني: مواجهة أسلوب الكذب والخداع
- ٣٨٣ الأسلوب الثالث: مواجهة أسلوب التشكيك والبلبله
- ٣٨٤ الأسلوب الرابع: مواجهة أسلوب التخذيل والتثبيط

المبحث الثاني

مواجهة الاساليب العملية

- ٣٨٦ الأسلوب الأول: مواجهة أسلوب التفريق بين المؤمنين
٣٩١ الأسلوب الثاني: مواجهة أسلوب الفتنة بين المؤمنين
٣٩٢ الأسلوب الثالث: أسلوب محاولة تشويه سمعة الرسول ﷺ
٣٩٥ الأسلوب الرابع: مواجهة استغلال المواقف في الاضرار بالمسلمين
٤٠١ الأسلوب الخامس: مواجهة أسلوب التحالف مع أعداء المسلمين

الباب الثالث

اساليب خصوم الدعوة في العهد المدني ومظاهرها في العصر الحاضر وكيفية مواجهتها

الفصل الاول

مظاهر اساليب خصوم الدعوة

المبحث الاول

تمهيد:

- ٤٠٥ الأسلوب الأول: التحريف اللغوي وإثارة الشبهات
٤٠٥ الأسلوب الثاني: التشكيك في عدالة التشريع الإسلامي
٤٠٩ الأسلوب الثالث: الأساطير والمفتريات والتشكيك بالسنة
٤١١ الأسلوب الرابع: نشر المزاعم وبث الاحقاد
٤١٩ الأسلوب الخامس: أسلوب الإلحاد الفلسفي
٤٢٣ الأسلوب السادس: أسلوب الصهيونية ومرتكزاتها العقديّة
٤٣٩

المبحث الثاني

مظاهر الاساليب العملية

- ٤٣٨ الأسلوب الأول: المؤلفات والمؤتمرات
٤٤٢ الأسلوب الثاني: أسلوب التنصير العملي

٤٤٤	الأسلوب الثالث: أسلوب التطبيب ومراكز البحث
٤٤٧	الأسلوب الرابع: علمانية التعليم والإعلام
٤٥٣	الأسلوب الخامس: أسلوب الماسونية في الهيمنة الاجتماعية
٤٥٥	الأسلوب السادس: أسلوب الصهيونية العالمية العلمي
٤٦٠	الأسلوب السابع: أسلوب الإلحاد الشيوعي العملي
٤٦٣	الأسلوب الثامن: أسلوب العمل التغريبي في بلاد المسلمين
	الفصل الثاني
	كيفية مواجهة الدعوة الإسلامية لآساليب الخصوم في العصر الحاضر
٤٦٨	المطلب الأول: نظرة على الواقع الإسلامي
	المطلب الثاني: رد الفعل الإسلامي دعوة الإمام الشيخ محمد بن
٤٧١	عبد الوهاب رحمه الله
	المطلب الثالث: التأثير المتجدد للدعوة السلفية على يد الشيخ
٤٧٤	محمد بن عبد الوهاب
٤٨٠	الخاتمة
٤٨٢	توصيات
٤٨٥	فهرس الآيات القرآنية
٤٩٧	فهرس الحديث والآثار
٥٠٢	فهرس الأعلام
٥١٠	مصادر البحث
٥٢٨	فهرس البحث العام



« وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين »